THE WITCHER

ANDRZEJ SAPKOWSKI

BAPTISM OF FIRE



معمودية النار

Ai Translator

الجزء 5

ترجمة غير رسمية

الويتشر

أندريه سابكوسكي

حول هذه الترجمة:

هذا الكتاب هو عملٌ خيالي، إن الأسماء والشخصيات والأماكن والأحداث هي من وحي خيال الكاتب أو تم استخدامها بشكلٍ خيالي، وأي تشابه مع أحداث أو أماكن أو أشخاص حقيقيين، سواء كانوا أحياء أو أمواتًا، هو من قبيل الصدفة.

تم نشر هذا الكتاب في الأصل باللغة البولندية تحت عنوان **Sezon Burz**.

تمت الترجمة العربية بواسطة أدوات الذكاء الإصطناعي لذلك فالترجمة غير مطابقة للنص الأصلي.

تنويه وإخلاء مسؤولية:

هذه الترجمة غير رسمية وغير دقيقة ولاتطابق الرواية أو محتواها. وهي بغرض المراجعة والاطلاع فقط.

لذلك لاتغني عن امتلاك النسخة الأصلية أو ترجمتها الرسمية عند توفرها بالمكتبات العربية علماً أنه لاتوجد ترجمة عربية رسمية حتى الآن.

إن القيام باستخدام شبه الترجمة هذه بخلاف أغراض المراجعة والاطلاع قبل الشراء هي أمانة تقع على عاتق وتحت مسؤولية أصحابها فقط.

نأمل المبادرة بشراء النسخة الأصلية أو ترجمتها الرسمية عند توفرها دعماً للمؤلف وأصحاب الحقوق.

Ai Translator

ثم قالت العرَّافة للويتشر: "سأمنحك هذه النصيحة: إلبَسْ حذاءً من حديد، وخذْ بيدك عصاً من فولاذ. ثم سِرْ حتى منتهى العالم .. إستعنْ بعصاك لتحطم الأرض أمامك، وبلّلها بدموعك. أعبرْ النار والماء، لا تتوقفْ في الطريق، ولا تلتفِتْ خلفك. وحينما يبلى الحذاء، ويُثلمُ الفولاذ، وحين تجفُّ عيناك من هبوب الريح ولَهِيب الحرّ حتى تعجزَ عن ذرف الدموعِ، فحينها، عند منتهى العالم، قد تجد ما تبتغيه وما تحب"...

مضى الويشر عبر النار والماء، ولم يلتفتْ خلفه. لم يأخذْ حذاءً من حديد ولا عصا من فولاذ، بل اقتصر على سيفه وحسب.

لم يصغِ لكلمات العرافات. ولم يكنْ في ذلك إلا محقاً، فقد كانت نبوءةً كاذبة.

فلوران ديلانو، حكايات وأساطير العالم

الفصل الأول

اهتزّت الشجيرات بصخب الطيور.

كان منحدر الوادي مكسوًا بنباتات كثيفة من العُلّيق والبَرباريس[1]، مما جعله ملاذًا مثاليًا للتعشيش والصيد. لم يكن غريبًا إذن أن يعجّ بالطيور. عصافير الخضيري العنيدة، والدخّلان[2]، والهوازج كانت تزقزق بلا توقف، تتردّد أصواتها في الأرجاء، ويملأ الجو النغم الرنّان لحسون الحقول "بِنك-بِنك".

"تحذيرٌ من المطر"، فكّرت ميلفا، وهي تلقي نظرة غريزية نحو السماء. لم يكن هناك أثرٌ للغيوم. ولكن الحساسين كانت تغرّد... ربما كان المطر نعمة نحتاجها أخيرًا.

المكان أمام الوادي كان نقطة مثالية للمراقبة، موفرًا فرصة سانحة لصيد ناجح، خاصة هنا في بروكيلون، الغابة البرية المليئة بالوحوش. الحوريات اللواتي يسيطرن على جزء شاسع من الغابة نادرًا ما كُنّ يصِدن، أما البشر، فكانوا أشد نُدرةً في التجرّؤ على دخولها. في هذه الأرض، كل من تسوّلت له نفسه أن يكون صيادًا للحوم أو الجلود، سرعان ما يجد نفسه هو الفريسة. جافيات بروكيلون لم يكنّ يُبدين رحمة للمتطفلين. وميلفا كانت تعرف هذا أكثر من أيّ أحد، فقد ذاقت ذلك بنفسها.

رغم ذلك، لم تكن الحيوانات قليلة في بروكيلون، ومع ذلك، كانت ميلفا قد قضت أكثر من ساعتين في كمينها دون أن تطلق سهمًا واحدًا. هنا، لا يمكن الصيد أثناء السير فالجفاف الذي استمر لعدة أشهر جعل الأوراق تحت الأقدام هشّة، والأغصان اليابسة تصدر صريرًا عند كل خطوة. في ظلّ هذه الظروف، لم يكن النجاح ممكناً إلا لمن يلتزم السكون في كمينه، مترصّدًا فرصته بصبرٍ لا ينفد.

حطّت "فراشة الأدميرال" برشاقة على عنق قوسها.

دون أن تتحرك، راقبتها ميلفا وهي تفرد جناحيها وتطويهما، في ذات الوقت، وقع نظرها على قوسها الجديد، والذي لم تزل تجد فيه متعة الاكتشاف في كل مرة تمسكه بيديها. كانت قنّاصة، وهذا القوس كان ذروة الإتقان. لقد عرفت السلاح الجيد حين تراه، وما تحمله الآن كان أفضل ما يمكن أن تمتلكه يد صيادة.

استخدمت ميلفا العديد من الأقواس في حياتها. بدأت رحلتها في الرماية بأقواس من الدردار والطَقْسوس العاديين، لكنها سرعان ما تخلّت عنهما لصالح الأقواس المصفحة العاكسة، تلك التي يستخدمها

[1] **البرباريس** هو نوع من الشجيرات أوراقه شوكية وثماره صغيرة حمراء أو زرقاء وتستخدم في بعض المناطق للأغراض الطبية أو كتوابل للطعام.
[2] **الدخلان** هو أحد أنواع الطيور المغرّدة الصغيرة، ويُعرف في العربية أيضًا باسم **طائر الدُخّل** أو **الهازج**.

الحوريات والجان. كانت أقواس الجان أقصر، أخف، وأسهل في التعامل، وبفضل تركيبها الطبقي من الخشب وأوتار الأوتار الحيوانية، كانت أيضًا أسرع بكثير. السهم الذي يُطلق منها كان يبلغ هدفه في وقت أقصر ومسار أكثر استقامة، مما يقلل بشكل كبير من احتمال أن تعبث به الرياح.

أفضل هذه الأقواس، المنحنية أربع مرات، حملت اسم "زيفهار"—وهو رمز رونّي[3] كان يُنقش على مقبض قوسها المنحني. ميلفا استخدمت زيفهار لسنوات، وكانت تعتقد أنه لا يوجد قوس يمكن أن يتفوق عليه.

لكنها أخيرًا وجدت قوسًا يفوقه.

وكان ذلك، بالطبع، في بازار سيداريس الساحلي، الشهير بوفرة معروضاته من البضائع الغريبة والنادرة التي يجلبها البحّارة من أقاصي الأرض، من كل مكان تصل إليه الفرقاطات والجاليونات[4]. كانت ميلفا، كلما سنحت لها الفرصة، تزور البازار وتتفقد الأقواس المعروضة هناك. وفي أحد تلك الأيام، اقتنت القوس الذي اعتقدت أنه سيخدمها لسنوات طويلة زيفهار زيريكاني، معزّز بقرون ظبي منقوشة بدقة. ظنّت أنه القوس المثالي.

لكنه لم يدم سوى عامٍ واحد.

فبعد سنة واحدة، في نفس السوق، لدى نفس التاجر، وجدت تحفة حقيقية.

القوس أتى من أقصى الشمال. بلغ اتساع جناحيه اثنين وستين إنشًا. كان مصنوعًا من الماهونيا، بمقبض متوازن بدقة، ورقبة ناعمة مصفحة بطبقات متداخلة من الخشب المنسوج، وعظام الحيتان، وأوتار الأوتار الحيوانية. كان واضحًا أن هذا القوس يختلف عن غيره، ليس فقط في تكوينه وصناعته المتقنة، بل في سعره أيضاً وهو ما لفت انتباه ميلفا على الفور.

لكن حين أمسكت بالقوس وجربته، دفعت ثمنه بلا تردد، بل دون حتى أن تحاول المساومة على السعر الذي طلبه التاجر: أربعمائة تاج نوفغرادي.

[3] **روني**: مصطلح يشير إلى **الرموز الرونية**، وهي أحرف كانت تُستخدم في الكتابات القديمة عند الشعوب الجرمانية، مثل الإسكندنافيين والأنجلو-ساكسون. كانت تحمل معاني رمزية وسحرية، حيث اعتقد القدماء أن لها قوى غامضة تُستخدم في التعاويذ والنقوش المقدسة.

[4] **الجاليونات**: نوع من السفن الشراعية الكبيرة التي ظهرت خلال **القرنين السادس عشر والسابع عشر**، وكانت تُستخدم في الحروب والتجارة والاستكشاف البحري.

بطبيعة الحال، لم تكن تحمل معها مثل هذا المبلغ الباهظ. ولكنها عقدت صفقة، وضحت بزيفهارها، وسلسلة من فراء السمّور ثمار صيدها الجائر، ووسام، وقلادة جان رائعة، منقوشة بكاميو مرصع بالمرجان المضغوط ومحاطة بلآلئ النهر.

لكنها لم تندم. أبدًا.

كان القوس يتمتع بخفة مذهلة ودقة لا تشوبها شائبة. ورغم أنه لم يكن طويلًا للغاية، إلا أن بنيته المركبة أخفت بداخله امتدادًا معتبَرًا من الأسلاك. كان مجهزًا بوتر من حرير القنب، ومقابض بارزة مغطاة بالمخمل، مشدودة بدقة على امتداد أربع وعشرين بوصة، لتوفر قوة شد تصل إلى خمسة وخمسين رطلًا. صحيح أن هناك أقواسًا تصل إلى ثمانين رطلًا، لكن ميلفا كانت ترى أن ذلك مجرد مبالغة.

السهم المنطلق من قوسها كان يخترق مسافة مئتي قدم في طرفة عين، وعند مسافة مئة خطوة، كان لا يزال يتمتع بزخم كافٍ لاختراق جسد غزال... أو إنسان لا يرتدي درعًا، ليخرقه من الجانب إلى الجانب. ميلفا نادرًا ما كانت تصطاد حيوانات أكبر من الغزلان، أو رجالًا يرتدون دروعًا ثقيلة.

حلقّت الفراشة بعيدًا. لا تزال الحساسين تعبث بين الشجيرات. ومع ذلك، لم يظهر شيء ليكون هدفًا للصيد.

استندت ميلفا إلى جذع الصنوبر، وبدأت تتذكر. فقط لتمضية الوقت.

أول لقاء لها مع الويتشر كان في يوليو، بعد أسبوعين من أحداث جزيرة ثانيدد واندلاع الحرب في دول أنغرا.

عادت ميلفا إلى بروكيلون بعد بضعة أيام من الغياب، مصطحبة معها بقايا مجموعة من مقاتلي "سكوياتيِل"، الذين وجدوا أنفسهم عالقين في تيميريا أثناء محاولتهم دخول أراضي إيديرن التي كانت قد انجرفت بالفعل إلى أتون الحرب.

كان "السناجب"—كما كان يُطلق على مقاتلي سكوياتيِل—يسعون للانضمام إلى ثورة الجان في دول بلاثانا. لكنهم فشلوا، ولولا ميلفا، لقُضي عليهم جميعًا.

لقد ساعدتهم بمنحهم ملاذًا في بروكيلون.

ما إن وصلت ميلفا حتى أُبلغت بأن أغلايس تنتظرها على وجه السرعة في كول سيراي.

شعرت ميلفا ببعض الدهشة حيال هذا الأمر.

أغلايس كانت رئيسة الكاهنات المعالجات في بروكيلون، والينابيع العميقة الساخنة وكهوف وادي كول سيراي كانت مكانًا مخصصًا للعلاج والشفاء.

لكنها لم تتردد في الامتثال للاستدعاء، مقتنعة بأنه أحد الجان المصابين الذي يرغب في التواصل مع كتيبته عبرها. ولكن عندما رأت الويتشر الجريح وعرفت ما يريد، استشاطت غضبًا، وهبّت من الكهف بشعرها المتطاير، لتُفرغ جام غضبها على أغلايس.

"لقد رآني! رأى وجهي! أتدركين ما الذي يعنيه هذا بالنسبة لي؟"

"لا، لا أفهم." ردّت المعالجة ببرود، "هذا هو غوينبليد، الويتشر، صديق بروكيلون. لا تزال هناك أربعة عشر يومًا حتى يكتمل القمر الجديد. سيستغرق وقتًا قبل أن يتمكن من النهوض والمشي بشكل طبيعي. يريد أخبارًا عن العالم، عن أحبائه. وأنتِ الوحيدة القادرة على إيصالها إليه."

"أخبار عن العالم؟ أعتقد أنكِ فقدتِ عقلكِ، أيتها الحورية! هل تعلمين ما الذي يجري الآن في العالم، خارج حدود غابتكِ الهادئة؟ الحرب لا تزال مستعرة في إيدين! في بروغ، في تيميريا، وفي ريدانيا! هناك فوضى، جحيم، اضطهاد مرعب! أولئك الذين أطلقوا التمرد في ثانيدد مطلوبون في كل مكان! لو نطقتِ بكلمة واحدة خاطئة في المكان الخطأ، سينتهي بك الأمر في زنزانة مع الجلاد وحديده المحمّى!"

"والآن عليّ أن أتنقل للتجسس، وأستقصي، وأجمع الأخبار؟ أن أخاطر بحياتي؟ ولأجل من؟ لأجل ويتشر نصف ميت؟ وتقولين إنه ليس غريبًا عني، بل صديق؟ لقد فقدتِ صوابكِ تمامًا يا أغلايس!"

"إذا كنتِ ستصرخين"، قاطعتها الحورية بهدوء، "دعينا نذهب أبعد في الغابة. هو بحاجة إلى الهدوء."

ألقت ميلفا نظرة غير إرادية عبر الكهف، حيث كانت قد رأت الرجل الجريح للتو. " يالوسامته" فكرت غريزيًا، رغم أنه كان نحيفًا كالعصا... وشعره يكسوه البياض، وبطنه مسطحة كشاب، يبدو أنه من النوع الذي يقوم بأعمال شاقة، لا من عشاق اللحم المقدد والجعة...

"كان في ثانيدد " قالت ميلفا، دون تردد، "يبدو أنه أحد الثوار".

"لا أعرف" هزّت أغلايس كتفيها. "هو مصاب ويحتاج إلى المساعدة. الباقي ليس من شأني."

عبست ميلفا. كان معروفًا عن المعالجة أنها تتجنب الحديث. لكن ميلفا كانت قد سمعت بالفعل من الحوريات المتحمسات على الحدود الشرقية لبروكيلون عن الأحداث التي وقعت قبل أسبوعين. وعن ساحرة ذات شعر بني ظهرت في بروكيلون في ومضة سحرية، مع رجل مصاب، يديه وقدميه كانتا مكسورتين، متشبثًا بها. هذا الرجل المصاب كان الويتشر المعروف بـ غوينبليد، الذئب الأبيض.

في البداية، لم تكن الحوريات يعرفن ما الذي يجب فعله، فالويتشر النازف كان يصرخ ويغشي عليه، بينما كانت أغلايس تضع ضمادات مؤقتة على جروحه. بينما كانت الساحرة التي جلبته تراقبه، وتشتم حيناً وحيناً تبكي. عند سماع هذا، شعرت ميلفا بصدمة كبيرة ، هل رأى أحدٌ من قبل ساحرة تبكي؟ ثم جاء الأمر من ديوين كانيلا - من إيثني ذات العيون الفضية سيدة بروكيلون - علمت الساحرة بأمر حاكمة الجافيات في الغابة أن يُعتنى بالويتشر تحت إشرافها.

هاه," فكرت، "ربما يكون صحيحًا ما يهذي به الكهنة، أن نهاية العالم وشيكة ويوم الحساب قد اقترب؟ العالم يحترق، والبشر صاروا كذئاب، ليس فقط تجاه الجان، بل ضد بعضهم بعضًا. الأخ ضد أخيه... وويتشر متورط في هذه الثورة السياسية؟ ويتشر، من المفترض أنه موجود لحماية البشر من الوحوش التي تؤذيهم!

منذ بداية الزمن، لم يتدخل ويتشر قط في السياسة أو الحرب. بل أن هناك حتى حكاية عن ملك أحمق حمل الماء في غربال واتخذ من الأرنب رسولًا وخيّل إليه أن الويتشر يمكن أن يكون حاكمًا.

ولكن ها نحن ذا، ويتشر مصاب بجراح بليغة في تمردٍ ضد الملوك، يهرب من عقابه في بروكيلون. بالفعل، إنها نهاية العالم!

"مرحبًا، ماريا."

ارتجفت. كانت الحورية تتكئ على جذع صنوبرة، عيناها وشعرها فضيان. وقد أضفى عليها غروب الشمس هالةً ذهبية، انعكست ظلالها على جدار الغابة المبقّع.

ركعت ميلفا على ركبةٍ واحدة، وأحنت رأسها باحترام.

"السلام عليكِ، سيدتي إيثني."

حررت حاكمة بروكيلون خنجرًا ذهبيًا من حزامها، كان على شكل منجلٍ صغير.

"انهضي," قالت. "دعينا نمشي قليلاً. أريد أن أتحدث معكِ."

مر وقت طويل وهما تسيران في الغابة الغارقة في الظلال، الحورية ذات الشعر الفضي، والفتاة ذات الشعر الكتاني. لم تقطع أي منهما الصمت.

لم نصل بعد إلى دوين كانيلا، ماريا."

"لا وقت لدينا، سيدتي إيثني. فدوين كانيلا تتباعد من هذا الطريق، وأنا... أنتِ تعلمين."

"أعلم. هل أنتِ مرهقة؟"

"الجان بحاجة إلى المساعدة. لذا أساعدهم، وفقًا لأوامركِ."

"بطلبٍ مني."

"بالضبط، بطلبٍ منكِ."

"لدي طلبٌ آخر."

"هذا ما ظننته. الويتشر؟"

"ساعديه."

توقفت ميلفا، التفتت، وبحركةٍ حادة نزعت غصنًا من زهرة العسلة كان يعترض طريقها. قلبته بين أصابعها، ثم رمته على الأرض.

قالت بهدوء، ناظرةً إلى عيني الجافية الفضيتين:

"لمدة نصف عام، أخاطر برأسي، أجلب كتائب الجان إلى بروكيلون... وعندما يستريحون وتشفين جراحهم، أعيدهم إلى ديارهم... أهذا قليل؟ ألم أفعل ما يكفي؟ عند كل قمر جديد أسير في دربٍ مظلمٍ عميق... أخشى الشمس كخفاشٍ أو بومة..."

"لا أحد يعرف مسالك الغابة أفضل منكِ."

"في الغابة لا أسمع شيئًا، الويتشر قال إنه يريدني أن أجمع الأخبار، وأن أذهب بين الناس، إنه متمرد وذِكرْ اسمه بجعل النيفلقارديين يصغون بانتباه، لا أستطيع أن أظهر في المدن، ماذا لو تعرّف علي أحد؟ فالذكريات لا تزال حية، والدم لم يجف بعد... لأن دمًا كثيرًا قد أُريق، سيدتي إيثني."

كانت عينا الجافية الفضيتان غريبتين، باردتين، عصيتين على الاختراق: "كثير جدًا. كثير جدًا، هذا صحيح."

"أنتِ تعرفينني، سأُعلَّق على وتد."

"أنتِ حكيمة. حذرة ويقظة."

"الأخبار التي يريدها الويتشر... لا ينفع معها الحذر.. سيتعيّن عليّ طرح الأسئلة. لكن في هذه الأيام، الفضول ذاته يُعدّ خطرًا. وإن أمسكوا بي..."

"لديك معارف."

"سوف يعذبونني. سيقتلونني. أو سأتعفن في دراكنبورغ..."

"أنتِ مدينة لي."

أدارت ميلفا رأسها، وعضت على شفتيها.

قالت بمرارة : "نعم، لا أستطيع النسيان."

أغمضت عينيها، وانقبض وجهها فجأة، ارتعشت شفتاها، وعضّت على أسنانها بشدة. تحت جفونها الشاحبة، التي انعكس عليها ضوء القمر، توهجت ذكريات باهتة لتلك الليلة. عاودها الألم المفاجئ في كاحلها، العالق في الفخ الجلدي، الألم الحادّ الذي مزّق مفاصلها عند الشدّ. هدير الأشجار يهزّ أذنيها... الصرخات، الآهات، العواء الوحشي والذعر المحموم، الإحساس بالهلع حين أدركت أنها عاجزة عن التحرر... الصراخ والخوف، الحبل المجدول من ذيل الحصان، خشن، مظلم، ملتفّ، التأرجح، الأرض المقلوبة، السماء المقلوبة، الأشجار، الزوايا المنقلبة، الألم، الدم يضجّ في صدغها.

وعند الفجر، حوريات يحيطن بحلقة من الزهور... ضحك فضي بعيد... دمية على خيط! تأرجحي، تأرجحي أيتها الدمية، رأسكِ لأسفل... وصيحاتها الخاصة، المنتشرة، الغريبة عنها ثم الظلام.

"صحيح، لديّ دين." كررت من بين أسنانها المشدودة. "نعم، لقد أنقذتني يداكِ الكريمتان اللتان قطعتا الحبل القاتل. وبينما أعيش وأرى، لم أسدد هذا الدين بعد."

"الجميع عليه دين،" قالت إيثني. "هكذا هي الحياة، ماريا بارينغ. ديون ومطالب، التزامات، اعترافات، سداد... نفعل شيئًا من أجل شخص ما. أو ربما من أجل أنفسنا؟ لأن الحقيقة، أنكِ دائمًا ما تدفعين لنفسكِ، وليس للآخرين. كل دين يُسدد لأنفسنا. في كل منا يوجد دائن ومدين. ما يهم هو أننا وافقنا على هذه المعادلة. نأتي إلى العالم بمقدار ضئيل من الحياة يُمنح لنا، ثم نمضي حياتنا في الأخذ وسداد الديون. لأنفسنا. ومن أجل أنفسنا. حتى تحين لحظة تسوية الحساب."

"هذا الرجل... الويتشر... هل هو قريب منكِ، سيدتي إيثني؟"

"نعم. رغم أنه لا يعرف ذلك. عودي إلى كول سيراي، ماريا بارينغ. اذهبي الآن، وافعلي ما يطلبه."

* * *

من فوق كومة من الأغصان، انكسر غصن جاف. أطلقت الطيور ضجيجها الصاخب، "تشك-تشك." قفزت طيور العقعق والشرشور في الهواء، وريشات ذيولها البيضاء تكاد تومض. شهقت ميلفا. أخيرًا.

مرة أخرى، انكسر غصن فصاحت طيور العقعق.

عدّلت ميلفا واقي ذراعها الجلدي البالي حتى أصبح لامعًا، مشدودًا بحزمة من الأربطة المتصلة بحلقة. وغرست يدها في الجعبة المثبتة على فخذها. غريزيًا، وبحكم العادة، تفقدت رأس السهم وريشاته. كانت الشفرات مشتراة من السوق – إذ كانت تختار واحدة فقط من كل عشر تُعرض عليها – لكنها دائمًا ما كانت تقوم بترييش الأسهم بنفسها. فمعظم الأسهم الجاهزة المتاحة تجاريًا كانت ذات ريش قصير جدًا ومثبت مباشرة على العمود، بينما كانت ميلفا تلصق ريشاتها بشكل حلزوني، بحيث لا يقل طولها عن خمس بوصات.

جهزت ميلفا سهمًا على وتر قوسها، وحدقت عبر الوادي بين سيقان العليق الأخضر التي تناثرت عليها عناقيد التوت الأحمر، متميزة عن بقية الأشجار.

لم تبتعد عصافير الشرشور كثيرًا، وسرعان ما استأنفت غنائها.

تعالَ، أيها الظبي الصغير، فكرت ميلفا وهي ترفع قوسها وتشده. تعالَ. أنا مستعدة.

لكن الظبي ابتعد عن الوادي، متجهًا نحو الينابيع المستنقعية التي تصب في نهر ريبون. لكن الظبي اليافع إبتعد عن الوادي، كان مخلوقًا رائعًا، وبنظرة سريعة قدرت وزنه بأربعين رطلاً. رفع رأسه، وانتصبت أذناه، ثم استدار نحو الأدغال وقضم بعض الأوراق.

كان من الأسهل أن تطلق عليه السهم من الخلف. لو لم يكن جذع الشجرة تلك يحجب هدفها، ولأطلقت ميلفا سهمها دون تردد، حتى لو أصاب السهم معدته، فالرأس الحاد كان سيخترق الحيوان ليصل إلى القلب أو الكبد أو الرئتين. وإذا ما أصاب الفخذ، فسيقطع الشريان، وسيسقط الحيوان بعد وقت قصير.

انتظرت، دون أن تحرر الوتر.

رفع الظبي رأسه مجددًا، وخطا خطوة، ثم اختفى خلف الجذع، متقدمًا قليلًا. أبقت ميلفا قوسها مشدودًا بالكامل وهي تلعن في صمت. قد يفشل التصويب من الأمام: بدلًا من أن ينغرس السهم في الرئة، قد يخترق المعدة.

انتظرت،حابسةً أنفاسها، تشعر بطعم الوتر المالح عند زوايا شفتيها. كان هذا أحد مزايا قوسها شبه الفريدة - فلو كان سلاحًا أثقل أو أقل دقة، لما استطاعت أن تبقيه مشدودًا كل هذا الوقت دون أن تتعب يدها، مما قد يؤثر على دقة تسديدها.

لحسن الحظ، خفض الظبي رأسه، وراح يلتقط بعض شفرات العشب النامية فوق الطحالب، وانحنى بجانبه.

تنفست ميلفا بهدوء، صوبت نحو الصدر، ثم أطلقت الوتر برفق بأصابعها.

لكنها لم تسمع الطقطقة التي كانت تتوقعها من الأضلاع المثقوبة بالسهم.

قفز الظبي عاليًا، وركل الهواء، ثم اختفى بين أصوات الأغصان الجافة والأوراق المتناثرة تحت قدميه.

لبرهات معدودة، وقفت ميلفا بلا حراك، كأنها تمثال رخامي لإلهة متحجرة في الغابة، فقط عندما خمدت كل الأصوات، أزاحت يدها اليمنى عن خدها الأيسر، وأنزلت القوس. كانت قد حفظت في زاوية من ذاكرتها مسار هروب الحيوان، ثم جلست بهدوء، مستندة بظهرها إلى جذع شجرة.

كانت صيادة متمرسة، جابت الغابات منذ طفولتها، إذ اصطادت أول ظبي لها في الحادية عشرة من عمرها، ثم أوقعت أيلًا ذا أربعة عشر قرنًا - وهو فأل صيد سعيد للغاية - في عيد ميلادها الرابع عشر. لكن التجربة علمتها أن مطاردة حيوان مصاب بلا جدوى. إن كان السهم قد أصابه جيدًا، فسيسقط الظبي على بعد لا يزيد عن مئتي خطوة من مسار هروبه. أما إن كان التصويب سيئًا - وهو احتمال لا يمكنها استبعاده - فإن التسرع لن يؤدي إلا إلى تفاقم الوضع. فالحيوان المصاب بشدة، إذا تُرك دون إزعاج، سيبطئ من سرعته تدريجيًا. أما إذا شعر بالمطاردة، فسيندفع بجنون ولن يهدأ لفترة طويلة.

كان أمامها نصف ساعة على الأقل. أمسكت بين أسنانها نصل عشب كانت قد انتزعته من الأرض، وانغمست في ذكرياتها من جديد.

* * *

عندما عادت إلى بروكيلون بعد اثني عشر يومًا، كان الويتشر قد بدأ بالمشي بالفعل. كان يعرج قليلًا ويسحب ساقه بشكل شبه غير ملحوظ، لكنه كان يمشي على أي حال.

لم تتفاجأ ميلفا - فقد كانت على دراية بخصائص الشفاء العجيبة لمياه الغابة وعشبة كونينهائيلا[5]. وكانت تعرف مهارات أغلايس أيضًا، فقد شهدت مرارًا كيف شُفيت الجراح العميقة لحوريات الغابة بسرعة مذهلة. وبالطبع، لم تكن الشائعات حول قوة الويتشرات وصلابتهم الاستثنائية مجرد خرافات.

عند وصولها، لم تتوجه إلى كول سيراي، رغم أن الحوريات كنّ يعلمن أن غوينبليد ينتظر عودتها بفارغ الصبر. لكنها تعمدت تأخير اللقاء، فما زالت مستاءة من المهمة التي فُرضت عليها، وأرادت أن تُظهر امتعاضها.

لقد رافقت كتيبة السناجب إلى المعسكر، وقدّمت تقريرًا مفصلًا عن الأحداث الأخيرة، محذرة الحوريات من الحصار الذي فرضه البشر عند الحدود قرب نهر ريبون. ولم تذهب إلى الويتشر إلا بعدما تم تذكيرها بذلك للمرة الثالثة. عندها فقط، أخذت حمامًا، بدّلت ملابسها، ثم ذهبت إليه.

وجدته في أطراف فسحة بين الأشجار، حيث تنمو أشجار الأرز. كان يتمشى أحيانًا، يجلس أحيانًا أخرى، ثم ينهض فجأة بحركة مرنة. كان من الواضح أن أغلايس قد أوصته ببعض التمارين.

"ما الأخبار؟" سأله فور تحيتهما، وبرودة صوته لم تخدعها.

---

[5] عشبة **كونينهائيلا** هي نبتة سحرية تشتهر بخصائصها العلاجية العجيبة. يُقال إنها تنمو في غابات **بروكيلون**، حيث تعيش **الحوريات** وتُستخدم في تسريع التئام الجروح وعلاج الإصابات العميقة.

قالت وهي تهز كتفيها: "الحرب تقترب من نهايتها، يقولون إن نيلفجارد دمرت ليريا وإيدين بالكامل تقريبًا، وفيردن قد استسلمت، وملك تيميريا فأبرم اتفاقًا مع نيلفجارد. أما الإلفيون في وادي الزهور فقد أسسوا مملكتهم الخاصة، لكن سناجب تيميريا وريدانيا لم يستقروا هناك... فلا يزالون يقاتلون..."

"هذا ليس ما كنت أبحث عنه."

قالت بتصنع المفاجأة: "لا؟ حسنًا، صحيح... نعم. مررتُ عبر دوريان، كما طلبت، رغم أن ذلك أطال رحلتي. والطرق هذه الأيام... ليست آمنة."

توقفت، وتمطّت قليلًا. هذه المرة، لم يُبدِ صبرًا، فأشار إليها بوضوح أن تتابع.

"ذلك الرجل، كودرينجر، من أرسلتني للقائه... أ كان صديقاً لك؟"

لم يتحرك وجه الويتشر قيد أنملة، لكن ميلفا كانت تعرف أنه فهم مغزى السؤال.

"لا. لم يكن صديقًا لي."

تابعت بحرية: "هذا جيد .. لأنه لم يعد بين الأحياء. لقد احترق مع عمله، ولم يتبقَ سوى مدخنة وجزء من الجدار. مدينة دوريان بأكملها تعجّ بالشائعات. البعض يقول إن كودرينجر كان يمارس السحر، وأنه عند تحضيره جرعاته، أبرم اتفاقًا مع الشيطان، فالتهمته نيران الجحيم. آخرون يرون أنه كالعادة، أدخل أنفه في أمور لا تعنيه، وهذا بالطبع لم يرق للبعض، فقتلوه وأشعلوا النار لإخفاء آثارهم."

ثم نظرت إليه مباشرة، بعينين تتوهجان بالفضول.

"وماذا عنك؟ ما رأيك في الأمر؟"

م تتلقَّ ردًا، ولم تستطع قراءة وجه الويتشر الذي كان خاليًا من أي تعبيرات. لذا، استمرت في حديثها دون أن تفقد نبرتها المتعالية والمتغطرسة.

"من الغريب أن الحريق وموت كودرينجر حدثا في نفس وقت التمرد في جزيرة ثانيد في أول قمر من شهر يوليو. كما لو أن أحدًا كان قد خمن أن كودرينجر كان يعرف شيئًا معينًا عن الفوضى وكان سيُستجوب عن التفاصيل. كما لو أنهم أرادوا إسكات لسانه إلى الأبد قبل أن يكشف عن أي شيء. ماذا تقول؟ ها، أراك لا تقول شيئًا. بما أنك لا تهتم، سأخبرك: سأعلمك أن تصرفاتك الصغيرة، استجواباتك وأنشطتك التجسسية خطيرة. قد يرغبون في إغلاق أفواه آخرين مثل كودرينجر وقطع آذانهم. حسنًا، هكذا أرى الأمر."

قال بعد لحظة : "اعذريني .. أنتِ على حق لقد عرضتك للخطر. كان ذلك عملاً خطيرًا جدًا لـ..."

"للمرأة، أليس كذلك؟" هزت رأسها، وأرجعت شعرها الذي كان لا يزال مبللًا إلى الوراء. "هذا ما أردت قوله؟ يا للعجب، لقد صادفتُ ويتشراً نبيلاً! هل أنت غبي؟ رغم أنني يجب أن أنحني للتبول، فإن قلادتي مصنوعة من فرو الذئب، لا من شعر الأرنب! لا تحاول أن تصفني بالجبانة، أنت لا تعرفني!"

"أعرف." قال بهدوء وبساطة، دون أن يظهر أي انزعاج من غضبها. "أنتِ ميلفا، تساعدين السناجب على الهروب من الموت وترافقينهم إلى بروكيلون. أنا أعرف شجاعتك. لكنني تصرفت بتهور وأنانية حين عرضتك لهذا الخطر..."

"أنت الأحمق!" قاطعته بحدة. "يجب أن لا تقلق عليّ، بل عن نفسك. كلما أسرعتَ كان ذلك أفضل!"

ابتسمت بسخرية، لأن وجهه تغير هذه المرة. بقيت صامتة عمدًا، منتظرة الأسئلة التي كان على وشك طرحها.

"ماذا تعرفين أيضاً؟" سأل أخيرًا.

قالت رافعةً رأسها بفخر: "كان لديك كودرينجر الخاص بك، أما أنا فلي أصدقائي. أولئك الذين يمتلكون عيونًا وآذانًا حادة."

"تحدثي. من فضلكِ، ميلفا."

بدأت بعد صمت قصير: "بعد أعمال الشغب في ثانيد بدأت الأمور تتصاعد في كل مكان. وبدأت ملاحقة الخونة خاصة أولئك السحرة الذين تحالفوا مع نيلفغارد، وبعض المرتزقة الآخرين. تم القبض على البعض. واختفى البعض الآخر، كما تختفي الحجارة التي تُرمى في الماء. ليس من الصعب على أي عقل أن يخمن أين هربوا، وتحت أي جناح احتموا. لكن الأمر لم يقتصر على السحرة والخونة الذين يتم ملاحقتهم فقط. فقد ساعدت مجموعة من السناجب في تمرد السحرة المارقين، وكان قائدهم هو فويلتيارنا الشهير. إنه مطلوب. وقد صدر أمر يقضي بأن يُعذَّب كل إلف يُقبض عليه ويُستجوب عن فويلتيارنا."

"من هو هذا فويلتيارنا؟"

"إلف، من السكوياتيل. لقد جعل حياة الكثيرين صعبة. وهناك ثمن كبير على رأسه. وهذا ليس الرأس الوحيد المطلوب. هم يبحثون أيضًا عن فارس من نيلفغارد، كان في ثانيد. ومع ذلك..."

"تحدثي."

"النيفلقارديون يستجوبون الجميع بحثاً عن ويتشر يُدعى جيرالت من ريفيا وفتاة صغيرة تُدعى سيريلا. وقد صدر أمر بأسر هذين الاثنين حيَّين. وتحت تهديد الإعدام: يمنع المساس بشعرة من رأسيهما أو حتى زر من ملابسهما. ها! ها! لابد أنك عزيز على قلوبهم، بما أنهم يظهرون قلقًا بالغًا على صحتك..."

توقفت، ملاحظة التعبير على وجهه الذي بدا فجأة هادئًا بشكل غير إنساني. أدركت أنه على الرغم من محاولاتها، فقد فشلت في تخويفه. على الأقل، ليس بشأن بشرته الخاصة. فجأة، شعرت بالخجل.

"حسنًا، ستكون مطاردتهم عبثًا." قالت بنبرة ألطف، لكن لا يزال على شفتيها ابتسامة ساخرة بعض الشيء. "أنت في أمان في بروكّيلون. ولن يأخذوا الفتاة حيّة. عندما فتّشوا الحطام في ثانيد، البرج السحري، الذي انهار... مهلاً! ما الأمر؟"

تعثّر الويتشر، متكئًا على أحد الأشجار، ثم جلس على جذع شجرة بثقل. قفزت ميلفا، مرعوبة من الشحوب الذي غطّى وجهه فجأة.

"أغلايس! سيرسا! فوف! إليّ بسرعة! اللعنة، الموت جاء من أجله! أسرعوا!"

"لا تناديهم... أنا بخير - تحدثي. أريد أن أعرف..."

فهمت ميلفا فجأة.

"لم يجدوا شيئًا في الحطام!" صاحت، وهي تشعر الآن بشحوبها يزداد. "لا شيء! قلبوا كل حجر وألقوا التعاويذ، لكنهم لم يستطيعوا أن يجدوا..."

مسحت العرق عن جبينها وأشارت إلى الحوريات اللواتي وصلن. أمسكَت بالويتشر الذي كان لا يزال جالسًا من على كتفيه، وانحنت عليه بحيث انسكب شعرها الأشقر الطويل على وجهه الشاحب.

"أنتِ فهمتِ الأمر خطأً," كررت بسرعة، بطريقة غير مرتبة، وهي تجد صعوبة في إيجاد الكلمات المناسبة وسط تدافع الكلمات التي بدت وكأنها تزدحم في فمها. "كنتُ أريد فقط أن أقول أن... أنتِ

فهمتني بشكل خاطئ. لأنني... كيف لي أن أعرف أنكَ... لا... فعلتُ ذلك عمداً. قلتُ فقط أن الفتاة... أنهم لن يجدوا آثارها، لأنها اختفت بدون أثر، مثل السحرة. اغفر لي."

لم يرد. نظر إلى جانب. عضّت ميلفا على شفتها، مشدودة قبضتيها.

"في غضون ثلاثة أيام سأغادر بروكّيلون." أعلنت برقة بعد صمت طويل، طويل جدًا. "بحلول الوقت الذي يختفي فيه البدر، عندما تبدأ الليالي في الظلام قليلًا. بعد عشرة أيام سأعود، ربما أسرع. بعد لاماس، في الأيام الأولى من أغسطس. لا تحزن. إذا كان عليّ تحريك السماء والأرض، سأكتشف كل شيء. إذا كان أحد يعرف شيئًا عن هذه الفتاة، فستعرفه أنت أيضًا."

"شكرًا، ميلفا."

"في عشرة أيام... غوينبليد."

"أنا جيرالت." قال، ممدًا يده.

ضغطت على يده بحزم، دون تردد.

"أنا ماريا بارينغ."

بإيماءة وبظلال ابتسامة على وجهه، شكرها على صراحتها. كانت تعلم أنه قد قدّر ذلك.

"كوني حذرة، من فضلك. كوني واعية بمن تتحدثين إليه قبل أن تطرحي الأسئلة."

"لا تشغل بالك بي."

"مخابريك... هل تثقين بهم؟"

"لا أثق في أحد".

* * *

"الويتشر في بروكّيلون. بين الجرايدات."

"نعم، هذا ما كنت أظنه." طوى ديكسترا ذراعيه على صدره. "لكن من الجيد أن يكون لدينا تأكيد."

صمت لوهلة زاماً شفتيه: "حسنًا، لينيب، من الجيد أن يكون لدينا تأكيد."

كرر رئيس الاستخبارات في مملكة ريدانيا بتفكير، وكأنه يتحدث إلى نفسه. "من الأفضل دائمًا أن نكون متأكدين. هه، حتى لو تبين أن ينيفر معه... لا توجد ساحرة معه، أليس كذلك، لينيب؟"

"ماذا؟ لا، سيدي، لا توجد ساحرة. ما هي الأوامر؟ إذا كنت تريد أن يبقى على قيد الحياة، سأجذبه من بروكّيلون. لكن إذا كان من الأفضل أن يموت ويحمل ثمناً أعلى..."

نظر ديكسترا إلى عيون عميله الباردة اللامعة: "لينيب .. لا تكن مفرط الحماس. في مهنتنا، الحماس المفرط لا يعود بالنفع أبدًا. ودائمًا ما يبدو مريبًا."

شحب وجه لينيب قليلاً : "لكن سيدي ..كنت فقط أريد..."

"أعرف. كنت فقط تسأل عن أوامري. أوامري هي: اترك الويتشر وشأنه."

"بأمرك. وماذا عن ميلفا؟"

"اتركها وشأنها أيضًا الآن. في الوقت الحالي..."

"بأمرك. هل يمكنني الانسحاب؟"

"يمكنك."

غادر العميل الغرفة، مغلقًا الباب الخشبي بحذر وهدوء. ظل ديكسترا صامتًا لفترة طويلة، محدقًا في أكوام الورق على الطاولة، الخرائط، الرسائل، التبليغات، محاضر الاستجوابات، وأحكام الإعدام.

"أوري!"

رفع السكرتير رأسه وسعل، ثم ابتلع ريقه، لكنه ظل صامتًا.

"الويتشر في بروكّيلون."

سعل أوري ريفين مرة أخرى، وهو ينظر غريزيًا إلى الطاولة، ثم ركز نظره على الأقدام أسفلها. تابع ديكسترا نظرته.

"صحيح. لا أغفر له." تمتم. "لم أستطع المشي لمدة أسبوعين. فقدت هيبتي أمام فيليبا - كان عليّ أن أذل نفسي مثل الكلب وأطلب سحرها القذر، وإلا كنت سأظل أعرج. حسنًا، لا أني قد صغُرتُ في عينها. أكثر مايغظيني هو أنني لا أستطيع حتى أن أنتقم منه وأركل مؤخرته، ليس لدي الوقت شخصيًا،

ولا يمكنني حتى أن أستخدم أحد رجالي للتعامل مع هذه المسألة الخاصة! لا أستطيع، أوري، أليس كذلك؟"

"همم، هممم..."

"لا داعي لأن تتنهد. أنا أعرف. آه، ياللجحيم، كم أن تلك القوة مغرية! أنا حريص على استخدامها. من السهل أن تنسى أنها موجودة، ولكن إذا استخدمتها، فلا يوجد حدود... ألا تزال فيليبا إيلهارت مختبئة في مونتيكالڤو؟"

"نعم."

"خذ قلمًا وحبرًا. سأملي عليها رسالة. اكتب... اللعنة، لا أستطيع التركيز. ما تلك الصرخات اللعينة، أوري؟ ماذا يحدث في الساحة؟"

"الطلاب يقذفون الحجارة على منزل السفير النيلفغاردي. لقد دفعنا لهم من أجل ذلك، همم، أعتقد."

"أها. حسنًا. أغلق النافذة. غدًا سيذهبون لقصف بنك القزم جيانكاري. رفض أن يكشف لي من يملك حسابات هناك."

"جيانكاري، هممم، لقد قدم مبلغًا كبيرًا لتمويل الحرب."

"ها. إذن دع الطلاب يذهبون لقصف البنوك التي لم تقدم شيئًا على الإطلاق."

"كلهم قدموا شيئًا."

"آه، أنت ممل، أوري. اكتب، قلت. "عزيزتي فيليبا، شمس حياتي..." اللعنة، دائمًا ما أخلط بين الكلمات. خذ ورقة جديدة. جاهز؟"

"نعم، هممم، هممم."

"عزيزتي فيليبا.

الآنسة تريس ميريجولد مهتمة تمامًا بمصير الويتشر، الذي نقلته من ثانديد إلى بروكّيلون. لقد حاولوا إخفاء هذه الحقيقة وجعلها سرًا عميقًا حتى عني، لقد آلمني ذلك بشدة. لكن يمكنك أن تطمئنيها. الويتشر بخير الآن. حتى أنه بدأ في إرسال مبعوث من بروكّيلون مع مهمة العثور على آثار الأميرة سيريلّا،

الشابة التي أثارت اهتمامكم جميعًا. يبدو أن صديقنا جيرالت لا يعرف أن سيريلّا في نيلفقارد حيث يتم تجهيزها للزواج من الإمبراطور إمهير. يجب أن يكون الويتشر قلقًا وهو جالس في بروكّيلون في هدوء، لذلك سأحاول إرسال هذه الأخبار له." هل انتهيت من الكتابة؟"

"هممم، هممم..."

"أرسل له هذه الأخبار."

"فقرة جديدة. "أتساءل..." أوري، امسح القلم، اللعنة! نحن نكتب إلى فيليبا، وليس إلى المجلس الملكي، يجب أن تكون الرسالة جميلة من الناحية الجمالية!"

"فقرة جديدة. "لازلت أتساءل لماذا لا يسعى الويتشر للتواصل مع ينيفر. أجد أنه من الصعب تصديق أن عاطفته التي كانت تصل إلى حد الهوس بينيفر قد تبخرت فجأة، بغض النظر عن مبادئه السياسية.

من ناحية أخرى، إذا كانت ينيفر هي من قادت سيريلّا إلى إمهير وإذا تمكنت من العثور على دليل على ذلك، فسأكون سعيدًا جدًا بإبلاغ الويتشر بذلك أيضًا. المشكلة ستحل نفسها، أنا واثق من أن تلك الجميلة الغادرة ذات الشعر الأسود لن تتوقع اليوم ولا الساعة التي ستقابله فيها. الويتشر لا يحب أن يلمس أحدهم "ابنته الصغيرة"، أرتو تيرانوڤا اكتشف هذا بشكل قاطع في ثانديد.

أود أن أصدق يافيليبا، أنك لا تخفين عني دليلًا على خيانة ينيفر، وأنك لا تعرفين أين تختبئ. سأكون حزينًا جدًا إذا تبين أن هناك سرًا آخر قد أخفيتيه. ليس لدي أي أسرار أخفيها عنكِ... لماذا تضحك، أوري؟"

"لا شيء! هممم، هممم."

"اكتب! "ليس لدي أي أسرار أخفيها عنك يا فيليبا، وآمل أن يكون الأمر نفسه من جهتك. مع أطيب التحيات، إلخ، إلخ." هنا، دعني أوقع."

رشَّ أوري ريفين الرسالة بالرمل. بينما جلس ديكسترا مرتاحًا، ويداه متشابكتان على بطنه، وبدأ يعبث بإصبعيه.

"هذه ميلفا، التي تتجسس لصالح الويتشر"، سأل ديكسترا، "ماذا يمكنك أن تخبرني عنها؟"

"هي، هممم، هممم..." تمتم السكرتير، "مسؤولة عن نقل الناجين من مجموعات سكوايا التي تم تدميرها من قبل جيش تميريا إلى بروكّيلون. تساعد الجن على الهروب، وتتيح لهم الراحة وإعادة تشكيلهم إلى وحدات كوماندو..."

"ادخر لي المعلومات المعروفة للجميع"، قاطع ديكسترا. "أنا على علم بنشاط ميلفا، وأعتزم جمع المزيد من الأدلة بشأنه. لولا ذلك، كنت قد رميتها إلى التيميرين منذ وقت طويل. ماذا يمكن أن تخبرني عنها؟ عن حياتها الشخصية؟"

"في الأصل، أعتقد أنها من إحدى القرى المنسية في سودن العليا. اسمها الحقيقي هو ماريا بارينغ. ميلفا هو لقب أطلقته عليها الحوريات. في اللغة القديمة، يعني..."

"الطائر"، قاطعه ديكسترا. "أعرف."

"لقد إنحدرت أصولها من عائلة من الصيادين والحطّابين. كانت الحرفة العائلية تنتقل من الأب إلى الابن. وعندما توفي الابن الأكبر في حادث، قرر بارينغ القديم أن يُعلم فنون الغابة لابنته. وعندما توفي، تزوجت والدتها مرة أخرى. هممم، هممم... لم تتفق ماريا مع زوج أمها وهربت من المنزل. كانت، فيما أعتقد، في سن السادسة عشرة. سافرت شمالًا، عاشت على مهنة الصيد، لكنها لم تجد حياة سهلة في غابات البارون، وحدها وصائدة مثل الوحوش. لذا قد بدأت في الصيد غير المشروع في بروكّيلون وهناك، هممم، هممم، أمسكن بها الحوريات."

تمتم ديكسترا مكملاً: "وبدلاً من قتلها، تركوها تذهب، وعاملوها كواحدةً منهن. أما بالنسبة لـ ميلفا ... فقد ردت الجميل. فأبرمت صفقة مع ساحرة بروكّيلون، مع السيدة العجوز إيثني ذات العيون الفضية. ماريا بارينغ ماتت، عاشت ميلفا ... ترى كم عدد الرحلات الاستكشافية التي رتبتها قبل أن تكتشفوا الحقيقة في فيردن وكيراك؟ ثلاثًا؟"

"هممم، هممم... أربعًا، أعتقد..." على الرغم من ذاكرته التي لا تخطئ، كان أوري ريفين لا يزال يخشى من ارتكاب الأخطاء، "مجموع حوالي مئة شخص، من بين الأكثر شراسة، مثل ماموني، قُتلوا. لفترة طويلة لم نتمكن من فهم الأمر لأنه أحيانًا كانت ميلفا تتولى بنفسها منع المجزرة، بحق السماء، كان الناجون يمدحون شجاعتها. لم يُكتشف الأمر حتى المرة الرابعة، في فيردن، عندما صفع أحدهم جبهته أخيرًا. "كيف ذلك؟"، كما صرخوا فجأة، هممم، "كيف أن المرشد الذي يُهاجم كثيرًا، ينجو في كل مرة؟" وهكذا تم اكتشافها، المرشد يقود، ولكن إلى فخ الصيادين، مباشرة تحت سهام الحوريات في كمين..."

دفع ديكسترا محاضر الاستجوابات إلى حافة مكتبه، وكان يبدو له أن الورق ما زال يشم رائحة غرفة التعذيب.

"ومن ثم، اختفت ميلفا إلى بروكّيلون دون أن تترك أي أثر. لكن اليوم في فيردن من الصعب العثور على متطوعين مستعدين للقيام برحلات استكشافية إلى الحوريات. كبارًا وصغارًا، إيثني وميلفا يشكلان ثنائيًا جيدًا جدًا. وهم يجرؤون على القول إن الاستفزاز اختراع بشري. ولكن ربما..."

"هممم، هممم؟" تمتم أوري، متفاجئًا من صمت رئيسه المطول.

"ربما بدأوا يتعلمون شيئًا من طرقنا." أكمل ديكسترا ببرود، وهو يحدق في التقارير، سجلات الاستجوابات، وأحكام الإعدام على طاولته.

رأت ميلفا أنه لا يوجد أي أثر للدم في المكان، فشعرت بالقلق. تذكرت فجأة أن الغزال قد خطا خطوة إلى الأمام حينما أطلقت السهم. إما أنه فعل ذلك، أو أنه كان ينوي فعله - وهو ما كان سيؤدي إلى نفس النتيجة. إذا كان قد تحرك، لربما أصابه السهم في بطنه. لعنته ميلفا فيه سرها. "رميّة في البطن، إنها لعنة وعيب على الصياد! تباً، يا له من شيطان تعيس!"

ركضت بسرعة نحو منحدر التل، تبحث بتركيز بين الأشواك والطحالب والسراخس. كانت تبحث عن سهمها. مزوداً برأس ذو أربع حواف، حاد لدرجة أنه كان يحلق شعر ساعدها، أُطلق من مسافة خمسين ياردة، وكان من المفترض أن يخترق الغزال بالكامل.

رأت ميلفا السهم، وقد وجدته. تنفست الصعداء، وبصقت ثلاث مرات، لتحصن نفسها ضد الحظ السيئ. لم يكن عليها أن تقلق، نعم، كانت النتيجة أفضل مما توقعت. لم يكن السهم مغطى بمحتويات معدة الغزال اللزجة والرائحة الكريهة. لم يحمل أثر السائل الوردي الرغوي من رئتيه. كان رأس السهم مغطى بالدم الأحمر الداكن والغني. لقد اخترق السهم قلبه. لم تكن ميلفا بحاجة إلى التسلل أو السير على أطراف أصابعها طويلاً عبر الغابة. لا شك أن الغزال قد سقط قتيلاً في الأدغال، على بعد مئة خطوة فقط من الفتحة التي كانت آثار الدم ستقود إليها. غزال مصاب في قلبه سيموت بعد قفزات قليلة، وكانت هي تعلم أنها ستتبع أثره بسهولة.

بعد خطوات قليلة، عثرت على أثر فريستها، وأخذت تتبع خطواتها، منغمسة مجددًا في أفكارها وذكرياتها.

لقد أوفت بوعدها للويتشر. عادت إلى بروكليون حتى قبل الموعد المحدد، بعد خمسة أيام من مهرجان الحصاد، خمسة أيام بعد القمر الجديد، بداية شهر أغسطس وفقًا للبشر، ولاماس عند الجان، السابع، والسافايد ما قبل الأخير من العام.

عبرت نهر الريبون عند الفجر، برفقتها خمسة من الجان. الكوماندو الذي كانت تقوده كان يتألف في البداية من تسعة خيول، لكن المرتزقة من بروج لاحقوهم طوال الطريق. هاجمهم ثلاثة منهم على بعد نحو خمسمائة خطوة من النهر، يطاردونهم بلا هوادة، حتى لمحوا بروكليون عند أطراف الريبون وسط ضباب الفجر. كان المهاجمون يخشون بروكليون، وهذا ما أنقذ ميلفا ورفاقها. عبروا النهر، منهكين، مصابين. ولم ينجُ الجميع.

كانت تحمل أخبارًا للويتشر، وكانت مقتنعة بأن غوينبليد لا يزال في كول سِراي. لكنها لم تكن تنوي الذهاب إليه قبل الظهيرة، بعد أن يكون قد نال قسطًا كافيًا من النوم. لكنها فوجئت به يظهر فجأة من الضباب، كشبح يتجسد أمامها. دون أن ينطق بكلمة، جلس بالقرب منها، يراقبها وهي تجهّز فراشها، وتضع الأغطية فوق كومة من الأغصان.

هتفت بسخرية: "ما الأمر يا ويتشر؟ هل أنت في عجلةٍ من أمرك؟ .. أنا منهكة، كما تعلم. ليل نهار في السرج، لم أعد أشعر بمؤخرتي، وغارقة حتى خصري، لأننا، عند انبلاج الفجر، كنا نشق طريقنا عبر الصفصاف في الجدول مثل الذئاب..."

"أرجوكِ، قولي لي. هل علمتِ شيئًا؟"

"نعم، علمت." زفرت وهي تفك رباط حذائها المبتل وتنزعه. "وبدون عناء يُذكر، فقد تسببت بقدرٍ لا بأس به من الضجيج. لم تذكر لي أن تلك الفتاة بهذه الأهمية! كنت أظنها مجرد ابنة زوجتك، واحدة من أولئك اليتيمات المسكينات المضطهدات. وها نحن أمام أميرة سينترا! ها! وماذا عنك؟ أأنت أيضًا أمير متخفي؟"

"أخبريني، أرجوكِ."

"يبدو أن الملوك أرادوا وضع أيديهم عليها، لأن سيريلّا خاصتك، مما علمت، تم إنقاذها من ثانيد وأُرسلت مباشرة إلى نيلفغارد، برفقة السحرة الخونة. وفي نيلفغارد، استُقبلت بحفاوة عظيمة من قِبل الإمبراطور إمير. وتعلم ماذا؟ يبدو أنه قد قرر الزواج بها. والآن، دعني أتنفس. إن أردت، يمكننا استئناف هذه المحادثة عندما أكون قد ارتحتُ."

التزم الويتشر الصمت. علّقت ميلفا جواربها المبتلّة على غصن متفرّع، كي تجفّها شمس الصباح الصاعدة، ثم بدأت تفكّ مشبك حزامها.

"أتمنى لو أنك لا تقف هناك بذلك الوجه المتجهم," تذمّرت. "ما الأخبار الأفضل التي كنتَ تأمل في سماعها؟ لا شيء يهددك، لا أحد يسأل عنك، والجواسيس لم يعودوا يكترثون لك. أما فتاتك، فقد أفلتت من الملك، وستصبح إمبراطورة..."

"هل أنتِ متأكدة من صحة هذه المعلومات؟"

"لا شيء مؤكد هذه الأيام," أجابت بتثاؤب وهي تجلس على فراشها. "باستثناء أن الشمس تسافر من الشرق إلى الغرب كل يوم. لكن ما يُقال عن إمبراطور نيلفغارد وأميرة سينترا لا بد أن يكون صحيحًا. الجميع يتحدثون عنه."

"إذاً، لماذا هذه الشهرة المفاجئة؟"

"وكأنك لا تعلم!" قالت بتهكم. "فكّر... ستجلب لإمير قطعة أرض جيدة كمهر! ليس فقط سينترا، بل الأراضي الواقعة على هذا الجانب من الياروغا أيضًا! ها! قد تصبح إمبراطورتي أنا أيضًا، بما أنني من أبر سودين، وكل سودين تقع تحت سيطرته. ثم في أحد الأيام سأصطاد غزالًا في غاباتهم، وسأُشنق بأمرها... يا له من عالم قاسٍ بحق اللعنة! آه، تبًا، جفوني مثقلة بالنوم..."

"سؤالٌ واحد بعد. من بين هؤلاء الساحرات... أقصد، من بين أولئك السحرة الذين خانوا، هل تم القبض على أحدهم؟"

"لا. لكن يُقال إن إحداهن انتحرت. بعد سقوط فينغيربرغ، عندما زحفت الجيوش إلى إيديرن وكيدوين. ربما من شدة الحزن... أو خوفًا من التعذيب..."

"الكوماندو الذي جلبتِه كان معه خيولٌ احتياطية، هل سيمنحني الجان أحدها؟"

"آه، أرى أنك متلهفٌ للانطلاق في الطريق," تمتمت وهي تلتفّ في بطانيتها. "وأظن أنني أعلم إلى أين..."

توقفت، متفاجئة بالتعبير الذي ارتسم على وجهه. فجأة، أدركت أن الأخبار التي حملتها لم تكن جيدة على الإطلاق، وأنها لم تفهم شيئًا حقًا. شعرت برغبة غير متوقعة في الجلوس معه، في مهاجمته بالأسئلة، في الاستماع، وربما في تقديم نصيحة... لكنها فركت عينيها بمفاصل أصابعها بخشونة. أنا

مرهقة... الموت كان يلاحقني طوال الليل. أحتاج إلى أن أتنفس. وفي النهاية، ما شأني بمشاكله وهمومه؟ ماذا يهمني كل هذا؟ وهذه الفتاة؟ إلى الجحيم به وبها! يا لهذه اللعنة، لقد فقدت النوم بسبب هذا...

وقف الويتشر.

"هل سيمنحني الجان حصانًا؟" كرر سؤاله.

"خذ أيّ واحدٍ تشاء," قالت بعد لحظة. "فقط تأكد ألا يروك. لقد هاجمنا المرتزقة عند المعبر، وكانت معركة دامية... آه، ولا تلمس مورو، ذلك لي... لماذا لا تزال واقفًا هنا؟"

"شكرًا على مساعدتك. على كل شيء."

لم تجب.

"أنا مدين لكِ. كيف يمكنني ردّ الجميل؟"

"كيف؟ يمكنك أن ترحل أخيرًا!" صاحت، رافعةً نفسها على مرفقها، وجاذبة الغطاء بعنف لتغطي نفسها. "أنا... أريد أن أنام! خذ حصانًا... ارحل... إلى نيلفغارد، إلى الجحيم، لا يهمني! فقط اغرب عن وجهي! دعني وشأني!"

"سأدفع ديني لكِ," قال بهدوء. "لن أنسى. وربما يأتي يوم تحتاجين فيه إلى مساعدة، إلى دعم... إلى ذراع تتكئ عليه. عندها، نادي... نادي في ظلمة الليل، وسآتي."

* * *

ان الغزال ممددًا عند حافة المنحدر، عينه الزجاجية تحدق في السماء. كانت الأرض إسفنجية ورطبة، مغطاة بكثافة بالسراخس. رأت ميلفا قرادة ضخمة مغروسة في بطن الحيوان الأشقر الفاتح.

"ستضطرين للبحث عن ضحية أخرى، أيتها الصغيرة المزعجة،" تمتمت وهي تطوي أكمامها وتستل خنجرها. "لأن هذا قد برد بالفعل."

بحركات سريعة وماهرة، شقت الجلد من عظمة الصدر حتى فتحة الشرج، متجنبة ببراعة الجهاز التناسلي. فصلت طبقة الدهن بعناية، وقطعت المريء، ثم غاصت بيديها الملطختين بالدماء بين الأمعاء والمرارة بحثًا عن حصوات المعدة. لم تكن تؤمن بخصائصها السحرية، لكنها لم تكن تمانع في بيعها للأغبياء الذين يدفعون ثمنها بسخاء.

حملت جثة الغزال، وألقتها على جذع شجرة بحيث يكون بطنه مواجهًا للأرض، لتترك الدم ينزف منه. مسحت يديها بأوراق السرخس، ثم جلست بجانب صيدها.

"لا بد أنك مجنون أو مسكون بلعنة، أيها الويتشر،" همست وهي تحدق في جدار أشجار بروكيلون الصنوبرية، التي تعلّقت تيجانها على ارتفاع مئة قدم فوقها. "أن تمضي إلى نيلفغارد بحثًا عن تلك الفتاة... أن تذهب إلى أقاصي العالم، لتقف وسط النيران، دون أن تفكر حتى في التزود بالمؤن. أعلم أنك تعيش من أجلها... ولكن، هل يجب أن يكون الأمر هكذا؟"

لم تُجبها الأشجار، بالطبع، ولم تقاطع مونولوجها الصامت.

"كنت أفكر،" واصلت ميلفا، وهي تزيل آثار الدم من تحت أظافرها مستخدمة الخنجر، "أنه ليس لديك أي فرصة لإنقاذ فتاتك. لن تصل أبدًا إلى نيلفغارد، بل حتى إلى ياروغا. في هذه الحالة، لن تتمكن حتى من عبور سودين سيرًا على قدميك.

موتك مكتوب بالفعل. إنه محفور على ملامح وجهك العنيدة، ويمكنك رؤيته في عينيك المخيفتين. الموت سيفاجئك قريبًا، أيها الويتشر. ولكن بفضل هذا الغزال الصغير، لن تموت جوعًا. وهذا أمر جيد. حسنًا... أعتقد ذلك."

عندما دخل السفير النيلفغاردي إلى قاعة المحكمة، تنهد ديجسترا بهدوء. شيلارد فيتز-أويسترلين، مبعوث الإمبراطور إيمير ڤار إمريس، كان معتادًا على الحديث بلغة دبلوماسية متقنة، وكان يعشق نسج العبارات الرنانة والالتفافات اللغوية المتناقضة، التي لا يفهمها سوى الدبلوماسيون والعلماء.

كان ديجسترا قد درس في الأكاديمية في أوكسنفورت، ورغم أنه لم يحصل على درجة الماجستير، إلا أنه كان على دراية بأساسيات هذا الأسلوب المتكلف الذي يستخدمه الأكاديميون. ومع ذلك، كان يستخدمه على مضض، لأنه في قرارة نفسه كان يكره المظاهر الفارغة والرسميات المفرطة وكل أشكال التباهي المصطنع.

"مرحبًا، يا صاحب السعادة."

"سيدي الكونت،" انحنى شيلارد فيتز-أويسترلين بانحناءة رسمية. "آه، أرجوك سامحني. ربما ينبغي لي الآن أن أقول: الدوق الأكبر؟ الأمير النبيل المستنير؟ صاحب السمو وزير الدولة؟ أقسم بشرفي، يا صاحب السمو، إن الألقاب تنهال عليك بمثل هذه السرعة، حتى إنني لا أدري بأي لقب أناديك دون أن أخرق البروتوكول."

قال ديجسترا بتواضع مصطنع: "الأفضل أن تقول 'جلالتكم'. تعلم، يا صاحب السعادة، أن البلاط هو من يصنع الملك. ولعلك تدرك أيضًا أنه عندما أصرخ قائلاً 'اقفزوا!'، فإن بلاط تريتوجور بأكمله يسأل، 'إلى أي ارتفاع؟'"

كان السفير يعلم أن ديجسترا يبالغ، لكنه لم يكن بعيدًا عن الحقيقة. فالأمير رادوفيد كان لا يزال قاصرًا، والملكة هيدويغ كانت غارقة في الحزن بسبب الموت المأساوي لزوجها، والأرستقراطية المرتعبة أصبحت مشلولة بالعجز، وممزقة بين الفصائل المتناحرة.

في الواقع، كان ديجسترا هو من يحكم ريدانيا. كان بإمكانه بسهولة أن يطالب بكل الألقاب والتكريمات التي يشاء. لكنه لم يكن يريد أيًّا منها.

"لقد تفضلتم باستدعائي،" قال السفير بعد لحظة صمت. "دون حضور وزير الخارجية. إلى ماذا أُعزى هذا الشرف؟"

"الوزير..." رفع ديجسترا بصره نحو السقف، "استقال بسبب اعتلال صحته."

أومأ السفير برأسه بوقار. كان يعلم تمامًا أن وزير الخارجية يقبع في الزنزانة، وأن نظرة سريعة على أدوات الاستجواب المعدة مسبقًا كانت كافية لجعله يعترف بأي تواطؤ له مع أجهزة الاستخبارات النيلفغاردية، لأنه كان جبانًا وأحمق.

كان السفير يدرك أن الشبكة التي نظمها العميل ڤاتير دي ريدو، رئيس الاستخبارات الإمبراطورية، قد تحطمت، وأن جميع الخيوط باتت الآن في يد ديجسترا. وكان يعلم أيضًا أن هذه الخيوط تؤدي مباشرة إليه. لكنه كان محميًا بحصانته الدبلوماسية، وكان عليه بحكم التقاليد والواجب أن يستمر في اللعبة حتى النهاية.

خاصة بعد التعليمات المشفرة الغامضة التي أرسلها إليه مؤخرًا كل من ڤاتير وشتيفان سكيلين، المعروف بأنه العميل الإمبراطوري للمهام الخاصة.

"وبما أنه لم يتم تعيين خليفة حتى الآن،" بدأ ديجسترا قائلاً، "فإنه يقع على عاتقي، مع الأسف، إبلاغكم بأنكم قد اعتُبرتم شخصًا غير مرغوب فيه في مملكة ريدانيا."

انحنى السفير انحناءة بسيطة.

"من المؤسف،" قال، "أن ينجم هذا التوجس المتبادل الذي يؤدي إلى طرد السفراء عن وقائع لا تتعلق بشكل مباشر بمملكة ريدانيا أو بإمبراطورية نيلفغارد. فالإمبراطورية لم تتخذ أي إجراء عدائي ضد ريدانيا."

"باستثناء الحصار المفروض على مصب جزر سكيليج ونهر ياروغا، والذي يمنع سفننا وتجارتنا؟ باستثناء تسليح ودعم عصابات السكوياتايل؟"

وبروج؟ سودين وبروج محميتان تحت جناح تيميريا، وبينما نحن في تحالف مع تيميريا، فإن الهجمات على تيميريا هي هجمات علينا أيضًا. التمرد في جزيرة ثانيد واغتيال الملك فيزيمير هي أيضًا قضايا تمس ريدانيا بشكل مباشر. وأتساءل عن طبيعة الدور الذي لعبته الإمبراطورية في هذه الأحداث."

قال السفير وهو ينشر يديه: "أما بخصوص حادثة ثانيد فأنا لست مخولًا بالتعبير عن رأيي. بعيدًا عن كواليس شؤونهم الخاصة، فإن السحرة ليسوا ضمن اهتمامات جلالة الإمبراطور إمير ڤار إمريس. وأنا أأسف للتأثير الهامشي لاحتجاجاتنا ضد الدعاية التي تزعم العكس. دعاية تغذيها، كما أجرؤ على القول، وبكل تأكيد، بدعم من أعلى سلطات مملكة ريدانيا."

"احتجاجاتكم تدهشني. بل وتثير استغرابي الشديد." ابتسم ديجسترا بخفة، "فالإمبراطور، في النهاية، لم يُخفِ حقيقة أن أميرة سينترا، التي اختطفت من ثانيد، تقيم في بلاطه."

"سيريلّا، ملكة سينترا"، صحح شيلارد فيتز-أوسترلين بإصرار، "لم تُختطف، بل لجأت إلى الإمبراطورية. ولا علاقة لها بحادثة ثانيد."

"حقًا؟"

واصل السفير بوجه متحجر: "حادثة ثانيد أثارت اشمئزاز الإمبراطور بشدة. والاعتداء الغادر الذي ارتكبه مجنون ضد الملك فيزيمير أيقظ في نفسه كراهية عميقة وصادقة. ومع ذلك، فقد بلغت هذه الكراهية ذروتها عندما انتشرت شائعات مروعة بين العامة، الذين تجرؤوا على اعتبار الإمبراطورية هي المحرضة على هذه الجريمة."

نطق ديجسترا ببطء :"الاعتراف بالمحرضين الحقيقيين سينهي هذه الأقاويل، نأمل ذلك. وسيُقبض على الجناة، وستتحقق العدالة، فالأمر مجرد مسألة وقت."

أجاب شيلارد فيتز-أوسترلين بجدية وبعبارات لاتينية:

"العدالة هي أساس الممالك، و لجريمة المروعة لا يمكن إلا أن تُعاقب".

"الإمبراطور يملك القدرة على تحقيق تلك الرغبة." ألقى ديجسترا كلماته بلا مبالاة وهو يعقد ذراعيه على صدره. "إحدى القائدات السياسية للمؤامرة، إينيد آن غلينّا، والمعروفة حتى وقت قريب باسم فرانشيسكا فيندابير، الساحرة، تجلس الآن على مقاعد الإمبراطورية متقمصة دور ملكة دولة الدمى، دول بلاثانا."

انحنى السفير بجمود: "جلالة الإمبراطور لا يمكنه التدخل في شؤون مملكة دول بلاثانا، المملكة المستقلة، المعترف بها من قبل جميع القوى المجاورة."

"باستثناء ريدانيا. بالنسبة لريدانيا، فإن دول بلاثانا لا تزال جزءاً من مملكة إيدين، على الرغم من أنكم قد قطعتم إيدين وليريا إلى قطع بمساعدة جنود كايدوين. لقد محوتما هذه الممالك من خريطة العالم بسرعة. سريع جداً، صاحب السعادة. لكن، هذا ليس الوقت أو المكان للمناقشة. دع فرانسيسكا فيندابير تحمل المسؤولية الآن، ستأتي لحظة العدالة. ماذا عن باقي المتمردين، ومنظمي اغتيال الملك فيزيمير؟ فيلجفورتز من روغفين، وييتيفر من فينغيربرغ؟ هناك أسباب قوية للاعتقاد أنه بعد هزيمة الانقلاب، فروا إلى نيلفغارد."

رفع السفير رأسه: "أؤكد لك، أنهم لم يفعلوا. وإذا كانوا قد فعلوا، أضمن لك أنهم لن يهربوا من العقاب الذي يستحقونه."

"لم يرتكبوا خطيئة ضدكم، لذا ليس من شأنكم معاقبتهم. بتسليمهم، سيكون الإمبراطور إمير فار إمريس قد قدم دليلاً على رغبته الصادقة في العدالة، بعد كل شيء، العدالة أساس الممالك."

اعترف شيلارد فيتز-أوستيرلن، متظاهراً بالضحك المحرج: "لا يمكن إنكار الحكمة في طلبك،أولاً، هؤلاء الأشخاص ليسوا ضمن أراضي الإمبراطورية. ثانياً، حتى لو كانوا، فسيظل هناك مشكلة. يجب تنفيذ التسليم بموجب حكم رسمي، في هذه الحالة من قبل المجلس الإمبراطوري. فكر، صاحب السعادة، أن قطع العلاقات الدبلوماسية هو عمل عدائي من جانب ريدانيا. لذلك، من غير المنطقي أن نتوقع من المجلس أن يمنح طلب تسليم من بلد معادٍ. سيكون سابقة غير مسبوقة ... إلا إذا ..."

"إلا إذا ماذا؟"

"أنشأت سابقة."

"لا أفهم."

"إذا كانت مملكة ريدانيا مستعدة لتسليم شخص يعتبر مجرمًا من قبل الإمبراطورية، فسيكون لدى الإمبراطور ومجلسه سبب للرد على هذه اللفتة بحسن نية."

ظل ديكسترا صامتًا لفترة طويلة، مما أعطى انطباعًا بأنه ضائع في التفكير.

"من هو الشخص الذي تريدونه؟"

"اسم المجرم؟" تظاهر السفير بمحاولة تذكر الاسم، وأخيرًا وصل إلى حقيبته لاستخراج الوثيقة. "أعتذر، ذاكرتي تخونني. لدي ذلك هنا. آه نعم، شخص يُدعى كاهير مور ديفرين آيب سيلاخ. لا شك أن الادعاءات ضده خطيرة. هو مطلوب بتهم القتل، والهروب، والخطف، والاغتصاب، والسرقة، وتزوير الوثائق. هارب من غضب الإمبراطور، هرب إلى الخارج."

"إلى ريدانيا؟ اختار طريقًا طويلاً إذن."

"مولاي،" ابتسم شيلارد فيتز-أوستيرلن بابتسامة خفيفة، "هو ليس محصورًا في أراضي ريدانيا. لكن لا شك في أنه إذا تم رؤيته في أي من الممالك الحليفة، فإن ربطته ستكون مع أحد من ... علاقاته الشخصية."

"ماذا قلت كان اسم هذا المجرم؟"

"كاير ماور ديفرين آيب كيلّاخ."

صمت ديكسترا طويلًا، متظاهرًا بأنه يسترجع ذاكرته.

"لا." قال أخيرًا. "لم نعتقل أي شخص بهذا الاسم."

"حقًا؟"

"ذاكرتي لا تخونني في هذه الحالة. أعتذر، سموكم."

"وأنا أيضًا"، قال شيلا رد فيتس-أوسترلين ببرودة. "خصوصًا بما أنَّ من المستحيل في هذه الظروف إجراء تسليم متبادل للمجرمين. لن أزعج سموكم أكثر. أتمنى لك الصحة والنجاح."

"تمنياتي لك بصحة جيدة وحظًا موفقًا."

"بالمثل. وداعًا، سموكم."

خرج السفير بعد بعض التحيات الرسمية المعقدة.

" قَبِّلْ حذائي أيها المُتغطرس المتذاكي." تمتم ديكسترا وهو يعبر ذراعيه على صدره. "أوري!"

ظهرت السكرتيرة، وقد احمر وجهها من السعال والتأوهات، من وراء الستار.

"هل لا تزال فيليبا محبوسة في مونتيكالڤو؟"

"نعم، همهم، همهم. مع أصدقائها لاوكس-أنتيل، ميريجولد وميتس."

"في أي لحظة قد ينفجر الحرب، والحدود مع ياروجا ستنفجر، وهم يذهبون ليختبئوا في حصن بري موحش! خذ قلمك، واكتب.

"فيليبا المحبوبة ..." اللعنة!"

"كتبت: 'العزيزة فيليبا الموقرة.'"

"حسنًا، استمر. 'قد تكونين مهتمة بمعرفة أن الغريب الذي ارتدى خوذة مجنحة، والذي اختفى بغموض وظهر في ثانيد، يُدعى كاير ماور ديفرين وهو ابن الوكيل كيلّاخ. من المدهش أننا لسنا الوحيدين الذين يبحثون عن هذا الشخص الغريب، لكن كما يتبين، فياتيير دي ريديو والأشخاص التابعين لذلك اللعين ...'"

"السيدة فيليبا، همهم، لا تحب مثل هذه الكلمات. كتبت: 'الوضيع'."

"حسنًا، الوضيع ستيفان سكِلّن. "وأنت كما تعلمين، عزيزتي فيل، أن أجهزة المخابرات التابعة لإيمهير تبحث بشكل حثيث عن أولئك العملاء والمبعوثين الذين تعهدوا بتمزيق إيمهير. أولئك الذين كان من المفترض أن يطيعوه في المدن أو يموتوا، لكنهم خانوه، وتركوا أوامرهم غير منفذة. الأمور تبدو غريبة، مع ذلك كنا واثقين أن كاير كان مُكلفًا باحتجاز الأميرة سيريلّا وتسليمها إلى نيلفغارد." فقرة جديدة. "لقد

أثار الأمر شكوكًا معقولة في نفسي، وعلى الرغم من غرابته، فقد توصلت إلى بعض النظريات المدهشة. ومع ذلك، فهي ليست بلا معنى، وأود مناقشتها معكِ بشكل خاص. مع أعمق الاحترام .. إلخ."'

اتجهتْ جنوباً، مُستقيمةً كالسهم، نحو ضفاف نهر الربون، وبعد عبور النهر، سلكتْ أخاديدًا رطبةً تكسوها سجادةٌ ناعمةٌ من الطحلب الأخضر الزاهي. افترضتْ أن الويتشر، الذي لا يعرف التضاريس مثلها، لن يُجازف بالعبور من الجانب البشري. بقطعها الدائرةَ الهائلةَ التي شكلها النهر، والتي يُحدّ جزءٌ منها بروكيلون، صار لديها فرصةٌ لِلحاق به. وإن تسارعتْ دون توقُّف، فقد تتفوّق عليه.

غردتْ الشراشير، ولم تكن مخطئة. فالسماواتُ في الجنوبِ اكتستْ بظلامٍ كثيف. وأصبح الهواءُ ثقيلاً لزجاً، والبعوضُ مُزعجاً إلى حدٍّ لا يُطاق.

عندما وجدتْ نفسَها في مرجٍ مستنقعي، تكسوه أشجارُ النُّغت السوداءِ المُعلّقة بسنابلَ خضراءَ عارية، شعرتْ بوجودٍ ما. لم تسمعْ شيئاً، لكنها أحسّتْ بأن أحداً ما هناك. عرفتْ أن الجان حاضِرون.

أوقفتْ فرسَها، ليتسنّى للرماة المُختبئين في الأجمّة النظرَ إليها جيداً. حبستْ أنفاسَها، راجيةً ألا تُفزعهم.

طنَّتْ ذبابةٌ فوق جيفةِ أيلٍ مُلقاةٍ على ظهرِ فرسها.

حفيفٌ. صفيرٌ خافت. صفيرٌ ردّاً عليه. ظهر السكوايتيل من بين الشجيرات كالأشباح، وعندها فقط تنفّستْ ميلفا بارتياح. عرفتهم. كانوا ينتمون إلى فرقة كوينيتش دا ريوه.

— هايل، — قالتْ وهي تترجّل. — كِس فا؟

— نِس، — أجاب الجنيُّ باختصار، الذي لم تتذكّر اسمه. — كايم.

كان الآخرون مُعسكرين على مقربةٍ، في مُنفسحٍ مكشوف. كانوا ثلاثينَ على الأقل، أكثرَ من مجرد فرقة كوينيتش.

دُهشتْ ميلفا، فقد أخذتْ أعدادُ فرق السكوايتيل تتناقص. الفرَقُ التي رأتها مؤخراً كانت مُدمّاةً ومرهقةً ومريضةً بالكاد تُمسك بأعنّة خيولها الواهنة. لكن هذه الفرقةَ كانت مختلفة.

— كيد، كوينيتش، — حيّتْ القائدَ المقترب.

— كيدميل، سوركا.

سوركا. "الأخت الصغيرة". أطلقتْ هذا اللقبَ على مَن تراهم أصدقاءً، تعبيراً عن الاحترام والود، رغم أنهم أكبرُ منها سناً. في البداية، عرفها الجانُ باسم دْهوِين، أي "البشرية". ثم، بعدما ساعدتهم بانتظام، بدأوا ينادونها وِدبانا آن، "امرأة الغابة". لاحقاً، حين تعرّفوا عليها أكثر، نادوها كما تفعل الحوريات: ميلفا، أي "الحدأة". أما اسمها الحقيقي، الذي كشفته لأصدقائها المقربين بشرطِ أن يبادلوها الاسمَ ذاته، لم يبدو متناغماً بلغة الجان. نطقوه ميريا بتعابيرَ مُشوّهة، كأنه يُذكّرهم بشيءٍ بغيضٍ في لغتهم، فقرروا استبداله بـ"سوركا".

"إلى أين أنتم متجهون؟"

تلفّتت ميلفا حولها ببطء، لكنها لم ترَ أي جرحى أو مرضى. "إلى الميل الثامن؟ إلى بروكيلون؟"

"كلا."

امتنعت عن طرح المزيد من الأسئلة، فقد كانت تعرف أن ذلك لن يجدي نفعًا. اكتفت بمراقبة وجوههم، المتجمدة بلا تعبير، والمشدودة بتركيز مبالغ فيه، بينما كانوا ينظمون عتادهم وأسلحتهم. لم يكن عليها سوى النظر في أعينهم العميقة، السحيقة، لتفهم. لقد كانوا يستعدون للمعركة.

من الجنوب، تجمّعت غيوم سوداء. اسودّت السماء.

"وأنتِ، إلى أين تذهبين، سوركا؟" سأل كويندياخ، ملقيًا نظرة سريعة على الغزال الملقى فوق صهوة حصانها، قبل أن ترتسم على شفتيه ابتسامة خفيفة.

أجابت ببرود، متجنبة أي سوء فهم: "جنوبًا عبر دريشخوت."

اختفت ابتسامة العفريت: "إلى شواطئ البشر؟"

قالت، مرفوعة الكتفين بلا مبالاة: "على الأقل حتى سيان تريسه. سأتجنب الطريق المار بشلالات بروكيلون، لأن..."

استدارت فجأة عندما سمعت شخير حصان. كان هناك قادمون جدد من سكويتايل قد انضموا إلى الفرقة وهو أمر بالفعل كان كبيرًا. هؤلاء كانت ميلفا تعرفهم جيدًا.

"سياران!" هتفت دون أن تحاول إخفاء دهشتها. "توروفيل! ماذا تفعلان هنا؟ لقد أوصلتكما إلى بروكيلون للتو، وها أنتما تعودان..."

"إيس'كريسا، سور'كا." قاطعها سياران أيب ديربه بجديّة. كان الضماد الذي يلفّ رأسه ملطخًا بالدماء.

"نعم." كررت توروفيل من بعده، وهي تترجل بحذر. "سمعنا أخبارًا. لم يكن بوسعنا البقاء عالقين في بروكيلون بينما كل سهم له قيمته."

"لو كنت أعلم..." تمتمت ميلفا بامتعاض. "لما تكبّدت عناء ذلك من أجلكما. لما خاطرت بعنقي عند المعبر."

"وصلتنا الأخبار الليلة الماضية." أوضحت توروفيل بهدوء. "لم يكن... لا يمكننا التخلي عن رفاقنا في مثل هذا الوقت. هذا مستحيل، أتفهمين، سوركا؟"

ازدادت السماء قتامة أكثر فأكثر. هذه المرة، سمعت ميلفا بوضوح صوت الرعد يزمجر في الأفق.

"لا تذهبي جنوبًا، سوركا." قال كويننياخ دا ريو. "العاصفة تلوح في الأفق."

"وماذا يمكن لعاصفة أن تفعل..." توقفت، متأملة وجهه عن كثب. "ها! إذن، إنها من ذلك النوع من الأخبار؟ نيلفجارد، أليس كذلك؟ جنود الإمبراطورية يعبرون سودين متجهين إلى الياروغا؟ سيضربون بروغ؟ أهذا هو سبب ذهابكم؟"

لم يُجب.

نظرت إلى عينيه الداكنتين:"نعم، تمامًا كما حدث في دول أنغرا. إمبراطور نيلفجارد سيستغلكم، كما فعل من قبل. شعبكم يحمي مؤخرته حتى يتمكن من ذبح البشر بالسيف والنار. ثم، بعد أن يبرم الإمبراطور سلامه مع الملوك، سيسحقونكم. ستحترقون في نيرانكم ذاتها."

"النار تطهر. وهي تصقل. يجب أن نعبرها. أيني هايل، إل'إيا، سوركا؟ أو كما تقولون أنتم: معمودية النار."

"أنا أفضّل نوعًا آخر من النار."

أخذت ميلفا الغزال عن صهوة حصانها وأسقطته على الأرض عند أقدام العفاريت. "النار التي تفرقع تحت السيخ. هاكم، ستحتاجون إلى الطاقة في الطريق. لم أعد بحاجة إليه."

"هل ستذهبين جنوبًا؟"

"نعم."

سأذهب، فكّرت، سأذهب بسرعة. يجب أن أحذّر ذلك الويتشر الأحمق، يجب أن أنبّهه إلى العاصفة التي سينجرف إليها. عليّ أن أغيّر رأيه.

"لا تذهبي، سوركا."

"دعني وشأني، كوينياخ."

"هناك عاصفة تلوح في الأفق جنوبًا." كرر الإلف. "عاصفة عظيمة. ونار عظيمة. احتمي في بروكيلون، أختي، لا تتجهي جنوبًا. لقد فعلتِ ما يكفي من أجلنا، ولم يعد بإمكانك فعل المزيد. لا يتوجب عليك الذهاب. أما نحن، فلابد لنا من ذلك. إيس'-تيد، إيسّ كريسا! لقد حان وقت الرحيل. وداعًا."

كان الهواء ثقيلًا ومحمّلًا بالكثافة.

* * *

كان تعويذة الإسقاط الذهني معقدة، وكان على الساحرات التحدث بصوت واحد، عبر تشابك الأيدي والأفكار. وحتى مع ذلك، كانت العملية مرهقة إلى حدٍ شيطاني، جزئيًا بسبب المسافة الشاسعة. ارتعشت جفون فيليبا إيلهارت المغلقة، ولهثت تريس ميريجولد، بينما انسابت حبات العرق على الجبهة العالية لكيرا ميتز. وحدها مارجريتا لوكس-أنتيل لم تبدِ أيّ إرهاق على وجهها.

غُرِقت الغرفة الصغيرة في ظلام شبه دامس، وفجأة، بدأت فسيفساء من الضوء تتراقص على ألواح الخشب الداكنة. وسط توهج أبيض، ظهر مدار مضيء فوق الطاولة المستديرة. وبينما كانت فيليبا إيلهارت تُرتّل التعاويذ الأخيرة، ارتفع المدار أمامها مباشرة، فوق إحدى الكراسي الاثنتي عشرة الموضوعة حول الطاولة. داخل المدار، بدأت تتشكل صورة غير واضحة. لم تكن الإسقاطية مستقرة تمامًا، إذ تذبذبت الصورة عدة مرات قبل أن تصبح أكثر وضوحًا.

"يا إلهي." تمتمت كيرا وهي تمسح جبينها. "ألا يعرفون شيئًا عن تعاويذ التجميل أو أي سحر آخر يعزز الجمال في نيلفجارد؟"

"على ما يبدو، لا." علّقت تريس من زاوية فمها. "ومن الواضح أنهم لم يسمعوا بشيء يُدعى الأناقة أيضًا."

"ولا حتى بمستحضرات التجميل." أضافت فيليبا بصوت خافت. "لكن لا تقلنَ شيئًا الآن، فتيات. ولا تحدقنَ بها. علينا تثبيت الإسقاط واستقبال ضيفتنا. قوّيني، ريتا."

كررت مارجريتا لوكس-أنتيل تعويذة الإلقاء وأشارت إلى فيليبا. تذبذبت الصورة عدة مرات، وبدأت تفقد ضبابيتها وبريقها غير الطبيعي، وأصبحت ملامحها وألوانها أكثر وضوحًا. راقبت الساحرات الصورة أمامهن بحذر. عضّت تريس شفتها وألقت نظرة جانبية على كيرا.

كانت المرأة داخل الإسقاط شاحبة، ذات بشرة باهتة غير جذابة. عيناها كانتا بلا تعبير، شفاهها ضيقة مزرقة، وأنفها معقوف قليلًا. كانت ترتدي قبعة مخروطية الشكل غريبة ومجعدة بعض الشيء، وتنسدل من تحتها خصلات شعر داكنة رفيعة ودهنية. كان رداءها فضفاضًا بلا شكل، أسود ذو حواف فضية، وممزقًا عند الكتف، ما أضفى عليها مظهرًا مهملاً وبائسًا. لم يكن لزيها سوى زينة واحدة: تطريز لدائرة ونجم هلالي، علامة الساحرات النيلفجارديات.

نهضت فيليبا إيلهارت، محاولة ألا تكشف أكثر مما ينبغي من مجوهراتها، أو أشرطة الدانتيل، أو فتحة صدرها.

"السيدة الجليلة أسير." قالت، بصوت رزين. "مرحبًا بكِ في مونتيكالفو. نحن مسرورات لأنكِ قبلتِ دعوتنا."

"لقد قبلتُ بدافع الفضول فقط." أجابت الساحرة النيلفجاردية بصوت مفاجئ العذوبة، ونغمته موسيقية، بينما عدّلت قبعتها لا إراديًا. كانت يداها نحيلتين، مرقّطتين ببقع صفراء، وأظافرها مكسورة وغير متساوية، من الواضح أنها كانت تعضّها.

"فقط بدافع الفضول." كررت، "لكن العواقب قد تكون كارثية عليّ بالفعل. أرجوكن، قدّمن لي تفسيرًا."

"سأفعل ذلك بعد قليل." أومأت فيليبا، مشيرة إلى الساحرات الأخريات. "لكن قبل ذلك، اسمحن لي باستدعاء إسقاطات باقي المشاركات في الاجتماع وتقديمكنّ لبعضكن البعض. أطلب منكن القليل من الصبر."

تشابكت أيدي الساحرات من جديد، واستأنفن التعاويذ. رنّ الهواء في الغرفة كوتر مشدود، تردد صداه في تجاويف السقف، ثم انحدر مرة أخرى على هيئة ضباب مشع، ملأ المكان بظلال واهية متراقصة.

فوق ثلاثة كراسٍ غير مشغولة، بدأت تتشكل كرات من الضوء النابض، وشيئًا فشيئًا أصبحت ملامح الظلال داخلها مرئية.

كانت أول من ظهر سابرينا غليفيسيج، مرتدية فستانًا فيروزيًا جريئًا منخفض الصدر، ذو ياقة دانتيلية مرتفعة، تأطّرت بفضلها خصلات شعرها المجعدة التي توّجها طوق مرصّع بالأحجار المتلألئة.

إلى جانبها، خرجت من الضباب المضيء سيلي دي تانسرڤيل، مرتدية ثوبًا مخمليًا أسود مزيّنًا باللآلئ، وقد طوّقت عنقها بوشاح من فرو الثعلب الفضي.

لحست الساحرة النيلفجاردية شفتيها الرفيعتين بتوتر.

"انتظري حتى ترين فرانسيسكا." فكرت تريس، "عندما ترين فرانسيسكا، أيتها الجرذاء السوداء الصغيرة، ستخرج عيناكِ من محجريهما."

لم تخيب فرانسيسكا فيندابير الظنون. كان فستانها بلون الدم، كاشفًا عن قوامها المغري. توهج عقد من الياقوت حول عنقها، وزُيّن شعرها بتصفيفة طموحة، أما عيناها الواسعتان فكانتا مؤطرتين بمكياج ألفي دقيق، يبرز حدة نظرتها.

"سيداتي، أرحب بكن جميعًا في مونتيكالفو." قالت فيليبا. "لقد أخذت على عاتقي دعوتكنّ إلى هنا لمعالجة قضايا ذات أهمية بالغة. يؤسفني أننا نجتمع على هيئة إسقاطات ذهنية، لكن نظرًا للظروف والمسافات بيننا، فإن لقاءً حقيقيًا كان سيكون مستحيلًا. أنا، فيليبا إيلهارت، سيدة هذا القصر، سأكون مضيفتكن والمحرّكة لهذا الاجتماع، وسأتولى التعريف بالحاضرات."

"على يميني، مارجريتا لوكس-أنتيل، رئيسة أكاديمية أريتوزا. وعلى يساري، تريس ميريجولد من ماربوري، وكيرا ميتز من كاريراس. تليهنّ سابرينا غليفيسيج من أرد كارايتش، وسيلي دي تانسرڤيل من كرايدن، ممثلةً لكوفير. ثم لدينا فرانسيسكا فيندابير، المعروفة باسم إينيد آن غلينّا، الحاكمة الحالية لوادي الزهور. وأخيرًا، أسير ڤار أنهيد من ڤيكوڤارو، من إمبراطورية نيلفجارد. والآن..."

"والآن، سأقول وداعًا!" صاحت سابرينا غليفيسيج، مشيرة بإصبعها المغطى بالخواتم إلى فرانسيسكا. "لقد تماديتِ كثيرًا، فيليبا! لن أجلس على نفس الطاولة مع تلك العفريتة الملعونة، حتى لو كان ذلك في صورة وهمية! لم تكد تمسح الدم عن جدران وأرضيات جارستانغ! الدم الذي أراقته هي وڤيلجيفورتز!"

"أرجوكِ أن تحافظي على اللياقة وتتماسكي." اتكأت فيليبا بكلتا يديها على الطاولة. "استمعي إلى ما سأقوله، لا أطلب أكثر من ذلك. عندما أنتهي، لكل واحدة منكنّ حرية القرار بالبقاء أو الرحيل. هذا الإسقاط طوعي، ويمكن قطعه في أي لحظة. الشيء الوحيد الذي أطلبه ممّن يقررن المغادرة هو الحفاظ على سرية هذا الاجتماع."

"كنت أعلم ذلك!" تحركت سابرينا فجأة، لدرجة أنها خرجت للحظة من نطاق الإسقاط. "اجتماع سري! ترتيبات سرية! بعبارة أخرى، مؤامرة! والنية واضحة تمامًا! أتسخرين منا، فيليبا؟ أولًا تطلبين منا إخفاء الأمر عن ملوكنا وزملائنا، الذين لم ترِ ضرورة لدعوتهم، ثم ها هي تجلس أمامنا إينيد فيندابير، بفضل إمير ڤار إمريس، الحاكمة الفعلية لعفاريت دول بلاثانا، التي تدعم نيلفجارد بنشاط وتسلحها! هذا دون أن أُظهر دهشتي الأكبر، وهي رؤية إسقاط لساحرة نيلفجاردية هنا! منذ متى توقفت سحرة نيلفجارد عن إظهار الطاعة العمياء والخضوع الذليل للسلطة الإمبراطورية؟ وما هذه الأسرار التي نناقشها هنا؟ إن كانت هنا، فهذا بعلم وموافقة إمير! بأمره المباشر! إنها عينا الإمبراطور وأذناه!"

"أشك في ذلك." قالت أسير ڤار أنهيد بهدوء. "لا أحد يعلم بمشاركتي في هذا الاجتماع. لقد دُعيت سرًا، وقد حافظت على هذا السر وسأظل كذلك. فهذا أيضًا في مصلحتي، إذ إن انكشاف مشاركتي يعني فقداني لرأسي. ولهذا السبب تسود العبودية بين السحرة في الإمبراطورية، إذ لا يملكون سوى خيارين: العبودية أو المقصلة. لقد خاطرْتُ بقبولي دعوتكن. لم آتِ إلى هنا كجاسوسة، ولا أملك سوى وسيلة واحدة لإثبات ذلك، وهي موتي. فقط اكسرنَ طلب الليدي إيلهارت بالحفاظ على السر. إن خرج خبر اجتماعنا هذا، فسألقى حتفي."

"بالنسبة لي، فإن إفشاء هذا السر قد يحمل عواقب غير سارة كذلك." ابتسمت فرانسيسكا بسحر. "ستكون لديكِ فرصة رائعة للانتقام، سابرينا."

"سأنتقم بطريقة أخرى، أيتها العفريتة." تلألأت عينا سابرينا السوداوان بوميض خطير. "لكن إن كُشِف السر، فلن يكون ذلك بسببي أو بإهمالي. ليس بسببي!"

"هل تلمحين إلى شيء؟"

"بالطبع." قاطعت فيليبا إيلهارت الحديث. "بالطبع، سابرينا تذكرنا برقة بعملي مع سيجيسموند ديكسترا. كما لو أنها لم تحافظ أبدًا على أي اتصال مع عملاء الملك هينسلت بنفسها."

"هناك فرق." زمجرت سابرينا. "لم أكن عشيقة هينسلت لثلاث سنوات، ناهيك عن أن أكون إحدى جاسوساته!"

"كفى من هذا! اصمتي!"

"أوافق." قالت سيلي دي تانسرڤيل بصوت عالٍ فجأة. "لقد قلتِ ما يكفي، سابرينا. كفى حديثًا عن ثانيد، كفى عن التجسس والشؤون الشخصية. لم آتِ إلى هنا لأشارك في مثل هذه النقاشات، ولا للاستماع إلى مشاعر استيائك وتلقي الإهانات. لا يهمني دور الوسيط، وإن كنتِ قد دعوتني لهذا الغرض، فاعلمي أنه لا جدوى من ذلك. في الواقع، أشك منذ الآن أنني أشارك بلا طائل، وأضيع وقتي الثمين على حساب عملي البحثي."

"ومع ذلك، سأمتنع عن إصدار أي أحكام مسبقة. وأخيرًا، أقترح أن ندعو فيليبا إيلهارت للبدء، حتى نعرف أخيرًا سبب هذا الاجتماع. سنعرف الأدوار التي نلعبها هنا. ثم، دون انفعالات غير ضرورية، سنقرر ما إذا كنا سنواصل العرض أم سنسدل الستار. إن السرية التي طُلب منا الالتزام بها تُلزمنا جميعًا بالطبع. وأنا، سيلي دي تانسرڤيل، سأتخذ شخصيًا الإجراءات المناسبة ضد من يفشي هذا الاجتماع."

لم تتحرك أي من الساحرات أو تنطق بكلمة. لم تشك تريس للحظة واحدة في جدية تحذير سيلي، فانعزالية كوفير لم تكن تُطلق تهديدات جوفاء في الهواء.

"نُفسح لكِ المجال، فيليبا. أطلب من هذا الجمع الموقر التزام الصمت حتى تنتهي."

نهضت فيليبا إيلهارت، محدثةً خفقانًا في فستانها.

"أخواتي العزيزات،" قالت. "الوضع خطير. السحر مُهدد. الأحداث المأساوية في ثانيد، التي أتذكرها بأسى ونفور، أظهرت أن قرونًا من التعاون الذي بدا خاليًا من النزاعات يمكن أن تُمحى في غمضة عين، عندما تطفو المصالح الشخصية والطموحات المفرطة. اليوم، نحن في حالة انهيار، فوضى، ونجد أنفسنا في مواجهة عداء متبادل وانعدام للثقة. هذا ما يحدث عندما تخرج الأمور عن السيطرة. لاستعادة السيطرة، ولمنع كارثة رهيبة، علينا أن نمسك بدفة هذه السفينة التي تعصف بها العاصفة بيد قوية.

السيدة لوكس-أنتيل، السيدة ميتز، السيدة ميريجولد وأنا قد ناقشنا هذا الأمر بالفعل وتوصلنا إلى اتفاق. إن إعادة بناء المجلس والهيئة اللذين دُمِّرا في ثانيد ليس كافيًا. علاوة على ذلك، لا أحد قادر على إعادة بناء هاتين المؤسستين، ولا يوجد ضمان بألا تُصاب بنفس العلل التي دمرت سابقتها. لذا، نحن نقترح إنشاء منظمة سرية مختلفة تمامًا، تخدم فقط شؤون السحر، وتبذل كل ما بوسعها لمنع وقوع الكارثة.

لأنه إذا مات السحر، فإن هذا العالم سيهلك. كما حدث قبل قرون، فإن عالمًا خاليًا من السحر ومن التقدم الذي يجلبه، سيغرق في الفوضى والظلام، وسيُغمر في الدماء والبربرية.

كل السيدات الحاضرات هنا مرحب بهن للانضمام إلى مبادرتنا، والمشاركة الفعالة في هذه المنظمة السرية المقترحة. لقد دعوناكن إلى هنا لنسمع آرائكن حول هذا الأمر. لقد انتهيت."

"شكرًا لكِ." أومأت سيلي دي تانسرڤيل. "إذا سمحت لي السيدات، سأبدأ. سؤالي الأول، فيليبا: لماذا أنا؟ لماذا دُعيتُ؟ لقد رفضت ترشيحي للمجلس مرارًا، ورفضتُ مقعدًا في الهيئة. أولًا، لأن عملي يستهلكني. ثانيًا، كنتُ وما زلتُ أعتقد أن هناك في كوفير، وهينغفورس، وبوفيس آخرين أكثر استحقاقًا لهذه المناصب. أسأل، لماذا أنا هنا وليس كاردوين؟ لماذا لستريد من آيد غينفايل، توغدوال، أو زانغينيس؟"

"لأنهم رجال." قالت فيليبا. "المنظمة التي تحدثت عنها يجب أن تتكون حصريًا من النساء. وأنتِ، أسير؟"

"أسحب سؤالي." ابتسمت الساحرة النلفجاردية. "كان نفس سؤال السيدة دي تانسرڤيل. والإجابة أرضتني."

"هذا يبدو كنوع من الشوفينية النسوية." سخرت سابرينا غليڤيسيغ. "خاصةً من فمكِ، فيليبا، بعد تغييركِ ... لميولكِ الجنسية. ليس لديّ أي ضغينة تجاه الرجال. في الواقع، أحب الرجال، ولا يمكنني تخيُّل الحياة بدونهم. ولكن ... بعد لحظة من التفكير ... أعتقد أن هذا المفهوم حكيم. فالرجال غير مستقرين عاطفيًا، مفرطو التأثر بمشاعرهم، ولا يمكن الاعتماد عليهم في أوقات الأزمات."

"هذا صحيح." اعترفت مارجريتا لوكس-أنتيل بهدوء. "نحن نقارن باستمرار بين نتائج متدربات أريتوزا وأولئك الفتيان من مدرسة بان آرد، والمقارنة تميل دائمًا لصالح الفتيات. فالسحر يتطلب الصبر، الرقة، الذكاء، الفطنة، والمثابرة. إنه يتطلب من المرء أن يتحمل الفشل والانتكاسات بهدوء وتواضع. الرجال يخسرون أمام الطموح. إنهم يريدون دائمًا ما يعلمون أنه مستحيل وغير قابل للتحقيق، ولا يلاحظون ما هو ممكن بالفعل."

"كفى، كفى، كفى." قالت سيلي وهي تكتم ابتسامة. "ليس هناك ما هو أسوأ من الشوفينية المصنوعة علميًا، عارٌ عليكِ يا ريتا! ومع ذلك ... أوافق أيضًا على الهيكل الأحادي الجنس للاتفاقية المقترحة ... أو إذا فضّلتم، النُزل. فكما نفهم، هذا من أجل مستقبل السحر، والسحر مسألة جادة جدًا بحيث لا يمكن الوثوق بمصيره للرجال."

"إذا سمحتم لي،" قالت فرانسيسكا فيندابایر بصوتها العذب، "أود أن نوقف هذه التكهنات المفرطة حول هيمنة جنسنا، فهذا لا يستحق النقاش. دعونا نركز بدلاً من ذلك على المسائل المتعلقة بالمبادرة المقترحة، والتي لم تتضح لي أهدافها بالكامل بعد. توقيت هذه الخطوة ليس مصادفة، فهو يرتبط بوضوح بالحرب. لقد غزا نلفجارد وأجبر الممالك الشمالية على التراجع. إذن، خلف الشعارات الغامضة التي سمعتها، هل يختبئ الفهم الضمني بأن الهدف هو عكس الوضع وهزيمة نلفجارد؟ ثم التخلّص من جلود الجان المتهورين؟ إذا كان الأمر كذلك، فيليبا، فلن نجد أرضية مشتركة."

"هل لهذا السبب تمت دعوتي إلى هنا؟" سألت أسير ڤار أناهيد. "أنا لا أولي اهتمامًا كبيرًا للسياسة، لكنني أعلم أن الجيش الإمبراطوري يتمتع بتفوق واضح على قواتكم. وباستثناء السيدة فرانسيسكا والسيدة دي تانسرڤيل اللتين تنتميان لمملكة محايدة، فإن جميع السيدات الحاضرات يمثلن ممالك معادية للإمبراطورية النلفجاردية. هل تتوقعين مني أن أرى هذه الدعوة السحرية للتضامن كحافز للخيانة؟ آسفة، لكنني لا أرى نفسي في هذا الدور."

أنهت أسير حديثها، ثم انحنت كما لو أنها تهم بوضع يدها على شيء غير موجود في الإسقاط. اعتقدت تريس أنها سمعت صوت مواء.

"لديها قطة!" همست كيرا ميتز. "أراهن أنه أسود ..."

"ليس بصوتٍ عالٍ." همست فيليبا. "عزيزتي فرانسيسكا، عزيزتي أسير. ينبغي أن تكون مبادرتنا غير سياسية على الإطلاق، وهذا هو المبدأ الأساسي لها. لن نسترشد بمصالح الأعراق أو الممالك أو الملوك أو الأباطرة، بل فقط بخير السحر ومستقبله."

"مدفوعين بخير السحر،" ابتسمت سابرينا غليڤيسيغ بسخرية، "لكن مع ذلك ننسى ضمان رفاهية الساحرات؟ ونحن نعلم كيف يُعامل زملاؤنا السحرة في نلفجارد. نتحدث عن كوننا غير سياسيين، ولكن عندما تفوز نلفجارد ونجد أنفسنا تحت السلطة الإمبراطورية، سنبدو جميعًا مثل ..."

تحركت تريس بعدم ارتياح، وأطلقت فيليبا تنهيدة بالكاد مسموعة. خفضت كيرا نظرها، وتظاهرت سيلي بتعديل وشاحها الريشي. عضّت فرانسيسكا شفتها. أما أسير ڤار أناهيد فلم تتغيّر ملامح وجهها، لكنها احمرّت قليلًا.

"كنت أريد فقط أن أقول... إنه مصير محزن ينتظرنا جميعًا." أنهت سابرينا حديثها بسرعة. "فيليبا، تريس، وأنا—كنا جميعًا في تل سودين. إيمير سيجعلنا ندفع الثمن، كما سندفع ثمن ثانيد، وثمن كل تدخلٍ قمنا به. لكن هذا مجرد واحد من التحفظات التي تمنعني من الموافقة على الحياد السياسي المعلن لهذه الاتفاقية. هل تعني المشاركة فيها التنازل الفوري عن الخدمة السياسية الفاعلة التي نقدمها الآن لملوكنا؟ أم أننا سنبقى في هذه الخدمة ونخدم سيّدين في آنٍ واحد: السحر والسلطة؟"

"عندما يخبرني أحدهم أنه غير سياسي،" ابتسمت فرانسيسكا، "دائمًا ما أسأله عن أي سياسة تحديدًا يتحدث."

"وأنتِ تعرفين مسبقًا أنه لا يقصد السياسة التي يتّبعها بنفسه." قالت أسير ڤار أناهيد وهي تنظر إلى فيليبا.

"أنا غير سياسية،" رفعت مارجريتا لوكس-أنتيل رأسها. "ومدرستي غير سياسية. وأعني كل أنواع السياسة التي قد توجد!"

"يا سيداتي،" تحدثت سيلي، وقد بقيت صامتةً لفترة طويلة. "تذكرن أنكن الجنس المتفوق. لذا لا تتصرفن كفتياتٍ يتصارعن على وعاء الحلوى على الطاولة. المبدأ الذي طرحته فيليبا واضح. على الأقل بالنسبة لي، ولا أرى حتى الآن سببًا يجعلكم أقل فطنة مني. خارج هذه الغرفة، كونوا من تريدون، واخدمن من تردن، لأي سببٍ تخترنه، وبإخلاصٍ كما يحلو لكنّ. ولكن عندما تجتمع الاتفاقية، فسنتعامل فقط مع السحر ومستقبله."

"هذا هو بالضبط ما أتصوره." أكدت فيليبا إيلهارت. "أعلم أن هناك العديد من المشكلات، بالإضافة إلى الشكوك والالتباسات. سنناقشها في الاجتماع القادم، حيث سيحضر الجميع، ليس كإسقاطات أو أوهام، بل بأشخاصهم الحقيقيين. لن تُعتبر مشاركتكم عملاً رسميًا للانضمام إلى الاتفاقية، بل كإشارة حسن نية. سنقرر معًا ما إذا كان ينبغي إنشاء مثل هذه الاتفاقية. جميعنا. بإنصاف."

"جميعنا؟" كررت سيلي. "أرى كراسي فارغة، أفترض أنها ليست هناك صدفة؟"

"يجب أن تتألف الاتفاقية من اثنتي عشرة ساحرة. أود من السيدة أسير أن تقترح مرشحة ينبغي أن تحضر اجتماعنا القادم. لا بد أن إمبراطورية نلفجارد لديها ساحرة أخرى جديرة بذلك. أما المقعد الثاني، فأتركه لكِ، فرانسيسكا، لأنه ينبغي عليكِ، بصفتك الجنية النقية الدم الوحيدة، ألا تشعري بالعزلة. أما الثالث..."

رفعت إيند آن غلينّا رأسها.

"أرجو منكن منحي مقعدين. لديّ مرشحتان".

"هل تعترض أي من السيدات على هذا الطلب؟ لا؟ ولا أنا أعترض.

اليوم هو الخامس من أغسطس، اليوم الخامس بعد المحاق. سنلتقي مجددًا في اليوم الثاني بعد اكتمال القمر، بعد أربعة عشر يومًا، يا أخواتي العزيزات".

"لحظة واحدة"، قاطعتها شيلا دي تانسا فيل. "ما يزال هناك مقعد فارغ. من ستكون الساحرة الثانية عشرة؟"

"هذه ستكون أول مشكلة تواجه المحفل." ابتسمت فيليبا ابتسامة غامضة. "بعد أسبوعين، سأخبركن بمن يجب أن تجلس على المقعد الثاني عشر. وعندها، سنقرر معًا كيف نحضرها إلى هنا. قد تفاجئكن هوية هذه المرشحة. فهي ليست شخصًا عاديًا، يا أخواتي العزيزات. إنها الحياة أو الموت، الدمار أو الولادة الجديدة، النظام أو الفوضى. كل هذا يعتمد على منظوركن للأمر".

* * *

خرج أهل القرية جميعهم إلى السياج لمشاهدة مرور العصابة. لم يستطع توزيك مقاومة الفضول، فانضم إليهم رغم انشغاله بأعماله. في الآونة الأخيرة، كثرت الأحاديث عن "الجرذان"، وحتى انتشرت شائعة بأنهم قُبض عليهم جميعًا وشُنقوا، لكن الشائعة كانت كاذبة، والدليل أمامه الآن، إذ كانوا يمرّون عبر القرية علنًا، بخطى واثقة وغير متعجلة.

"أوغاد متعجرفون." همس أحدهم خلف توزيك بدهشة ممزوجة بالرهبة. "يتبخترون هكذا في وسط القرية"...

"وكأنهم ذاهبون إلى عرس"...

"وانظر إلى تلك الخيول! لن تجد مثلها حتى في نيلفجارد"!

"هراء، لقد سرقوها! الجرذان يسرقون الخيول من الجميع. في هذه الأيام، من السهل بيع فرس مسروقة في أي مكان. لكنهم يحتفظون بأفضلها لأنفسهم"...

"انظروا إلى ذلك الذي في المقدمة، إنه جيسيلهير... يبدو كأنه زعيمهم".

"والتي بجانبه، على الفرس الكستنائي، إنها قزم... اسمها سبارك"...

عندئذٍ، خرج كلب هجين من وراء السياج وبدأ بالنباح، قافزًا حول قوائم فرس سبارك الأمامية. حركت القزمية شعرها الأسود الكثيف، استدارت بفرسها، مالت إلى الأمام بضراوة، ثم ضربت الكلب بسوطها. عوى المسكين من الألم، دار حول نفسه ثلاث مرات، ثم جفل. بصقت سبارك عليه بازدراء.

تمتم توزيك بلعنة بين أسنانه.

واصل القرويون الهمس، وهم يشيرون خفية إلى أفراد العصابة الذين يمرّون الواحد تلو الآخر. استمع توزيك دون أن يستطيع منع نفسه. كان يعرف الأحاديث والإشاعات مثل الجميع. لم يكن صعبًا عليه أن يدرك أن الشاب ذو الشعر الأشقر المتساقط على كتفيه، الذي كان يعضّ تفاحة، هو كايليغ، وأن عريض المنكبين هو آس، أما الذي يرتدي سترة صوفية مطرزة، فهو ريف.

تبعت فتاتان في نهاية الموكب، تسيران جنبًا إلى جنب، ممسكتين بأيدي بعضهما.
الأطول بينهما، التي كانت تمتطي جوادًا بُنيًّا، كان رأسها حليقًا كما لو كانت ضحية التيفوس، وسترتها غير المزررة كشفت عن بلوزتها البيضاء الناصعة المصنوعة من الدانتيل. عكست قلادتها وأساورها وأقراطها أضواء براقة.

"الحليقة تُدعى ميستل..." سمع توزيك أحدهم يهمس. "تُعلِّق الزينة كأنها شجرة عيد الميلاد في احتفالات يول".

"يقولون إنها أزهقت أرواحًا أكثر مما عاشت من فصول الربيع"...

"وماذا عن الأخرى؟ تلك التي تحمل السيف على ظهرها؟"

"اسمها فالكا. انضمت إلى الجرذان منذ الصيف. إنها الوافدة الجديدة"...

تفحصها توزيك بعناية، لم تكن تبدو أكبر من ابنته ميلينكا. كان شعرها الأشقر الرمادي ينسدل خصلاتٍ من تحت قبعتها المخملية الحمراء، التي زُينت بعنجهية بحزمة من ريش الطيهوج البري. حول عنقها، عُقد وشاح حريري بلون الخشخاش الملتهب، مربوطًا في شكل عقدة متقنة.

فجأة، دبّت حركة بين القرويين الذين خرجوا من أكواخهم. كان جيسيلهير قد أوقف جواده وألقى بكيس من النقود، محدثًا رنينًا عند قدمي الجدة ميكيتكا، التي كانت تستند إلى عصاها.

"حفظتك الآلهة، صغيري العزيز!" صاحت العجوز بتأثر. "ليبارككم القدر، يا حُماتنا، أنتم"...

لكن صوت ضحكة سبارك القاسية غطى على كلماتها. كانت القزمية قد وضعت قدمها اليمنى بخفة على الركاب، مدّت يدها إلى كيس النقود، ونثرت حفنة منها مباشرة نحو الحشد. تبعها آس وريف، لينهمر وابل من الفضة على الطريق الرملي. أما كايليغ، فقد ضحك وهو يرمي تفاحته المأكولة نصفها نحو الجموعِ المتدافعة.

"محسنون"!

"صقور صغيرة"!

"ليكن مصيركم سعيدًا"!

توزيك لم يركض مثل الآخرين، لم يركع ليُقلب الرمال وفضلات الدجاج بحثًا عن عملات معدنية. ظل واقفًا بجانب السياج، يراقب الفتاتين وهما تعبران ببطء.

حينها، التقت عينا الفتاة الأصغر ذات الشعر الرمادي بعينيه، فقرأت في تعابير وجهه ما لم يعجبها. تركت يد رفيقتها الحليقة، دفعت بجوادها نحوه، مندفعة صوبه بسرعة، دافعة إياه إلى السياج، وكادت ركابتها أن تمسه. رأى عينيها الخضراوين، فارتجف. كانتا باردتين، ممتلئتين بالشر والحقد.

"اتركيه، فالكا"، نادتها الفتاة الحليقة. "لا جدوى من ذلك".

اكتفت الفتاة ذات العينين الخضراوين بمنحه نظرة أخيرة، ثم أدارت جوادها، ولحقت بالجرذان دون أن تلتفت.

"الحُمَاة!"

"الصقور الصغيرة!"

بصق توزيك على الأرض.

بحلول منتصف الظهيرة، اجتاح القرية سيلٌ داهم من الفرسان السود، جنود الحامية المرعبة في "فين أسبرا". دوت حوافر خيولهم في الأرض، وصهلت الجياد بعنف، بينما تمايلت أسلحتهم محدثةً صليلًا معدنيًا ينذر بالشر. استُجوب العمدة وسكان القرية، فاختلقوا الأكاذيب ببراعة، وأرسلوا الجنود في أثر مسارٍ مضلل. لحسن الحظ، لم يلتفت أحد إلى توزيك.

عندما عاد إلى المنزل من المرعى وتوجه إلى الحديقة، سمع أصواتًا مألوفة. ميز ثرثرة التوأمين ستيلماتش وزغاربا، والصوت المتقطع لأطفال الجيران. ثم سمع صوت ميلينكا. لا بد أنهم يلعبون، فكر في نفسه. خرج من خلف كوخ الحطب... وتجمد في مكانه.

"ميلينكا!"

ميلينكا، ابنته الوحيدة الباقية، نور عينيه، كانت قد علّقت عصا خلف ظهرها بخيط، متظاهرة بأنها تحمل سيفًا. سرحت شعرها وتركته يتطاير بحرية، بينما اعتلى قبعتها الصوفية ريشة ديك نافرة. حول عنقها، ارتدت وشاح والدتها... معقودًا في انحناءة غريبة متكلفة.

عيناها كانتا خضراوين.

توزيك لم يضرب ابنته قط، لم يستخدم الحزام الأبوي يومًا.

لكنها كانت المرة الأولى.

في الأفق، انبثق وميض برق، أعقبه دوي رعد هائل. هبت ريح عاصفة، مُموجة سطح النهر الشريطي. "ستكون هناك عاصفة"، فكرت ميلفا، "والأمطار تأتي بعد العاصفة". لم تخطئ طيور الحسون. حفزت جوادها، إن أرادت اللحاق بالساحر قبل أن تهب العاصفة، فعليها أن تسرع.

"لقد عرفتُ كثيرًا من الجنود في حياتي. قادة، جنرالات، وفويفودات، منتصرين في حملات كثيرة ومعارك لا تُحصى. استمعتُ إلى حكاياتهم وذكرياتهم. رأيتهم يحدقون في خرائطهم، يرسمون عليها خطوطًا بألوان مختلفة، يضعون الخطط، يبتكرون الاستراتيجيات. في هذه الحرب الورقية، كان كل شيء يسير على ما يرام، كل شيء واضح، وكل شيء يجري وفق نسق منظم. 'يجب أن يكون الأمر كذلك،' هكذا يشرح العسكريون. 'فالجيش قائم على النظام والانضباط. لا يمكن للجيش أن يوجد دونهما'.

ومن العجيب، رغم ذلك، أن الحرب الحقيقية - وقد عرفتُ أكثر من واحدة! - فيما يتعلق بالنظام والانضباط، لا تختلف كثيرًا عن بيت دعارة اجتاحته النيران".

نصف قرن من الشعر – الشاعر دانديليون

الفصل الثاني

انسكبت أشرطة من المياه النقية الكريستالية فوق حافة الجرف في قوس رقيق، وسقطت في شلال هادر ومزبد بين الصخور السوداء كالجزع، قبل أن تتحطم عليها وتختفي وسط الزَبَد الأبيض، الذي اندفع إلى سطح مائي شاسع شفاف لدرجة أنك تستطيع رؤية كل حصاة، وكل ضفيرة من الطحالب البحرية الخضراء وهي تتراقص في التيار فوق فسيفساء متعددة الألوان.

اصطفّ على ضفتي النهر بساط من الحشائش البرية، تتنقل بينها طائر المغمس، يرش الماء بفخر وهو يكشف عن الزخرفات البيضاء على عنقه. فوق الحشائش، تلألأت الشجيرات بظلال خضراء، متدرجة إلى اللون البني والأصفر على خلفية أشجار التنوب التي بدت وكأنها مرشوشة بمسحوق فضي.

تنهد دانديليون: "حقًا إنه مكان رائع الجمال."

حاولت سمكة سلمون مرقط داكنة القفز فوق عتبة الشلال، للحظة واحدة، ظلت معلقة في الهواء، ترفرف بزعنفيها الخلفيتين قبل أن تهوي بقوة إلى الزبد الهادر.

شق البرق السماء المعتمة في الجنوب فجأة بخط متشعب، وتردد صدى الرعد الأجوف عبر جدار الغابة. بدأت فرس الويتشر الكستنائية بالرقص، وشدت رأسها للخلف، وظهرت أسنانها وهي تحاول بصق اللجام. شد جيرالت قبضته على الرسن بإحكام، فصكت الفرس بحوافرها، ورنت حدواتها على الأحجار، مستمرة في التراجع بعناد.

"هو! هوو! هل رأيت ذلك، دانديليون؟ إنها راقصة! اللعنة، لا أطيق الانتظار حتى أجد الفرصة المناسبة للتخلص من هذا الحيوان! ليذهب إلى الجحيم، سأستبدله حتى بحمار!"

حك الشاعر عنقه المتهيج من لدغات البعوض: "وهل ترى أن هذه الفرصة ستأتي قريبًا؟ هذا المشهد البري يوفر جمالية لا مثيل لها، ولكن من باب التنويع، سأكون سعيدًا بأي حانة دافئة. لقد مر أسبوع تقريبًا وأنا أُعجب بالطبيعة الرومانسية، والمناظر البعيدة، والآفاق الممتدة. أفتقد الدفء، وخصوصًا ذلك الذي يُقدَّم مع وجبة ساخنة وبيرة باردة."

استدار الويتشر في سرجه: "بالطبع، ستظل تتذمر بشأن هذا لبعض الوقت، يمكنك أن تخفف من معاناتك بمعرفة أنني أنا أيضًا بدأت أشتاق للحضارة. كما تعلم، كنت عالقًا في بروكيلون لمدة ستة

وثلاثين يومًا بالتمام. وستًا وثلاثين ليلة، حيث تجمدت مؤخرتي من برودة الطبيعة الرومانسية، وزحفت البرودة أسفل ظهري، واستقرت ندىً على أنفي... هوو! تبًا لهذه الفرس! أما زلتِ مصرة على هذه النوبات؟"

"لقد لدغتها ذبابات الخيل. الحشرات أصبحت شرسة ودموية، كما يحدث دائمًا قبل العاصفة. الرعد والوميض في الجنوب يزدادان تواترًا."

رفع الويتشر بصره إلى السماء ممسكًا بفرسه التي لا تزال ترقص: "لقد لاحظت، الرياح قد تغيرت أيضًا، تحمل رائحة البحر. لا شك أن الطقس سيتغير. علينا الانطلاق. عجّل بخيلك الصغير السمين، دانديليون."

"حصاني يُدعى بيغاسوس."

"وكأن بإمكانه أن يكون أي شيء آخر. أتدري؟ ينبغي أن نطلق اسمًا على فرسي الإلفية أيضًا. هممم..."

ضحك الشاعر "ماذا عن 'روتش'؟".

كرر الويتشر موافقًا: "روتش، اسم جميل جدًا."

"جيرالت؟"

"تحدث."

"هل سبق لك أن امتلكت حصانًا يدعى روتش؟"

قال الويتشر بعد لحظة تأمل: "لا لم أمتلك واحدًا من قبل. الآن، أسرع بحصانك الكسول، دانديليون. أمامنا طريق طويل."

تذمر الشاعر: "بالطبع. برأيك، كم ميلاً تفصلنا عن نيلفجارد؟"

"كثيرًا."

"هل سنصل قبل الشتاء؟"

"أولاً، سنصل إلى فيردين. هناك يمكننا مناقشة... بعض الأمور."

"ماذا؟ لا تحاول التخلص مني! لقد قررت أن أرافقك!"

"سنرى. كما قلت، علينا المرور عبر فيردين."

"هل هي بعيدة؟ هل تعرف هذه المناطق؟"

"أعرفها جيدًا. نحن الآن بجوار شلال سيان تريس، وأمامنا مكان يُدعى الميل السابع. التلال التي تقع خلف النهر تُعرف بتلال البومة."

"ونحن متجهون جنوبًا، عبر النهر؟ نهر الريبون يلتقي بياروغا بالقرب من قلعة ما في جوار بودروغ..."

"سنتجه جنوبًا، بمحاذاة الضفة. عندما ينعطف الريبون نحو الغرب، سنعبر الغابات. أريد الوصول إلى مكان يُدعى دريشوت، أو المثلث. هناك، تتلاقى حدود فيردين، وبروج، وبروكيلون."

"وماذا بعد ذلك؟"

"سنعبر الياروغا، باتجاه المصب. إلى سينترا."

"ثم؟"

"ثم سنرى. أما الآن، فهل يمكنك أن تُجبر بيغاسوس الكسول على زيادة سرعته قليلاً؟

* * *

فاجأتهم الأمطار أثناء عبورهم النهر، في منتصف التيار.

اندفعت أولاً عاصفة عنيفة، زوابعها عاتية كإعصار، تعصف بشعورهم وملابسهم، وتجلد وجوههم بالأوراق والأغصان التي اقتلعتها من الأشجار على ضفة النهر. صرخوا وضربوا خيولهم بالسياط يحثّونها على الإسراع نحو الضفة الأخرى، بينما كانت المياه تتلاطم حول حوافرها. وما إن اقتربوا من اليابسة، حتى هدأ الريح فجأة، وسقطت أمامهم ستارة رمادية من المطر. بدأ سطح النهر يتشقق ويفور وكأن أحدهم ألقى من السماء مليارات من كريات الرصاص.

عندما بلغوا الشاطئ بصعوبة، وجدوا أنفسهم محاصرين بوابل عنيف من المطر المنهمر عليهم بلا رحمة. سارعوا بالبحث عن ملجأ بين الأشجار، حيث شكلت الأغصان المتشابكة قبة خضراء فوق رؤوسهم، لكنها لم تكن كافية لحمايتهم من هذا السيل الجارف. تشبعت الأوراق بالماء، وانحنت

الأغصان تحت وطأته، وبعد فترة وجيزة، صار المطر يتساقط في قلب الغابة بنفس الغزارة التي يتساقط بها في العراء.

تلفّعوا بمعاطفهم ورفعوا أغطية رؤوسهم. كانت الغابة حالكة الظلمة، إلا أن البرق الذي ازداد توهجه بين الفينة والأخرى كان يمزقها بين الحين والآخر. كانت العاصفة مستعرة بلا هوادة، بلا توقف، تهدر بصخب يصم الآذان.

استبد بها الذعر بروتش، وأخذت ترفس الأرض وتدور حول نفسها، بينما ظل بيغاسوس ثابتًا في هدوء لا يتزعزع.

صرخ دانديليون محاولًا التغلب على هدير الرعد الذي تدحرج بين الأشجار كعربة عملاقة:

"جيرالت!". "فلنبحث عن مأوى!"

أجابه الويتشر بصوت مرتفع

"أين؟". "تابع التقدم!"

واصلوا طريقهم.

بعد قليل، خفّت حدة المطر، وعاد صوت الريح يهمس بين الأشجار، وتلاشى دوي الرعد الذي كان يخرق آذانهم. وجدوا أنفسهم يسيرون على درب ضيق تحفّه أشجار ألدر كثيفة، ثم خرجوا إلى فسحة صغيرة.

وسط تلك الفسحة، ارتفع شجر زان قوي، وتحت أغصانه، على بساط من الجوز البني والأوراق البرونزية، وقف عربة تجرها بغلان. كان السائق الجالس على المقعد يصوّب إليهم قوسًا مستعرضًا.

لعن جيرالت، لكن الرعد ابتلع صوته.

"اخفض القوس، كولدا"، قال رجل صغير يعتمر قبعة من القش، وهو يدير ظهره لجذع الزان، يتقافز على قدم واحدة بينما كان يزرّر سرواله. "ليسوا من كنا ننتظرهم. لكنهم زبائن. لا تهدد الزبائن. ليس لدينا الكثير من الوقت، لكن هناك دائمًا وقت قليل للمساومة!"

تمتم دانديليون خلف جيرالت: "ما هذا الهراء؟".

صرخ الرجل المعتمر القبعة: "اقتربوا، أيها السادة الجان! بلا خوف، أنا رجل يمكنكم الاعتماد عليه! N'ess and tearth! Va, seidhe. Ceádmil! (تعال هنا أيها الجان، مرحباً) أنا واحد منكم، تفهمونني، أيها الجان؟ للتجارة؟ حسنًا، تعالوا إلى هنا، تحت شجرة الزان، فالمطر لن يهطل عليكم بهذه الغزارة هناك!"

لم يتفاجأ جيرالت بهذا الخطأ. فقد كان هو دانديليون يرتديان عباءتين رماديتين كانتا ملكًا للجان. وكان جيرالت نفسه يرتدي صدرة منحته إياها الحوريات، مزينة بزخارف ورقية مميزة يحبها الجان، كما كان وجهه مغطى جزئيًا بقلنسوته، وجلس على جواد بلجام مزخرف بأسلوب جان نموذجي. أما دانديليون، ذلك المتأنق، فقد أُسيء فهمه عدة مرات وظُنّ أنه جان أو نصف جان، خاصة بعد أن بدأ في إطالة شعره حتى كتفيه، وأحيانًا يستخدم المكواة لتجعيده.

"انتبه"، تمتم جيرالت وهو يترجل عن صهوة حصانه. "أنت الآن جان. لا تفتح فمك إلا للضرورة."

"لماذا؟"

"إنهم هواكر."

شهق دانديليون بحدة. كان يعلم جيدًا من يكون هؤلاء.

كان المال يحكم كل شيء، والعرض يتبع الطلب. كانت عصابات السكوياتايل تعيش في الغابات، تنهب ما هو ثمين. لكن الغنائم لم تكن ذات فائدة كبيرة لهم، لذا كانوا يتاجرون بها مقابل العتاد والأسلحة النادرة. وهكذا، وُلدت تجارة الغابات المتنقلة، ومعها جاء الأشخاص "الطيبون" الذين يحبون المتاجرة في مثل هذه الأمور المميتة.

ظهر المضاربون الذين تعاملوا مع السناجب خِلسة، بعرباتهم في المسارات والممرات والتخوم. أطلق الجان عليهم اسم hav'caaren، وهي كلمة غير قابلة للفهم، لكنها ارتبطت بالجشع النهم. أما البشر، فقد عمّموا عليهم اسم "هواكر"، ولكن بدلالات أقبح بكثير.

كان الهواكر أناسًا سيئين، قساة لا يرحمون، لا يترددون في فعل أي شيء، حتى القتل. وإن وقع أحدهم في قبضة الجيش، لم يكن له أمل في الرحمة، لذا لم يكونوا هم أنفسهم يمنحونها لأحد. فإذا صادفوا شخصًا يمكنهم بيعه للجنود، كانوا يشهرون أقواسهم أو سكاكينهم دون لحظة تردد.

لم يكن جيرالت ودندليون في موقفٍ مُريح، لكن لحسن الحظ ظنَّ الباعةُ الجائلون أنهم من الجان. شدَّ جيرالت قلنسوته حول وجهه وأخذ يتساءل ماذا سيفعلان عند اكتشاف أمرهما.

"يا له من طقسٍ عاصف!" دعك التاجرُ يديه. "المطرُ ينهمر كأنما أحدٌ ثقبَ السماء! كم هو الطقسُ مزعج، أليس كذلك؟ تِدْ أقلي، إيليا؟ لكن لا يهم، فالبيعُ لا يعرفُ طقساً. لا وجودَ لطقسٍ جيدٍ أو سيء، تماماً كالمال... فالمالُ لا رائحةَ له، أهه؟ أفهمتَني أيها الجني؟"

أومأ جيرالت. همهم دانديليون شيئاً غيرَ واضحٍ من خلف قلنسوته. لحسن الحظ، فإن ازدراء الجان المعروفَ لحديث البشر جعلَ ردَّهما لا يثير شكاً. لكن سائقَ العربةِ لم يخفضْ قوسَه. ولم تكن تلك إشارةً طيبة.

"مَن أنتم ومن أين أتيتم؟ أي فرقةٍ تتبعون؟"

البائعُ الجائل، كأي تاجرٍ محنك، لم يثنهِ تحفُّظُ زبائنه.

"من فرقة كوينيتش دا ريوه؟ أم أنجوس بري كري؟ أم ربما ريوردان؟ أعلمُ أن ريوردانَ شوهدَ قبل أسبوعٍ يذبحُ جباةَ الضرائب الملكيين! أنا أبحثُ عن مالٍ، لا قمح. لا أقبلُ دفعاتٍ من القار أو الحبوب أو ملابسَ ملطخةٍ بالدماء... فقط فراء المنك أو السمور أو الارمين. لكن ما يُسعدني أكثرُ هو القطع النقدية أو الجواهر! إن كان لديكم شيءٌ منها، فبوسعنا التعامل. لدي بضاعةٌ من الطراز الأول! إيفلين - فارا إن آرد شيدي، إيليا، أفهمتَني أيها الجني؟ لدي كلُّ شيء. أُنظروا."

اقترب التاجرُ من العربة ورفعَ حافةَ اللوح المُبلّل. رأوا سيوفاً، وأقواساً، وأسهمًا مريشةً، وسروجاً. نقلب التاجرُ بين البضائع ويَسحبُ أحدَ الأسهم. رأسُ السهمِ مسننٌ ومُشرشر.

"لن تجدوا مثله في أي مكان،" تباهى. "قليلونَ من يبيعونه، لأن الجنودَ سيُقطّعون إرباً مَن يُضبطُ يتاجر به. لكنني أعرفُ ما يُعجب السكوياتايل، فالزبونُ مَلِك! لا تجارةَ بلا مخاطرة... طالما الربحُ ثلاثةَ أضعاف! في بلدتي... سعرُ الدزينة تسعة أورينات. آين نيفدي تڤيديان، إيليا، أفهمتَ يا صديقي؟ أؤكدُ أنها ليستَ خدعةً، فأنا بالكاد أربحُ شيئاً، أقسمُ على رؤوس أطفالي! إذا اشتريتم ثلاثَ دزيناتٍ معاً، فسأمنحكم خصماً ستةَ بالمئة! عرضٌ لمرةٍ واحدةٍ فقط... مهلاً! أيها الجني، انزلْ عن عربتي!"

تراجع دانديليون بخوف وسحب يده من فوق القماش، ثم شدّ قبعته أكثر فوق عينيه. للمرة الألف، لعن جيرالت فضول الشاعر.

"مير'مي فارا." تمتم دانديليون مقلداً لكنة الجان، رافعًا يده باعتذار."سكيواس'مي."

ابتسم البائع المتجول بسخرية. "لا إهانة، لكن لا تتطفل على العربة. هناك... همم... بضاعة أخرى، لكنها ليست للبيع، ولا للجان. هذا أمر! هيه، هيه! حسنًا، لقد وقفنا هنا كثيرًا وثرثرنا... أروني المال."

ها قد بدأنا، فكر جيرالت وهو يراقب القوس المشدود المصوب نحوه. كان لديه من الأسباب ما يكفي ليفترض أنه محشوٌّ بواحدة من أشهر "تحف" الباعة المتجولين رأس سهم متشظٍ، يدخل البطن كقطعة واحدة، لكنه يخرج من الظهر على شكل ثلاث، وأحيانًا أربع شظايا، مقطعاً الأحشاء وهو في طريقه للخروج.

"تيد ن'إيس." قال جيرالت وهو يتظاهر بلكنة جان. "تياردي. ميران فارا، فا'ين فورت. سنعود مع الكوماندو، ثم نعقد الصفقة. إل'إيا؟ أفهمتني، أيها الدهوين؟"

بصق البائع باستياء. "أفهم، أفهم أنكما بائسان، وترغبان في أخذ البضاعة بلا مقابل، لأنكما لا تملكان فلسًا واحدًا. انصرفا من هنا! ولا تعودا، لأن لديّ أشخاصًا مهمين عليّ مقابلتهم، ولن يكون في صالحكما أن تقع أعينهم عليكما. ارحلا من..."

توقف فجأة عند سماعه صهيل حصان.

"اللعنة!" تمتم بغضب. "فات الأوان! لقد وصلوا بالفعل! أخفوا وجوهكم تحت القلانس، أيها الجان! لا تتحركوا ولا تُصدروا صوتًا! كولدا، أيها الأحمق، أنزل القوس فورًا!"

كان ضجيج المطر والرعد وغطاء الأوراق المبللة قد أخفى وقع الحوافر، مما سمح للفرسان بالاقتراب بهدوء، وتطويق الزان في طرفة عين. لكنهم لم يكونوا من السكوياتايل. فالسناجب لا يرتدون الدروع، في حين أن الثمانية الذين أحاطوا بالشجرة كانوا يرتدونها. كانت الأمطار تنساب فوق خوذهم، وواقيات أكتافهم، وسلاسل دروعهم الحديدية، متلألئة تحت ومضات البرق.

أحد الفرسان اقترب من البائع المتجول ووقف فوقه كأنه جبل. كان طويل القامة بالفعل، لكنه بدا أكثر ضخامة وهو ممتطٍ جوادًا حربياً هائلًا. كانت كتفاه المدرعتان مغطاتين بفروة ذئب، ووجهه محجوبًا تحت خوذة ذات واقٍ أنفي ضخم امتد حتى شفته السفلى. في يده، أمسك بسلاح مخيف—مطرقة حرب ثقيلة.

"ريدو!" صرخ بصوت أجش.

"فاويلتيارنا!" صاح البائع، وقد انكسر صوته قليلًا.

اقترب الفارس أكثر، وانحنى في سرجه. كانت قطرات المطر تتساقط فوق أنفه الفولاذي قبل أن تنحدر نحو كتفه، ثم إلى رأس المطرقة التي لمعت بشكل ينذر بالسوء.

"فاويلتيارنا!" كرر البائع بانحناءة عند خصره، ثم خلع قبعته، فالتصق شعره الخفيف المبلل بفروة رأسه على الفور. "فاويلتيارنا! أنا واحد منكم، أعرف الشارة وكلمة السر... جئت من عند فاويلتيارنا، يا سيدي... أتيت إلى مكان الاجتماع تحت هذه الشجرة كما تم الاتفاق..."

"وهؤلاء، من يكونون؟"

"مرافقتي." انحنى البائع بعمق أكبر. "كما جرت العادة بين الجان..."

"والأسير؟"

"في العربة. داخل تابوت."

"داخل تابوت؟" أطلق الفارس ذو الخوذة زمجرة أنفية، امتزجت بصوت الرعد. "ستدفع ثمن هذا! اللورد دي ريدو أمر صراحةً أن يتم تسليم الأسير حيًا!"

"إنه حي، إنه حي!" تمتم البائع بسرعة، محاولًا تهدئة الموقف. "وفقًا للأوامر... وُضع في التابوت، لكنه حي... لم تكن فكرة التابوت فكرتي، يا سيدي. لقد كانت فكرة فاويلتيار..."

ربّت الفارس بمطرقته على ركابه. وعند هذه الإشارة، قفز ثلاثة رجال من على صهوات خيولهم، وأزالوا الغطاء عن العربة. وعندما قذفوا الأغطية والسروج والأحزمة أرضًا، رأى جيرالت، في ومضة برق خاطفة، تابوتًا صُنِع حديثًا من خشب الصنوبر. لكنه حرص على ألّا يطيل النظر. شعر بوخز بارد في أطراف أصابعه. كان يعلم تمامًا ما سيحدث تاليًا.

"ماذا عليّ أن أفعل الآن؟" قال البائع المتجول، وهو ينظر إلى كومة البضائع المبللة فوق الأوراق المبتلة. "لقد أفرغتم عربة التجار الخاصة بي!"

"سأشتري كل شيء. بما في ذلك حراسك."

"آه..." تسللت ابتسامة إلى فم التاجر الزيتوني المشوه. "بالطبع، سيكون هذا... دعني أفكر... خمسمئة إن دفعتم بالعملة التيميرية، ولكن إن دفعتم بالفورين، فسيكون السعر خمسة وأربعين."

"هل هو رخيص هكذا؟" أشاح الفارس مبتسمًا ابتسامة مشؤومة ظهرت من خلف واقي أنفه. "إذن تعال هنا."

"احذر، داندِليون." همس جيرالت، وهو يفتح بكِبْر زرّ معطفه بهدوء.

رعد.

اقترب البائع المتجول من الفارس، آملاً بسذاجة أن يتم إتمام صفقة عمره. كان من المفترض أن تكون صفقة حياته... ربما ليست الأفضل، لكن بلا شك ستكون الأخيرة. وقف الفارس في ركابه، وأخذ اندفاعته، وضرب رأس البائع الأصلع بمطرقته فسقط التاجر دون أن يصرخ، ارتعش، هزَّ يديه، ثم جرَّ كعبيه في سجاد الأوراق المبتلة. ركض أحد الفرسان نحو العربة، وألقى لجام الحصان حول عنق السائق، وشدَّها، بينما اندفع الآخر للأمام، وأنهى المهمة بخنجره.

رفع فارس آخر قوسه إلى مستوى الكتف، موجهًا سهمه نحو داندِليون. ومع ذلك، كان جيرالت قد أمسك بالفعل بسيفٍ كان قد انتزعه من عربة التاجر. من منتصف نصلِه، ورماه كالرماح. سقط رامِي السهم من على حصانه، معبِّرًا عن دهشة لا حدود لها على وجهه.

"اهرب يا داندِليون!"

التقط "بيغاسوس" خطوات "داندِليون" فقفز الشاعر باندفاع جامح نحو السرج، لكن قفزته كانت أقسى من مهارته، فلم يستمسك فوق صهوة الجواد، وطُردَ بقوةٍ إلى الأرض خلف ظهر الفرس. ومع ذلك، أنقذه سقوطه، فقد اخترق نصلُ الفارس المهاجم الهواءَ بصريرٍ حاد فوق أذني "بيغاسوس". ارتاع الفرس المخصي، تعثر، واصطدم بجواد المُعتدي.

"ليسوا من الإلف!" زأر الفارس المُرتدي الخوذة ذات واقي الأنف، بينما سلَّ سيفه. "خذوهم أحياء! أحياء!"

تردد أحد الرجال الذين قفزوا من العربة، مرتبكًا بسبب الأمر. لكن "جيرالت"، الذي أمسك سيفه بسرعة، لم يرتكب نفس الخطأ. انطفأ حماس آخر فارسين حين انهمرت عليهما نافورةٌ من الدماء. انتهز "جيرالت" الفرصة ليُجهز على الثاني، لكن الفرسان عادوا يلاحقونه. تفادى سيوفهم، مرددًا ضرباتهم ببرودة، ثم التوى فجأةً تحت ألمٍ حادٍّ في ركبته اليمنى. شعر بأنه يسقط... لكنه لم يُصب. بغتةً، رفضت ساقه التي عُولجت في "بروكيلون" أن تطيعه.

أما الرجل الذي همَّ بتحطيم جمجمته بفأسٍ من الأرض، فقد تمايل فجأةً وهو يئن وارتطم بالأرض في غلظة وكأنما دُفع بعنف. وقبل أن يسقط، رأى الويتشر سهماً طويل الريش غائراً في مغروزاً في جنب المهاجم. صرخ "دانديليون"، لكن صوته تلاشى تحت قصف الرعد المدوي.

تعلق "جيرالت" بعجلة العربة، وفي ومضة البرق العابرة، رأى فتاة بشعر كالكَتّان تخرج من الغابة، وقوسٌ في يدها. ورأى الفرسان أيضاً. لكنهم لم يروها، إذ كان أحدهم يتدلى من مؤخرة جواده، وحلقه مُمزقٌ بسهمٍ قرمزي. وأدرك الفرسان الثلاثة الباقون، بمن فيهم القائد ذو الخوذة، خطر الموقف، فهاجموا الرامية مُختبئين خلف أعناق خيولهم، ظانين أنها درعٌ كافٍ ضد السهام. لكنهم أخطأوا.

"ماريا بارينغ"، المُلقبة بـ "ميلفا"، مدت قوسها. هدأت أنفاسها، ثم ضغطت الوتر على خدها، مستعدةً.

أطلق أول المهاجمين صرخة مدوية وسقط من حصانه، عالِقًا قدمه في الركاب، ليُسحق بحوافر جواده المسننة. أما السهم التالي، فقد أطاح بالفارس الثاني تمامًا من السرج. الفارس الثالث، القائد، كان قد اقترب بالفعل. وقف في ركابه، ورفع سيفه ليُوجه ضربة. لم ترتعش ميلفا حتى. نظرت إلى مهاجمها بلا خوف، شدَّت قوسها، ومن مسافة خمس خطوات، غرزت سهمًا في وجهه، مباشرة بجانب واقي الأنف الفولاذي. اخترق السهم الخوذة، وسقطت على الأرض.

تباطأ الحصان إلى هرولة. بدون خوذته ومع جزء كبير من جمجمته مفقودًا، بقي الفارس في السرج للحظات، ثم مال ببطء وسقط في بركة ماء موحلة. صهل الحصان وركض مبتعدًا.

نهض جيرالت بصعوبة. فرك ساقه التي كانت تؤلمه، لكنها، وبشكل مفاجئ، بدت قادرة على العمل بكفاءة. كان بإمكانه الوقوف عليها دون مشكلة، بل حتى المشي. زحف دانديليون من الأرض قريبًا، دافعًا جسد الرجل ذي الحنجرة المشقوقة، الذي كان قد سقط فوقه. كان وجه الشاعر بلون الجير الحي.

اقتربت ميلفا، وسحبت سهمها من جثة الفارس القتيل.

"شكرًا لكِ"، قال الويتشر. ثم التفت إلى دانديليون وقال: "دانديليون، هذه ميلفا بارينغ. بفضلها ما زلنا على قيد الحياة".

سحبت ميلفا سهمًا آخر من إحدى الجثث، وتفحصت رأسه الدامي. تمتم دانديليون ببعض الكلمات الغامضة، وانحنى بانحناءة مهذبة، رغم أنها كانت مترددة ومرتعشة، ثم سقط على ركبتيه وتقيّأ.

"ومن يكون؟" سألت الرامية وهي تمسح رأس السهم ببعض الأوراق المبتلة قبل أن تعيده إلى جعبتها. "صديقك، أيها الويتشر؟"

"نعم. يُدعى دانديليون، وهو شاعر".

حدَّقت ميلفا إلى الشاعر الذي كان يجفف معدته الآن بلا طائل، ثم رفعت عينيها. "آه، حسنًا، الآن أفهم. ما لا أفهمه هو لماذا هو هنا يتقيأ، بدلًا من أن يجلس في بلدة ما بهدوء، يكتب أبياته الشعرية. على أية حال، هذا ليس شأني".

ميلفا مسحت وجهها المبلل بالمطر، حيث لا يزال بإمكان المرء رؤية أثر الوتر عليه. رغم أنها أطلقت عدة مرات، كان هناك علامة واحدة فقط – فقد كانت تضع الوتر في نفس الموضع بالضبط في كل مرة.

"كنتُ بالفعل في الغابة عندما بدأتم الحديث مع التاجر،" قالت. "لم أرد أن يراني هؤلاء الأوغاد، ولم يكن هناك داعٍ للاستعجال. لكن عندما وصل الآخرون وبدأت الحفلة... أسقطتَ بضعة رجال، وأنت بالتأكيد تعرف كيف تتلاعب بالسيف... لكنك أعرج، كان ينبغي أن تبقى في بروكيلون حتى تشفى ساقك تمامًا. إن تفاقمت إصابتك، فقد تلازمك العرج لبقية حياتك. أنت مدرك لهذا، بلا شك؟"

"سأعيش".

"هذا ما أعتقده بالفعل. لأنني كنتُ أتتبع أثرك على الطريق لأحذرك. لأحذرك من أن تعود أدراجك. لن يُفضي طريقك إلى شيء. في الجنوب، هناك حرب. قوات نيلفجارد تتحرك من دريشخوت إلى بروغ".

"كيف تعلمين؟"

"انظر حولك فقط،" أشارت إلى الجثث المبعثرة للرجال والخيول بحركة واسعة. "هؤلاء نيلفجارديون! ألا ترى الشمس على خوذهم؟ والتطريز على أغطية سروجهم؟ اجمع أمتعتك، علينا أن نفر، فقد يأتي المزيد من اتجاه النهر. هؤلاء الرجال أُرسلوا للاستطلاع".

"لا أعتقد،" هز رأسه، "أنهم جاؤوا للاستطلاع. لقد جاؤوا لسبب آخر".

"وما هو هذا السبب إذن، بدافع الفضول؟"

"جاؤوا من أجل هذا." أشار إلى التابوت الصنوبري الملقى في العربة، وقد تغمَّق لونه بفعل المطر. كانت الأمطار قد خفَّت الآن، ولم يعد هناك رعد. كانت العاصفة تتحرك نحو الشمال. التقط الويتشر سيفه الملقى بين الأوراق، وقفز إلى العربة، متذمرًا بصوت خافت من ألمه الذي لا يزال يذكره به ركبته.

"ساعديني في فتحه".

"ما الذي تفعله؟ الأموات يرغبون في الراحة..." صمتت ميلفا فجأة وهي ترى الثقوب المحفورة في الغطاء. "اللعنة! التاجر كان يحمل شخصًا حيًا في هذا الصندوق؟"

"إنه أسير،" قال جيرالت وهو يستخدم سلاحه لرفع الغطاء. "كان التاجر ينتظر النيلفجارديين هنا ليسلمهم إياه. لقد سمعتهم يتبادلون الإشارة وكلمة السر"...

انفتح الغطاء فجأة، كاشفًا عن رجل مُكمم الفم، مُقيدًا بأربطة جلدية مثبتة على جانبي التابوت، تمنع ذراعيه وساقيه من الحركة. انحنى الويتشر، نظر عن قرب. ثم نظر مرة أخرى، بحذر أشد. شتم بصوت منخفض.

"لحظة واحدة،" قال ببطء. "هذه مفاجأة حقًا. من كان ليتوقع ذلك؟"

"أتعرفه، أيها الويتشر؟"

ردًا على سؤالها، ابتسم جيرالت ابتسامة شريرة وهو يحدق في الأسير.

"أعيدي السكين إلى مكانها، ميلفا. لا تقطعي قيوده. هذا شأن داخلي لنيلفجارد. لا ينبغي لنا التدخل. سنتركه كما هو".

كان "دانديليون" خلفهم لا يزال شاحبًا لكن الفضولَ غلب مشاعره الأُخرى فقال:

"أَكان ماسمعتُه صوابًا؟ أتريدون ترك رجلٍ مُقيَّدٍ بالسلاسل في الغابة؟ أظنُّكم تعرفونهُ، ولديكم حسابٌ قديمٌ معه، لكنه لا يزال أسيرًا! أسيرٌ لأولئك الذين هاجمونا وكادوا يقتلوننا! عدو أعدائنا..."

توقف حين رأى الويتشر يُخرج سكّينًا من حذائه. واتسعت عينا الأسير الزرقاوان اللتان كانتا تضيقهما قطرات المطر المتتالية المتساقطة عليهما. إنحنى "جيرالت" وقطع الرباط الذي يشُد ذراعه اليسرى.

قال وهو يمسك معصم الأسير ويرفع يده المُحرَّرة:

"انظر يا دانديليون، أترى هذا الأثر على يده؟ هنا جرحته "سيري" في جزيرة "ثانيد" قبل شهر. إنه نيليفغاردي، جاء خصيصًا لخطفها، فشقت يده لتهرب منه."

همست "ميلفا" بجفاء:

"يبدو أن هذه اليد لم تُجدِ نفعًا في الدفاع عن نفسه. لكن شيءً ما لا يزال غامضًا. إن كان خطفها نيابة عن نيلفغارد، فكيف وقع في هذا التابوت؟ ولماذا أراد البائع بيعه لنيلفغارديين؟ إرفع الغِطاء عن فمه، أيها الويتشر، لعلّه يُخبرنا شيئًا."

أجاب بصوت أجشٍّ مليء بالكبت:

"لا أريد سماع صوته. يداي تتلهبان حين أراه مستلقيًا يُحدّق بي. إن نطق، لن أتمالك نفسي. لم أخبركم كل شيءٍ عنه."

قالت "ميلفا" بلامبالاة وهي تهمُّ للخروج:

"افعل ما تشاء. اضربه إن كان وغدًا، لكن بسرعة، فالوقت ضيق. النيلفغارديون قريبون، سأُجهز حصاني."

قام "جيرالت" مُطلقًا يد الأسير، الذي انتزع الغِطاء من فمه وبصقه، لكنه صَمَت. رمى الويتشر السكّين على صدره:

"لا أعرف لماذا حبسوك في هذا الصندوق، أيها النيلفغاردي. ولا أهتم. أترك لك السكّين وحريتك. انتظر أصدقاءك أو اهرب إلى الغابة، الأمر سواء."

ظل الأسير صامتًا. مكتوف اليدين والقدمين في قاع الصندوق الخشبي، بدا أكثر بؤسًا وهشاشة مما كان عليه في "ثانيد"، حيث رآه "جيرالت" جاثيًا، جريحًا، يرتعش من الخوف في بركة دماء. بدا أصغرَ سنًّا أيضًا؛ لم يُعطِه الويتشر أكثر من خمسة وعشرين ربيعًا.

قال وهو يبتعد وصوته كالرعد المكبوت:
"أَبقيتُ على حَياتِك في الجزيرة، وسأفعل ذلك الآن. لكنها المرة الأخيرة. حين نلتقي مجددًا، سأذبحك كالكلب العقور. تذكّر هذا. وإن أردت تحريض رفاقك على ملاحقتنا، خُذ التابوت معك. ستحتاجه." ثم التفت إلى دانديليون: "هيّا بنا!"

صاحت "ميلفا" وهي تعدو نحو الممر الغربي:

"أسرعوا! لا .. من هذا الطريق! الغابة! ياللعنة! إلى الغابة!"

سأل "دانديليون" بينما كانت الخيول تزمجر تحتهم:

"ماذا حدث؟"

أجابت وهي تشير إلى الأفق حيث تموج أعلام سوداء:

"جيشٌ قادمٌ من الريبون'! نيلفغارد! ماذا تنتظرون؟ اركبوا قبل أن يلحقوا بنا!"

* * *

دامت المعركة في القرية ساعةً كاملة، دون إشارةٍ على انتهائها. ظل المشاة المدافعون خلف الجدران الحجرية والعربات المُتحصَّنة يصدون هجمات الفرسان المتتالية القادمة من السد. ضيقُ السد منع الخيول من الاندفاع بقوة، مما سمح للمدافعين بتوجيه سهامهم ونبالهم كوابل من الموت على المهاجمين. مع كل موجة، يتهاوى الفرسان تحت وابل المقذوفات، ثم ينقض المدافعون في هجوم مضاد سريع، يذبحون من تبقى بفؤوسٍ وحراب. يتراجع الفرسان خلف السد، تاركين جثثًا لفرسانٍ وخيول، بينما يصرخ المدافعون بشتائمَ تُذيب الصخر. ثم يعيد الفرسان تنظيم صفوفهم... وتهدأ الساحة لبرهة، قبل أن تتكرر الكَرّة.

قال "دانديليون" بينما يمضغ خبزًا يابسًا أعطته إياه ميلفا:

"أتدرون مَن يُحارب مَن هنا؟"

كانوا جالسين على حافة جرفٍ خلف شجيرات العرعر، يراقبون المعركة بأمان. أو بالأحرى، لم يكن أمامهم خيارٌ سوى المشاهدة. أمامهم غليانُ الحرب، وخلفهم غابةٌ تَلتهمها النيران.

أجاب "جيرالت" أخيرًا بترددٍ يخفي غضبًا مُكتومًا:
"لَيسَ التخمينُ صعبًا. الفرسان نيلفجارديون."

سأل "دانديليون" بينما تشبث بسلاحه كمن يبحث عن يقين:

"والمشاة؟"

"ليسوا منهم."

قاطعتهما "ميلفا" بصوتٍ جافٍّ كصوتِ سهمٍ ينطلق:

"الفرسان متطوعون من 'فيردين'. ترى أرديتهم الملوّنة بالزركشة، أما المدافعون في القرية فهم جنود 'بروج'. أعرف رايتهم."

وبالفعل، رفع المشاةُ رايةً خضراءَ عليها صليبٌ أبيضَ على الأسوار، كأنما يُعلنون انتصارًا جديدًا. لم يلحظها "جيرالت" من قبل، لكنه لاحظ الآن أنهم رفوها بعد سقوط رايتهم الأولى في المعركة.

قال "دانديليون" وكأنما يُحدث نفسه:

"حتى متى سنظلّ جالسين هنا؟"

التفتت إليه "ميلفا" بعينين تشعان سخريةً مُميتة:

"يا له من سؤال! انظر حولك! إن لم تستطع الدوران، فتحرّك من مكانك وانظر!"

لم يحتج "دانديليون" للرد. فالأفقُ كلُّه كان مليئاً بخطوطٌ من الدخان الكثيف. الشمال والغرب تحترقان بنيران الغابة، والجنوب – حيث طريقهم – يغطيه سحابٌ أسود. حتى الشرق الذي بدأ نظيفًا قبل ساعة، صار يختنق بدخانٍ رماديّ.

توقفت "ميلفا" لحظةً تحدّق في "جيرالت"، ثم قالت بجديّةٍ نادرة:

"أريدُ أن أعرف خطتكَ الآن، أيها الويتشر. خلفنا نيلفغارد وغابةٌ ملتهبة، وأمامنا... أنت ترى بنفسك. فماذا ستفعل؟"

أجاب وهو يحدّق في الأفق الجنوبي كأنما يثقبُه بنظراته:

"خطّتي لم تتغير. سأنتظر حتى تهدأ المعركة، ثم أمضي جنوبًا. عبر نهر 'ياروجا'."

"لعلّ الجنونَ قد تملكك!" ارتسمت تجاعيدُ الغضب على جبهتها. "ألا ترى أن هذه حربٌ كاملة؟ ليست مُناوشاتٍ عابرة! نيلفغارد تتقدم من 'فيردين'، وقد اجتاحت 'بروج' بالفعل، وربما عبرت 'ياروجا'. حتى 'سودين' قد تكونُ أضحت رمادًا!"

"يجب أن أصل إلى النهر."

"ممتاز! وماذا بعد؟"

"أجدُ طوفًا، وأبحر مع التيار نحو المصبّ. ثم أجد قاربًا... يجب أن يكون هناك قارب!"

ضحكت بمرارة:

"إلى نيلفغارد؟ إذن، خطّتك لم تتغير؟"

"ليس عليكِ مرافقتي."

"بالطبع لا. والحمد لله على ذلك، فأنا لا أطلب الموت. أنا لا أخاف، لكن اسمع نصيحتي: لا تستهن بالخطر حتى لا تلاقي حتفك."

أجابَ بهدوءٍ يُخفي إعصارًا داخليًّا:

"أعلم. أفهمُ هذا. لم أكن لأسلك هذا الطريق لولا الضرورة. لكنني مُجبَر، فلا شيء يوقفني."

حدّقَت فيه "ميلفا" بعينين تُشعِران بالحيرة والاستهجان:

صاحتْ بسخريةٍ لاذعة: "ها! صوتُك يُشبه خَرْشَعةَ سكّينٍ على قاعِ قِدرٍ صدئ! لو سمِعك الإمبراطور 'إمهِير'، لأسقطَ سراويلُه رُعبًا! 'أيها الحرس! كتيبتي الإمبراطورية! الويلُ لي! الويل! الويتشرُ قادمٌ بقاربٍ ليأخذَ تاجي وحياتي!'"

قطعَ عليها بغِلاظةٍ مكبوتة:

"كُفّي، ميلفا."

"مستحيل!" اندفعتْ وكأنما تفجّر سدٌّ داخليٌّ. "حان وقتُ مواجهةِ الحقيقة. لن أسلخَ أرنبًا في حياتي بعد الآن لو كان هناك رجلًا أحمقَ منك! أتظنُّ أنك ستختطفُ الفتاةَ من 'إمهِير'؟ الفتاةَ التي انتزعها من

بين مخالبِ الملوك؟ مخالبُ 'إمهِير' لا تُفلت فريستها. حتى الملوكُ يَرتعدون منه، وأنت تريدُ انتزاعَ ما له؟"

صَمَتَ، فاستدارتْ نحوه بوجهٍ يعجَبُ لسُكونه:

"ستذهبُ إلى نيلفغارد!" هزّت رأسها بمرارةٍ أشبه بالرثاء. "لتحاربَ إمبراطورًا وتسرقَ عروسه! ألم تُفكّرْ فيما ينتظرك؟ حين تجدُ 'سيري' في قصرها الذهبيّ، مرتديةَ الحرير، ماذا ستقول؟ 'تعالي يا حبيبتي، لماذا تبقينَ هنا تحتَ العرشِ بينما نعيشُ في كوخٍ ونأكلُ لحاءَ الأشجار؟' انظرْ إلى نفسك! حتى عباءتكَ وحذاءكَ من غابَة 'بروكيلون'، أخذتَهما من جثةِ إلفٍ مات بجروحه! حين تجدُ الفتاة، ستبصقُ في وجهك وتضحكُ، ثم تأمرُ بطرحِك للكلاب!"

تصاعدَ صوتُها مع تصاعدِ زئيرِ المعركة. مئاتُ الحناجرِ تزمجرُ أسفلَ الجبل. هجومٌ جديدٌ يندفعُ من الجانبَين: فرسانُ 'فيردين' بستراتهم المربعة الزرقاء من جهةِ السدّ، وفرسانٌ بمعاطفَ سوداءَ يهاجمون من الخلف.

قالتْ "ميلفا" باختصارٍ يُذيبُ الهواء:

"نيلفغارد."

هذه المرة، لم يكن لمشاة "بروج" أيُّ فرصة. اخترق الفرسان الحواجز وشرعوا يفرقون المدافعين بسيوفهم كالنار في الهشيم. سقطت الراية بينما ألقى البعض أسلحتهم مستسلمين، وحاول آخرون الفرار نحو الغابة. لكن فصيلةً ثالثةً من مشاة خفاف بزيٍّ مُرقَّع هجمت من بين الأشجار.

همست "ميلفا" وهي تقفز إلى قدميها:

"سكوياتايل. أَفهمتَ ما يحدث الآن أيها الويتشر؟ هل وصل الأمر إلى عقلك؟ نيلفغارد وفيردين والسناجب يتآمرون معًا. هذه حرب، كتلك التي دارت في 'إيديرن' قبل شهر."

هزَّ "جيرالت" رأسه مُصرًّا:

"هذه غارةٌ للنهب. لا يوجد مشاة نظاميون، فقط فرسان..."

قاطعته بلهجةٍ حادة:

"المشاة وصلوا بالفعل إلى الحصون. أتظن أن الدخان الذي تراه ناتجٌ عن تدخين السلمون؟"

من القرية المُشتعلة، ارتفعت صرخاتُ الهاربين الذين تُطاردهم سيوف "السكوياتايل". اندلع الدخان واللهب من أكواخ القش التي جفّتها الرياح بعد المطر، فالتهمتها النيران كالوحش الجائع.

قالت "ميلفا" بصوتٍ مُرتعشٍ من الغضب:

"انظر! القريةُ التي أعادوا بناءها بعد الحرب تحترق من جديد. سنتان من الكدّ، دُمر في لحظات. أتتعلم شيئًا من هذا المشهد؟"

سأل ببرودٍ يُخفي ارتباكًا:

"وماذا أتعلم؟"

لم تُجب.

نظر جيرالت إلى الدخان المتصاعد، ثم إلى الفرسان الذين يحيطون بالأسرى، مشهد الذبح المروع انعكس في عينيه الرماديتين. كانت السيوف تلمع تحت أشعة الشمس المحتجبة خلف الغيوم، وكل ضربة كانت تسقط جسدًا آخر وسط العشب الأحمر القاني. صرخات المحتضرين لم تعد تحمل أي طابع بشري، بل كانت أقرب إلى عواء الوحوش المذبوحة.

تراجع دانديليون خطوة، وجهه شاحب كالجير. كان يرتجف، لكن ليس من البرد، بل من الرعب الذي التصق بروحه كظل لا يمكن الفرار منه. نظر إلى الويتشر، وعيناه تحترقان بأسئلة لم يجرؤ على طرحها.

"وأنت متأكد أننا يجب أن نذهب جنوبًا؟" سأل الشاعر بصوت أجش، مشيرًا إلى المشهد أمامهم. "عبر هذه النيران؟ حيث يسود هذا الذبح؟"

لم يرد جيرالت على الفور. كانت الريح تحمل معها رائحة اللحم المحترق، والصراخ بدأ يهدأ، ليحل محله طنين الموت. ميلفا وقفت بجانبه، نظراتها قاسية، يديها مشدودتان إلى قبضتي قوسها.

"الحرب ليست شيئًا جديدًا،" قالت بصوت بارد. "ولا الذبح. لكنه يحدث الآن أمام عينيك، لهذا يبدو أكثر فظاعة."

ضغط الويتشر شفتيه بإحكام، يديه قبضتا على سيفه كما لو كان يحاول العثور على إجابة في الفولاذ البارد. أخيرًا، أدار وجهه إلى دانديليون.

قال "جيرالت" بترددٍ يُخفي إصرارًا صلبًا:

"أشعرُ أننا... لا نملك خيارًا."

ردت "ميلفا" وهي تلملمُ معداتها بسرعة:

"حسنًا، يمكنني أخذكم عبر الغابات إلى 'تل البومة'، ثم العودة إلى 'كيان تريس' قرب 'بروكيلون'."

قهقهَ الويتشرُ بسخريةٍ مَريرة:

"عبر الغابات المحترقة؟ لنكونَ فريسةً للقوات التي نجونا منها بصعوبة؟"

"هذا أأمنُ من الطريق الجنوبي. 'كيان تريس' تبعد أربعة عشر ميلًا فقط، وأعرفُ المسلك."

نظرَ إلى القرية المُحترقة أسفلهم. نيلفجارديون أنهوا ذبح الأسرى، وبدأ فرقة "السكوياتايل" المُرقعون بالتحرك شرقًا.

"لا يمكنني العودة،" قالَ بصلابة. "لكنكِ تستطيعين مرافقة دانديليون إلى بروكيلون."

احتجَّ الشاعرُ بوجهٍ ما زال شاحبًا:

"لا! سأذهب معك."

أومأت "ميلفا" وهي تتعكز على قوسها، ثم التفتت فجأةً وكأنما تنازعها شيطانٌ داخلي:

"اللعنة! لقد أمضيتُ عمري أنقذُ الإلفَ من الموت. لا أستطيعُ أن أراقبَكم تقدمون على حتفكم! سأصحبكم إلى 'ياروجا'، أيها المجانين، لكن عبر الطريق الشرقي، ليس الجنوبي."

"الشرقُ أيضًا تحترق غاباته."

"سأمررُكم عبر النيران، اعتدتُ على ذلك."

"ليس عليكِ هذا، ميلفا."

"أعلم. إحزمُوا أمتعتكم! انطلقوا قبل أن يتفحمَ الجبل!" نظر الشاعر إلى ميلفا، لكنه لم يجد في وجهها أي علامة على المعارضة. مجرد فهم صامت، ومعرفة بأن الرحلة التي بدأوها لم تكن مجرد طريق عبر الأرض، بل عبر الجحيم نفسه.

لم يبتعد الرفاق الثلاثة كثيرًا. كانت خيولهم بالكاد تستطيع التحرك عبر الممرات المتشابكة بالأعشاب والشجيرات الكثيفة. لم يجرؤوا على سلوك الطرق المكشوفة، فقد كان صوت قعقعة الدروع وصليل السيوف في الأرجاء يكشف بوضوح عن وجود القوات في كل مكان. باغتهم الغسق بينما كانوا يتقدمون عبر وادٍ تملؤه الأشجار المتشابكة، فقرروا التوقف للمبيت. لم يكن المطر يهطل، وكانت السماء صافية، متوهجة بلون النار المنعكسة على الأفق.

عثروا على بقعة جافة نسبيًا، فجلسوا ولفّوا أنفسهم بالعباءات والأغطية. غادرت ميلفا لتفقد المنطقة. وما إن ابتعدت حتى بدأ دانديليون في التعبير عن فضوله الذي أثارته رامية بروكيلون الغامضة.

"هذه الفتاة بالتأكيد لا تمانع قليلًا من الإثارة"، تمتم وهو يغمغم بابتسامة جانبية. "إنك محظوظ يا جيرالت، لديك موهبة غريبة في لقاء هذا النوع من النساء. رشيقة، ممشوقة القوام، تمشي كما لو كانت ترقص. ضيقة الخصر بعض الشيء بالنسبة لذوقي، وكتفاها عريضان بعض الشيء، لكن لا تزال أنثوية، آه نعم... أنثوية بلا شك. أما هذان التفاحتان في المقدمة، ها ها... لن يطول الأمر حتى يتمزق قميصها".

"اخرس يا دانديليون".

لكن الشاعر الحالم واصل حديثه، مستغرقًا في خيالاته. "على الطريق، صادف أن لمستها دون قصد. فخذاها، أقسم لك، كأنهما من الرخام الصلب. آه يا صاح، لا بد أن أيامك في بروكيلون لم تكن مملة على الإطلاق"...

كانت ميلفا قد عادت لتوها من دوريتها، وسمعت همسات دانديليون المسرحية، وأحست بالعيون التي تطلعت إليها.

"هل كنت تتحدث عني، أيها الشاعر؟ لماذا تحدق بي حين أكون مستديرة؟ هل علق على ظهري شيء من فضلات الطيور؟"

ارتسمت على وجه دانديليون ابتسامة متكلفة، وقال بنبرة مراوغة: "نحن لا نستطيع إلا أن نعجب بمهارتك في التعامل مع القوس،" ثم أضاف وهو يومئ إلى جيرالت: "لا أظن أنك ستجدين من ينافسك في مسابقات الرماية".

"هراء، محض هراء".

رفع دانديليون حاجبيه متصنعًا الجدية، ثم ألقى نظرة جانبية إلى جيرالت وقال: "قرأت ذات مرة أن أمهر الرماة هن الزيريكانيات، أولئك المحاربات من قبائل السهوب. يقال إن بعضهن يقمن بقطع ثديهن الأيمن، حتى لا يعيق شد أوتار القوس. فالصدر، كما يقولون، يقع في مسار الوتر".

إن ذلك من اختراع الشعراء!" ضحكت ميلفا.

" يختلقون هذه الأكاذيبَ وهم فوق المراحيض وهم يُغمسون أقلامهم في أوعية قذرة ولا يصدق مثل هذا الهراء سوى الحمقى. ماذا، هل نطلق السهام من صدورنا؟ يجب أن نقف على الجانبين ونسحب الوتر حتى يصل إلى فمنا، الأمر بهذه البساطة. لا شيء يُعيق الوتر. وهذه القصص عن القطع، فهي من اختراع عقل فارغ مهووس بأثداء النساء".

قال "دانديليون" مُتظاهرًا بالإهانة:

"شكرًا لتقييمكِ العادلِ للشعراء! وشعرهم، أما بالنسبة لعلم الرماية، فإن القوس سلاحٌ جيّد. أتعلمين لماذا؟ أظن أن تطور فن الحرب سيكون في هذا الاتجاه بالضبط. في المستقبل، سنقاتل من مسافة؛ وستُخترع أسلحة بمدى بعيد، بحيث يتمكن الخصوم من قتل بعضهم البعض دون أن يروا بعضهم مطلقًا."

"هراء." لخصت ميلفا مشاعرها بكلمة واحدة. "القوس شيء جيّد، لكن الحرب هي صراع الرجل مع خصمه على مسافة قريبة، حيث يسحق الأقوى الأضعف. لطالما كان الأمر كذلك ولا يوجد سبب لتغييره. إن توقف ذلك، فإن جميع الحروب ستنتهي. حتى ذلك الحين، انظر كيف هي الحرب في تلك القرية فوق السد. آها، ما الفائدة من الحديث عبثًا؟ سأخرج في نزهة وأتفقد المكان. فالخيول تصهل كما لو أن ذئبًا يدور بالقرب..."

نظر دانديليون إليها قائلاً: "امرأة جميلة. همم... تذكّر ما قالت عندما كنا جالسين على قمة الجرف فوق جسر القرية... ألا يمكنك الاعتراف بأن كانت على صواب ولها أسبابها؟"

"أسباب؟"

تلعثم الشاعر قليلاً قائلاً: "بالنسبة لـ... سيري. فتاتنا الجميلة التي تطلق السهام أسرع من ظلها لا تبدو تفهم العلاقة بينك وبين سيري، ويبدو لي أنها تعتقد أنك تنوي التنافس مع إمبراطور نيلفجارد على يدها. هذا هو الموضوع الحقيقي لرحلتك إلى نيلفجارد."

أجاب جيرالت: "فيما يتعلق بهذا، فهي ليست على صواب، لا ولو قليلاً. إذن، كيف كان يمكن أن تكون على حق؟"

قال دانديليون: "انتظر، لا تقلق. لكن انظر إلى الحقيقة. أنت تحمي سيري وتعتبر نفسك وصيّتها، لكنها ليست فتاة عادية، يا جيرالت. إنها طفلة ملكية؛ لقد قُدِّرت لها العرش، ولا يوجد في ذلك أدنى شك. قصر، وتاج... ربما ليس ذلك الخاص بنيلفجارد؛ لا أدري إن كان إمهير سيكون أفضل زوج."

"لا. أنت لا تعلم."

فأرد دانديليون: "حسنًا، هل تعلم؟"

التفَّ "جيرالت" بغطائه، صامتًا كالقبر.

"يبدو أن لديك نظريتك الخاصة"، تمتم جيرالت بصوت خشن. "لكن لا تُجهد نفسك، فأنا أعرف ما تفكر فيه. أنك ترى أنه لا جدوى من إنقاذ سيري من المصير الذي كُتب لها منذ ولادتها. لأن سيري، بمجرد إنقاذها، ستكون مستعدة لإصدار الأوامر لخدمها بإلقائنا من على درجات القصر. فلندع هذا الحديث، حسنًا؟"

فتح دانديليون فمه ليتحدث، لكن جيرالت لم يمنحه الفرصة.

قال بصوت ازداد اضطرابًا: "الفتاة، لم تُختطف في نهاية المطاف على يد تنين أو ساحر شرير، ولم تُشترَ من قراصنة لقاء فدية. إنها لا تجلس في برج، ولا تُسجن في زنزانة، ولا تُحتجز في قفص، ولا تُعذَّب أو تموت جوعًا. على العكس، فهي تنام على أغطية من الدمقس، وتأكل في أطباق من الفضة، وترتدي الحرير والدانتيل، وتتزين بالجواهر، وقريبًا سترتدي تاجًا. باختصار، إنها سعيدة. أما ذلك الويتشر الشرير، الذي تسبب في متاعبها عن غير قصد ذات مرة، فقد عزم على تدمير هذه السعادة، أن يدوسها بحذائه المهترئ، الذي ورثه من قزم ما. أليس كذلك؟"

"هذا ليس ما قصدته"، تمتم دانديليون.

"هو لا يتحدث إليك." خرجت ميلفا فجأة من بين الظلام، وبعد لحظة من التردد، جلست بجانب الويتشر. "كان ذلك لي. كانت هذه كلماتي، الكلمات التي آلمته بها بشدة، الكلمات التي قلتها في غضب، دون تفكير... سامحني، جيرالت. أعلم كيف يكون الشعور عندما تُغرس المخالب في جرح لم يندمل بعد. أرجوك، لا تغضب. لن أكررها مجددًا. هل ستسامحني؟ هل يجب أن أتوسل إليك من أجل الغفران؟"

دون أن تنتظر إجابته أو موافقته، أمسكت بعنقه بإحكام وقبّلته على وجنته. أمسك كتفيها بقوة.

"اقتربي"، تمتم بصوت مبحوح. "وأنت أيضًا، دانديليون. معًا... من أجل مزيد من الدفء."

ساد الصمت طويلًا. في السماء الصافية المتقدة، تحركت الغيوم، حاجبةً النجوم المتلألئة.

"أريد أن أخبركم بشيء"، قال جيرالت أخيرًا. "لكن أقسموا ألا تسخروا مني."

"قل ما لديك."

"راودتني أحلام غريبة. في بروكيلون. في البداية، ظننت أنها مجرد هذيان، شيء يعبث بعقلي. فقد تلقيت بعض الضربات على رأسي عندما كنت في ثانيد. لكن حتى في الأيام الأخيرة، لا تزال الأحلام نفسها تراودني. نفس الأحلام، تتكرر بلا تغيير."

سكتَت ميلفا و دانديليون، بينما استمر جيرالت في سرد حلمه بلهجةٍ غائمةٍ بالقلق:

"سيري... لا ترقدُ تحتَ ديباجِ القصور. إنها تجوبُ قرىً متربةً على صهوة جواد... القرويون يشيرون إليها باسمٍ مجهول. الكلاب تعوي. وهي ليست وحيدة. هناك آخرون... فتاةٌ قصيرةُ الشعر تمسكُ يدها... تبتسمُ لها. لا أحبُ تلك الابتسامة، ولا ألوانَ وجهها القاسية... لكن أكثر ما يُرعبني هو الموتُ الذي يتبعُ خطاها."

احتضنتْه "ميلفا" كأنما تحاولُ إيقافَ ارتجافِه:

"أين هي إذن؟ ليست في نيلفغارد؟"

"لا أدري،" همسَ وكأنما يُصارِعُ كلماتِه. "لكن الحلمَ يتكرر. المشكلةُ أنني لا أثقُ بالأحلام."

ضغطتْ على كتفيهِ بقوة:

"إذن أنت أحمقٌ يا صائدَ الوحوش. أنا أومن بها."

"لا أدري،" كررَ بوجع. "لكن شيئًا ما يحدث. أمامها نارٌ، وخلفها فناء. يجبُ أن ألحقَ بها."

مع بزوغِ الفجر، انهمرَ المطرُ كستارةٍ لا تنتهي. ليست عاصفةً كالأمس، بل رذاذٌ خفيفٌ يلتصقُ بالأجفان. انطلقوا شرقًا، "ميلفا" تتقدمُ كظلٍّ خبير. عندما تذمر "جيرالت" بأن "ياروجا" تقع جنوبًا، صرخَت فيه:

"أنا الدليلُ هنا! اعرفُ ما أفعل!"

توقفوا عن الكلام. لم يعُدِ الاتجاهُ مهمًا. المهمُ أن يتحركوا... بعيدًا عن صرخاتِ الحربِ التي تلاحقُهم كشبح.

ركبوا في صمت، مبتلين، مرتجفين من البرد، منكمشين في سروجهم.

إلتزموا مسارات الغابات، متحاشين الطرقات، متجنبين الطرق الرئيسية. وبينما كانوا يسيرون عبر الأدغال، سمعوا وقع حوافر وضجيج الدروع على الطريق.

إبتعدوا عن هدير المعارك في قوس واسع. مرّوا بقُرى التهمتها النيران، تحولت إلى أنقاض متفحمة تتصاعد منها ألسنة الدخان الأحمر، ومستعمرات لم تعد أكثر من بقع سوداء محترقة، تخنقها رائحة الحطام اللاذعة التي غسلها المطر.

أسراب من الغربان المفزوعة كانت تتغذى على الجثث.

مرّوا بجماعات من القرويين ينوؤن بثقل أمتعتهم، هاربين من الحرب، فارّين من منازلهم المحترقة، لم يردوا عليهم سوى بوجوه شاحبة، فارغة، أعينهم غارقة في الرعب والبؤس، مطلية بعدم التصديق.

شقّوا طريقهم شرقًا، عبر النار والدخان، المطر والضباب، وبين أعينهم انكشفت لوحة الحرب الرهيبة، منسوجة بالخوف والموت.

صورةٌ مرّت أمامهم.

من بين أطلال القرى المحروقة، ارتفع عمود أسود، تبرز منه جثة معلقة رأسًا على عقب.

كان الدم يقطر من بطنه الممزق ومن عورته إلى صدره ووجهه، متخثرًا في خصلات شعره. على ظهره كانت تبرز بوضوح علامة محفورة بسكين... الرون "أرد".

"أن'جيفاري"، تمتمت ميلفا وهي تدفع خصلات شعرها الرطبة عن عنقها.

"ماذا تعني؟"

"وشاية... خائن."

صورةٌ أخرى.

حصان رمادي أبيض ذو جنب أسود، يترنح على حافة ساحة المعركة، متفادياً أكوام الجثث والرماح المغروسة في الأرض، ينهق بصوت خافت، مخيف، يجرّ وراءه أحشاءه المتدلية من بطنه المفتوح.

لم يتمكنوا من إنهائه – ففي ساحة المعركة، كان هناك ناجون متجولون، يعيثون بين الجثث، يسرقون ما تبقى.

ثم صورةٌ أخرى.

فتاة، ممددة على جانب الطريق المحروق، عارية، مضرجة بالدماء، ذراعاها ممدودتان، وعيناها الزجاجيتان تحدقان في السماء.

"يقولون إن الحرب شأن الرجال"، زمجرت ميلفا، "لكنهم لا يرحمون النساء، لا بد أن يجدوا تسلية لأنفسهم. ثم يطلقون على أنفسهم أبطالًا... يالهم من أوغاد."

"أنتِ على حق. لكن الأمر سيتغير."

"لقد تغيّرتُ أنا. هربتُ من المنزل. لم أُرِد أن أقضي حياتي في الكنس وغسل الأرضيات في كوخ. لم أُرِد أن أنتظرهم حتى يأتوا، ليشعلوا النيران في الكوخ، ويدنسوني على الأرض التي..."

لم تُكمل. بل حفزت حصانها للمضيّ قدمًا.

ثم كانت هناك صورة القرية.

دانديليون تقيّأ كل ما أكله ذلك اليوم، والذي لم يكن سوى نصف قطعة بسكويت وسردينة.

في القرية، كان جنود نيلفجارد - أو ربما السكوياتايل - قد أنهوا حساباتهم مع مجموعة من الأسرى. كان من المستحيل تحديد عدد القتلى، أو حتى تقديره. للتخلص منهم بسرعة، لم تُستخدم فقط السهام والسيوف والرماح، بل أيضًا أدوات الحطّابين التي وُجدت في المكان - الفؤوس، المناشير، والمنشار الطويل ذو المقبضين.

كانت هناك صور أخرى، لكن جيرالت، دانديليون، وميلفا لم يعودوا يتذكرونها. لقد طردوها من ذاكرتهم.

أصبحوا غير مبالين.

على مدى اليومين التاليين، قطعوا بالكاد عشرين ميلًا. لا يزال المطر يتساقط. بعد جفاف الصيف، باتت الأرض مشبعة بالمياه، وتحولت ممرات الغابة إلى مستنقعات من الطين. كانت الضبابيات الكثيفة تحجب رؤيتهم لأعمدة الدخان، لكن رائحة الحريق الكريهة كانت دليلًا على أن الجيوش لا تزال قريبة، وما زالت تُحرق كل شيء في طريقها.

لم يروا أي لاجئين. كانوا وحدهم بين الأشجار في الغابة. أو هكذا اعتقدوا.

كان جيرالت هو أول من سمع صهيل الحصان الذي يتبعهم. بوجه جامد، أدار حصانه "روتش". فتح دانديليون فمه ليتكلم، لكن ميلفا أومأت له بصمت، وأخرجت قوسها من الجعبة المعلقة بسرجها.

خرج المتطفل من بين الشجيرات. رأى أنهم بانتظاره، فتوقف بحصانه، فحل كستنائي اللون. ظلّوا هناك جامدين في صمت، لم يقطعه سوى صوت المطر.

"لقد أمرتك أن تبتعد و ألا تتبعنا." قال الويتشر أخيرًا.

كان النيلفجاردي، الذي رآه دانديليون آخر مرة داخل تابوت، مبتلًا بالمطر، وعيناه مخبأتان تحت خصلات شعره المبلل. بالكاد تعرّف عليه الشاعر. كان يرتدي درعًا من السلاسل، وسترة جلدية، ومعطفًا، بلا شك مأخوذًا من أحد القتلى بجانب عربة التاجر. لاحظ دانديليون رغم ذلك ملامح وجهه الشاب، والتي لم تزل مألوفة من مغامرتهم السابقة قرب الشاطئ، رغم اللحية التي بدأت بالكاد في الظهور على ذقنه.

"لقد منعتُك من التتبع." كرر الويتشر.

"أنا ممنوع." اعترف الشاب أخيرًا. تحدث بلا لكنة نيلفجاردية. "لكن يجب أن أفعل."

قفز جيرالت من حصانه وسلم العنان إلى الشاعر. ثم استلّ سيفه.

"انزل." قال الويتشر بهدوء. "أرى أنك قد تمكنت بالفعل من الحصول على قطعة حديد. هذا جيد. لم أتمكن من قتلك حين كنت عاجزًا. الآن الأمر مختلف. انزل."

"لن أقاتلك. لا أريد ذلك."

"كنت أتوقع ذلك. مثلك مثل جميع أبناء وطنك، تفضل نوعًا آخر من القتال. مثل الذي في القرية، الذي لابد أنك مررت به وأنت تتبع أثرنا. انزل، كما قلت."

"أنا كاهير ماور ديفرين آيب كيلاخ."

"لم أطلب منك أن تعرفني بنفسك. أمرتك أن تنزل."

"لن أنزل، لا رغبة لي في القتال."

"ميلفا," أومأ الويتشر تجاه الرامية. "أسدي لي خدمة، اقتلي الحصان الذي يركب عليه."

"لا!" رفع النيلفجاردي يده قبل أن تتمكن ميلفا من وضع السهم على وتر قوسها. "لا، من فضلك، سأنزل."

"أفضل. والآن اسحب سيفك، أيها الفتى."

عقد الشاب ذراعيه على صدره.

"اقتُلني إن أردت. أو إذا كنت تفضل، أخبر هذه الجنية أن تصيبني بسهمها. لن أقاتلك. أنا كاهير ماور ديفرين ... ابن كيلاخ. أريد... أريد أن أنضم إليكم."

"لابد أنني لم أفهم بشكل صحيح. كرر."

"أريد أن أنضم إليكم. أنتم في طريقكم للبحث عن الفتاة، أريد مساعدتكم في البحث عنها كما أحتاج المساعدة."

"هذا جنون," قال جيرالت وهو يتجه نحو ميلفا و دانديليون. "إنه يعاني من الجنون. نحن نتعامل مع مجنون."

"سيكون مناسبًا في رفقتنا إذًا،" تمتمت ميلفا. "سيكون مناسبًا تمامًا."

"فكر في عرضه، جيرالت." سخر دانديليون. "بعد كل شيء، هو نبيل نيلفجارد. ربما يسهل علينا الوصول إلى..."

"ابقِ لسانك تحت السيطرة." قاطعهم الويتشر بحدة. "استمر، اسحب سيفك، أيها النيلفجاردي."

"لا، لن أقاتل. وأنا لست نيلفجاردي. أنا من فيكوفارو، واسمي..."

"لا يهمني ما اسمك. اسحب سلاحك."

"لا."

"ويشر،" انحنت ميلفا على سرجها، وتفلتت منها بصقة على الأرض.

"الوقت يمضي، ونحن مبتلون حتى العظم. النيلفجاردي لا يريد أن يقف أمامك، وعلى الرغم من أنك تتظاهر بالقسوة، أشك بشدة أنك ستقتله بدم بارد. هل سنظل واقفين هنا إلى الأبد؟ سأضع سهمًا في بطن حصانه ونواصل طريقنا. لن يستطيع متابعتنا."

قفز كاهير، ابن كيلاخ، قفزة واحدة وأمسك بحصانه الكستنائي، قفز إلى السرج واندفع راكضًا، يصرخ للحصان كي يسرع. نظر إليه الويتشر للحظة، ثم صعد على حصانه "روتش"، وركب في صمت. دون أن يلتفت إلى الوراء.

"يجب أنني بدأت أشيخ." تمتم بعد لحظة، عندما لحقت "روتش" بحصان ميلفا الأسود. "يبدو أنني بدأت أشعر بالندم."

"آه، حسناً، يحدث هذا عندما تكبر في السن." نظرت إليه الرامية برفق. "ديكوتيون العسل سيساعد. في هذه الأثناء، ضع وسادة على سرجك."

"الندم." شرح دانديليون بجدية، "هذا ليس مثل البواسير، ميلفا. لديك فكرة خاطئة."

"ومن الذي كان سيفهم هراءك على الفور! وأنت تتحدث باستمرار، ولا حتى تعرف ذلك! اذهب، اذهب!"

"ميلفا،" سأل الويتشر بعد لحظة، وهو يحمي وجهه من المطر بينما يركب بسرعة. "هل كنتِ ستقتلين حصانه حقًا؟"

"لا." اعترفت، لكنها ترددت قليلاً. "الحصان ليس مذنبًا. وحتى هذا النيلفجاردي... لماذا كان سيتبعنا؟ لماذا قال إنه يجب عليه ذلك؟"

"لا أعرف، ولن أُدهش إن كنت أعرف."

استمر المطر في الهطول عندما انتهت الغابة فجأة ووجدوا أنفسهم على طريق ضيق، يلتوي عبر التلال من الجنوب إلى الشمال. أو من الشمال إلى الجنوب، حسب وجهة نظرهم. وما رأوه على الطريق السريع لم يفاجئهم. لقد رأوا كل هذا من قبل. عربات مقلوبة ومكسورة، خيول ميتة، حقائب متناثرة، سراويل وسلال. أشكال مكسورة، مجمدة في أوضاع غريبة، والتي كانت حتى وقت قريب كائنات بشرية.

اقتربوا أكثر، وبدون خوف، لأن من الواضح أن المذبحة لم تحدث اليوم، بل بالأمس أو قبل يومين. كانوا قد تعلموا كيفية التعرف على هذه الأشياء، وربما شعروا بالفعل بغريزة حيوانية، التي تم تنشيطها وتحسسها فيهم على مدار الأيام الماضية. كانوا قد تعلموا أيضًا استكشاف ساحة المعركة، لأنه في بعض الأحيان، نادرًا ما تمكنوا من العثور بين الأمتعة على طعام قليل أو كيس من العلف.

توقفوا بجانب آخر عمود من العربة، التي ضربها البرق واستقرت في الخندق، متكئة على محورها المكسور. تحت العربة كانت هناك امرأة قوية البنية، عنقها منحني في وضع غير طبيعي. كان طوق عباءتها، الذي ابتل بالمطر، مغطى ببقع دم متجمد من أذنها التي تمزقت من القرط. على القماش الذي كان يغطي العربة، كانت هناك كلمات مكتوبة: "فيرا لوينهاوبت وأبناؤها." لكن لم يكن هناك أي أثر لكلمة "أبناء".

قالت "ميلفا" بشفاهٍ مُزمَّمة:

"لم يكونوا فلاحين. هؤلاء تجارٌ من 'ديلينجن' في الجنوب، كانوا في طريقهم إلى 'بروج'. هُوجموا هنا. الوضعُ خطيرٌ يا صائدَ الوحوش. ظننتُ أننا ننعطف جنوبًا، لكنني الآن حائرة... 'ديلينجن' و'بروج' تحت سيطرة نيليفغارد. لن نصل إلى 'ياروجا' من هنا. يجبُ أن نتوغل شرقًا عبر 'تورلوه'، حيث الغاباتُ بريةٌ ومهجورة. الجيشُ لن يسلك ذلك الطريق."

احتجَّ الويتشرُ بغِلظة:

"لن أتجه شرقًا. يجبُ أن أصل إلى النهر."

أجابتْ بهدوءٍ مُفاجئ:

"ستصل إليه. لكن هذا الطريقُ أكثر أمانًا. إذا اتجهنا جنوبًا من هنا، سنقع في فكّ نيلفغارد. لا فائدةَ من المخاطرة."

"سنكسب الوقتَ بالجنوب!" زمجر. "التجول شرقًا مضيعةٌ له. لا أستطيع..."

قطعَه "داندليون" فجأةً وهو يُدير حصانه:

"صمتًا! أتسمعون؟"

"ماذا؟"

"أسمع... غناءً."

هزَّ "جيرالت" رأسه، بينما ضحكتْ "ميلفا" بسخرية:

"هل تُهيأ لكَ ذلك أيها الشاعر؟"

"اصمتوا! أحدٌ ما يُغني، أؤكد لكم! ألا تسمعونه؟"

نزع "جيرالت" قلنسوته، وأصغتْ "ميلفا". بعد لحظة، التفتت إليه مُومئةً. كان الشاعرُ محقًّا. أذنه الموسيقية لم تخنه. في قلب الغابة الممطرة، بين الجثث المُبعثرة، وصلتهم أصواتُ أغنيةٍ مَرِحة. من الجنوب، كان أحدٌ يقتربُ يُغني بنشاطٍ وابتهاج.

همَّتْ "ميلفا" بالفرار، لكن الويتشرَ أشار لها بالبقاء. الأغنيةُ لم تكن تهديدًا. ليست أناشيدَ الجنودِ الإيقاعية، ولا غناءَ الفرسان المُتبجح. كانت شيئًا غريبًا، لا ينتمي لمشهد الموت هذا.

همس المطرُ بين الأوراق. بدأوا يُميزون الكلمات:

"أيها الطريقُ الطويل،
احملني حيثُ تُريد!
فوقَ ظهري حقيبةٌ،
وفي قلبي أغنيتي!"

كانت أغنيةً مَرِحة، باهتةً وسطَ الحرب، كفراشةٍ ترفرفُ فوق جثث.

هل ترى بجوار الأحراش، ذئبًا في عزّ بطشه،

يبتسم بجنون، ويهز ذنبه طربًا، يقفز فرحًا.

آهٍ ما أروع المنظر! لماذا لا حزن ولا كآبة؟

لا بد أنه لم يتزوج بعد، لذا تراه مُغتبطًا!

أم-تا، أم-تا، أوهو-ها!"

انفجر (دانديليون) ضاحكًا فجأة، انتشل العود من معطفه المُبتل، متجاهلًا همهمات (جيرالت) و(ميلفا) الاستنكارية، نقر على الأوتار وغنى بصوت عالٍ:

"هل ترى في الأعشاب، ذئبًا يعرج وحيدًا،
ينظر للأسفل، جبينه مُكفهر، يعوي كالكلب الأسود.
لماذا بهذا البطل الجبار كل هذا الوهَن؟
لا بد أنه تزوّج حديثًا أو خطب بغير تأن!"

"هو-هو-ها!" أجاب جوقة من الأصوات القريبة.

انفجر الجميع بقهقهة عالية، وصفر أحدهم بإصبعه نغمة حادة،ثم ظهرت من خلف منعطف الطريق مجموعة غريبة لكنها خلابة، تسير في صف واحد، تنثر الوحل تحت وقع دَوسٍ إيقاعي من أحذية ثقيلة.

"أقزام"، همست (ميلفا). "لكنهم ليسوا من (سكوياتايل). لحاهم غير مُشعثة."

كانوا ستة. يرتدون الزي المعتاد للأقزام: معاطف بنية قصيرة ذات قلنسوة، بألوان رمادية متدرجة وبُنيَةٍ مَعدنية لامعة.

هذه المعاطف -كما يعرف (جيرالت)- أصبحت على مر السنين مُشبعةً بالقار وغبار الطرق، وبقايا الطعام الزيتية، مما أكسبها ميزة مقاومة الماء تمامًا.

هذه القطعة العملية من الملابس تنتقل من الأب إلى الابن البكر، لذا لا يرتديها عادةً إلا الأقزام الناضجون.

ويبلغ القزم النضج عندما يصل لحيته إلى حزامه، وهذا يحدث عادةً في الخامسة والخمسين من العمر.

لم يبدُ أي من القادمين أصغر من ذلك. لكنهم لم يبدوا أكبر أيضًا.

"إنهم يقودون بشرًا"، تمتمت (ميلفا) مُشيرة إلى مجموعة مُتجهمة تخرج من الغابة خلف الأقزام الستة.

"لا شك أنهم لاجئون، يحملون حزمًا مثقلة."

"الأقزام أنفسهم مُثقَلون"، قال (دانديليون).

في الحقيقة، كان كل قزم يحمل حِمْلًا قد يُجبر حتى الفرس على الركوع تحت ثقله.

إلى جانب الأكياس والأغلفة المعتادة، رأى (جيرالت) صناديق مُقفلة،

ومرجلًا نحاسيًا، وما بدا كخزانة صغيرة ذات أدراج.

أما أحدهم فكان يحمل على ظهره عجلة عربة!

الأول السائر في المقدمة لم يحمل أي أمتعة. كان يرتدي فأسًا صغيرًا على حزامه، وسيفًا طويلًا في غمده على ظهره ملفوفًا بجلود الغزلان، وعلى كتفه ببغاء أخضر بريش مُبتلٍ ومنكوش. كان هذا القزم هو من بادر بالتحية.

"طاب نهاركم!" زأر بوقفةٍ متحدية في وسط الطريق، يداه على خصره.

"الأيام صارت أحرى أن تلقى ذئبًا في الغابة من إنسان، وإن اضطررت، خيرٌ أن تستقبله بقوسٍ نِشابٍ لا بكلماتٍ مُترفة! لكن من يحييكم بأغنيةٍ مصحوبةٍ بموسيقى، فهذا رجلٌ جدير بالثقة! أو... امرأة، اعتذاري أيها السيدة الفاضلة! أنا زولتان شيفاي."

"أنا جيرالت"، قدم نفسه الويتشر بعد تردد خفيف. "ومُغني الأغنية دانديليون. وهذه ميلفا."

"أمًّا لعين الررر-رعوا!" نعب الببغاء.

"أطبق منقارك!" زمجر زولتان شيفاي.

"اعذرونا. هذا الطائر ذكي لكنه وقح. دفعت عشرة تالرات ثمناً لهذه النادرة. اسمه المشير دودا. وهؤلاء رفاقي: مونرو برويس، يازون فاردا، كاليب ستراتون، فيجيس ميرلوزو، وبيرسيفال... شوتينباخ."

لم يكن بيرسيفال شوتينباخ قزمًا. من تحت قلنسوته المبتلة، بدلاً من لحيةٍ كثيفة، برز أنفٌ طويلٌ مدببٌ يفضح هوية صاحبه كواحدٍ من العرق العريق للـ(جنوم).

"أما الباقون"، أشار زولتان شيفاي إلى المجموعة القريبة التي لحقت بهم وتوقفت على مسافة. "هم لاجئون من كيرنو. كما ترون، نساءٌ فقط مع أطفالهن الرُّضَّع. كانوا أكثر عددًا، لكن قوات نيلفغارد هاجمتهم قبل ثلاثة أيام، وذبحت البقية. وجدناهم في الغابة، والآن نسير معًا."

تجرأ الويتشر بالتعليق: "مع ذلك تسيرون بجرأة على الطرقات وتصرخون بأعلى أصواتكم."

قال القزم وهو يلعب بلحيته: "لا أعتقد أن المشي والبكاء خيار أفضل. من ديلينجن سرنا عبر الغابات، بهدوء وحذر. وبمجرد أن مرت القوات، خرجنا إلى الطريق لتعويض الوقت." ثم توقف، ناظرًا إلى ساحة المعركة.

وأشار إلى الجثث قائلاً: "لقد اعتدنا على هذه المشاهد. من ديلينجن وحتى اليروجا، لا يوجد سوى الموت على الطرقات... هل كنتم جزءًا من هذه القافلة؟"

"لا. لقد قتل النيلفجارديون بعض التجار قبل أن نصل إلى هنا."

هزّ القزم رأسه بنفي، محدقًا في الجثث بنظرة باردة وقال: "لم يكن النيلفجارديون. بل السكوياتايل. الجنود النظاميون لا يكلفون أنفسهم عناء انتزاع سهامهم من الجثث. رأس السهم الجيد يكلف نصف تاج."

تمتمت ميلفا: "إنه يعرف عمّا يتحدث."

"إلى أين أنتم ذاهبون؟"

قال جيرالت فورًا: "إلى الجنوب."

هزّ زولتان تشيفاي رأسه مجددًا، وقال: "لا أنصح بذلك. هناك الجحيم، النار والدمار. ديلينجن ربما سقطت بالفعل، وفرسان الظلام سيعبرون اليروجا قريبًا، وسيسيطرون على الوادي بأكمله من الضفة اليمنى. كما ترى، هم بالفعل أمامنا، وفي الشمال يتقدمون نحو بروج. لذا، الاتجاه المعقول الوحيد للهروب هو الشرق."

ألقت ميلفا نظرة ذات مغزى على الساحر، الذي امتنع عن التعليق.

تابع زولتان تشيفاي قائلًا: "نحن أيضًا متجهون شرقًا. الفرصة الوحيدة هي الاختباء خلف الجبهة، فالجيش التيميري سيأتي من الشرق، من نهر إينا. ومن هناك سنتجه إلى التلال، عبر ممرات الغابات. سنذهب أولًا إلى تورلو، ثم نتابع عبر الطريق القديم بمحاذاة نهر شوتلا حتى سودين، حيث يصب في الإينا. إذا رغبتم، يمكننا السفر معًا. هذا إن لم تكن وتيرتنا البطيئة تشكّل لكم مشكلة. فأنتم تمتطون الخيول، أما نحن، فإن تقدمنا يتباطأ بسبب اللاجئين."

قالت ميلفا وهي تنظر إليه بحدة: "أعلم أن القزم، حتى مع الأمتعة، يمكنه قطع ثلاثين ميلاً في اليوم. أي ما يقارب ما يقطعه الرجل على ظهر حصان. أنا أعرف الطريق القديم. لولا اللاجئون، لكنتم قد وصلتم إلى شوتلا في غضون ثلاثة أيام."

نفخ زولتان تشيفاي لحيته ونفخ صدره قائلاً: "لكن هؤلاء نساء وأطفال. لا يمكننا أن نتركهم لمصيرهم. أتريدين أن تقولي غير ذلك؟"

قال الساحر: "لا." ثم أضاف: "لن نقول ذلك."

أومأ زولتان برضى: "يسعدني سماع ذلك. إذن، هل نسير معًا؟"

نظر جيرالت إلى ميلفا، فأومأت برأسها.

قال زولتان تشيفاي مؤكدًا: "جيد. لننطلق إذن قبل أن تباغتنا دورية. ولكن أولاً... يا زون، مونرو، فتشا العربات. إن كان هناك شيء مفيد نجا، فاحملوه بسرعة. فيجيس، تحقق مما إذا كانت عجلتنا تناسب تلك العربة الصغيرة، ستكون مثالية لنا."

صرخ القزم الذي كان يجر العجلة: "إنها تناسب تمامًا! كأنها الأصلية!"

قهقه زولتان وقال: "أرأيت، يا رأس الخروف؟ كنت تشكك بالأمس عندما قلت لك أن تأخذها! ركّبها حالًا! ساعده، كاليب!"

في زمن قياسي، أُعيدت عربة الراحلة فيرا لوفينهاوبت إلى الطريق، وقد جُهزت بعجلة جديدة، وجُردت من الأغطية والمقتنيات غير الضرورية. في لحظة، تكدست الأمتعة بداخلها. وبعد تفكير، أمر زولتان تشيفاي بترك مساحة للأطفال ليجلسوا فيها. نُفذ الأمر بتردد، فقد لاحظ جيرالت أن اللاجئين ظلوا يحافظون على مسافة بينهم وبين الأقزام، ولم يكونوا راغبين في التخلي عن أطفالهم بسهولة.

راقب دانديليون المشهد باشمئزاز واضح، بينما كان قزمان يجرّبان ملابس انتُزعت من الجثث. أما الآخرون فبحثوا بين العربات، لكنهم لم يجدوا شيئًا يستحق عناء الاستيلاء عليه.

صفر زولتان تشيفاي بإصبعيه، مشيرًا إلى انتهاء عملية الجمع، ثم ألقى نظرة خبيرة على "روتش"، و"بيغاسوس"، والجواد الأسود الخاص بميلفا.

قال بامتعاض وهو يجعد أنفه: "خيولكم عديمة الفائدة. فيجيس، كاليب، إلى المحور الأمامي. سنأخذ الأدوار في الجر. إلى الأمام!"

كان جيرالت متأكدًا من أن الأقزام سيضطرون إلى التخلي عن العربة عندما تعلق في المسارات الموحلة، لكنه كان مخطئًا. فقد كانوا أقوياء كالثيران، كما أن الطرق المؤدية إلى الغابات لم تكن عشبية أو موحلة بشكل يعوق المسير. ظل المطر يهطل بلا انقطاع. كانت ميلفا متجهمة المزاج، وحين تتحدث، فإنما تفعل ذلك لتتذمر من أن حوافر الخيول قد تتشقق في أي لحظة.

رد عليها زولتان تشيفاي بلعق شفتيه قائلاً إنه خبير في إعداد لحم الخيل، ما زاد من غضب ميلفا.

حافظوا على تشكيل ثابت أثناء المسير، حيث كانت العربة في المنتصف. سار زولتان أمامها، بينما امتطى دانديليون جواده بيغاسوس إلى جانبه، منشغلاً بمشاجراته مع الببغاء. أما جيرالت وميلفا، فقد تبعوهما، ومن خلفهما جاءت النساء الست من كيرنو، يجررن خطاهن بصمت.

أما الدليل فكان بيرسيفال شوتنباخ، ذلك الغنوم ذو الأنف الطويل. وعلى الرغم من أن حجمه وبنيته كانا أصغر من الأقزام، إلا أنه لم يكن يقل عنهم قوة، بينما فاقهم جميعًا في خفته ورشاقته.

خلال المسير، لم يتوقف عن الجري هنا وهناك، ينبش في الأدغال، يندفع إلى الأمام ويختفي، ثم يظهر فجأة متوترًا، ملوّحًا بإشارات غريبة تشبه حركات القردة، ليطمئنهم بأن الطريق آمنة ويمكنهم مواصلة التقدم.

في بعض الأحيان، كان يعود مسرعًا ليبلغ عن العقبات في المسار. وكلما رجع، كان يقدم للأطفال الأربعة الجالسين في العربة حفنة من التوت الأسود أو المكسرات، أو نوعًا غريبًا من الدرنات التي كانت على ما يبدو شهية للغاية.

واصلوا المسير بوتيرة بطيئة بشكل مريع، واستغرق تقدمهم ثلاثة أيام. لم يصادفوا الجيش، ولم يروا دخانًا أو نارًا. ومع ذلك، لم يكونوا وحدهم. فقد أبلغهم الكشاف بيرسيفال عدة مرات عن وجود مجموعات من اللاجئين مختبئين في الغابة. مرّوا ببعض هذه المجموعات بسرعة، إذ لم يكن الفلاحون، المسلحون بالشوك والعصي، مشجعين على أي تواصل.

طُرحت فكرة التفاوض مع هؤلاء الفلاحين وترك مجموعة النساء من كيرنو بينهم، إلا أن زولتان عارض ذلك بشدة، وأيدته ميلفا. لم تبدُ النساء أيضًا متحمسات لفكرة المغادرة.

الأمر الذي جعل الوضع أكثر غرابة هو أنهنّ، رغم بقائهن، كنّ يتحاشين الأقزام ويبدين نحوهم قدرًا من التحفظ والنفور، ممزوجًا بالخوف. بالكاد تحدثن إليهم خلال فترات الاستراحة، وكنّ يقفن على الهامش.

عزا جيرالت سلوكهنّ إلى الفاجعة التي نجون منها حديثًا، لكنه لم يستبعد أن يكون السبب أيضًا هو أسلوب الأقزام المتحرر. إذ كانوا يشتمون بألفاظ نابية بشكل متكرر، وكان للببغاء، المارشال الميداني دودا، قاموسه الأكثر بذاءة. كما أنهم كانوا يغنون أغنيات فاحشة، يساندهم فيها دانديليون بحماس. لم يترددوا في البصق، أو التمخط في أصابعهم، أو إطلاق الريح بصخب، يتبع ذلك عادة ضحكات عالية ونكات ومسابقات طريفة.

أما قضاء الحاجة، فكان لديهم عرف خاص: لم يجدوا داعيًا للذهاب بعيدًا إلى الأدغال من أجل الأمور البسيطة، في حين كانوا يأخذون عناء البحث عن مكان منعزل للحاجات الأكبر. غير أن هذا السلوك استفز ميلفا أخيرًا، فوبّخت زولتان بشدة ذات صباح، عندما تبول بلا اكتراث على رماد النار التي ما زالت دافئة، غير آبه بالحاضرين حوله.

تفاجأ زولتان من هذا التوبيخ، وردّ مدافعًا عن نفسه بأن أولئك الذين يتخفّون في الأدغال لأمر طبيعي هم في العادة مخبرون ومتآمرون، وهذا يجعل كشفهم أمرًا سهلًا.

لكن هذا التبرير البليغ لم يكن له أي تأثير على ميلفا. فقد انهالت على الأقزام بوابل من الشتائم، لم تخلُ من تهديدات واضحة. يبدو أن كلمتها كانت نافذة، إذ بدأ الجميع بعدها يذهب إلى الأدغال لقضاء حاجاتهم بصمت وطاعة. ولكن، خشية أن يُنظر إليهم كمتآمرين غادرين، صاروا يذهبون في مجموعات.

أما دانديليون، فقد تغير تمامًا وسط هذه الرفقة الجديدة. بدا وكأنه وُلد بينهم، فقد انسجم مع الأقزام كواحد منهم، خصوصًا بعدما تبيّن أن بعضهم قد سمع عنه سابقًا، بل ويحفظ بضعة أبيات من قصائده. لم يعد يفارق زولتان، وارتدى سترة مبطنة حصل عليها من الأقزام، كما استبدل قبعته الريشية الممزقة بقبعة من فرو السمور، مما جعله يبدو كواحد من الأوغاد.

أما الحزام العريض المبطّن بالنحاس، فقد غرز فيه سكينًا تلقّاه كهدية، مما منحه مظهرًا يشبه قطاع الطرق الحقيقيين. لكن السكين كانت لها عادة سيئة؛ إذ كانت توخزه في فخذه كلما انحنى. لحسن حظه، فقد خسر تلك الخنجر "القاتل" سريعًا، ولم يحاول استبداله بآخر.

تجولوا بين الغابات الكثيفة التي غطّت منحدرات تورلوغ. بدت الغابات وكأنها ميتة؛ لم يكن هناك أي أثر للحيوانات، إذ يبدو أنها فزعت من الجيوش وفرّت. لم يكن هناك ما يمكن صيده، لكنهم لم يواجهوا خطر الجوع بعد، فقد كان الأقزام يحملون معهم مؤنًا وافرة. غير أن الأعداد الكبيرة للأفواه الجائعة سرعان ما استنزفت الإمدادات.

عند حلول الظلام بالكاد، اختفى مونرو برويس ويزون فاردا، حاملَين معهما كيسًا فارغًا. وعندما عادا في الصباح، كانا يحملان كيسين ممتلئين. الأول كان مليئًا بعلف الخيول، أما الثاني فقد احتوى على حبوب مجروشة، دقيق، لحم بقري مجفف، قرص جبن بالكاد لُمس، وحتى "كيندزيوك" عملاق، وهو نوع فاخر من النقانق المحشوة بأحشاء البقر، مضغوطة بين لوحين يشبهان منفاخ إشعال النار.

كان جيرالت يستطيع أن يخمّن بسهولة مصدر هذه الغنائم، لكنه لم يعلّق على الفور، بل انتظر اللحظة المناسبة. وعندما انفرد بزولتان، سأله بكل تهذيب إن لم يكن يرى خطأً في سرقة لاجئين آخرين، يعانون الجوع مثلهم ويصارعون للبقاء.

أجابه القزم بجدية، قائلًا إنه يشعر بالعار، لكنه يعتبر الأمر جزءًا من الطبيعة.

وأوضح قائلًا:

"رذيلتي الكبرى هي طيبتي المفرطة التي لا يمكن كبحها. لا أستطيع إلا أن أفعل الخير. لكنني أيضًا قزم عقلاني، وأدرك أنني لا أستطيع نشر إحساني على الجميع. لو حاولت أن أكون صالحًا مع كل العالم، وكل الكائنات فيه، سيكون الأمر أشبه بقطرة ماء عذب في بحر مالح... مجرد جهد ضائع. لذا، قررت أن أتخذ خطوة حاسمة، حتى لا يذهب إحساني هباءً. أنا صالح لنفسي، ولمحيطي المباشر فقط."

لم يطرح جيرالت أي أسئلة أخرى.

خلال إحدى محطات الاستراحة، تحدّث جيرالت وميلفا لفترة طويلة مع زولتان تشيفاي، ذلك القزم العنيد والمُحسن القهري. كان مطلعًا جيدًا على مجريات الحرب، أو على الأقل، كان يُوحي بذلك.

قال، بينما كان يحاول عبثًا إسكات الببغاء دودا، الذي كان يشتم بصوت عالٍ:

"الهجوم جاء من درايسشوت. بدأ عند الفجر في اليوم السابع بعد احتفال لاماس. جيش فيردان سار إلى جانب نيلفجارد، لأن فيردان، كما تعرفان، أصبحت الآن محمية إمبراطورية. تقدموا بسرعة، تاركين وراءهم القرى في رماد، من درايسشوت إلى بروج، وقضوا على الجيش المتمركز هناك. أما المشاة السود التابعون لنيلفجارد، فقد تمكنوا من التسلل عبر الياروغا حين لم يكن أحد يتوقعهم، واستولوا على قلعة ديلينغن. بنوا جسرًا عائمًا من القوارب في نصف يوم... هل يمكنكما تصديق ذلك؟"

"نحن نصدق أي شيء الآن." تمتمت ميلفا. "هل كنت في ديلينغن عندما بدأ كل هذا؟"

"كنا في المنطقة." أجاب القزم بمراوغة. "عندما وصلتنا أخبار الغزو، كنا بالفعل في طريقنا إلى بروج. كانت الطرق في حالة مروعة، مليئة بالفارين واللاجئين، بعضهم يهرب من الجنوب إلى الشمال، وآخرون يفعلون العكس. ازدحمت الطرق وسدّت علينا السبيل. تأكد لنا أيضًا أن نيلفجارد كانت خلفنا وأمامنا في آنٍ واحد. أولئك الذين انطلقوا من درايسشوت قد انقسموا. شعرت بطريقة ما أن قوة كبيرة قد اتجهت شمال شرقًا، صوب مدينة بروج."

"والسود الآن شمال تورلوغ بالفعل. نحن في المنتصف، على أرضٍ محايدة."

"في المنتصف، نعم." اعترف القزم. "لكن ليس على أرضٍ محايدة. فِرَق الإمبراطورية يحيط بها السناجب ومتطوعو فيردن ومجموعات أخرى متناثرة، وهم أسوأ حتى من جنود نيلفجارد. هؤلاء هم من أحرقوا كيرنو، لكنهم فشلوا في القبض علينا، وتمكنا بالكاد من الفرار إلى الغابة. لذا من الأفضل ألا نُخرج أنوفنا من هنا. يجب أن نكون حذرين. سنصل إلى الطريق القديم، ثم نتبع نهر شوتلا حتى نهر إينا، وهناك سنجد جيش تيميريا. ربما تكون قوات الملك فولتيست قد استعادت توازنها بعد المفاجأة وستُظهر للنيلفجارديين بعض المقاومة."

"آمل ذلك." قالت ميلفا، ونظرت إلى الويتشر. "المشكلة أننا لدينا أمورٌ عاجلة في الجنوب. كنا نفكر في التوجه جنوبًا من تورلوغ، نحو الياروغا."

"لا أعلم ما الذي يدفعكما إلى الذهاب في ذلك الاتجاه." قال زولتان وعيناه تلمعان بريبة. "لا بد أنها أمورٌ بالغة الأهمية حتى تخاطرا بحياتكما من أجلها."

توقف قليلًا، وانتظر، لكن لم يبادر أحد لشرح الأمر. حكّ مؤخرته، سعل وبصق.

"لن أُفاجأ" قال أخيرًا، "إن كان النيلفجارديون قد بسطوا سيطرتهم بالفعل على ضفتي الياروغا ومصب نهر إينا. أين تحديدًا تريدان أن تكونا على ضفاف الياروغا؟"

"لا مكان بعينه." قرر جيرالت الرد. "فقط أريد الوصول إلى النهر والعثور على قارب للإبحار إلى المصب."

نظر إليه زولتان وضحك، لكنه توقف فورًا عندما أدرك أن الأمر ليس مزحة.

"يجب أن أعترف،" قال بعد لحظة، "أنك تحلم إن كنت تعتقد أنك ستصل إلى هناك. من الأفضل أن تتخلى عن هذه الفكرة. كل جنوب بروج مشتعل، وقبل أن تصل إلى الياروغا، ستكون إما مُعلقًا على رمحٍ أو في طريقك إلى نيلفجارد. وحتى لو حدثت معجزة ونجحت في الوصول إلى النهر، فلا فرصة لديك للإبحار إلى المصب. لقد أخبرتك عن الجسر العائم الذي أقيم من سينترا إلى ضفة بروج. هذا الجسر يخضع لحراسة مشددة ليلًا ونهارًا، ولا يعبره شيء سوى أسماك السلمون ربما. عليك أن تتخلى عن فكرة مهمتك العاجلة والمهمة، لأنها لن تكون كذلك بعد الآن. نصيحتي لك؟ لا تحاول القفز أعلى مما تستطيع."

كانت تعابير وجه ميلفا تدل على أنها توافق القزم. أما جيرالت، فلم يكن لديه ما يقوله. شعر بإحباط شديد. كان هناك ألم خفيف يشبه أسنانًا غير مرئية، غير حادة، تعض عظام ساعده الأيسر وركبته اليمنى، يزداد سوءًا بسبب الإرهاق والرطوبة المستمرة. لكنه أيضًا كان يعاني من إحساس آخر أكثر إزعاجًا. إحساس غريب، لم يختبره من قبل، ولم يكن قادرًا على التعامل معه.

كل ما شعر به كان العجز والاستسلام.

بعد يومين، توقفت الأمطار، وأشرقت الشمس على وجهه. تحررت الغابة من الضباب الذي تلاشى بسرعة، وعادت للحياة مجددًا، وبدأت الطيور في الغناء، ناسية صمتها خلال الطقس السيئ. ابتهج زولتان وأمر بتوقف طويل، ووعد بأن المشي سيكون أسهل بعد ذلك، وأنهم سيصلون إلى الطريق القديم خلال يوم على الأكثر.

جففت النساء من كيرنو ملابسهن السوداء والرمادية على الأغصان المحيطة، مختبئات في الأدغال بملابسهن الداخلية على استحياء، وهن يلتهمن وجباتهن. أما الأطفال الرثّو المظهر، فركضوا وهم يلعبون، مشوشين السكون المهيب للغابة المتبخرة. كان دانديليون نائمًا، مستغرقًا في راحته. أما ميلفا، فقد اختفت.

استراح الأقزام، لكنهم لم يتوقفوا عن النشاط. خرج فيغيس ميرلوتزو ومونرو برويس بحثًا عن الفطر. بينما تمدد زولتان، ويزون فاردا، كاليب ستراتون، وبيرسيفال شوتنباخ بالقرب من العربة، يلعبون لعبتهم الورقية المفضلة "الخاسر"، التي كانوا يكرسون لها كل لحظة فراغ، حتى في الأمسيات الممطرة.

كان الويتشر أحيانًا يشاركهم اللعب ويشجعهم، كما كان يفعل الآن. لم يستطع أبدًا فهم القواعد المعقدة للعبة، لكنه كان مفتونًا بالبطاقات نفسها، فقد كانت مرسومة بشكل متقن وجميل. مقارنة بأوراق اللعب البشرية، كانت هذه تحفًا فنية حقيقية في الطباعة.

كرر جيرالت قناعته بأن التقنيات التي يستخدمها الأقزام كانت متقدمة جدًا ولم تقتصر على التعدين والصلب وصناعة المعادن. لكنه أدرك أيضًا أنه رغم قدراتهم، لم يحتكروا سوق الألعاب لأن البشر كانوا يفضلون لعب النرد، كما أن المقامرين لم يبدوا اهتمامًا كبيرًا بالجماليات.

كان المقامرون من البشر، كما لاحظ جيرالت في أكثر من مناسبة، يلعبون دائمًا في صناديق مهترئة وقذرة لدرجة أنه قبل وضعها على الطاولة، كان عليهم فصلها عن أصابعهم بصعوبة. أما الأشكال المرسومة على البطاقات، فكانت رديئة لدرجة أنه لم يكن من الممكن التمييز بين السيدة والولد إلا لأن الولد كان يجلس على حصان، رغم أن الحصان كان أشبه بابن عرس أعرج.

الصور على أوراق اللعب القزمية لم تكن تحتوي على مثل هذه الأخطاء. الملك المتوّج كان ملكًا بحق، والسيدة كانت فاتنة ومغرية، أما الفارس، الذي كان يحمل رمحًا معقوفًا، فقد زُين بشارب مائل بخبث. في لسان الأقزام، كانت هذه الشخصيات تُعرف بأسماء هرافال، فاينا، وباليه، لكن حين كان زولتان ورفاقه يلعبون، كانوا يستخدمون الأسماء الشائعة لدى البشر.

سطعت الشمس، وتبخر الندى عن الغابة، بينما كان جيرالت يشجع اللاعبين.

كانت القاعدة الأساسية في لعبة "المغدور" شبيهة بمزاد للخيول في السوق، إذ كان التوتر والانفعال يبلغان ذروتهما في أصوات اللاعبين. الزوج الذي يقدّم أعلى "سعر" يحاول جمع أكبر عدد ممكن من الأدوار، بينما يبذل الفريق الثاني جهده لمنعه بكل وسيلة. كانت اللعبة تُلعب بصخب وعنف، وكل لاعب كان يجلس وبجانبه هراوة ضخمة. نادرًا ما كانوا يستخدمونها، لكن التلويح بها كان شائعًا.

"كيف يمكنك لعب هذه اللعبة بذلك العقل الفارغ؟ هل أصابك الصمم؟ تراهن على الصولجانات بدلًا من القلوب؟ ماذا بعد؟ هل أغني لك أوبرا أيضًا؟ أقسم أنني يجب أن آخذ عصاي وأحطم رأسك الأحمق!"

"كان لدي أربعة صولجانات وفارس، ظننت أنني أملك أفضل رهان!"

"أربعة صولجانات! إلا إذا كنت قد حسبت معها عضوك التافه وأنت تمسك الأوراق في حجرك! فكّر قليلًا، ستراتون! هذه ليست جامعة، إنها مجرد لعبة ورق! حتى خنزير يمكنه سرقة عمدة إذا حصل على أوراق جيدة. وزّع الأوراق، فاردا."

"قلوب مزدوجة."

"أيها الوغد الصغير!"

"لقد لعب ملكه بالفعل، ولطّخ سراويله. صولجانات مزدوجة!"

"مغدور!"

"لابد أنك تحلم، كالب. مغدور مزدوج هناك! ما رهانك؟"

"حمولة من القلوب!"

"أرفع! هاا! وماذا الآن؟ لا أحد يرد؟ لا أحد يجرؤ؟ افتح، فاردا. بيرسيفال، إذا رمشت بعينك في اتجاهه مرة أخرى، سأضربك على عينيك لدرجة أنك لن تستطيع إغلاقهما حتى يحل الشتاء!"

"صولجانات."

"الملكة!"

"ويليها الملك! ملكتك في مأزق! أنا الفائز، ها ها! ولا يزال لدي شيء أحتفظ به ليوم ممطر! فارس، ملك، زوج من..."

"وعشرة من الورق الرابح! من يستغل الفرصة، نقطع..."

"تبًا! أوه، زولتان؟ هل أصبحت ضعيفًا؟"

"أيها القزم اللعين. لو كنت أنا، لأخذت هذه الهراوة و..."

قبل أن يتمكن زولتان من رفع هراوته، شقّ صرخة حادة أجواء الغابة.

قفز جيرالت أولًا، وسبّ وهو يركض، إذ عاد الألم يلسع ركبته مجددًا. خلفه مباشرة اندفع زولتان شيفاي، ممسكًا بسيفه الملفوف بجلده من فوق العربة. تبعه بيرسيفال شوتنباخ وبقية الأقزام، مسلحين بهراواتهم، وفي الخلف لحق بهم دانديليون، الذي أيقظه الصراخ المدوي.

من الجانب الآخر، ظهر فيغيس ومونرو، وألقيا بسلال الفطر أرضًا، ثم أمسك كلاهما بالأطفال المذعورين الذين كانوا يفرون. أما ميلفا، فقد ظهرت فجأة، تسحب سهمًا من جعبتها، وتصوّب القوس نحو مصدر الصرخة.

لكن الأمر لم يكن يستدعي ذلك. جيرالت كان قد سمعه، رآه، وعرف ما هو.

كانت الطفلة التي صرخت فتاة نحيلة، لا تتجاوز الثامنة أو التاسعة، تغطي وجهها النمش، وتنسدل على كتفيها ضفيرتان صغيرتان. كانت متجمدة في مكانها، على بعد خطوات قليلة من كومة من جذوع الأشجار المتعفنة.

انقض جيرالت بسرعة، أمسكها من تحت ذراعها، قاطعًا صراخها الجامح، وبزاوية بصره التقط الحركة بين الأخشاب المتحللة. تراجع بخفة، مصطدمًا بـ زولتان ورفاقه الأقزام.

أما ميلفا، التي رأت أيضًا الحركة بين الجذوع، فقد شدّت وتر قوسها.

"لا تطلقي النار!" همس جيرالت بصوت حاد. "خذوا الصغيرة بعيدًا بسرعة. وعودوا للخلف، لكن بهدوء. لا تقوموا بأي حركة مفاجئة."

في البداية، بدا وكأن أحد الجذوع المتعفنة قد تحرك من تلقاء نفسه، كأنه دبّ فيه نبض الحياة فجأة، يسعى للفرار من أشعة الشمس إلى ظلال الأشجار. لكن بعد نظرة أدق، ظهرت تفاصيله المروعة: أربع أزواج من الأرجل الرفيعة، متصلة بصدفة قذرة، مرقطة، ومقسمة إلى قطع، أشبه بدرع متهالك.

"اهدؤوا." كرر جيرالت بصوت خافت. "لا تستفزوه. لا تنخدعوا بسكونه الظاهري. إنه ليس عدوانيًا، لكنه قادر على الحركة بسرعة فائقة. وإن شعر بالتهديد، فسوف يهاجم، وسمّه لا علاج له."

زحف المخلوق ببطء فوق الجذوع، يراقب دانديليون والأقزام، يدور ببطء، وعيونه الجاحظة تتابعهم بثبات. بالكاد تحرك. راح يصقل أطراف أرجله، يرفعها واحدة تلو الأخرى، يتفحصها بعناية، كاشفًا عن فكّيه الحادّين المخيفين.

"كل هذا الصراخ"، قال زولتان بلهجة جامدة، واقفًا بجانب ويتشر. "ظننت أن شيئًا رهيبًا قد حدث. كأن تكون كتيبة فرسان فيردن، أو أحد صائدي الجوائز. ثم نتفاجأ بهذا القشري العملاق. لا بد أن نعترف، أن للطبيعة أشكالًا غريبة."

"لا، لا أعترف بذلك." قال جيرالت وهو يحدق في المخلوق. "ما يجلس هناك يُدعى رأس العين. إحدى بقايا الفوضى. أثر محتضر من زمن ما قبل تقاطع العوالم، إن كنت تفهم قصدي."

"طبعًا، أفهم." نظر القزم في عينيه. "رغم أنني لست ويتشر، إلا أنني أعرف عن الفوضى وهذه المسوخ. لكن الفضول يقتلني، ماذا ستفعل بهذا الأثر؟ بل الأهم، كيف ستفعل ذلك، يا قاتل الوحوش؟ هل ستستخدم سيفك الخاص، أم تفضّل السِيهيل خاصتي؟"

"سيف جميل." ألقى جيرالت نظرة على النصل، الذي استله زولتان من غمده المطلي بالورنيش والمغطى بجلد الأيائل. "لكنني لن أحتاجه."

"غريب." كرر زولتان، عاقدًا حاجبيه. "إذن سنقف هنا نتأمله فقط؟ ألا يشعر الأثر بالتهديد؟ أم أنك تفكر في العودة وطلب المساعدة من النيلفجارديين؟ ماذا تقترح، أيها الصياد؟"

"أحضر لي المغرفة وغطاء القدر من العربة."

"ماذا؟"

"لا تجادل مع المختص، يا زولتان." قال دانديليون بابتسامة ساخرة.

شَقَّ بيرسيفال شوتنباخ طريقه نحو العربة، وبلمح البصر أحضر الأدوات المطلوبة. ألقى ويتشر نظرة ماكرة على رفاقه، ثم بدأ يضرب المغرفة على غطاء القدر بكل قوته.

"كفى! كفى!" صرخ زولتان شيفاي بعد لحظات، ضاغطًا يديه على أذنيه. "تبًا لك، ستتلف المغرفة! القشري اللعين فرَّ هاربًا!"

"ويا له من هروب!" هتف بيرسيفال بحماس. "ارتفعت الغبار خلفه! الجو رطب، ورغم ذلك خلّف وراءه سحابة من التراب، أقسم بلحيتي!"

جيرالت، بهدوء المعتاد، أعاد الأدوات المطبخية المتضررة للأقزام، ثم قال شارحًا: "إن رأس العين لديه حاسة سمع مشوهة وحساسة للغاية. ليس له آذان، لكنه يستمع بطريقة ما، مستخدمًا جسده بالكامل. وعلى وجه الخصوص، لا يحتمل الأصوات المعدنية. يشعر بألم شديد عند..."

"حتى من أحشائه!" قاطعه زولتان متجهمًا. "أعرف ذلك لأنني شعرت بالأمر أيضًا عندما بدأت بالضرب على الغطاء. إن كان الوحش يملك سمعًا أكثر حساسية مني، فأنا أشفق عليه. لكنه لن يعود إلى هنا، صحيح؟ لن يُحضر أصدقاءه؟"

"لا أعتقد أن هناك الكثير من أمثاله ما زالوا على قيد الحياة. أما هذا، فلن يعود إلى هذه المنطقة قريبًا. لا داعي للقلق."

"الوحوش جانبًا..." قال القزم بعبوس. "عزفك الموسيقي على أدوات الطبخ سُمع على الأرجح حتى في جزر سكيلجا، وربما يكون بعض عشاق الموسيقى في طريقهم إلينا الآن. من الأفضل ألا نكون هنا حين يصلون. احزموا المعسكر، أيها الفتية! هيا، أيتها النسوة، ارتدين ملابسكن، واجمعوا الأطفال! هيا، تحركوا!"

عندما توقفوا لقضاء الليل، قرر جيرالت أخيرًا توضيح بعض الأمور التي كانت تؤرقه. لم يكن زولتان شيفاي يبدو وكأنه ينوي لعب جولة من الورق، لذا لم يجد الويتشر صعوبة في جذبه إلى مكان منعزل لإجراء حديث بين رجلين. بدأ الحديث دون مواربة.

قال: "أخبرني، كيف عرفت أنني ويتشر؟"

لمعت عينا القزم وهو يبتسم بمكر. قال: "يمكنني أن أتباهى أمامك ببصيرتي الحادة. يمكنني أن أقول إنني لاحظت كيف يتغير لون عينيك عند الغسق مثل الشمس. كما يمكنني أن أذكر أنني جبت العالم كثيرًا وسمعت الكثير عن جيرالت من ريفيا. لكن الحقيقة أكثر بساطة من ذلك. لا تحدق إليّ بتلك النظرة المهددة، أيها الذئب. قد تكون كتومًا، لكن صديقك الشاعر يثرثر ويغني، ولا يُغلق فمه أبدًا. هكذا عرفت مهنتك."

امتنع جيرالت عن طرح سؤاله التالي. وكان محقًّا في ذلك.

تابع زولتان: "حسنًا، حسنًا. دانديليون أفشى بكل شيء. لا بد أنه شعر بأننا نقدّر الصراحة، وأننا متعاطفون معك. لم يكن بحاجة إلى اختبارنا، فنحن لا نخفي طبيعتنا. باختصار: أعلم لماذا يجب أن تتجه إلى الجنوب بهذه السرعة. أعلم بأمرك العاجل والمهم الذي يقودك إلى نيلفجارد. وأعلم من الذي تبحث عنه هناك. وليس بسبب ثرثرة الشاعر وحدها. لقد عشت في سينترا قبل الحرب، وسمعت القصص عن طفل المفاجأة والويتشر ذي الشعر الأبيض الذي تربطه به الأقدار."

لزم جيرالت الصمت.

أضاف القزم: "أما البقية، فهي مسألة ملاحظة. أنت ويتشر، قاتل وحوش، ومع ذلك، تركت ذلك المسخ الكريه يهرب. لم يفعل الوحش شيئًا سوى إخافة الطفلة، لذا أنزلت سيفك، وبدلًا من أن تقتله، ضربت غطاء القدر. لأنك لم تعد مجرد ويتشر، بل فارس نبيل يهرع لإنقاذ العذارى المختطفات أو المضطهدات."

ظل الويتشر صامتًا.

قال زولتان، وهو يواصل حديثه غير متأثر بصمت جيرالت: "أنت تخزني بنظراتك. ويبدو أنك تخشى أن أخونك. وتتساءل كيف يمكن لي أن أستغل هذا السر ضدك. لا تعذب نفسك. سنذهب معًا إلى إينا، وسنساعد بعضنا بعضًا. نحن نواجه نفس المصير: البقاء على قيد الحياة والمضي قدمًا. سواء كان ذلك لمواصلة المهمة النبيلة، أو لمجرد العيش، ولكن بطريقة لا تجعلنا نخجل في ساعة الموت. تعتقد أن كل شيء قد تغير. أن العالم قد انقلب رأسًا على عقب. ومع ذلك، هذا العالم هو نفسه. وأنت كما كنت. لا تعذب نفسك."

استأنف زولتان حديثه: "انسَ فكرة الانفصال عنا. تخلى عن رحلتك الطويلة والوحدة إلى الجنوب، عبر بروج وسودين وصولًا إلى ياروجا. عليك أن تبحث عن طريق آخر إلى نيلفجارد. وإذا كنت تريد، سأرشدك..."

قاطع جيرالت حديثه وهو يفرك ركبته التي لم تفارقه آلامها منذ أيام: "لا حاجة، احتفظ بنصائحك، زولتان."

وجد دانديليون يلعب الورق وسط هتافات الأقزام المبتهجين. دون أن ينبس ببنت شفة، أمسك الشاعر من كمه وسحبه نحو الغابة. أدرك دانديليون على الفور ما يحدث، فقد كانت نظرة واحدة إلى وجه الويتشر كافية لفهم الأمر.

قال جيرالت بصوت خافت: "أيها الببغاء... الثرثار... ذو الفم الكبير. ينبغي لي أن أقتلع لسانك، أيها الأبله. تحتاج إلى لجام يكبحك."

ظل الشاعر صامتًا، لكن ملامحه بقيت هادئة.

تابع الويتشر: "عندما علم الناس لأول مرة أنك ترافقني، ذُهل بعض العقلاء. استغربوا كيف أسمح لك بالسفر معي. نصحوني بأخذك إلى مكان منعزل، وخنقك، وسرقة نقودك، ثم إخفاء جثتك في جوف شجرة تحت بساط من الأوراق. والآن، نادمُ حقًا أني لم أصغِ إليهم."

"أهو إفشاءٌ لسرٍّ عظيم أن نبوح بمن نكون وإلى أين نحن ذاهبون؟"

فجأةً، انفجر دانديليون غاضبًا: "هل ينبغي لنا أن نشكَّ في الجميع ونتظاهر طوال الوقت؟ هؤلاء الأقزام... إنهم رفاقنا..."

زمجر قائلاً: "ليس لديَّ رفاق. لا أملكهم، ولا أريد أن أملكهم، ولا أحتاج إليهم. هل تفهم؟"

قالت ميلفا من خلفه: "بالطبع، هو يفهم. وأنا أفهم. أنت لا تحتاج إلى أحد، أيها الويتشر. لطالما أظهرت ذلك."

استدار نحوهما بحدة: "أنا لا أخوض حربًا شخصية. هؤلاء الرفاق لا لزوم لهم لأنني لا أتجه إلى نيلفجارد لإنقاذ العالم أو لإسقاط الإمبراطورية الشريرة. أنا ذاهب للبحث عن سيري. لهذا يجب أن أذهب وحدي. سامحوني إن بدا هذا قاسيًا، لكن لا يهمني أي شيء آخر. والآن، ارحلوا. أريد أن أبقى وحدي."

وعندما استدار بعد لحظات، وجد دانديليون قد مضى.

قال بصوت جاف: "راودني الحلم مجددًا. ميلفا، أنا أضيع الوقت. أنا أضيع الوقت! إنها بحاجة إليّ، تحتاج إلى المساعدة."

قالت بهدوء: "أخبرني. أخرج ما في صدرك. حتى لو كان الحلم مريعًا، أخبرني."

تنهد قائلاً: "لم يكن مريعًا. في حلمي... كانت ترقص. ترقص في كوخ يغمره الدخان. وكانت، تبًا لها، سعيدة. كانت الموسيقى تعزف، وأحدهم يصرخ... الكوخ كله يهتز تحت وطأة الصيحات والموسيقى... وكانت ترقص، ترقص، وتدقُّ بقدميها... وفوق ذلك السقف اللعين، في برودة الليل، كان الموت يرقص أيضًا.

ميلفا... ماريا... إنها تحتاج إليّ."

أشاحت ميلفا بوجهها، همست بصوت بالكاد يُسمع: "ليست الوحيدة."

عند المحطة التالية، أبدى الويتشر اهتمامًا بسيف زولتان، الـ"سيهيل"، والذي كان قد ألقى عليه نظرة عابرة أثناء المواجهة مع ذو العين الواحدة. دون تردد، جرد القزم السلاح من جلود الأيل وسحبه من غمده.

بلغ طول السيف نحو أربعين بوصة، ولم يزن أكثر من خمسة وثلاثين أوقية. غطّت نصلَه نقوشٌ رونية غامضة منحتْه لونًا مزرقًّا، وكان حادًا كالموسى. بقليل من التمرس، كان بالإمكان الحلاقة به. أما المقبض، فكان طوله اثنتي عشرة بوصة، ملفوفًا بشرائط من جلد السمندر، تعلوه سدادة نحاسية أسطوانية الشكل تعمل كقبضة، ثم تأتي الحاشية، رغم صغرها، إلا أنها كانت مزخرفة بإتقان.

قال جيرالت وهو يدور بالسيف، فأطلق صفيرًا وهو يمرره في لمح البصر من يده اليسرى إلى اليمنى باستخدام إصبعين: "شيء رائع." ثم تابع: "في الواقع، إنه قطعة جميلة من الحديد."

شخر بيرسيفال شوتنباخ ساخرًا: "قطعة حديد! ألقِ عليه نظرة أفضل، لأنك بعد لحظة ستقول إنه قطعة فجل!"

قال جيرالت ببرود: "لقد امتلكتُ سيفًا أفضل من هذا."

هز زولتان كتفيه وقال: "ولا أنكر ذلك. لأنه، بلا شك، جاء من ورشنا. أنتم، أيها الويتشرز، تجيدون التلويح بالسيوف، لكنكم لا تصنعونها. لا تُصنع إلا في ماهكام، تحت جبل كاربون."

أضاف بيرسيفال: "الأقزام يُصلّبون الفولاذ، ويشكّلون الطبقات الأساسية. أما نحن، الجنوم، فنتولى النقش والتشطيب. في ورشنا. باستخدام تقنيتنا الخاصة، كما صنعنا قديمًا الغويهيرات، أفضل سيوف العالم."

جرّد جيرالت نصل سيفه وقال: "أما هذا السيف الذي أحمله الآن، فقد جاء من بروكيلون، من سراديب كرايج آن. حصلت عليه من الحوريات. إنه سلاح من الطراز الأول، ومع ذلك، ليس قزميًّا ولا جنوميًّا. إنه نصلٌ إلفيّ، يعود إلى مئة أو مئتي عام."

"ليس لديه أدنى فكرة، اللعنة!" صرخ الجنيّ، ممسكًا بالسيف ويمرر أصابعه على نصله. "التشطيب إلفيّ، نعم. المقبض، الحاشية، والقبضة كذلك. بل وحتى النقوش والزخارف كلها إلفية. لكن النصل... لقد تم صقله وتشكيله في ماهكام. ومن الصحيح أنه قد صُنع قبل بضعة قرون، لأن الأمر واضح جدًا، الفولاذ أقل جودة، والصناعة أكثر بدائية. ها، ضع سيهيل زولتان بجانبه، هل ترى الفرق؟"

قال جيرالت وهو يتفحص السيفين: "أرى. لكن لا يبدو لي أن سيفي أقل جودة في الصنع."

شخر الجنيّ ولوّح بيده، بينما ارتسمت ابتسامة فخر على وجه زولتان.

أوضح زولتان بنبرة معلمٍ قدير: "الفرق لا يكمن فقط في قطع النصل أو الشعور به بين يديك. المسألة هي أن سيفك مجرد مزيج بسيط من الفولاذ والحديد، بينما نصل سيهيلي قد صُنع من سبيكة مكررة من الغرافيت والبورق..."

لم يستطع بيرسيفال كبح حماسه، فقاطعه وقد اشتعل حماسًا مع دخول الحديث في مجال خبرته: "تقنية حديثة! إن بناء النصل يتكوّن من عدة طبقات، نواة طرية محاطة بفولاذ صلب، وليس العكس..."

قاطعه القزم رافعًا يده: "تمهل، تمهل، شوتنباخ. إنه ليس خبير معادن، فلا تزعجه بالتفاصيل المملة. سأشرحها له ببساطة. الفولاذ الجيد، أيها الويتشر، الفولاذ الصلب، الماغنيتيت، من الصعب جدًا شحذه. لماذا؟ لأنه صلب! عندما لا تكون لدينا التقنية اللازمة—كما كان الحال لدينا سابقًا، وهو حالكم اليوم—فإننا، للحصول على شفرة حادة، نضطر إلى تغليف الحواف بطبقة من الفولاذ الطري، الأسهل في المعالجة. هذا هو الأسلوب الذي صُنع به سيف بروكيلون الخاص بك. أما الشفرات الحديثة، فتصنع بطريقة معاكسة: نواة طرية، وحواف صلبة. هذه المعالجة تستغرق وقتًا طويلاً، وكما قلت، تتطلب تقنية حديثة. لكن النتيجة؟ نصلٌ قادر على قطع منديل من الكامبريك في الهواء."

سأل جيرالت بفضول: "وهل يمكن لسيهيلك فعل ذلك؟"

ابتسم القزم وقال: "لا. عدد السيوف المصنوعة بهذه الطريقة يمكنك أن تعدّه على أصابع يدٍ واحدة، ولم يغادر سوى القليل منها ماهكام. لكنني أضمن لك شيئًا—ذلك السلطعون القذر الذي واجهناه البارحة لم يكن ليصمد أمام سيهيلي. قشرته لم تكن لتشكل أي مقاومة تُذكر. كنت ستقطّعه إربًا دون أي جهد يُذكر."

استمر الحديث عن السيوف وعلم المعادن لفترة من الزمن. استمع جيرالت باهتمام، وشارك تجاربه الخاصة، وانتهز الفرصة لإثراء معرفته، مستفسرًا عن هذا وذاك، متفحصًا سيهيل زولتان ويختبره. لم يكن يعلم أنه في اليوم التالي تمامًا، سيضطر إلى تطبيق النظرية عمليًا.

كان أول دليل على وجود أناس في المنطقة هو كومة مرتبة بدقة من رقائق اللحاء، والتي لمحها بيرسيفال شوتنباخ بجانب الطريق أثناء تقدمه في مقدمة المجموعة.

أوقف زولتان الموكب وأرسل الجنيّ للاستطلاع. اختفى بيرسيفال، وبعد نصف ساعة عاد مندفعًا بأقصى سرعته، متحمسًا ولاهثًا، ملوحًا بيده من بعيد. وحين وصل إليهم، لم يتحدث على الفور، بل أمسك بأنفه الطويل بين أصابعه ونفخ بكل قوته، منتجًا صوتًا شبيهًا بنفير راعٍ.

"لا تفزع الحيوانات!" صاح زولتان تشيفاي. "وتحدث. ماذا وجدت أمامنا؟"

لهث الجنيّ وهو يمسح أصابعه على معطفه المليء بالجيوب: "قرية صغيرة، في فسحة الغابة. ثلاث أكواخ، وحظيرة، وسقيفة، وبعض الأقفاص... كلب يجري في الساحة، ومدخنة تنفث الدخان. يُعدون الطعام، عصيدة، حليب، والمزيد."

ضحك دانديليون ساخرًا: "ماذا، هل كنت في المطبخ؟ هل ألقيت نظرة في القدور؟ كيف عرفت أنها عصيدة؟"

نظر إليه الجنيّ بنظرة متفوقة، بينما شخر زولتان غاضبًا.

"لا تُهِنْهُ، أيها الشاعر. إنه يعرف رائحة الطعام على بعد ميل. إن قال إنها عصيدة، فهي عصيدة. تبًا، حتى أنني لا أحبها."

تدخل دانديليون، متصنعًا الدهشة: "لماذا لا؟ أنا أحب العصيدة. سأكون سعيدًا بتناولها."

قالت ميلفا محذرة: "زولتان على حق. وأنت اصمت، دانديليون، فالأمر ليس شاعريًا. إن كان هناك حليب في العصيدة، فهذا يعني أن هناك بقرة. وأي فلاح، عند رؤية أدخنة النيران، كان ليأخذ بقرته ويهرب إلى الغابة. فلماذا لم يفعل؟ علينا أن ندخل الغابة، ونسلك طريقًا ملتفًا. الأمر يبعث على الريبة."

"اهدأ، اهدأ..." تمتم القزم. "سنكون مستعدين للفرار إن استدعى الأمر. ربما انتهت الحرب؟ ربما تقدم جيش تيميريا أخيرًا؟ كيف لنا أن نعلم ونحن في هذا المكان النائي؟ ربما وقعت معركة كبرى، ودُحر النيلفجارد، وربما صار خط الجبهة خلفنا، وعاد الفلاحون وأبقارهم إلى ديارهم؟ علينا أن نتحقق من الأمر. فيجيس، مونرو، ابقيا هنا وأبقيا أعينكما متيقظة. سنقوم ببعض الاستطلاع. إن كان هناك خطر، سأعلمكما بنداء الصقر الجوال."

عبث مونرو برويس بلحيته بقلق وقال: "نداء الصقر الجوال؟ لكنك لا تعرف كيف تقلد أصوات الطيور، زولتان."

"بالضبط. عندما تسمع صوتًا غريبًا لا تعرفه، فاعلم أنه أنا." التفت نحو الجنيّ قائلًا: "بيرسيفال، قدنا. جيرالت، هل ستنضم إلينا؟"

ترجل دانديليون عن جواده قائلاً: "سنذهب جميعًا. إن كان فخًا، فالأمان في العدد."

رفع زولتان الببغاء عن كتفه وسلّمه إلى فيجيس ميرلوتزو قائلاً: "سأترك المارشال الميداني هنا. قد يقرر فجأة إطلاق سيل من الشتائم على مقربة، فتذهب محاولتنا في التسلل أدراج الرياح. هيا بنا."

قادهم بيرسيفال بسرعة إلى حافة الغابة، متجاوزًا شجيرات كثيفة من الليلك البري. خلفها، انحدر التضاريس قليلًا لينتهي بكومة متشابكة من جذوع الأشجار المتآكلة. وراء ذلك، امتدت فسحة واسعة. أمعنت ميلفا النظر بحذر.

كان تقرير الجنيّ دقيقًا. وسط الفسحة، انتصبت ثلاثة أكواخ، وحظيرة، وعدد من الأقفاص المغطاة بالطحالب. في ساحة الفناء، تألقت بركة ضخمة من الروث تحت ضوء النهار. كانت المباني، إلى جانب مستطيل صغير من العشب غير المهذب، محاطة بسياج منخفض مكسور في بعض أجزائه. خلف السياج، نبح كلب رمادي. وعلى سقف أحد الأكواخ، ارتفع عمود من الدخان، يتلوى ببطء وهو ينساب عبر فتحة في السقف المصنوع من القش.

همس زولتان وهو يستنشق الهواء: "في الواقع، الرائحة شهية. خصوصًا بعدما اعتادت أنفي على رائحة الغابة المحترقة. لا أرى حراسًا ولا خيولًا، وهذا مطمئن بعض الشيء. أعتقد أنهم مجرد عصابة من الأشقياء احتموا هنا. همم... لا أشعر أن هناك خطرًا يحدق بنا."

قالت ميلفا بحزم: "سأذهب."

"لا"، احتج القزم. "تبدين أشبه كثيرًا بالسنجاب. إن رأوك فقد يشعرون بالخوف، والبشر لا يمكن التنبؤ بتصرفاتهم عندما يسيطر عليهم الذعر. سيذهب يازون وكالب. أما أنتِ، فأبقي قوسك مشدودًا وجاهزًا للرماية، لتغطيهما إن لزم الأمر. بيرسيفال سيكون مستعدًا لتنبيه الآخرين. ابقوا متيقظين، فقد نحتاج إلى الانسحاب بسرعة."

خرج يازون فاردا وكالب ستراتون بحذر من بين الأشجار وتقدما نحو المباني بخطوات بطيئة، يراقبان محيطهما بيقظة.

رآهما الكلب على الفور. انطلق ينبح بجنون، يدور في الفناء، ولم يبدِ أي استجابة للصفير والنقرات الهادئة التي أطلقها الأقزام. فُتح باب الكوخ.

رفعت ميلفا قوسها على الفور، وسحبت الوتر بسلاسة، لكنها أرخته بسرعة.

وقفت على العتبة فتاة قصيرة وهزيلة، تتدلى ضفيرتاها الطويلتان على كتفيها. صاحت بشيء ما نحو الأقزام ولوّحت بيديها بعنف. رفع يازون فاردا يديه ونادى عليها بشيء ما بدوره. لكن الفتاة صرخت بصوت أعلى.

سمع جيرالت والبقية تلك الصيحات، لكنهم لم يتمكنوا من تمييز الكلمات.

لا بد أن تلك الكلمات تركت وقعًا عميقًا على يازون وكالب، لأنهما استدارا على عقبيهما فجأة وانطلقا عائدين نحو شجيرات الليلك بأقصى سرعة. شدّت ميلفا وتر قوسها مجددًا، وحركت رأس السهم بحثًا عن هدف.

"ما هذا الشيطان؟" صاح زولتان. "ماذا يحدث؟ ما الذي دفعهما للفرار هكذا؟ هل رأيتِ شيئًا، ميلفا؟"

"أغلق فمك." همست الرامية، فيما ظل طرف سهمها يتنقل من كوخ إلى كوخ، ومن سقيفة إلى أخرى. لكن لم يكن هناك شيء يُرى بعد. اختفت الفتاة ذات الضفيرتين داخل الكوخ وأغلقت الباب خلفها بعنف.

كان الأقزام يركضون كما لو أن شياطين الفوضى كلها تطاردهم. صاح يازون بشيء ما، ربما كان شتيمة. فجأة، شحب وجه دانديليون.

"إنه يصرخ... يا أمي!"

"ما الذي يحـ—" توقف زولتان فجأة، فقد وصل يازون وكالب، يلهثان، ووجهيهما محمران من شدة الجهد. "ما الأمر؟ تكلموا!"

"هناك وباء..." لهث كالب. "الجدري الأسود..."

تراجع زولتان تشيفاي على الفور بخطوة سريعة، كاد أن يطرح دانديليون أرضًا. "هل لمستما شيئًا؟ هل لمستما أي شيء في الفناء؟"

"لا... لم يسمح لنا الكلب بالاقتراب بما يكفي..."

رفع زولتان عينيه نحو السماء. "فلتكن الحياة الطويلة وجبال من العظام بحجم جبل كاربون لهذا الكلب اللعين. الفتاة في الكوخ، هل ظهرت عليها بثور؟"

"لا. إنها سليمة. المرضى في الكوخ الأخير، بقية عائلتها. كثير منهم ماتوا بالفعل، كما قالت. آه، آه، زولتان، الريح كانت تهب باتجاهنا!"

"كفوا عن الارتجاف مثل الجراء"، قالت ميلفا وهي تخفض قوسها. "إن لم تلمسوا أي شيء ملوث، فأنتم بخير، لا تقلقوا. هذا إن كان هناك جدري فعلًا. قد تكون الفتاة أرادت إخافتكم فقط."

هزّ يازون رأسه بعناد، وما زال يرتجف. "خلف الكوخ كان هناك حفرة... وداخلها جثث. الفتاة لم تملك القوة الكافية لدفن الموتى، لذا رمتهم في الحفرة..."

"حسنًا!" شم زولتان الهواء. "إليك دقيق الشوفان الذي كنت تشتهيه، دانديليون. لا أعلم عنكم، لكنني أفضل أن أنجو بحياتي. لنغادر من هنا فورًا."

فجأة، ارتفع نباح محموم من ناحية القرية.

"اختبئوا!" همس الويتشر، وهو يركع على الأرض.

من الجهة الأخرى من الساحة، اقتحمت مجموعة صاخبة من الفرسان المكان، يحيطون بالمباني أثناء دورانهم حول السياج المحطم، يطلقون الصفير، ثم يندفعون إلى الفناء. كانوا مسلحين، لكنهم لم يرتدوا أي زي عسكري. على العكس، كانت ملابسهم زاهية الألوان، ومعداتهم غير متناسقة تمامًا، وكأنها لم تؤخذ من مستودعات الجيش، بل سُلبت من ساحة معركة.

"ثلاثة عشر." حسب بيرسيفال شوتنباخ بسرعة.

"من يكونون؟"

"ليسوا من نيلفجارد ولا أي جيش نظامي آخر،" قال زولتان. "ولا هم من السكوياتايل. يبدو لي أنهم فارون. فرقة واحدة."

"أو لصوص جوّالون."

ارتفع صخب الفرسان، كانوا يمرحون في الساحة. تلقى الكلب ضربة بعصا ففر هاربًا. قفزت الفتاة ذات الضفائر من عتبة الباب، صرخت محذرة. لكن هذه المرة، لم يفلح تحذيرها، ولم يُؤخذ على محمل الجد. أحد الفرسان اندفع بحصانه، أمسكها من شعرها، جرّها من العتبة، وسحبها عبر الوحل. قفز آخرون من صهوات جيادهم، ساعدوه على سحبها إلى نهاية الساحة، مزقوا ثيابها، وألقوا بها فوق كومة من القش العفن.

قاومت الفتاة بأسنانها وأظفارها، لكنها لم تكن تملك أدنى فرصة. وحده أحد المغيرين لم يشارك في حفلة اللهو الهمجية، بل بقي يراقب الجياد المربوطة إلى السياج. راحت الفتاة تصرخ بيأس، ثم ما لبثت صرخاتها أن تلاشت، متقطعة، حتى خمدت تمامًا.

صرخت ميلفا بغضب: "محاربون! أبطال... كلا، بل أوغاد!"

هزّ يازون فاردا رأسه وقال: "من الواضح أنهم لا يخشون الجدري."

تمتم دانديليون بصوت خافت: "الخوف... شعور بشري. وهؤلاء لم يبقَ فيهم شيء من البشر."

زمجرت ميلفا، بينما كانت تضع سهمها بحذر على الوتر: "عدا أمعاؤهم... والتي سأثقبها بهذا السهم، هؤلاء الأوغاد."

قال زولتان شيفاي بوجه متجهم: "إنهم ثلاثة عشر رجلًا، ولديهم خيول. قد تقتل واحدًا أو اثنين، لكن البقية سينقضّون علينا. إلى جانب ذلك، قد يكونون مجرد طليعة... من يدري كم عدد من قد يلحق بهم؟"

صرخت ميلفا بحنق: "إذن ماذا؟ هل عليّ أن أكتفي بالمشاهدة وأقف مكتوفة الأيدي؟"

"لا." قال جيرالت بينما كان يعلّق سيفه على ظهره ويشدّ شعره إلى الخلف. "لقد سئمت المشاهدة بصمت. سئمت الجمود. يجب أن يتفرقوا. ترون ذاك الذي يراقب الخيول؟ عندما أصل إليه، أطلقوا عليه سهمًا وأوقعوه من السرج. وإن استطعتِ، خذي آخر أيضًا. لكن فقط عندما أصل هناك."

استدارت الرامية وقالت: "عندها سيصبحون أحد عشر."

أجابها ببرود: "أنا أجيد العد."

تمتم زولتان شيفاي: "وماذا عن الجدري؟ إذا ذهبت إلى هناك، ستصاب بالطاعون... تبًا لك، أيها الويتشر! ستعرّضنا جميعًا للخطر... اللعنة، هذه ليست الفتاة التي تبحث عنها!"

"اصمت، زولتان. عد إلى العربة، واختبئ في الغابة."

قالت ميلفا بصوت خشن: "سأذهب معك."

"لا. غطّيني من بعيد، هكذا ستكونين أكثر فائدة."

سأل دانديليون: "وماذا عني؟ ماذا عليّ أن أفعل؟"

أجابه جيرالت بحدة: "ما تفعله دائمًا... لا شيء."

زمجر زولتان: "أنت مجنون... وحدك ضدهم جميعًا... ما خطبك؟ هل تريد أن تلعب دور البطل، منقذ العذارى؟"

قال جيرالت بحدة: "اصمت."

"إذن، ليأخذك الشيطان! انتظر... اترك سيفك. عددهم كبير، من الأفضل أن لا تضطر للضرب مرتين. خذ سيفي سيهيل، ضربة واحدة بواسطته تكفي."

تقبّل الويتشر سلاح القزم دون تردد، ودون أن ينطق بكلمة. أشار مجددًا إلى ميلفا نحو ذاك المتأخر الذي كان يحرس الخيول، ثم قفز فوق الجذوع وسار بخطوات سريعة نحو الحظائر.

أشرقت الشمس، وتراقصت الحشرات في الهواء، قافزة من تحت قدميه. لمح الفارس الذي يحرس الخيول اقترابه، فمد يده إلى رمحه المعلّق بجانب السرج وسحبه من غمده. كان شعره طويلًا متلبدًا، يتساقط فوق درعه الحديدي المهترئ، المرقّع بأسلاك صدئة. لكن قدميه كانتا مغلّفتين بحذاء جديد، أبازيمه تلمع تحت ضوء الشمس، مسروق بلا شك، حديث العهد بالنهب.

صرخ الحارس، وفجأة ظهر من خلف السياج مغير آخر. كان هذا قد أنهى للتو إحكام سرواله، ويتدلّى على عنقه حزام يعلق به سيف. اقترب جيرالت أكثر، ووسط ضجيج اللحظة، تسلّلت إلى مسامعه ضحكات أولئك الذين كانوا يلهون بالفتاة عند كومة القش.

أخذ نفسًا عميقًا، وكان مع كل شهيق يتّقد بداخله غضب لم يعهده من قبل. كان يمكنه أن يهدّئ نفسه، لكنه لم يرغب بذلك. أراد أن يستمتع بهذه اللحظة.

صرخ الحارس ذو الشعر الطويل وهو يزن رمحه بين يديه: "أنت هناك! من تكون؟ توقف!" ثم تابع بنبرة حادة: "ماذا تريد؟"

قال: "سئمت المشاهدة."

"مـاذا؟!"

سأله جيرالت بصوت بارد: "هل يعني لك اسم سيري شيئًا؟"

فتح الفارس فمه ليجيب: "أنا سوف..."

لكنّه لم يفلح في إتمام جملته. اندفع سهم ذو ريش رمادي، واخترق منتصف صدره، فتهاوى من فوق السرج قبل أن يفهم حتى ما حدث. وقبل أن يلمس جسده الأرض، دوّى صفير سهم آخر. انغرس رأسه المعدني في بطن الجندي الثاني، في موضع منخفض، بين أصابعه التي كانت ما تزال تحاول إحكام سرواله.

عوى كالحيوان، ثم انحنى نصفين وسقط متراجعًا فوق السياج، مُحطّمًا أعمدته وهو يهوى.

لم يمهلهم الوقت ليدركوا ما يجري، ولم يمنحهم فرصة للالتفات أو سحب أسلحتهم. كان الويتشر قد أصبح بينهم بالفعل.

رقص سيف القزم بين يديه، غنّى بلحن خفيف كريشة، لكن فولاذه الحاد كشف عن تعطّشه الجامح للدماء. لم تبذل الأجساد التي شقّها أي مقاومة تُذكر، تفجّرت الدماء على وجهه، ولم يكن لديه وقت ليمسحها.

حتى لو راودت الفارّين نية القتال، فإن مشهد الجثث المتساقطة والدماء المتدفقة كان كافيًا لتبديد أي شجاعة متبقية في نفوسهم. أحدهم، وسرواله لا يزال متدلّيًا حول ركبتيه، لم يجد حتى الوقت لرفعه. شقّ السيف شريانه السباتي بضربة واحدة، فتهاوى على ظهره، جسده يتشنج، ورجولته تلوّح في الهواء بسخرية قاتمة، تاركًا رغباته غير مُشبعة.

أما الفارس الثاني، وكان أصلع الرأس، فقد رفع يديه ليحمي وجهه، لكن "السيهيل" شقّ معصميه بضربة واحدة. لم يصدر عنه سوى شهقة صامتة، قبل أن تتساقط يداه عديمتي الفائدة. لم يحتمل الباقون، فتراجعوا مذعورين، وفرّوا في كل اتجاه.

اندفع الويتشر خلفهم، يلاحقهم بينما يلعن بصمت ذلك الألم الذي عاد ليخز ركبته. كان يأمل ألّا تخذله ساقه الآن.

تمكّن اثنان من الوصول إلى السياج، وحاولا الدفاع عن نفسيهما، ملوّحين بسيفيهما. لكن الرعب شلّ حركتهما، فبدت ضرباتهما مترددة، بطيئة. لم يتمكنا حتى من الصراخ قبل أن تتفجر دماؤهما على وجه الويتشر، بعدما قطع النصل القزمي شرايينهما كأنهما من ورق. استغل الباقون هذه اللحظة للفرار، وقفزوا على خيولهم. لكن أحدهم لم يكد يعتلي السرج حتى اخترقه سهم، فسقط على الفور، جسده يتلوى ويتخبط كسمكة ألقيت خارج الماء.

أما الاثنان الآخران، فأطلقا العنان لجياديهما، يركضان بأقصى سرعة. لكن واحدًا فقط تمكن من النجاة، لأن زولتان شيفاي ظهر فجأة في قلب المعركة. دوّر القزم فأسه في الهواء، ثم ألقاه بقوة، فأصاب أحد الفارين في منتصف ظهره. زمجر المغير، جسده ارتطم بالأرض بقوة، قدماه تتخبطان في الهواء، ثم سكنت حركته.

أما الأخير، فقد تشبّث بعنق حصانه، عبر الخندق المليء بالجثث، ثم انطلق يعدو نحو الطريق المفتوح.

صرخ الويتشر والقزم في آن واحد: "ميلفا!"

لكن القنّاصة كانت قد تحركت بالفعل. ركضت إلى موقع أفضل، ثبتت قدميها، رفعت القوس ببطء، شدّت الوتر بإحكام، ورفعت السهم أكثر فأكثر.

انطلق صوت الوتر المشدود، لكن ميلفا لم تتحرك من مكانها، لم ترتجف حتى. لم يدرك أحد وجود السهم إلا حين بلغ هدفه.

انحنى الفارس إلى الأمام، مسماري الريش بارزان من كتفه. لكنه لم يسقط. استقام على السرج، ومع صرخة ألم، دفع حصانه إلى عدو أسرع، متحديًا الموت الذي يطارده.

تمتم زولتان شيفاي بدهشة وهو يغمغم: "يا له من قوس... ويا لها من رمية!"

مسح الويتشر الدم عن وجهه وقال بحدة: "رمية تافهة." زمجر بامتعاض: "ذلك اللعين فر، وسيعود ومعه المزيد."

احتج زولتان بانفعال: "لقد أصابته! ومن مسافة مئتي خطوة!"

قال جيرالت بجفاء: "كان بإمكانها التصويب نحو الحصان."

قهقهت ميلفا بسخط وهي تقترب منهما: "الحصان ليس مذنبًا." بصقت على الأرض وهي تراقب الفارس يتلاشى في عمق الغابة، ثم تمتمت بغيظ: "أخطأت اللعين لأنني كنت لاهثة بعض الشيء... تبا! أيها الأفعى السامة، تهرب ورأس سهمي معك! ليكن عليك لعنة!"

ثم، من الطريق، دوّى صهيل حصان، أعقبه فورًا عواء حاد لرجل يحتضر.

"هو، هو!" نظر زولتان إلى القنّاصة بإعجاب وقال: "لم يذهب بعيدًا! سهمك لم يخذلك! هل كان مسمومًا؟ أم ربما كان مسحورًا؟ لأن الجدري اللعين، حتى لو كان قد أصيب به، لا يفتك بهذه السرعة!"

قالت ميلفا وهي تلقي نظرة ذات مغزى نحو الويتشر: "لم يكن سهمي." ثم أضافت: "ولم يكن الجدري أيضًا. لكنني أظن أنني أعرف السبب."

قال زولتان وهو يعضّ شاربه بابتسامة خبيثة: "وأنا كذلك أعتقد أنني أعرف. لطالما لاحظت أنك تنظر خلفك كثيرًا، أعلم أن هناك من يتبعنا في الخفاء، على صهوة حصان كستنائي. لا أعرف من هو، لكن بما أنك لم تمانعي... حسنًا، هذا ليس من شأني."

قالت ميلفا وهي تلقي نظرة أخرى ذات مغزى نحو جيرالت: "خصوصًا ونحن نستفيد من وجود مثل هذا الحارس الخلفي. هل أنت متأكد أن هذا كاهير عدوك؟"

لم يُجب الويتشر، فقط مد يده وأعاد سيف القزم إليه.

قال: "شكرًا. ليس سيئًا."

أومأ زولتان برضا، والبسمة مرتسمة على وجهه: "خصوصًا وهو في يد ماهرة." ثم أضاف، وعيناه تضيقان بإعجاب: "سمعت قصصًا كثيرة عن الويتشرات، لكن أن تتغلب على ثمانية رجال في أقل من دقيقتين..."

قال جيرالت ببرود: "هذا ليس شيئًا يُفتخر به. لم يكونوا يعرفون كيف يدافعون عن أنفسهم."

نهضت الفتاة ذات الضفائر على أطرافها الأربعة، ثم وقفت مترنحة، وأخذت تحاول بيدين مرتجفتين أن تصلح ما تبقى من ملابسها الممزقة، دون جدوى.

شعر الويتشر بالدهشة. قبل لحظات فقط، كان على يقين بأنها تشبه سيري كأنها توأمها، والآن، وهو ينظر إليها، لم يجد فيها أي شبه على الإطلاق.

حركت الفتاة يدها بحركة غير متناسقة، فمسحت وجهها، ثم خطت مترنحة نحو الكوخ، غير آبهة بالبقعة الموحلة المليئة بالروث تحت قدميها.

"انتظري!" نادت ميلفا. "أنتِ هناك... هل يمكننا مساعدتك؟ أوي!"

لم تلتفت الفتاة حتى. تعثرت عند العتبة، كادت أن تسقط، لكنها تشبثت بالإطار، ثم صفقت الباب خلفها بعنف.

قال زولتان ساخرًا: "امتنان البشر لا يعرف حدودًا."

استدارت ميلفا بسرعة، كزنبرك مشدود، ملامح وجهها متجمدة.

سألت بحدة: "ولماذا عليها أن تكون ممتنة؟"

قال جيرالت ببرود: "نعم، لماذا؟"

أجاب زولتان دون أن يشيح بنظره: "خيول المغيرين. بإمكانها ذبحها من أجل اللحم، ولن تضطر إلى قتل بقرتها. يبدو أنها محصنة ضد الجدري، والآن لن تخشى الجوع أيضًا. ستنجو. أما حقيقة أنكم اختصرتم عذابها، ومنعتم إحراق أكواخها... ستدركها بعد بضعة أيام، حين تستعيد توازنها."

ثم استدار ليغادر، قائلاً: "هيا، لنبتعد من هنا قبل أن تحمل الرياح الطاعون إلينا... هيه، ويتشر، إلى أين تظن نفسك ذاهبًا؟ هل تبحث عن الامتنان؟"

قال جيرالت ببرود، وهو ينحني فوق جثة ذاك الأشعث الطويل الشعر، الذي بقيت عيناه الميتتان تحدّقان في السماء: "لا. أبحث عن حذاء." ثم تمتم وهو يقلب الحذاء الجديد بأبازيمه اللامعة: "يبدو أنه سيكون مناسبًا لي تمامًا."

على مدى الأيام التالية، أكلوا لحم الخيل. أما الحذاء ذو الأبازيم البراقة، فقد كان مريحًا على نحو مدهش.

ظل النيلفجاردِي المدعو كاهير يتبعهم، ممتطيًا جواده الكستنائي، لكن الويتشر لم يلتفت للخلف.

وأخيرًا، فهم قواعد لعبة سكرود، بل وجرب حظه مع الأقزام. خسر.

لم يذكر أحد ما حدث في الغابة. لم يكن هناك أي جدوى من ذلك.

الماندراك (Mandragora) هو نبات نادر من فصيلة الباذنجانيات، والتي تضم نباتات عشبية وسيقانًا، بينما تُظهر جذوره الدرنية تشابهًا غريبًا مع الشكل البشري. تتجمع أوراقه في شكل ورديّة. ويُزرع على نطاق محدود في فيكارو وروان ويملات، ونادرًا ما ينمو في البرية.

ثمرته تبدأ خضراء اللون، ثم تتحول إلى صفراء، وتُؤكل مع الخل والفلفل، بينما تُستخدم أوراقه طازجة دون معالجة. أما الجذر فهو ذو قيمة عالية في الطب والصيدلة الحديثة، لكن في الماضي، كان يتمتع بأهمية كبيرة في بعض المعتقدات الخرافية، خصوصًا بين شعوب الشمال. كانوا ينحتون على جذوره أشكالًا بشرية (ألرونيكي، ألراوني)، ثم يحتفظون بها في منازلهم كتعويذات ثمينة.

اعتُقد أن هذه الجذور توفر الحماية من الأمراض، وتضمن السعادة والخصوبة للنساء، مما يسهل الولادة. كان الناس يضعونها في ملابسهم، وخلال القمر الجديد، كانوا يغلفونها بملابس جديدة اعتقادًا بقوتها السحرية.

أصبح جذر الماندراك سلعة تجارية شديدة الرواج، إذ كان سعره يصل إلى ستين فلورين للقطعة الواحدة. غير أن الجذر كان يُخلَط عن جهل أو بغرض الاحتيال بجذور البيلادونا المشابهة.

لعب الماندراك أيضًا دورًا بارزًا في السحر والشعوذة، حيث استُخدم كمكوّن سحري في الإكسير، وكذلك في السموم. وقد انتشرت هذه الخرافات في حقبة اضطهاد السحرة، إذ خضعت عملية تحضير سمّ الماندراك للتحقيق أثناء محاكمة لوكراسيا ميغو. كما يُعتقد أن الأسطورية فيليبا إيلهارت استخدمت الماندراك أيضًا كسمّ فتاك.

إيفنبرغ وتالبوت - موسوعة ماكسيما موندي، المجلد 11

الفصل الثالث

الطريق القديم لم يعد كما كان في آخر مرة سلكه الويتشر.

كان الطريق، الذي رُصِف ذات يوم بألواح البازلت المسطّحة، قد شُيّد على أيدي الأقزام والإلف منذ مئات السنين. أما الآن، فلم يعد سوى أطلال مثقوبة مليئة بالحفر والتآكل. في بعض المواضع، كانت الفجوات المفتوحة عميقة لدرجة أنها بدت وكأنها محاجر صغيرة.

تباطأت وتيرة السير، وعانت عربة الأقزام في تجاوز العقبات، متعثرة بين الحفر، عالقة مرة تلو الأخرى.

كان زولتان شيفاي يعلم تمامًا سبب هذا الخراب. بعد الحرب الأخيرة مع نيلفجارد، ارتفع الطلب بشكل هائل على مواد البناء. وحينها أدرك الناس أن الطريق القديم كان مصدرًا شبه لا نهائي للحجر المنحوت. ولأن الطريق كان منعزلًا في البرية، يربط "اللا شيء" بـ "اللا شيء"، فقدْ فقدَ أهميته منذ زمن بعيد ولم يعد ذا فائدة تُذكر، فاستباحوه بلا رحمة، ودون أي اعتبار.

تمتم القزم متذمرًا، بينما صاح ببغاؤه بصوت أجشّ: "كل مدنكم الكبيرة بُنيت على أساساتنا نحن والألف. صحيح أنكم شيّدتم القرى الأصغر والقلاع بأنفسكم، لكنكم ما زلتم تأخذون حجارتنا. طوال هذا الوقت، كان تطوّركم بفضلنا، نحن غير البشر".

لم يُجب جيرالت بشيء.

هزّ زولتان رأسه ساخطًا وهو يساعد في دفع العربة حول إحدى الحفر: "حتى هذا، لم تتركوه وشأنه." زفر غاضبًا وأضاف: "لماذا لا تأخذون الأحجار تدريجيًا من أطراف الطريق؟ أنتم مثل الأطفال! بدلاً من أن تأكلوا الكعكة بأكملها كما ينبغي، تلعقون المربى من الداخل فقط، ثم ترمون الباقي لأنه لم يكن بنفس المذاق اللذيذ"!

شرح جيرالت أن السبب وراء هذا الخراب يعود إلى الجغرافيا السياسية. كان الطرف الغربي للطريق القديم يقع في بروج، بينما الطرف الشرقي في تيميريا، أما المنتصف فكان يمر عبر سودين. كل مملكة نهبت الجزء الخاص بها وفقًا لاحتياجاتها.

ردّ زولتان بوصف فاحش للمكان الذي ينبغي أن يُرسل إليه الملوك وسياستهم. أضاف المارشال دودا تعليقًا مهينًا عن أمهات العائلات الملكية.

كلما توغلوا أكثر، ازداد الطريق سوءًا. أصبح تشبيه زولتان بالكعكة والمربى غير ذي صلة شيئًا فشيئًا – لم يعد الطريق يبدو ككعكة ممتلئة بالمربى، بل ككعكة بالخميرة نُزعت منها كل الزبيب واللوز بعناية، ولم يتبقَ منها سوى بقايا يابسة من العجين. بدا أن اللحظة الحتمية قد اقتربت، حيث ستتعطل العربة أو تعلق في حفرة بلا رجعة.

لكن المفارقة أن ما دمّر الطريق القديم هو ذاته ما أنقذهم. فقد صادفوا طريقًا مرصوفًا يتجه جنوبًا، فتحته عربات ضخمة كانت تنقل الأخشاب من الغابات.

ابتهج زولتان، إذ كان مقتنعًا بأن هذا الطريق يؤدي إلى أحد الحصون على نهر إينا. وكان يأمل أن يجد الجيش قد سبقهم إلى هناك، فقد كان القزم يؤمن بشدة بأن جيش الشمال في سودين سيشن هجومًا مضادًا ساحقًا، تمامًا كما فعل في الحرب السابقة خلف الإينا، وبعدها لن يتبقى سوى فلول جيش نيلفجارد المحطم، وهو يتقهقر عبورًا نحو نهر ياروجا.

وبالفعل، أدى تغيير مسارهم مرة أخرى إلى وضع الحرب في مرمى أنظارهم.

في الليل، كان الأفق أمامهم يتوهج بلون أحمر ساطع، وفي النهار، كانت أعمدة الدخان تتصاعد في الأفق. لم يكن بوسعهم التأكد مَن الذي كان يهزم ويحرق، ومَن الذي يُهزم ويُحرق، لذلك تقدّموا بحذر، وأرسلوا بيرسيفال شوتنباغ للاستطلاع.

وفي صباح أحد الأيام، واجهتهم مفاجأة: وجدوا حصانًا بلا فارس – جوادًا كستنائيًا. كان سرجه الأخضر مطرزًا بشعار نيلفجارد، لكنه كان مغطى ببقع من الدم الداكن.

لم يكن بالإمكان تحديد ما إذا كان هذا الدم يعود لفارسه القتيل، أم أنه أُريق لاحقًا عندما أصبح للحصان مالك جديد.

الت ميلفا وهي تنظر إلى جيرالت: "حسنًا، انتهت المشكلة. إن كانت هناك مشكلة أصلاً."

تمتم زولتان وهو يحدق في السرج الفارغ: "المشكلة الحقيقية أننا لا نعرف من هو الفارس الذي طُرح أرضًا... ولا نعرف إن كانوا سيتبعون آثارنا، أو آثار حارسنا الخلفي الغامض."

قال جيرالت من بين أسنانه المشدودة: "إنه نيلفجاردي. لكن لكنته كانت بالكاد ملحوظة... ومع ذلك، ربما تعرف عليه بعض اللاجئين المختبئين في الغابات..."

خفضت ميلفا نظرها إلى الأرض.

قالت بصوت خافت: "كان عليّ أن أقتله حينها، ويتشر. كان سيموت موتًا أيسر."

أومأ دانديليون وهو يلقي نظرة ذات مغزى نحو جيرالت: "هرب من تابوته... فقط ليتعفن في حفرة."

هكذا نُطق النعي الأخير لـ كاهير ابن سيالا، النيلفجاردي الذي خرج من التابوت، والذي زعم أنه ليس نيلفجارديًا. ولم يتحدثوا عنه مجددًا.

ورغم التهديدات المتكررة، قرر جيرالت الاحتفاظ بالجواد الكستنائي، وألقى بزولتان شيفاي فوق السرج. لم تكن ساقا القزم طويلة بما يكفي للوصول إلى الركابين، لكن الفحل كان مطيعًا وهادئًا، واستطاع أن يركبه براحة نسبية.

ظلّ الأفق في الليل يتوهج بلون أحمر كالنار، وفي النهار تصاعدت أعمدة الدخان كسلاسل سوداء تخترق السماء، ملوّثة زرقتها النقية.

وسرعان ما صادفوا أبنية محترقة، لا تزال ألسنة اللهب تزحف على الحواف والعوارض المتفحمة. قرب الأطلال جلس ثمانية أشخاص وخمسة كلاب، ينهشون جثة حصان مشويّ جزئيًا.

وعندما رأوا الأقزام المسلحين، ألقوا بقايا وجبتهم وفرّوا في رعب.

لكن رجلًا واحدًا، وكلبًا واحدًا، لم يتحركا. لم يظهرا أي علامة على الفزع، بل واصلا تمزيق اللحم من القفص الصدري للجثة.

حاول زولتان وبيرسيفال استجواب الرجل، لكنهما لم يستخلصا منه شيئًا. لم يكن يتكلم، فقط كان يئن، ويرتجف، ثم يدفن رأسه بين ذراعيه، قبل أن يعود إلى نزع اللحم المتفحم عن العظام.

أما الكلب، فقد نبح بشراسة، كاشفًا عن أنيابه حتى بدت لثته العارية.

كان جسد الحصان الميت يطلق رائحة كريهة لا تُحتمل.

لم يخاطروا بمغادرة الطريق، الذي سرعان ما قادهم إلى أطلال أخرى مشتعلة.

كانت قرية كبيرة إلى حد ما، أُضرمت فيها النيران عن عمد. ويبدو أن معركة اندلعت حولها، إذ بجوار الأنقاض المتفحمة، ارتفع تل ترابي حديث، قبر جماعي يُشير إلى من سقطوا هناك.

ليس بعيدًا عن القبر، عند جانب الطريق، وقفت شجرة بلوط ضخمة.

على أغصانها، تدلت ثمار البلوط.

وأجساد البشر.

قال زولتان شيفاي، واضعًا حدًا للنقاش حول المخاطر والمجازفات: "علينا أن نلقي نظرة." ثم أضاف وهو يتقدّم نحو الشجرة: "لنقترب."

رفع دانديليون صوته محتجًا: "لماذا بحق الجحيم تريد أن تتأمل أولئك المشنوقين، زولتان؟ هل تبحث عن غنائم؟ يمكنني أن أرى من هنا أنهم بلا أحذية!"

لوّح زولتان بيده وقال بحدة: "أنت أحمق. الأمر لا يتعلق بالأحذية، بل بالوضع العسكري. بتطورات مسرح العمليات الحربية." توقف لحظة وهو يحدق في الشاعر قبل أن يضيف: "ما الذي يضحكك؟ أنت شاعر، لا تفهم شيئًا عن الاستراتيجية."

تمتم دانديليون بسخرية: "أكره أن أخيب ظنك، لكنني أفهمها."

قهقه زولتان: "بل لا تفهمها، ولو قفزت من بين الشجيرات وركلتك على مؤخرتك."

"أنت محق." قال دانديليون باستهزاء: "الاستراتيجية التي تقفز من بين الشجيرات، أتركها للأقزام. والاستراتيجية التي تتدلى من البلوط كذلك."

لوّح زولتان بيده بلا اكتراث وتابع طريقه نحو الشجرة. لم يستطع دانديليون مقاومة فضوله، فحثّ بيغاسوس على التقدم، وتبعه. بعد لحظة من التردد، قرر جيرالت اللحاق بهما، بينما تبعته ميلفا من الخلف.

عندما اقتربوا، ارتفعت الغربان المتحلّقة حول الجثث في الهواء على مضض، وهي تصرخ غاضبة، ريشها يتساقط أثناء طيرانها. بعض الغربان حلق باتجاه الغابة، بينما اكتفى البعض الآخر بالانتقال إلى الأغصان العليا للشجرة الضخمة، حيث راقبوا الدخلاء باهتمام، غير مكترثين بنظراتهم الفضولية.

أطلق المارشال دودا سيلًا من الشتائم البذيئة موجهة إلى أمهات الغربان.

كان المشنوق الأول من بين السبعة يحمل لوحة حول عنقه، كُتب عليها: "خائن للأمة". والثاني كانت لافتته تقرأ: "متعاون مع العدو". أما الثالث، فقد حُكم عليه بلقب "جاسوس للإلف". والرابع "فار من الخدمة".

أما الخامس، فكانت امرأة لم ترتدِ سوى ملابس داخلية ممزقة وملطخة بالدماء، وقد كُتب على لوحتها "عاهرة نيلفجارد".

أما الرجلان الأخيران، فلم تكن هناك أي لوحات حول عنقيهما، مما يشير إلى أنهما أُعدما عشوائيًا، ربما لمجرد سوء حظهما.

أشار زولتان إلى اللوحات بابتسامة ساخرة وقال: "أخبار جيدة. هل ترون؟ لقد مرّ جيشنا من هنا. رجالنا الشجعان شنّوا الهجوم وصدّوا الغزاة. ويبدو، كما أرى، أنهم وجدوا متسعًا من الوقت للراحة... وللترفيه كذلك."

سأل دانديليون بجفاء: "وماذا يعني هذا بالنسبة لنا؟"

ردّ زولتان بلهجة واثقة: "يعني أن الخطوط الأمامية قد تحركت بالفعل، وأصبحت تفصلنا عن جيش نيلفجارد. نحن في أمان."

"وماذا عن الدخان أمامنا؟"

قال القزم بثقة: "إنه دخاننا." ثم أضاف: "يحرقون القرى التي قدمت العون للسناجب. أخبركم أننا أصبحنا خلف الجبهة الآن. من هذا المفترق، يؤدي الطريق الجنوبي مباشرة إلى أرميريا، الحصن الواقع بين تشوتلا وإينا. الطريق يبدو جيدًا، يمكننا المتابعة. لم نعد بحاجة للخوف من النيلفجارديين، نحن في أمان."

قالت ميلفا بحدة: "لا يوجد دخان بلا نار. وحيثما كانت هناك نار، فهناك شيء يُحترق. أعتقد أنه من الغباء الاندفاع نحو النار. كما أنه تصرف طائش أن نبقى على الطريق، حيث يمكن للفرسان أن يفاجئونا في أي لحظة. علينا العودة إلى الغابة."

اعترض القزم بإصرار: "جيش سودين مرّ من هنا. نحن خلف الجبهة، ولا ينبغي أن نخشى السير على الطريق، وإذا صادفنا جيشًا، فسيكون جيشنا."

هزّت القنّاصة رأسها وقالت: "مخاطرة كبيرة. لو كنت حقًا جنديًا محنكًا وخبيرًا في الاستراتيجية، زولتان، لكنت تعلم أن سلاح الفرسان النيلفجاردي يقوم بغارات خاطفة على مواقع العدو المتقدمة. من المحتمل أن يكون هناك إرهابيون هنا. لكننا لا نعرف ما الذي ينتظرنا في الأمام. السماء إلى الجنوب سوداء بالدخان، والجيش يحرق طريقه نحو أرميريا. نحن لسنا خلف الجبهة، بل في قلبها. يمكننا أن نصطدم بقوات من كلا الجانبين، أو فارين من المعركة، أو ناهبين، أو حتى عصابات سكوياتايل. علينا التوجه نحو تشوتلا، لكن عبر ممرات الغابة."

أيّدها دانديليون، قائلًا: "أنتِ محقة، أنا أيضًا لا تعجبني سحب الدخان تلك. حتى لو شنت تيميريا هجومًا مضادًا، فقد تكون هناك وحدات نيلفجاردية أمامنا. السود يتوغلون عميقًا في أراضي العدو، يغيرون على القرى، يحرقون، يقتلون، ينشرون الفوضى والرعب، ثم ينسحبون. أتذكر جيدًا ما حدث في سودين العليا خلال الحرب السابقة. أعتقد أننا يجب أن نكمل عبر الغابة، ستكون أكثر أمانًا."

قال جيرالت وهو يشير إلى آخر المشنوقين: "أنا لست واثقًا من ذلك."

رغم أنه كان معلقًا عاليًا، إلا أن ساقه اليمنى كانت ممزقة إلى أشلاء، وعوضًا عن قدميه، لم يتبقَ سوى جذوعٍ عظمية بارزة من اللحم المتعفن.

تمتم ببرود: "انظروا. هذا من فعل غول."

توقف زولتان فجأة، ثم بصق على الأرض: "وحوش؟ أكلة الجثث؟"

أومأ الويتشر قائلًا: "بالضبط. علينا أن نحرس المكان جيدًا في الليل."

صرخ المارشال دودا بصوته الأجش: "كراااه-وااااه... اللعنة!"

قطّب زولتان جبينه وقال: "لقد نطق الطائر بما كنت أريد قوله بالضبط." ثم زفر وأضاف: "إذن نحن أمام معضلة. ماذا نفعل؟ ندخل الغابة، حيث تجوب الغيلان وأكلة الجثث؟ أم نسلك الطريق، حيث قد نصطدم بالقوات والمغيرين؟"

قالت ميلفا بحزم: "إلى الغابة. وكلما كانت أكثر كثافة، كان ذلك أفضل. أفضّل الغيلان على البشر."

ساروا عبر الغابة، في البداية بحذر، متوترين، منتبهين لكل صوت خافت في الأدغال، متأهبين للرد على أي حركة مريبة. لكن سرعان ما استعادوا هدوءهم، وروحهم المرحة، وعادوا إلى وتيرتهم المعتادة.

لم يصادفوا أي غول، ولا حتى أدنى أثر لوجودهم.

سخر زولتان قائلًا: "يبدو أن جميع الوحوش والشياطين التي تمتلك أعينًا، سمعت بأن جيشًا يقترب، ورأت ما فعله متطوعو فيرغن بالجنود الفارين، فهرعت إلى أعماق البرية، مختبئة هناك وهي ترتجف خوفًا وتقرع أسنانها ببعضها."

زمجرت ميلفا ساخرة: "بل عليهم أن يحرصوا على حماية نسائهم وبناتهم. الوحوش تعلم أن الجنود الشبقين في الموكب لن يدعوا حتى الخراف تمر بسلام. ولو ألبسوا شجرة صفصاف ثيابًا، فسينتهي الأمر بينهم وبين تجويف عقدتها."

دانديليون، الذي لم يكن قد فقد حسّه الفكاهي ولا ثرثرته المعتادة، شدّ أوتار عوده، وبدأ بتأليف مقطع غنائي عن أشجار الصفصاف، والجنود الشبقين، وعُقد الخشب. دخل القزم والببغاء في منافسة معه، يتبارون في إيجاد القوافي المناسبة.

فجأة، قال زولتان بصوت هادئ: "أو."

وقف دانديليون على ركابيه، محدقًا في الهوة التي كان القزم ينظر إليها، وسأل بحيرة: "ماذا؟ أين؟ لا أرى شيئًا!"

"أو."

صاح الشاعر بنفاد صبر: "توقف عن الحديث مثل ببغائك! أو ماذا؟"

أجاب القزم بهدوء: "النهر." ثم أشار إليه قائلاً: "إنه يصب في تشوتلا. اسمه أو."

أطلق دانديليون تنهيدة طويلة: "آه..."

ضحك بيرسيفال شوتنباغ وهزّ رأسه قائلاً: "لا، لا! نهر أ هو الذي يصب في تشوتلا من المنبع، بعيدًا عن هنا. هذا أو، وليس أاا."

كان الوادي الذي جرى عبره النهر ذو الاسم المعقد مغطى بأعشاب القراص، التي نمت إلى حد تجاوز رؤوس الأقزام. انتشرت في الأجواء رائحة خانقة، خليط من النعناع والخشب المتعفن، بينما تعالت أصوات نقيق الضفادع، تملأ المكان بإيقاعها الرتيب.

لكن المشكلة الأكبر لم تكن في الرائحة أو الضفادع، بل في المنحدرات الحادة التي أحاطت بالوادي، والتي أثبتت أنها كارثية.

العربة القديمة، التي صمدت بشجاعة أمام كل العقبات والحفر حتى الآن، أنهت رحلتها عند ضفاف نهر أو. فقد أفلتت من بين أيدي الأقزام، وتدحرجت إلى أسفل التل، ثم تحطمت في قاع الوادي، متناثرة إلى أشلاء.

صرخ الببغاء المارشال دودا بصرخته الشهيرة: "رررررورر... اللعنة!"، مضيفًا نغمة بائسة إلى جوقة الشتائم التي أطلقها زولتان ورفاقه.

نظر دانديليون إلى بقايا العربة المبعثرة فوق الضفاف وقال: "بصراحة، هذه مصيبة محمودة العواقب. عربتك المتهالكة كانت تبطئ مسيرتنا، وعلينا أن نعترف يا زولتان، أننا كنا محظوظين بجنون لأن لا أحد اكتشفنا أو طاردنا. لو اضطررنا للفرار، لم يكن أمامنا خيار سوى التخلي عن العربة وكل ما تحمله من حقائب وأمتعة."

تمتم القزم غاضبًا في لحيته، لكن المفاجأة كانت أن بيرسيفال شوتنباغ أيد كلام الشاعر، وهو يغمز بعينيه مرارًا بطريقة غير خفية تمامًا.

قال القزم الصغير، محاولًا التحدث بجدية رغم تعابيره المبالغ فيها: "الشاعر محق. نحن الآن بالقرب من التفرع بين تشوتلا وإينا. أمامنا فين كارن، والتضاريس هناك وعرة جدًا، وعبورها مع العربة سيكون مستحيلًا تقريبًا. وإذا التقينا بجيش تيميريا عند ضفة إينا، ونحن محملون بهذا الكم من الأمتعة... فقد نجد أنفسنا في ورطة."

فرك زولتان أنفه، غارقًا في التفكير.

وأخيرًا، قال وهو ينظر إلى بقايا العربة، التي بدأت تتمايل مع التيار البطيء للنهر: "حسنًا، جيد." ثم التفت إلى رفاقه وأضاف: "سننفصل هنا. مونرو، فيجيس، كالب، ويزون، ستبقون هنا. أما البقية، فسنواصل المسير. علينا أن نحمل الخيول بالمؤن والمعدات."

ثم التفت إلى مونرو وسأله: "تعرف ما عليك فعله؟ معكم المجارف؟"

أجابه مونرو بثقة: "لدينا كل ما نحتاجه."

أومأ زولتان بجدية: "لا تتركوا أي أثر! ضعوا علامة سرية على الموقع! والأهم... لا تنسوا أين خبأتم كل شيء!"

ابتسم مونرو مطمئنًا وقال: "لا تقلق."

"التحقوا بنا عندما تستطيعون." قال زولتان وهو يضع فأسه في حزامه، ثم ألقى حقيبته على كتفه مع السيهيل. "سنعبر نهر أو، ثم سنتبع مجرى تشوتلا إلى إينا. وداعًا."

تمتمت ميلفا بصوت منخفض وهي تنظر إلى جيرالت، بينما كانوا يسيرون على الطريق بعد أن ودعوا الأقزام الأربعة الذين بقوا خلفهم: "مثير للاهتمام. أتساءل عمّا كان في تلك الصناديق، بحيث اضطروا إلى دفنها ووضع علامة عليها. والأهم... بحيث لم يسمحوا لأي منا برؤيتها."

قال جيرالت بجفاء: "ليس من شأننا."

قال دانديليون بصوت خافت، وهو يوجه بيغاسوس بحذر بين جذوع الأشجار المتساقطة: "لا أعتقد أن الصناديق كانت مليئة بالملابس الداخلية النظيفة. كان لديهم توقعات كبيرة بشأن تلك الشحنة. لقد تحدثت معهم خلال أمسيات كثيرة، وأعرف تمامًا ما يخفونه."

سأل جيرالت ببرود: "وماذا يخفون برأيك؟"

أجاب الشاعر وهو يتأكد من أن لا أحد يستمع: "مستقبلهم." ثم تابع: "بيرسيفال قاطع أحجار محترف، ويريد إنشاء ورشته الخاصة. فيجيس ويازون حدّادان، ويتحدثان عن تأسيس مسبك. أما كالب ستراتون، فهو يريد الزواج، لكن أهل عروسه طردوه ذات مرة لأنه مفلس. وأما زولتان..."

قاطعه جيرالت بحزم: "توقف، دانديليون. النميمة للنساء."

غمز الشاعر بخبث وقال: "أعتذر، ميلفا."

ردّت ميلفا دون اكتراث: "لا حاجة لذلك."

بعد عبور النهر، تلاشت ظلمة الغابة الرطبة، وحلّت محلها أشجار البتولا القصيرة وأراضٍ جافة مغطاة بالأعشاب. رغم ذلك، لم يسرعوا في المسير.

اتبعوا مثال ميلفا، التي ما إن غادرت الغابة حتى وضعت فتاة صغيرة، ذات نمش وضفيرتين، على سرجها. فعل دانديليون الأمر نفسه، حيث أجلس طفلًا على بيغاسوس. أما زولتان، فقد حمل طفلين على جواده الكستنائي، بينما كان يمشي بجانبه ممسكًا باللجام.

لكن حتى مع هذا، لم يزداد إيقاع المسير، فقد كانت النساء من كيرنو في حالة يُرثى لها، غير قادرات على الإسراع أكثر.

قبل حلول المساء، وبعد ساعات من التجوال بين الوديان والممرات الصخرية، توقف زولتان فجأة، وتبادل بضع كلمات مع بيرسيفال شوتنباغ، ثم التفت إلى رفاقه قائلًا بجدية:

"لا تقلقوا، ولا تسخروا مني... لكن يبدو أنني أضعت الطريق. اللعنة، لا أعرف أين نحن، ولا أي طريق يجب أن نسلكه."

صاح دانديليون غاضبًا: "لا تتحدث بالحماقات! ماذا تعني بأنك لا تعرف؟ نحن ببساطة نتبع مجرى النهر. وهناك، في الوادي، يجري نهر أو. أليس كذلك؟"

أومأ زولتان بتردد: "بلى، لكن انظر إلى أي اتجاه يتدفق."

تجمد الشاعر في مكانه، ثم تمتم بذهول: "اللعنة. هذا... هذا مستحيل!"

"هذا ممكن." قالت ميلفا بلهجة قاتمة، بينما كانت تسحب بصبر أوراق الأشجار الجافة وإبر الصنوبر من شعر الفتاة النمشاء التي كانت تحملها على حصانها. "كل هذه الالتفاتات أربكتنا. لقد سلكنا الاتجاه الخاطئ."

"لكن هذا لا يزال نهر أو." كرر دانديليون بعناد. "إذا بقينا معه، فلن نضيع. النهر سيلتف ويتعرج، لكنه في النهاية سيفرغ في مصبّ. هذا هو نظام العالم."

قطّب زولتان أنفه وقال بحدة: "لا تتفلسف، مغنٍ. أغلق فمك. ألا ترى أنني أفكر؟"

قهقه دانديليون بسخرية: "لا، لا يوجد ما يوحي بذلك. أقولها لك مجددًا، إذا اتبعنا مجرى النهر، ثم..."

زمجرت ميلفا مقاطعة: "توقف عن الثرثرة. أنت جرذ مدينة. نظام عالمك ينحصر بين جدران الحجر؛ ورؤيتك للعالم مبنية على الشوارع المرصوفة. لكن انظر حولك! وديان وممرات ضيقة، ضفاف شديدة الانحدار ومغطاة بالشجيرات. كيف سنظل على مقربة من النهر؟ بعد كل منعطف، ينحدر الوادي إلى

مستنقع كثيف، ثم يرتفع مجددًا، ثم ينخفض، ثم يرتفع مرة أخرى. جرّب الأمر عدة مرات دون أن تفقد السيطرة على اللجام. لدينا نساء وأطفال، دانديليون. والمساء يقترب."

قال الشاعر بجدية وهو يراقب الشمس المتراجعة: "أدركت ذلك. سأصمت. لنسمع منكِ، أنتِ التي تعرفين الغابة جيدًا."

ضرب زولتان الببغاء على رأسه، مطلقًا شتيمة غاضبة، لكن إصبعه اشتبك بخصلات لحيته، فانتزعها بغضب وهو يزفر بانزعاج.

"بيرسيفال؟"

نظر القزم الصغير إلى الشمس، التي كانت تتدلى فوق رؤوس الأشجار، وقال: "نحن نعرف الاتجاه المطلوب بشكل تقريبي." ثم تابع: "الاقتراح الأول هو التالي: نعود أدراجنا، نبتعد عن الطين إلى أرض أكثر جفافًا، ونعبر فين كارن، متبعين مجرى النهر حتى نصل إلى تشوتلا."

سأل زولتان، وهو يعبث بشاربه: "وماذا عن الخطة الأخرى؟"

أجاب بيرسيفال: "نهر أو ضحل. رغم أنه يحمل مياهًا أكثر من المعتاد بسبب الأمطار الأخيرة، إلا أنه يمكن عبوره بسهولة. إذا عبرنا إلى الضفة المقابلة، واتبعنا اتجاه الشمس، فسنصل إلى ملتقى تشوتلا و إينا."

قال الويتشر بحزم: "لا." كانت نبرته حاسمة. "الخطة الثانية مستبعدة تمامًا. لا تفكروا بها حتى. إذا عبرنا إلى الضفة الثانية، فسوف نجد أنفسنا عاجلًا أم آجلًا في الغابات الطحلبية. وذلك مكان بغيض. نصيحتي هي أن نتجنبه."

نظر زولتان إلى جيرالت بعينين ضيقتين، وسأله: "أتعرف هذه المناطق؟ هل كنت هناك من قبل؟ هل تعرف الطريق؟"

فرك الويتشر جبهته، متريثًا في الإجابة.

قال بصوت منخفض وهو يسترجع ذكرياته: "لقد كنت هناك مرة واحدة... قبل ثلاث سنوات. جئت من الجهة المقابلة، من الشرق. كنت متوجهًا إلى بروج وأردت اختصار الطريق. لا أذكر كيف خرجت من هناك... كل ما أعرفه أنني كنت نصف ميت، وأُخرجت على متن عربة."

حدّق القزم فيه للحظات، لكنه لم يطرح أي أسئلة أخرى.

استداروا بصمت وعادوا أدراجهم. كانت النساء القادمات من كيرنو يمشين بصعوبة، متعثرات أحيانًا، بينما يدعمن الأطفال. ومع ذلك، لم تتفوّه أي منهن بكلمة شكوى.

سارت ميلفا بجانب الويتشر، والفتاة الصغيرة ذات الضفيرتين نائمة بين ذراعيها.

قالت بهدوء: "إذا كنت أفهم الأمر جيدًا، فقد كاد شيء ما في تلك الغابات، قبل ثلاث سنوات، أن ينهي حياتك. لديك مهنة خطيرة، يا جيرالت."

أجابها ببرود: "لا يمكنني إنكار ذلك."

قال دانديليون بفخر، وهو ينظر إليهما: "أنا أعرف ما حدث آنذاك. لقد كنت مصابًا بجروح خطيرة، وأخرجك رجل بعربته. وفي مزرعته، وجدت سيري لاحقًا. ينيفر أخبرتني بذلك."

عند سماع الاسم، ارتسمت على وجه ميلفا ابتسامة خفيفة. لم يفت هذا الأمر على جيرالت. قرر أنه في المخيم القادم، سيلقّن دانديليون درسًا على لسانه المنفلت. لكنه كان يدرك أن ذلك لن يجدي نفعًا، فمعرفة الشاعر، تعني أنه سيغني كل ما يعرفه في أول فرصة.

قالت ميلفا بصوت متأمل: "ربما ارتكبنا خطأ بعدم الذهاب عبر الغابات الطحلبية. ربما كنت ستجد فتاتك هناك... الإلف يعتقدون أنه إذا زرت مكانًا حدث فيه شيء مهم، فبإمكانك تكرار الحدث... يسمّون ذلك..." توقفت، متذمرة: "اللعنة، نسيت التسمية. هل هو عقدة القدر؟"

قال جيرالت مصححًا: "لا. إنها حلقة القدر."

بصق دانديليون على الأرض وتمتم بامتعاض: "هل يمكنكم التوقف عن الحديث عن المصائر والحبال؟ ذات مرة، في وادي الزهور، تنبأ لي أحد الإلف بأنني سأُشنق على المشنقة. أنا لا أؤمن بهذه النبوءات الرخيصة، لكن قبل يومين فقط، رأيت في حلمي أنني كنت معلّقًا بحبل. استيقظت مبللًا بالعرق، غير قادر على البلع أو التقاط أنفاسي. لذا، لا تتفاجأوا إذا لم أكن مرتاحًا لهذا الحديث عن المشانق."

ردّت ميلفا بحدة: "أنا لم أكن أتحدث إليك، بل إلى الويتشر. أغلق أذنيك إذًا، حتى لا تملأهما الحشرات." ثم التفتت إلى جيرالت وسألته: "حسنًا، جيرالت؟ ما رأيك في حلقة القدر؟ لو دخلت الغابة الطحلبية، هل كان الحدث سيتكرر؟"

أجابها بجفاء: "من الجيد أننا عدنا أدراجنا. ليس لدي أدنى رغبة في تكرار ذلك الكابوس."

"على الرحب والسعة." تمتم زولتان وهو يهز رأسه، ناظرًا حوله. "لقد وصلنا إلى مكان ساحر، بيرسيفال."

تمتم القزم الصغير وهو يحك طرف أنفه الطويل: "فين كارن... مرج القبور... لطالما تساءلت عن مصدر هذه التسمية..."

"والآن تعرف."

امتدت أمامهم وادٍ واسع، مغمور بضباب المساء. حيثما امتد البصر، غطّت الضبابية بحرًا من المدافن القديمة والصخور البالية.

بعض الصخور كانت مجرد كتل عديمة الشكل، بينما كان بعضها الآخر – الأحجار الضخمة والمسلات – منحوتًا بعناية ومتراصفًا بدقة. أما تلك التي تجمعت في الدائرة الأقرب إلى مركز الغابة الحجرية، فقد بدت منظمة بشكل يستبعد أن تكون مجرد مصادفة من صنع الطبيعة.

قال زولتان وهو يتأمل المشهد الكئيب: "بالتأكيد، مكان ساحر لقضاء الليل. مقبرة إلفية. إذا كنت أتذكر جيدًا، فقد ذكر الويتشر مؤخرًا الغيلان؟ حسنًا، دعني أخبرك بشيء... يمكنني الشعور بها بين تلك القبور. لا بد أن هناك كل شيء... غيلان، غريفيرز، مصاصي دماء، أكلة الجثث، وحتى أرواح الإلف، الفرقة كاملة. كلهم هناك. وتعلم ما الذي يهمسون به الآن؟ لا داعي للبحث عن العشاء... العشاء قد أتى إليهم بنفسه."

قال دانديليون بقلق: "لماذا لا نستدير ونرحل؟ لنفرّ بينما لا يزال هناك ضوء!"

أضاف بيرسيفال بتوتر: "أنا أيضًا أرى ذلك رأيًا صائبًا."

لكن ميلفا زمجرت غاضبة: "النساء يتعثرن، الأطفال يسقطون من أذرعهن، والخيول مرهقة. علينا أن نتوقف، زولتان. قلتَ قبل قليل إنه لم يتبقَّ سوى نصف ميل، وها قد مضت ميل ونصف على ذلك. إنهم بحاجة للراحة. والآن ماذا؟ تريدهم أن يسيروا ميلًا آخر عائدين؟ اللعنة! سواء كانت مقبرة أم لا، سيقضون الليل هنا!"

قال جيرالت وهو يترجل عن حصانه: "بالطبع." ثم أضاف بصوت هادئ: "لا داعي للذعر. ليست كل المقابر مجرد أعشاش للوحوش والأشباح. فين كارن... رغم أنني لم أزرها من قبل، إلا أنني لو سمعت عن أي خطر حقيقي فيها، لكنتُ علمت بذلك."

لم يعلّق أحد، ولا حتى المارشال دودا.

جلست نساء كيرنو مع أطفالهن متقاربين، صامتين، والخوف واضح على وجوههن.

أما بيرسيفال ودانديليون، فقد ربطا الأحصنة، وتركاها ترعى العشب الغنيّ.

تقدّم جيرالت، وزولتان، وميلفا إلى حافة المرج، يراقبون المقبرة الغارقة في الظلال والضباب.

قال القزم، متذمرًا: "ولزيادة الطين بلّة، القمر الليلة مكتمل. آه، الليلة ستكون وليمة للغيلان، أشعر بذلك، سنقدّم لهم.. انتظر... ما هذا الضوء في الجنوب؟ نوع من التوهج؟"

أجابه جيرالت، عاقدًا ذراعيه: "أنت تعرف هذا التوهج، زولتان. مرة أخرى، قام أحدهم بإضرام النيران في أسقف قشية فوق رؤوس أناس آخرين. وتعلم ماذا؟ بطريقة ما، أشعر بأمان أكثر هنا في فين كارن."

"أشعر بذلك أيضًا، ولكن فقط عندما تشرق الشمس." قال زولتان بعبوس. "نأمل أن تتركنا الغيلان على قيد الحياة حتى الفجر."

عبثت ميلفا في حقائب سرجها، ثم أخرجت شيئًا لامعًا.

"رأس سهم فضي." أوضحت وهي تديره بين أصابعها. "احتفظت به لهذه المناسبة بالذات. كلّفني خمسة تيجان في السوق. هل يمكن لمثل هذا الشيء أن يقتل غولًا، ويتشر؟"

قال جيرالت بلا اكتراث: "لا أعتقد أن هناك غيلانًا هنا."

قال زولتان بحدة: "لكنّك قلت بنفسك أن الرجل المشنوق على شجرة البلوط التُهِمَ من قبل الغيلان. ونحن الآن في مقبرة، حيث تعيش الغيلان."

"ليس دائمًا."

"سآخذ كلامك على محمل الجد. أنت ويتشر، متخصص، لذا أتوقع منك أن تدافع عنا ضدهم. هل الغيلان تقاتل أفضل من المغيرين؟"

قال جيرالت ببرود: "لا يمكنك المقارنة بينهما. وقلت لك، لا داعي للذعر."

سألت ميلفا وهي تتفحص رأس السهم بظفرها، متأكدة من حدّته: "هل سيكون هذا كافيًا لقتل مصاص دماء؟ أو روح شريرة؟"

قال الويتشر مترددًا: "ربما."

زمجر زولتان وهو يكشف عن سيفه: "على السيهيل الخاص بي، نُقشت رونية قزمية قديمة، مرتبطة بتعويذة سحرية. أي غول يقترب من متناول سيفي، سيتذكرني جيدًا. سترون ذلك بأنفسكم."

ضحك دانديليون، الذي كان قد اقترب أثناء الحديث، وقال: "هاه، إذن هذه هي الرونيات السرية المشهورة للأقزام؟ ما المكتوب على السيف؟"

ابتسم زولتان وقال بفخر: "اذهبوا و..." (تبعها شتائم لا يمكن نقلها بأدب).

قبل أن يتمكن دانديليون من الرد، دوّى صوت بيرسيفال فجأة، صارخًا: "شيء يتحرك بين الصخور!"

"غول! غول!"

انتفض الجميع.

"أين؟"

"هناك، هناك! إنه يختبئ خلف الصخور!"

"واحد فقط؟"

"لم أرَ سوى واحد!"

بصق زولتان في يديه، وأحكم قبضته على مقبض السيهيل: "يبدو أنه جائع لدرجة أنه قرر مهاجمتنا قبل حلول الظلام! ها! الآن سيتعلم أن الجشع يؤدي إلى الهلاك! ميلفا، أرسلي سهمًا إلى مؤخرته، وسأمزّق أمعاءه!"

لكن ميلفا، التي كانت قد وضعت ريشة السهم على خدها، همست بتركيز: "لا أرى شيئًا هناك. لا شيء سوى الأعشاب تتحرك بين الصخور. هل أخطأت، أيها القزم؟"

احتج بيرسيفال: "لا! انظري إلى تلك الصخرة هناك، التي تشبه طاولة مكسورة. الغول مختبئ خلفها."

قال جيرالت وهو يسحب سيفه بسرعة من غمده: "ابقوا هنا. اعتنوا بالنساء وراقبوا الخيول. إن هاجم الغول، ستفزع الخيول." ثم أضاف وهو يتجه نحو الصخور: "سأذهب وأتفقد الأمر."

قال زولتان بعناد: "لن تذهب وحدك."

ثم أضاف وهو يخطو للأمام: "قبل أيام، في المرج، غادرت لأنني كنت خائفًا من الجدري. لم أتمكن من النوم ليلتين من العار. هذا لن يتكرر! بيرسيفال، إلى أين تظن نفسك ذاهبًا؟ إلى الخلف؟ أنت من رأى الغول، والآن ستأخذ الطليعة. لا تخف، أنا خلفك مباشرة!"

تحركوا بحذر بين التلال المدفونة، محاولين إحداث أقل قدر ممكن من الضجيج بين الأعشاب الطويلة التي وصلت إلى ركبتي جيرالت، بينما وصلت إلى خصر كل من القزم والقزم الصغير.

عندما اقتربوا من الدولمن، توزعوا في مواقع مختلفة، محاولين قطع أي طريق للهروب أمام الغول، لكن استراتيجيتهم كانت بلا جدوى.

كان جيرالت يعرف أن هذا سيحدث فميداليته لم تهتز ولو لمرة واحدة.

قال زولتان وهو ينظر حوله: "لا يوجد أحد. لا روح ولا شبح. لقد كانت هلوسة، بيرسيفال. إنذار كاذب. لقد أثرت الذعر بلا داعٍ... تستحق ركلة في مؤخرتك."

احتج بيرسيفال بعناد: "لقد رأيته! رأيته يقفز بين الصخور! كان هزيلًا وأسود مثل جابي الضرائب..."

"اصمت، أيها القزم الأحمق، بسببك..."

لكن جيرالت قاطعه فجأة، وهو يشتم الهواء بانتباه: "ما هذه الرائحة الغريبة؟ هل تشمونها؟"

قال زولتان وهو يشتم الهواء مثل كلب صيد: "أنت محق. الرائحة غريبة."

قال بيرسيفال، مستنشقًا الهواء من خلال أنفه الحساس الطويل: "أعشاب... شيح، ريحان، مريمية، يانسون... قرفة؟ ما هذا بحق الجحيم؟"

سأل زولتان، متشككًا: "وكيف تفوح رائحة الغيلان، جيرالت؟"

أجاب الويتشر، وهو يتفحص العشب بحثًا عن أي آثار: "رائحتها مثل الجيف المتعفنة."

ثم، بخطوات سريعة، عاد إلى الدولمن وطرق مقبض سيفه على الحجر، ثم قال من بين أسنانه المشدودة: "اخرج. أعلم أنك هناك. أسرع، وإلا سأطعن سيفي عبر الفتحة."

من الحفرة المخفية بإتقان أسفل الدولمن، صدر صوت خافت لحفر وخدش.

كرر جيرالت أمره: "اخرج، لن أؤذيك."

قال زولتان بصوت مفعم بالعسل لكن بعينين متعطشتين للدماء وهو يمد يده نحو السيهيل: "لن يسقط شعرة واحدة من رأسك، لا داعي للقلق."

لكن جيرالت هز رأسه، وأشار له بصرامة ليتراجع.

تكرر صوت الخدش من الحفرة، متبوعًا بانبعاث أقوى لرائحة الأعشاب والجذور.

بعد دقيقة، ظهرت خصلة شعر رمادية تتلوها ملامح وجه نبيلة، بأنف معقوف بشكل مدهش، لكنها لم تكن تنتمي إلى غول. بل لرجل نحيف، في منتصف العمر.

لم يكن بيرسيفال مخطئًا. كان الرجل يبدو حقًا كجابي ضرائب.

رفع الرجل عينيه السوداوين تحت حاجبيه الكثيفين المشيبين، وسأل جيرالت بصوت هادئ: "هل يمكنني الخروج بلا خوف؟"

أجابه الويتشر: "يمكنك."

خرج الرجل من الحفرة، ونفض معطفه الأسود المربوط عند خصره بشيء يشبه المئزر، ثم شدّد حزام حقيبته القماشية، لتفوح منه موجة أخرى من روائح الأعشاب النفاذة.

"أيها السادة، أقترح أن تضعوا أسلحتكم جانبًا." قال الرجل بصوت هادئ، وعيناه تفحصان المكان من حوله. "لن تحتاجوا إليها. كما ترون، لا أحمل سيفًا. لم أفعل يومًا. كما أن حقيبتي لا تحتوي على أي شيء ذي قيمة. اسمي إيميل ريجيس. جئت من ديلينغن. أنا جرّاح."

قطّب زولتان شيفاي حاجبيه قليلًا وقال ساخرًا: "بالطبع، إما عشّاب، أو حلاق، أو جرّاح. لا أقصد الإهانة، لكن رائحتك تشبه الصيدليات."

ارتسمت على شفتي ريجيس ابتسامة رفيعة، ورفع يديه باعتذار.

قال جيرالت، وهو يعيد سيفه إلى غمده: "لقد كشفتك الرائحة، أيها الجرّاح." ثم أضاف: "هل لديك سبب محدد لاختبائك منا؟"

حدّق الرجل في عينيه السوداوين وقال: "سبب محدد؟ لا. بل سبب عام. كنت ببساطة خائفًا منكم. هذه هي طبيعة الأوضاع الآن."

أومأ القزم موافقًا، مشيرًا بإبهامه نحو السماء المتوهجة بالدخان: "هذه هي الأوضاع فعلًا. أتصور أنك لاجئ مثلنا. لكن من الغريب أنك هربت بعيدًا عن مسقط رأسك ديلينغن فقط لتختبئ هنا، وسط القبور. لكن، في زمن الحرب، تصبح الحياة فوضى عارمة. لقد أخفتنا، ونحن أخفناك. الخوف يضخم الأمور."

قال ريجيس دون أن يرفع عينيه إليهم: "من ناحيتي، لا يوجد تهديد. وآمل أن يكون العكس صحيحًا."

انتفض زولتان، وازدادت خشونة صوته وهو يقول: "أتظن أننا قُطّاع طرق؟ نحن، أيها الجرّاح، لاجئون أيضًا. نحن متجهون نحو حدود تيميريا. إن أردت، يمكنك الانضمام إلينا. الجماعة الكبيرة أكثر أمانًا من العزلة، كما أن طبيبًا قد يكون مفيدًا. معنا نساء وأطفال. هل تملك في حقيبتك النتنة شيئًا لمعالجة الأقدام الممزقة؟"

قال الجراح بهدوء: "قد أجد شيئًا. سأساعد قدر استطاعتي. أما بالنسبة للرحلة، فأنا أقدّر عرضكم، لكنني لست لاجئًا، أيها السادة. لم أهرب من ديلينغن بسبب الحرب، فأنا أعيش هنا."

اتخذ زولتان خطوة إلى الخلف دون وعي، وسأل بذهول: "تعيش هنا؟ في المقبرة؟"

أجاب ريجيس بصوت هادئ: "المقبرة؟ ليس تمامًا، لدي كوخ ليس بعيدًا من هنا. بالإضافة إلى بيتي ومتجري في ديلينغن، بالطبع. لكنني أقضي الصيف هنا كل عام، من يونيو إلى سبتمبر، من الانقلاب الصيفي حتى الاعتدال الخريفي. أجمع الأعشاب الطبية والجذور، وأقوم بتقطير الإكسير هنا..."

تساءل جيرالت، ناظرًا إليه بعينين ضيقتين: "لكن رغم أنك تعيش هنا، بعيدًا عن العالم والبشر، فأنت تعلم عن الحرب. كيف؟"

أجاب الجراح: "من اللاجئين الذين مرّوا عبر المنطقة. أقل من ميلين من هنا، على طول نهر تشوتلا، يوجد مخيم ضخم. يتجمع فيه بضع مئات من اللاجئين، من قرى سودين وبروج."

اهتمّ زولتان بالأمر وسأله: "وماذا عن قوات تيميريا؟ هل يتقدمون؟"

"لا أعرف شيئًا عن ذلك."

أطلق زولتان شتيمة، ثم حدّق في الرجل الجديد الذي انضم إليهم.

قال ببطء، ناظرًا إليه بعينين ضيقتين: "إذًا، أنت تعيش هنا، يا سيد ريجيس؟ وتتجوّل ليلًا بين القبور؟ ألا تخاف؟"

رفع الجراح حاجبيه وقال بهدوء: "ولماذا أخاف؟"

أشار زولتان إلى جيرالت وقال: "هذا الرجل هنا ويتشر. لقد رأى علامات على وجود غيلان. جثث تمشي على الأرض، هل تفهم؟ ومن المعروف أن المقابر هي موطن الغيلان الطبيعي."

نظر ريجيس إلى جيرالت بفضول واضح، ثم قال مبتسمًا: "إذًا فأنت قاتل وحوش؟ مثير للاهتمام. وضّح لرفاقك، أيها الويتشر، أن هذه النيكروبوليس تعود إلى أكثر من نصف ألف عام. أما بالنسبة للغيلان، فهي ليست صعبة الإرضاء عندما يتعلق الأمر بالغذاء، لكنها بعد خمسمائة عام من مضغ العظام القديمة، غادرت."

قال زولتان وهو ينظر حوله بحذر: "حسنًا، هذا يقلل من همّ واحد." ثم استدار إلى ريجيس وأضاف: "حسنًا، أيها الجرّاح، دعني أدعوك إلى معسكرنا. هل تحب لحم الحصان البارد؟"

تأمل ريجيس المجموعة أمامه للحظات، ثم قال بجدية: "شكرًا، لكن لديّ فكرة أفضل. أدعوكم إلى منزلي. كوخي الصيفي أكثر من مجرد كوخ، بل هو كابينة صغيرة. إنها ضيقة، لذلك ستنامون تحت النجوم، لكن بجوارها نبع ماء صالح للشرب، وموقد يمكننا أن نسخّن عليه لحم الحصان."

انحنى زولتان بإيماءة موافقة وقال: "نقبل دعوتك بكل سرور. قد لا يكون هناك غيلان هنا، لكن فكرة قضاء الليل في مقبرة لا تروق لي أبدًا. هيا، سنعرفك على بقية رفاقنا."

عندما اقتربوا من المعسكر، ضربت الخيول الأرض بحوافرها، وأصدرت أصوات شخير متوترة.

قال زولتان وهو يلقي نظرة ذات مغزى على ريجيس: "قف قليلًا باتجاه الريح، يا سيد ريجيس. رائحة المريمية تخيف الجياد، وبصراحة، تجعلني أشعر بالاشمئزاز أيضًا. تذكّرني بخلع الأسنان."

همس زولتان لجيرالت بينما كان إيميل ريجيس يختفي خلف الستارة التي كانت بمثابة باب لكابينته: "فلنبقِ أعيننا مفتوحة. لا يعجبني هذا العطّار ذو الرائحة النفاذة."

سأل جيرالت بهدوء: "أي سبب محدد؟"

تمتم القزم، وهو يعبث بلحيته: "لدي شكوك في الأشخاص الذين يقضون صيفهم قرب المقابر. خصوصًا تلك التي تقع بعيدًا عن المستوطنات البشرية. ألا تنمو الأعشاب في أماكن أكثر ملاءمة؟ هذا ريجيس يبدو أقرب إلى كونه نابش قبور. الجرّاحون، الكيميائيون وأمثالهم يحبّون نبش الجثث، ليتمكنوا لاحقًا من إجراء تجارب مختلفة عليها."

"التجارب، زولتان. هذه الممارسات تُجرى على الجثث الطازجة. وهذه المقبرة قديمة للغاية."

حكَّ القزم لحيته بتفكير وهو يراقب نساء كيرنو وهن يستعددن لقضاء ليلتهن تحت شجيرات الكرز المحيطة بكوخ الجرّاح.

قال متسائلًا: "هل يمكن أنه يسرق الكنوز المدفونة في القبور؟"

هزّ جيرالت كتفيه وقال بلا مبالاة: "اسأله. أنت قبلت دعوته بكل ترحيب، والآن فجأة أصبحت تشك فيه وكأنك عجوز تلقت إطراء غير متوقع."

فكر زولتان للحظة، ثم تمتم: "هممم، معك حق. لكن بما أننا هنا، ينبغي أن نرى ما يوجد في كوخه. أوه، نعم... فقط للتأكد."

نظر إليه جيرالت بشك وقال ساخرًا: "ادخل واسأله إن كان بإمكانك استعارة شوكة."

قطّب زولتان حاجبيه وسأل: "لماذا شوكة؟"

"ولِمَ لا؟"

حدّق القزم فيه للحظة، لكنه في النهاية قرر تنفيذ الفكرة. سار باتجاه الكوخ، وطرق على إطار الباب، ثم دخل.

ظلّ داخلًا لفترة أطول مما توقعوا، ثم أخيرًا ظهر عند المدخل وهو يلوّح إليهم.

"جيرالت، بيرسيفال، دانديليون، تعالوا لتروا شيئًا مثيرًا للاهتمام. هيا، لا تترددوا، ريجيس يدعوكم."

كان داخل الكوخ مظلمًا، تملأه روائح ثقيلة ومخدرة من حزم الأعشاب والتوابل المعلقة على الجدران.

لم يكن هناك سوى سرير، كان هو الآخر مغطى بالأعشاب، وطاولة ملتوية مغطاة بعدد لا يحصى من الزجاجات الخزفية والزجاجية والخزفية.

أما مصدر الضوء الخافت الوحيد، فكان موقدًا قصيرًا يشبه الساعة الرملية، محاطًا بشبكة من الأنابيب المتوهجة، الملتوية على شكل أقواس وحلزونات.

تحت أحد هذه الأنابيب، وُضع وعاء خشبي، حيث كانت قطرات من سائل شفاف تتساقط داخله ببطء.

اتسعت عينا بيرسيفال شوتنباغ فور رؤيته، فتح فمه، ثم أطلق تنهيدة مفعمة بالذهول.

"أوه، أوه، أوه!" صرخ بحماس لا يمكن إخفاؤه. "ما الذي أراه هنا؟! جهاز تكلّس كيميائي حقيقي! وفوقه جهاز تقطير مزوّد بأداة تصفية ومبرد نحاسي! عمل مذهل! هل صنعته بنفسك، أيها الجرّاح؟"

أومأ إيميل ريجيس بتواضع وقال: "نعم، أنا أكرّس نفسي لصناعة الإكسير، لذا عليّ التقطير. لاستخراج الجوهر الخامس، وكذلك..."

توقف فجأة عندما رأى زولتان يضع إبهامه تحت الأنبوب، يلتقط قطرة من السائل، ثم يلعقها.

أطلق القزم تنهيدة عميقة، وعلى الرغم من الظلام، كانت ملامحه تعكس حالة من النشوة التي لا توصف.

لم يستطع دانديليون مقاومة الفضول، فتذوّق السائل بدوره.

ثم أغمض عينيه، وأطلق تنهيدة ناعمة أشبه بالأنين.

"الجوهر الخامس." قال دانديليون وهو يلعق شفتيه بتقدير. "وربما السادس أو السابع أيضًا."

ابتسم ريجيس ابتسامة طفيفة وقال: "حسنًا، نعم. كما قلت، إنها عملية تقطير..."

قاطعه زولتان مستنكرًا: "إنها مونشاين! وما أروع المخلّفات التي تتركها. جرّبها، بيرسيفال."

تمتم القزم الصغير وهو راكع، يفحص تفاصيل الموقد الكيميائي باهتمام بالغ: "لكنني لا أفهم الكيمياء العضوية... من المشكوك فيه أن أتمكن من تحديد المكونات..."

قال ريجيس وهو يبدد شكوكه: "إنها عملية تقطير لجذر ألراوني، مع إضافة البيلادونا. أما إنزيمات تخمير الكحول التي استخدمتها..."

قاطعه زولتان بسخرية: "بمعنى آخر، خميرة؟"

أومأ ريجيس بهدوء: "يمكنك تسميتها بذلك."

سأل دانديليون بحماس: "ألا توجد كؤوس هنا؟"

لكن جيرالت، الذي كان يقف مكتّف الذراعين، قال بصرامة: "زولتان، دانديليون. هل أنتما أصمان؟ هذا المشروب مصنوع من الماندراك! ابتعدا عن الغلاية."

حاول ريجيس تهدئة الموقف وهو يخرج كوبًا صغيرًا من بين القوارير المتربة وينظفه بعناية بقطعة قماش: "عزيزي جيرالت، لا داعي للقلق. لقد عالجت الماندراك بشكل صحيح، والنسب محسوبة بعناية وبدقة. لكل رطل من الخميرة، أستخدم خمس أوقيات من الألراوني، ونصف أوقية فقط من البيلادونا..."

لكن زولتان هز رأسه، ونظر إلى جيرالت، وقد فهم مغزى تحذيره. تغيرت ملامحه إلى الجدية، ثم ابتعد عن الموقد بحذر.

قال القزم بصوت هادئ: "الأمر ليس كما تظن، سيد ريجيس... بل يتعلق بتكلفة الألراوني. إنه مشروب باهظ الثمن بالنسبة لنا."

تمتم دانديليون بانبهار، مشيرًا إلى كومة ضخمة في زاوية الكوخ تشبه بصيلات الشمندر السكري: "ماندراكورا... هذا هو الماندراك؟ الماندراك الحقيقي؟"

قال ريجيس بارتياح: "النوع الأنثوي. أجد كميات وفيرة منه في المقبرة حيث التقينا. وهذا تحديدًا هو سبب قضائي الصيف هنا."

تبادل جيرالت نظرة ذات مغزى مع زولتان. رد القزم بغمزة خفيفة، بينما ارتسمت على شفتي ريجيس نصف ابتسامة.

قال ريجيس وهو يفتح ذراعيه بدعوة كريمة: "أيها السادة، رجاءً، إذا راق لكم ذلك، فأنا أدعوكم بصدق إلى جلسة تذوّق. أقدر لطفكم، لكن في ظل الظروف الحالية، ليس لدي فرصة كبيرة لنقل الإكسير إلى ديلينغن وسط الحرب. سيضيع كل شيء بلا فائدة، لذا لا داعي للحديث عن الأسعار. عذرًا، ولكن لا أملك سوى إناء شرب واحد."

ضحك زولتان وهو يأخذ الكأس ويمسك به بحذر، ثم قال: "واحد يكفي." ملأه ببطء، ثم رفعه وقال: "في صحتك، سيد ريجيس."

ثم تجرّع منه رشفة عميقة، وأغمض عينيه للحظة، قبل أن يطلق زفرة طويلة مليئة بالرضا: "أوووه..."

"أعتذر،" قال ريجيس بلطف. "جودة التقطير لا تزال غير مثالية تمامًا... إنه عمل مستمر."

قال زولتان وهو يلتقط أنفاسه: "حسنًا، هذا أفضل شيء شربته في نصف حياتي." ثم ناول الكأس لدانديليون.

"آااااه... أوه، مذهل! جيرالت، عليك أن تجربه!"

قال الويتشر وهو ينحني قليلًا باتجاه ريجيس: "لنشرب أولًا في صحة المضيف." ثم التفت إلى دانديليون وأضاف: "أين ذهبت آدابك؟"

ابتسم ريجيس وقال باعتذار: "أعذروني أيها السادة، لكنني لا أشرب. صحتي لم تعد كما كانت، لذا كان عليّ التخلي عن... الكثير من الملذات."

تساءل زولتان بدهشة: "ولا حتى رشفة واحدة؟"

قال ريجيس بصوت هادئ، بنبرة لا تقبل الجدال: "إنها مسألة مبدأ. ولا أنتهك المبادئ التي أضعها لنفسي."

قال جيرالت وهو يرفع الكأس بتقدير: "تحظى بإعجابي. لا يسعني إلا أن أحسدك على هذا الانضباط." ثم تذوّق المشروب، وبعد لحظة تردد، شربه كاملًا.

كانت حرارته تشتعل في معدته بطريقة لذيذة، لكن طعمه كان قويًا لدرجة أنه جعل الدموع تترقرق في عينيه للحظات.

ناول الكأس إلى القزم وقال: "سأذهب لإحضار ميلفا، لا تشربوا كل شيء قبل أن نعود."

وجد ميلفا جالسة مع الخيول، تلعب مع الفتاة الصغيرة النمشاء ذات الضفيرتين، التي حملتها في السرج طوال اليوم. عندما أخبرها بكرم ريجيس ودعوته، رفعت كتفيها بلا اهتمام، لكنها لم تحتج إلى الكثير من الإقناع.

عندما عادوا إلى الكوخ، وجدوا الجميع يتفحصون جذور الماندراك المخزنة.

قال دانديليون وهو يقلب جذرًا متفرعًا بين يديه: "هذه أول مرة أرى فيها واحدة. بالفعل، تشبه الإنسان إلى حد ما."

قال زولتان وهو يحدّق بإحداها: "لكنها تبدو وكأنها شخص ملتف من ألم في ظهره." ثم أشار إلى أخرى: "وهذه... تشبه امرأة حامل." وبعد لحظة، التقط جذرًا آخر وضحك: "أما هذا، فمعذرة، لكنه يبدو وكأن شخصين مستلقيان معًا!"

زمجرت ميلفا وهي تأخذ رشفة جريئة من الشراب، ثم بدأت تسعل بشدة: "تبا... هذا مشروب قوي! هل هو حقًا مصنوع من الماندراك؟ ها، إذن لنشرب! هذا لا يحدث لنا كل يوم. شكرًا لك، أيها الجرّاح."

قال ريجيس بأدب: "المتعة كلها لي."

أخذت الكأس تدور بينهم، تُملأ باستمرار، ناشرة جوًا من الدفء والاسترخاء، وجرّت الجميع إلى حديث مرح.

قال بيرسيفال شوتنباغ وهو يقلب إحدى الجذور في يديه: "لطالما سمعت أن الماندراك نبتة ذات قوى سحرية عظيمة."

"أعد قول ذلك." قال دانديليون مؤكدًا، قبل أن يفرغ الكأس مرة أخرى، يهز رأسه، ويتابع: "لقد كُتبت العديد من القصائد حول هذا الموضوع. السحرة يضيفون الماندراك إلى إكسير يمنحهم الشباب الأبدي. أما الساحرات، فيصنعن منه مرهمًا يُدعى الغلامور، وعندما تضعه الساحرة، تصبح جميلة إلى حد يجعل من حولها يفقدون صوابهم. يمكنني أيضًا أن أخبركم أن الماندراك يُعتبر مثيرًا قويًا للشهوة، ويُستخدم في السحر العشقي، خاصةً لكسر مقاومة النساء العنيدات. ومن هنا جاء الاسم الشعبي للنبتة: pucelesta، والذي يعني جنة العاهرات."

"سخيف." علّقت ميلفا بجفاء.

رفع بيرسيفال شوتنباغ الكأس وقال بتفكير: "لقد سمعت أن جذور الألراوني عندما تُقتلع من الأرض، تصرخ وتتألم كما لو كانت حية."

هزّ زولتان رأسه وقال: "ليس فقط تصرخ! يُقال إن الماندراك يُصدر صرخة مرعبة لدرجة أن من يسمعها قد يفقد وعيه، والأسوأ من ذلك أنه يُطلق تعاويذ ولعنات على من اقتلعه من الأرض. قد يكون الثمن حياتك."

قالت ميلفا وهي تأخذ الكأس، تشرب رشفة، ثم ترتجف من قوة الشراب: "أعتقد أن هذه مجرد قصص تُحكى للحمقى. لا أصدق أن نباتًا يمكن أن يمتلك مثل هذه القوى."

صرخ القزم بحماسة: "لكن تم إثبات صحتها! ومع ذلك، فإن العشّابين الحكماء وجدوا طريقة لحماية أنفسهم. عندما يجدون الألراوني، يربطون حبلاً حول الجذر والطرف الآخر يربطونه بكلب..."

قال القزم الصغير: "أو خنزير."

أضاف دانديليون بجدية مفتعلة: "أو خنزير بري."

"أنتَ أحمق، أيها الشاعر." قال زولتان وهو يعبس. "الفكرة هي أن يسحب الكلب أو الخنزير الجذر من الأرض، وبذلك تقع اللعنات عليه، بينما يظل العشّاب مختبئًا بأمان في الأدغال، فينجو بحياته. ماذا عنك، سيد ريجيس؟ هل قلت شيئًا؟"

ابتسم ريجيس وقال: "الطريقة مثيرة للاهتمام، خصوصًا لما فيها من ذكاء. لكن المشكلة، من وجهة نظري، أنها معقدة أكثر من اللازم. من الناحية النظرية، ينبغي أن يكون الحبل وحده كافيًا دون الحاجة إلى جرّ الحيوان. لا أعتقد أن الماندراك لديه القدرة على تمييز من يقوم بالسحب. اللعنات ستقع دائمًا على الحبل، وهو في النهاية أرخص وأسهل من استخدام كلب أو خنزير."

رفع القزم حاجبيه وقال بريبة: "أتهزأ بي؟"

هز ريجيس رأسه بلطف وقال: "ليس على الإطلاق. قلتُ إنني معجب بالبراعة. رغم ذلك، أعتقد شخصيًا أن الماندراك غير قادر على إلقاء التعاويذ أو اللعنات، لكنه، عندما يكون طازجًا، سام جدًا. حتى التربة المحيطة به قد تكون ملوثة. إذا لامس عصيره الطازج الوجه أو يدًا مجروحة، أو حتى إذا استُنشقت أبخرته، فقد يكون ذلك مميتًا. لهذا أستخدم قفازات وقناعًا على وجهي عند التعامل معه، وهذا يعني أنني لا أعترض على استخدام طريقة الحبل والكلب."

فكر زولتان للحظة، ثم قال: "هممم... وماذا عن الصرخة الرهيبة التي يُصدرها الألراوني عندما يُقتلع؟"

ال الجراح: "الماندراكورا لا تمتلك أوتارًا صوتية. وهذا أمر طبيعي بالنسبة للنباتات، أليس كذلك؟ ولكن السم الذي يقطر من نبتة طازجة قد يكون له تأثير مهلوس قوي. يمكن للنظام العصبي المرهق أن يدرك همسات، أصواتًا، صرخات، وأصواتًا أخرى وكأنها حقيقية."

عوى دانديليون، وهو يفرغ كأسًا آخر: "كيف لي أن أنسى؟ الماندراكورا ما تزال سامة جدًا! لقد تعاملنا معها! والآن نحن هنا، نشربها..."

قال ريجيس بهدوء: "الجذر الطازج وحده هو السام. أما هذه فقد حُفظت باحترافية وعولجت بالشكل الصحيح، والمقطر تمت تصفيته. لا داعي للقلق."

قال زولتان وهو يمد يده: "بالطبع، لا داعي للقلق. يمكنك حتى تمريرها عبر القراص، قشور السمك، والدانتيل العتيق. أعطني الكأس، دانديليون، لأنك تعطل الدور."

تحركت الكأس مجددًا. جلس الجميع براحة على الأرض المدوسة. أطلق الويتشر شتائم مكتومة وهو يزفر بضيق. بحذر، مد ساقه، إذ عاد الألم ليطعن ركبته مرة أخرى. لمح نظرة ريجيس الثاقبة تراقبه.

سأل ريجيس: "إصابة حديثة؟"

أجابه: "ليست حديثة جدًا. لكنها ما تزال تؤلمني. هل لديك هنا عشبة تخفف الألم؟"

ابتسم الجراح ابتسامة طفيفة وقال: "يعتمد ذلك على نوع الألم... وعلى سببه. في عرقك، أيها الويتشر، أشم رائحة غريبة. هل عُولجت بالسحر؟ بأي إكسير أو مستحضر سحري؟"

قال الويتشر وهو يعبس: "تلقيت عدة أدوية. لم أكن أعلم أن أثرها قد يظل في عرقي حتى الآن. لديك حاسة شم مذهلة، ريجيس."

أومأ ريجيس قائلاً: "لكل فرد مزاياه... كما أن له نقاط ضعفه. ما المرض أو الإصابة التي عُولجت منها بالسحر؟"

أجابه الويتشر: "ذراع مكسورة وساقان مهشمتان."

رفع ريجيس حاجبًا وسأل: "منذ متى؟"

قال: "قبل شهر تقريبًا."

تمتم الجراح بدهشة: "وأنت تمشي بالفعل؟ مذهل. جنيات بروكيلون، صحيح؟"

حدق فيه الويتشر بحدة: "كيف عرفت؟"

قال ريجيس بهدوء: "الجنيات وحدهن يعرفن العقاقير القادرة على إعادة بناء العظام بهذه السرعة. على ظاهر يديك أرى بقعًا داكنة، أماكن اخترقت فيها خلاصة السنفيتون الأرجواني والكونينهائيلا المتكافل جلدك. الجنيات وحدهن يستخدمن الكونينهائيلا، والسنفيتون الأرجواني لا ينمو خارج بروكيلون."

قال الويتشر: "برافو. استنتاج لا تشوبه شائبة. ومع ذلك، يهمني شيء آخر. لقد كسرت عظام فخذي وساعدي، ومع ذلك أشعر بألم شديد في الركبة والكوع."

أومأ الجراح قائلاً: "هذا أمر طبيعي. سحر الجنيات أعاد بناء عظامك التالفة، لكنه أحدث أيضًا ثورة صغيرة في النهايات العصبية. إنه تأثير جانبي يظهر بشكل خاص في المفاصل."

سأل الويتشر بجدية: "ما الذي يمكن فعله حيال ذلك؟"

هز الجراح رأسه بأسف: "للأسف، لا شيء. ستتمكن لفترة طويلة من التنبؤ بحالة الطقس بدقة لا تخطئ. في الشتاء، سيزداد الألم سوءًا. لا يمكنني أن أوصي بأي دواء لتخفيفه، خاصة المسكنات المخدرة. فأنت ويتشر، ولن يكون ذلك مقبولًا لجسدك."

رفع الويتشر الكأس التي ملأتها ميلفا وناولتها له، ثم قال: "إذن، أفضل ما يمكنني فعله هو الماندراكورا." شرب حتى آخر قطرة، ثم بدأ يسعل بعنف حتى اغرورقت عيناه بالدموع. "اللعنة، أشعر بتحسن."

ابتسم ريجيس ابتسامة ضيقة وقال: "لست متأكدًا أنك تعالج المرض كما ينبغي. كما أذكر، ينبغي علاج الأسباب وليس الأعراض."

قهقه دانديليون، وقد احمر وجهه من الشراب، وقال: "ليس مع هذا الويتشر. بالنسبة له ولمشاكله، الشراب هو العلاج الأمثل."

رمقه جيرالت بنظرة باردة وقال: "ينبغي أن تشرب أنت أيضًا... خاصة إن كان ذلك سيخدر لسانك."

ضحك الجراح مجددًا وقال: "لا تعوّل على ذلك. أحد مكونات الشراب هو البيلادونا. تحتوي على عدة قلويدات، من بينها السكوبولامين. ومع هذا الكحول القوي، فلا شك أنني سأحصل منكم جميعًا على عرض من الفصاحة البلاغية."

سأل بيرسيفال وهو يعبس: "عرض من ماذا؟"

قال ريجيس بلهجة تصحيحية: "الفصاحة. آسف، دعونا نستعمل كلمات أبسط."

انفرجت شفتا جيرالت في شبه ابتسامة وقال: "أجل، من السهل الوقوع في هذه العادة، ثم تبدأ باستخدام هذه الكلمات كل يوم. حينها، يعتبرك من حولك متفاخرًا متصنعًا."

قال زولتان وهو يملأ كأسًا أخرى: "أو كيميائيًا."

قهقه دانديليون وقال: "أو ويتشر، ظل يقرأ ليبهر ساحرة معينة. أيها السادة، الساحرات لا يفتتنّ بالحكايات المعقدة المتكلفة. أليس كذلك، جيرالت؟ هيا، أخبرنا..."

قاطع الويتشر ببرود: "تجاوز بعض الجولات، دانديليون. بعض القلويدات بدأت تؤثر عليك بسرعة كبيرة. أنت تتحدث أكثر مما ينبغي."

قطّب زولتان جبينه وقال: "قد ينتهي بي الأمر وأنا أعرف أسرارك، جيرالت."

هز كتفيه وأضاف: "دانديليون لم يخبرنا بأي جديد. لا يمكنك تجنب أن تكون أسطورة متنقلة. مغامراتك تُعرض في مسارح الدمى، ومن بينها قصة لك مع ساحرة تُدعى غوينيفير."

صحّحه ريجيس بهدوء: "ينيفر."

ثم أضاف: "رأيت أحد تلك العروض. إذا لم تخنّي ذاكرتي، كانت عن مطاردتك لجنّ."

نفخ دانديليون صدره بفخر وقال: "كنتُ في ذلك العرض! استمتعنا كثيرًا، أؤكد لكم..."

قال جيرالت وهو ينهض: "احكِ كل شيء، ولا تنسَ أن تشرب وتبالغ. أما أنا، فسأتمشى قليلاً."

قال القزم متعجبًا: "مهلًا، لا داعي للغضب..."

قال جيرالت وهو يسير مبتعدًا: "أنت لا تفهم، زولتان. أنا ذاهب لقضاء حاجتي. يحدث هذا، حتى للأساطير المتنقلة."

كانت الليلة باردة كالجحيم. الخيول تنفث أنفاسًا متجمدة في الهواء، تتصاعد منها خيوط البخار. كوخ الجراح تحت ضوء القمر بدا خياليًا، أشبه ببيت الساحرة في الغابة. أغلق جيرالت أزرار بنطاله.

خرجت ميلفا من المنزل بعده بلحظات، ثم تنحنحت بتردد. ألقى ضوء القمر بظلها جوار ظل جيرالت.

سألته: "لماذا لا تعود إلى الداخل؟ هل أنت غاضب حقًا؟"

أجابها وهو ينفي: "لا."

رفعت حاجبها وسألته: "إذن لماذا تقف هنا وحدك في ضوء القمر؟"

قال بصوت منخفض: "أنا أحسب."

"هاه؟"

أوضح جيرالت وهو يحدق في الظلام: "منذ أن غادرنا بروكيلون، مرت اثنا عشر يومًا، قطعنا خلالها نحو ستين ميلًا. تشير الشائعات إلى أن سيري في نيلفجارد، عاصمة الإمبراطورية، وهي تفصلني عنها ألفين وخمسمائة ميل. بحسبة بسيطة، سأصل إلى هناك خلال عام وأربعة أشهر، إذا استمررنا على هذا النحو. ما رأيك في ذلك؟"

هزت ميلفا كتفيها وتنحنحت مجددًا: "لا شيء."

ثم أضافت بحدة: "أنا لا أجيد الحساب مثلك. لا أستطيع القراءة ولا الكتابة. أنا فتاة قروية بسيطة، غبية. لستُ رفيقة مناسبة لك، ولا حتى لمحادثة."

قال بجدية: "لا تقولي ذلك."

لكنها صاحت: "لكنها الحقيقة!"

ثم تابعت بغضب مكبوت: "لماذا تخبرني عن الأيام والأميال؟ هل تنتظر نصيحتي؟ هل تريدني أن أشجعك؟ أن أبدد مخاوفك وأطرد الحزن الذي هو أسوأ من العظام المكسورة؟ لا أستطيع! أنت بحاجة لشخص آخر. تحدث مع دانديليون، فهو حكيم، متعلم... محبوب!"

قال جيرالت: "دانديليون مجرد متبجح."

هزت ميلفا كتفيها وقالت: "بالتأكيد. لكنه أحيانًا يميل إلى قول الحقيقة. لنعد إلى الداخل، أريد أن أشرب المزيد."

ناداها: "ميلفا؟"

"ماذا؟"

"لم تخبريني قط لماذا قررتِ المجيء معي."

"لم تسأل قط."

"أنا أسأل الآن."

تنهدت قائلة: "لقد تأخرت. الآن لم أعد أعرف حتى السبب."

استقبلهم زولتان بمرح قائلاً: "أخيرًا عدتما! والآن، تخيلا هذا، ريجيس قرر أن ينضم إلينا في الرحلة."

رفع جيرالت حاجبًا وهو يحدق في الكيميائي: "حقًا؟ ولم هذا القرار المفاجئ؟"

خفض ريجيس عينيه وقال بهدوء: "زولتان جعلني أدرك أن الحرب التي تجتاح هذه الأراضي أكثر خطورة مما كنت أظن، مما سمعته من اللاجئين. العودة إلى ديلينجن لم تعد خيارًا، والاختباء في البرية لا يبدو تصرفًا حكيمًا... وكذلك التجول وحيدًا."

قال زولتان بابتسامة ساخرة: "أما نحن، فعلى الرغم من أن مظهرنا قد يوحي بغير ذلك، إلا أننا رفقة آمنة للسفر."

تساءل جيرالت بحدة: "هل نظرة واحدة كانت كافية لتحكم علينا؟"

صحّحه الجراح بابتسامة خفيفة: "نظرتان. واحدة للنساء اللواتي برفقتكم. والثانية لأطفالهن."

تجشأ زولتان بصوت عالٍ، وهو يدور الكأس في يده، فاحتكت بأسفل الأنبوب.

قال مازحًا: "المظاهر قد تخدع. من يدري، ربما نحن نخطط لبيع تلك النساء كعبيد؟ بيرسيفال، افعل شيئًا بشأن هذه الآلة، نريد أن نشرب، لكنها تقطر مثل أنف يسيل في الشتاء."

قال بيرسيفال وهو يعبث بالجهاز: "المقطر بارد بما يكفي. الكحول سيخرج دافئًا."

رد زولتان وهو يعبس: "لا بأس، فالليلة باردة."

بدأت حرارة الشراب تحفّز الأحاديث. احمرّت وجوه دانديليون، وزولتان، وبيرسيفال، وصارت أصواتهم أكثر تغيرًا وفي حالة الشاعر والقزم، اكتسبت نبرة خفيفة متعثرة. ازدادت شهيتهم، فراحوا يلتهمون لحم الحصان البارد مع الفجل الحار، والذي كان متوافرًا بكمية لا بأس بها في الكوخ.

أما الكيميائي، فقد جمع كومة من الجذور الحارة بقوة تعادل قوة المشروب، فدمعت أعينهم جميعًا وهم يأكلونها، لكنها أضافت نارًا إلى النقاش المحتدم.

أظهر ريجيس دهشته عندما تبيّن أن الوجهة النهائية للرحلة لم تكن منطقة في جبال ماهكام، التي كانت منذ زمن طويل موطنًا للأقزام. أما زولتان، الذي أصبح أكثر ثرثرة حتى من دانديليون، فقد أعلن أنه لن يعود إلى ماهكام تحت أي ظرف من الظروف، معبّرًا عن استيائه من النظام السائد هناك، خصوصًا فيما يتعلق بالسياسة والحاكم، بروفر هوغ، الذي يمتلك سلطة مطلقة على عشائر الأقزام.

صرخ زولتان، ثم بصق في الجمر المتوهج داخل الموقد: "عجوز متحجر!"

ثم تابع بحدة: "عندما تنظر إليه، يصعب عليك أن تميز إن كان حيًا أم مجرد محنّط! بالكاد يتحرك، ومن المستحيل فهم ما يقوله، لأن لحيته وشاربه ملتصقان بذلك الذقن اليابس المتجهم. لكنه يحكم الجميع، والجميع يرقص وفقًا لنغمته..."

قال ريجيس بهدوء: "لا يمكن القول إن سياسات اللورد هوغ خاطئة تمامًا. بفضل رؤيته القوية، حافظ الأقزام على استقلالهم ولم ينضموا إلى فرق سكوياتايل. كما أن المذابح توقفت، ولم تشهد ماهكام أي حملة عقابية. تطبيع العلاقات مع البشر أثمر نتائجه."

زمجر زولتان وهو يرفع الكأس إلى شفتيه: "هراء."

ثم واصل بسخط: "ذلك العجوز اللعين لم يكن يسعى وراء التوافق عندما تعلق الأمر بالسناجب، لكنه أدرك أن الشباب بدأوا يتركون وظائفهم في المناجم والحدادة لينضموا إلى الكوماندوز الإلفيين بحثًا عن الحرية والمغامرة. وعندما أصبحت الظاهرة منتشرة على نطاق واسع، سارع بروفر هوغ إلى وأدها تمامًا. لم يكترث بالبشر الذين ساعدوا السناجب، وتجاهل تمامًا ردود أفعالهم الانتقامية، بما في ذلك تلك المذابح اللعينة. بل احتفل بذلك، لأنه كان يعتبر أي قزم لم يستقر في المدن مجرد مارق. أما التهديد بشن حملة عسكرية على ماهكام؟ لا تكن سخيفًا، لا يوجد أي خطر، ولن يكون هناك أبدًا. أي ملك يجرؤ على فعل شيء ضد ماهكام؟ سأخبرك بشيء آخر، حتى لو احتل النيلفجارد جميع الوديان الواقعة أسفل ماهكام، فلن يجرؤوا على التحرك ضدها. هل تعرف لماذا؟ سأخبرك: ماهكام تعني الفولاذ. وليس أي فولاذ! هناك الفحم، وخام المغنتيت، وإمدادات لا تنضب. في كل مكان، ومجانية بالكامل."

تدخل بيرسيفال بحماس: "والتقنية موجودة في ماهكام! الحديد، الفولاذ، وصناعة المعادن! أفران الصهر، وليس مجرد مداخن تافهة. المطارق المائية والبخارية..."

قاطع بيرسيفال قائلًا: "ولأنّ التقنية في ماهكام. الحديد والفولاذ والمعادن! أفران الصهر العالية، لا مدخنةٍ تافهةٍ فحسب. ومعامل الدّق بالماء والبخار..."

تدفّق الحديث بحرارةٍ في ضوء النيران والكؤوس الممتلئة، ليُفضي إلى سجالٍ حيويٍّ أثاره الشراب في نفوسهم.

قال: زولتان وهو يناول بيرسيفال كأسًا ممتلئة:

"هاك يا بيرسيفال، بلِّل حنجرتك. ستُصيبينا جميعًا بالملل بحديثك عن التقنيات. لكن ليس الجميع يعلم أنّ ماهكام تُصدِّر الفولاذ إلى الممالك الشمالية، بل وإلى نيلفجارد أيضًا. وإذا تجرأ أحدهم على رفع يده، فسنشرع في تدمير الورش وإغراق المناجم، ثم ستخوضون أيها البشر حروبكم بالعصي وحجارة الصوّان وفكوك الحمير."

قال: الويتشر، متدخلًا بعد أن لاحظ ضيق زولتان من بروفر هوغ وأهل السلطة في ماهكام:

"على الرغم من انزعاجك من بروفر هوغ ومن في الحكم هناك، بدأت تتحدّث بصيغة (نحن)."

أكّد: القزم بحماس:

"طبعًا، هناك ما يُسمّى بالتضامن، أليس كذلك؟ أعترف بأنني فخورٌ لأننا أذكى من أولئك الجان المتعجرفين. لا يمكن إنكار هذا، أليس كذلك؟ الجان خلال مئتي عام تقريبًا تظاهروا بأنكم، أنتم البشر، غير موجودين. ظلّوا يحدقون في السماء، ويشمّون الأزهار، ويصرفون أنظارهم عنكم. وعندما اكتشفوا أنّ هذا بلا جدوى، استيقظوا فجأة وتناولوا السلاح، وقرّروا القتل والموت. أمّا نحن الأقزام؟ تأقلمنا. تظنّون أنكم أخضعتمونا، لكنكم تحلمون. نحن من أخضعكم... اقتصاديًّا."

قال: ريجيس صادقًا:

"الحق يُقال، تأقلمكم كان أسهل من تأقلم الجان. الجان يربطون وطنهم بأرضهم، وأنتم تربطون أنفسكم بعشيرتكم. حيث تعيش عشيرتكم، يكون وطنكم. وحتى لو هاجم حاكمٌ قصير النظر ماهكام، فستُغرقون المناجم وتدمرون الورش دون ندم، ثم تنتقلون إلى مكان آخر. ربما إلى جبلٍ بعيد، أو حتى إلى مدينةٍ بشرية."

صاح: زولتان مؤكّدًا:

"بالضبط! يمكننا العيش جيّدًا في مدنكم."

شهق: دانديليون متعجّبًا، بعدما شرب جرعةً أخرى من الشراب القوي:

"حتى في الأحياء المعزولة؟"

قهقه: زولتان وقال:

"وما الخطأ في الأحياء المعزولة؟ أنا أحبّ العيش بين أبناء جلدتي. لماذا أحاول الاندماج؟"

تدخّل: بيرسيفال وهو يمسح أنفه بكمّه:

"لعلّنا ننضمّ إلى النقابات."

ردّ: القزم بثقة:

"في النهاية سيسمحون لنا، وإن لم يفعلوا، سنؤسّس نقاباتنا الخاصة وننافسهم منافسةً شريفة."

قال: ريجيس معقبًا:

"لكن البقاء في ماهكام أكثر أمانًا من البقاء في المدن. المدن قد تشتعل وتحترق في أوقات الفوضى. قد يكون من الحكمة انتظار انقضاء الحرب في الجبال."

قال: زولتان وهو يتناول كأسًا أخرى، "من أراد الرحيل فليفعل. أمّا أنا فأفضّل الحرية، ولا أجدها في ماهكام. لا تملكون أدنى فكرة عمّا يعنيه العيش تحت حكمٍ عجوز. تحدّثوا مؤخرًا عن تنظيم شؤون ما يُسمّى بالعلاقات الاجتماعية. كأن يقرروا إن كان مسموحًا لك ارتداء الحمالات أم لا. أو إن كان عليك أكل السمك فورًا أم الانتظار حتى يتماسك الهلام. أو إذا كنت ستعزف على الأوكارينا وفق تقاليدنا الممتدة عبر القرون، أو ستدسّ فيها تأثيراتٍ ضارةٍ بانحطاط الثقافة البشرية العفنة. وبعد سنواتٍ طويلةٍ من العمل، يمكنك التقدّم بطلبٍ للحصول على تصريح زواج. ثم هناك تعليمات مثل المسافة المسموحة للصفير بعيدًا عن المنجم... وأمورٌ أخرى رائعة بنفس القدر. كلا يا رفاق، لن أعود إلى جبل كاربون، لا أريد تمضية بقية عمري في عمق المنجم. أربعون سنةً في القاع أتنشّق الميثان كانت كافية. لكن لدينا خططٌ أخرى، صحيح يا بيرسيفال؟ لقد ضمنّا مستقبلنا..."

ردّد: القزم الصغير (النوم) بينما يفرغ كأسه ويمسح أنفه وينظر إلى زولتان بعينين دامعتين، "مستقبل، مستقبل... لا تنبس ببنت شفة يا زولتان، فربما يقبضون علينا، ثم يكون مستقبلنا حبل المشنقة... أو دراكينبورغ."

زمجر: زولتان وهو ينظر إليه نظرةً حانقة، "اسكت! لقد تجاوزتَ الحدّ!"

تمتم: ريجيس بخفوت، "سكوبولامين."

أخذ: القزم يهذي، فامتعضت ملامح ميلفا. وراح زولتان — وقد نسي أنه روى للجميع قصة ذلك العجوز هوغ، ثين ماهكام —يكرّر حديثه. بينما أنصت جيرالت الذي نسي أيضًا أنه قد سمع القصة من

قبل في صمت. أصغى ريجيس كذلك، بل وأضاف بضع تعليقات، محتفظًا بهدوئه بصفته الشخص الوحيد غير الثمل بينهم. أما دانديليون فراح يداعب عوده وينشد:

ليس نادرًا أن تغيب الحسناوات عن العيون

كلما زاد شموخ الشجرة، زاد علوها في السماء

علّقت: ميلفا بامتعاض، "أحمق." لكن دانديليون لم يأبه وأكمل:

قد تكون الفتاة شجرةً، أمّا الأحمق الذي ليس كذلك، فليتناول فأسًا ويُنهي المسألة

غمغم: بيرسيفال شوتّنباخ، "الكأس المقدّسة... الكأس... مصنوعةٌ من قطعةٍ واحدةٍ من العقيق اللبني... يا لها من عظمة... عثرت عليها فوق مونتسالفات. حُدِّد طرفها باليشب وقاعدتها من الذهب. كانت أعجوبةً حقيقية..."

قال: زولتان بتحذير، "لا تسقوه مزيدًا من هذا الشراب."

قال: دانديليون باهتمامٍ متلعثم، "انتظر لحظة... ما الذي حدث لتلك الكأس الأسطورية؟"

أجاب: بيرسيفال وهو يتأتئ، "بادلتها ببغلٍ. احتجت إلى بغلٍ يحملُ حمولتي... كوراندوم وكربون بلوري. كان لدي... إيبيه... كومة من... إيبيه... بضاعة ثقيلة، ما كنت لأحركها بلا بغلٍ... ماذا أفعل بكأسٍ مقدسة؟"

سأل: دانديليون وقد اتسعت عيناه، "كوراندوم؟ كربون؟"

أجاب: بيرسيفال، "حسنًا، بالنسبة لكم فهي الياقوت والألماس. مفيدةٌ جدًا... إيبيه..."

تابع: دانديليون بإلحاح، "لأي غرض؟"

أكمل: بيرسيفال، "لصناعة المثاقب والمبارد. وللمحامل. كانت لديّ كومةٌ بأكملها..."

قال: زولتان وهو يلوّح بذراعيه في الهواء، وقد كاد يهوي على ظهره:

"أتسمع هذا، جيرالت؟ بيرسيفال يحلم بكومة من الألماس! احذر يا بيرسيفال من يلتقيك في عالم الأحلام، فقد يأخذ ألماسك!"

تمتم: دانديليون وقد عاد ليتلعثم مجددًا:

"أحلام، أحلام... وأنت يا جيرالت؟ هل حلمت مجدّدًا بـ سيري؟ لأن عليك أن تعلم، يا ريجيس، أن لجيرالت أحلامًا نبوية! سيري هي مفاجأة القدر، تربطه بها أواصر المصير، ولهذا يراها في رؤاه. اعلم أنّنا نحن أيضًا متوجهون إلى نيلفجارد لنستعيد سيري خاصّتنا، تلك التي اختطفها الإمبراطور إيمهير. بأي ثمنٍ كان، سنستعيدها من ذاك اللعين قبل أن ينتبه! كنت سأقول لكم أكثر، أيها الرفاق، ولكنّه سرّ. سرّ رهيب، عميق، مظلم... لا ينبغي لأحدٍ أن يعرفه، مفهوم؟ لا أحد!"

قال: زولتان وقد نظر بثبات إلى الويتشر:

"لم أسمع شيئًا. يبدو أنّ سوسة الأذن قد تسلّلت إلى أذني."

علّق: ريجيس مدعيًا أنه يعبث في أذنه:

"هذه السوسة آفةٌ حقيقية."

تمتم: دانديليون متكئًا على القزم:

"نحن نسافر إلى نيلفجارد..."

لكن الاتكاء بدل أن يساعده على حفظ توازنه، جعله أكثر ترنّحًا. "لكن كما قلت... سرّ. هدفٌ سريّ!"

أومأ: الجراح برأسه وهو يلقي نظرة على جيرالت، الذي شحب وجهه غضبًا:

"حقًّا، سرّ بارع الإخفاء. فمن خلال مراقبة وجهة مسيرتكم، ما كان لأحدٍ حتى أكثر الناس فضولًا أن يخمّن غايتكم من الرحلة."

سمعت: ميلفا ما قيل، فصاح دانديليون:

"ميلفا، ما بك؟"

ردّت عليه بحدّة:

"لا تحدّثني أيّها السكير الأحمق."

هتف: دانديليون وهو يلوّح بيده:

"هيه، إنها تبكي! هيه، انظروا..."

صرخت: الرامية وهي تمسح دموعها:

"اذهب إلى الجحيم، قلتُ لك! وإلا أصبتُك بين عينيك أيها المزعج... ناولني الكأس يا زولتان..."

غمغم: القزم وهو يتحسّس المكان:

"لا أدري أين هي... آه، وجدتها. شكرًا أيها الجراح... لكن أين ذهب شوتّنباخ بحق الشيطان؟"

أجاب: ريجيس:

"خرج. منذ بعض الوقت."

ثم التفت إلى دانديليون:

"دانديليون، أذكر أنك وعدتني أن تروي لي قصة مفاجأة القدر."

قال: دانديليون متلعثمًا:

"حالًا... حالًا يا ريجيس. أحتسي رشفةً صغيرة فقط... وأروي لك كل شيء... عن سيري والويتشر... بتفاصيله..."

صاح: زولتان فجأة وهو يطرق الأرض بقبضته:

"تبًّا لكم أيها الأوغاد!"

زجرته: ميلفا وهي ترفع إصبعها تحذيرًا:

"اخفض صوتك أيها القزم! ستوقظ الأطفال النائمين خارج الكوخ!"

حاول: القزم استرضاءها:

"لا تغضبي يا رامية القوس. خذي رشفةً أخرى."

تمتم: دانديليون وهو يتلفّت حوله ببصرٍ نصف غائم:

"إيبيه... رأيت تَوًّا الكونتيسة دي ليتنهوف..."

سأله أحدهم متعجّبًا:

"من؟"

أجاب: دانديليون وهو يهز رأسه:

"لا يهمّ. تبًّا، هذا الشراب يعقد الألسنة حقًّا... جيرالت، هل أصبّ لك كأسًا أخرى؟ جيرالت!"

تدخّلت: ميلفا بلهجةٍ حازمة:

"دعه وشأنه. دعه يحلم."

* * *

وقف الخيالة عند أطراف القرية تعجّ بالموسيقى، وقد سبقتهما الألحان قبل أن يصلا راكبين، فحرّكت الحماس في نفسيهما دون وعي. أخذا يتمايلان بخطى الخيل في وتيرةٍ خفيفة، أولًا على إيقاع الضرب على الطبل، ثم متناغمَين مع النغمات وزمامير الناي. كانت الليلة باردة، يتلألأ ضوء القمر ساطعًا، وقد بدت الحظيرة في هذا الضوء كقلعةٍ مسحورةٍ من قصص الأساطير.

انتشر ضوءٌ من الباب المفتوح، انعكست فيه ظلال رجالٍ ونساءٍ يرقصون على الأنغام.

عندما ولجوا الحظيرة، توقفت الموسيقى على الفور، وكأنها اختنقت في منتصف نغمتها. احتشد القرويون—الذين غمرهم العرق والتعب من شدّة الرقص—على امتداد الجدران وعند الأعمدة. رأت سيرّي، وهي تسير إلى جانب ميسل، عيون الفتيات والنساء المرتبكات والقلِقات، ونظراتٍ صلبةً وغير ودودةٍ من الشباب والرجال. سمعت همسًا وتمتماتٍ سرعان ما علَت حتّى صارت كأنها نهيق مزمار القِربة أو أزيز الكمان: "الجرذان... الجرذان... لصوص..."

قال: جيسيلير بصوتٍ عالٍ وهو يرمي بكيس نقودٍ إلى الموسيقيين الذين ساد بينهم الصمت:

"لا تقلقوا، جئنا لنمرح. العيد للجميع، أليس كذلك؟"

هزّ كايلِي كيسه وقال:

"أين الجعة؟ أين كرم ضيافتكم؟"

التفتت سبارك حولها وهي تمط شفتيها:

"ولمَ أنتم صامتون هكذا؟ جئنا من الجبال للاستمتاع، لا لنشهد جنازة."

تجرّأ أحد القرويين أخيرًا وتقدّم نحو جيسيلير حاملاً إبريقًا فخاريًّا تتدفق الرغوة من حافته. انحنى جيسيلير، وشرب جرعةً طويلة، وشكره بأدب. رفع بعض الحاضرين كؤوسهم تحيةً له، بينما بقي الآخرون على صمتهم.

قالت: سبارك وهي ترفع صوتها قليلًا:

"أيها الجيران، أودّ أن أشارك في الرقص، ولكن — كما تشاؤون — عليكم أن تتحرّكوا أولًا!"

امتدّ على طول أحد جدران الحظيرة طاولةٌ طويلةٌ ممتلئةٌ بالأواني الفخارية الثقيلة. صَفَقت سبارك بكفيها وقفزت برشاقةٍ فوق الطاولة البلوطية. سارع القرويون إلى رفع ما يستطيعون من الأواني، أما ما لم يتمكنوا من أخذه، فركلته سبارك بقسوة.

قالت: سبارك وهي تضع قبضتيها على خصرها، وقد هزّت شعرها:

"حسنٌ يا سادة، أروني مهاراتكم. موسيقى!"

ضربت الأرض بكعبيها بخطوةٍ سريعة، فجاء ردّ الطبل والقيثار المربّع (الدولتسيمر) بنفس الوتيرة. التقطت المزامير والكمنجات اللحن وزادت في زخرفته، متحدّيةً سبارك أن تغيّر خطواتها وإيقاعها. وكانت تلك الجنيّة، بخفّة فراشةٍ زاهية، تلين بسهولة مع تغيّر الإيقاع. وبدأ القرويون يصفّقون لها بانجذاب.

صاحت: سبارك وهي تضيق عينيها، "فالكا! أنتِ سريعةٌ في استخدام السيف! ولكن كيف حال رقصك؟ هل تستطيعين مجاراة الخطوات؟"

تخلّصت: سيرّي من ذراعي ميسل، ولفّت الوشاح عن عنقها، ونزعت قبعتها وسترتها. قفزت فوق الطاولة إلى جوار الجنيّة. علت هتافات القرويين ودقّت الطبول وزمجر المزمار.

صاحت: سبارك وهي تلوّح بيدها للموسيقيين:

"اعزفوا أيها الموسيقيون! راقبوا الإيقاع! وبحماس!"

مالت الجنيّة إلى جانبٍ واحد وألقت رأسها إلى الخلف، وشرعت تضرب الأرض بكعبيها بخطواتٍ سريعةٍ متلاحقة، ترسم نقرًا إيقاعيًّا متلاحقًا. استسلمت سيرّي لسحر الإيقاع، وكرّرت الحركات نفسها.

ضحكت الجنيّة وقفزت لتغيّر اللحن، فهزّت سيرّي رأسها بعنف لتزيح شعرها عن جبهتها، وقلّدتها بانسجامٍ تام. رقصتا معًا بالتزامن، كأنّهما صورتان في مرآة. تعالى صخب القرويين بالهتاف والتصفيق. وارتفعت الألحان فوق الدمدمة العميقة للطبول وصرير المزامير.

تابعتا الرقص وهما مستقيمتان كالسهم، تتلامس مرفقاهما، وتضعان أيديهما على خاصرتيهما. اهتزت الصحون والطاولة تحت ضربات أعقابهما، وفي ضوء شمع الشحوم ومصابيح الزيت تناثر الغبار.

حثّت: سبارك الموسيقيين وقالت، "أسرع! وبحماسةٍ أكبر!"

لم يكن ذاك مجرد رقص، بل هوسٌ متأجج.

صرخت: سبارك وهي تدور بنشوة، "ارقصي يا فالكا! انسَي كلَّ شيء!"

كعبٌ وموطئ إصبع، كعبٌ وموطئ إصبع، خطوةٌ للأمام، خطوةٌ للخلف، قفزة، انزياح جانبي، حركة ذراع، هزّة رأس، كعبٌ وموطئ إصبع... اهتزت الطاولة، وارتعش الضوء، وتمايل الحاضرون، وأخذت الحظيرة بأسرها تدور، تدور... تعالت أصوات القرويين، صاح جيسيلير، صرخ آس، ضحكت ميسل وصفّقت، الجميع يصفّق ويضرب الأرض بأقدامه، الحظيرة تهتز، الأرض تهتز، العالم يهتزّ في دعائمه. عالم؟ أيّ عالم؟ لم يبقَ عالم، لا شيء سوى الرقص، الرقص... كعبٌ وموطئ إصبع، مرفق سبارك... حُمّى، حُمّى... مجرد كمانٍ يعزف، ومزامير، ومزمار قربة، وطبول ترفع وتخفض الإيقاع، ولم تعد هناك حاجةٌ لشيء، سوى الإيقاع الذي صار هما، والموسيقى التي صارت هما، وهما الموسيقى. رقصت سبارك، وتطاير شعرها الداكن حول جبهتها وكتفيها. حملت أوتار الكمان حُمّى حارّة بلغت أعلى الدرجات. خفق الدم في الصدغين. انسي... انسي.

هتفت: سيرّي في داخلها، "أنا فالكا. كنتُ دائمًا فالكا! ارقصي يا سبارك! صفّقي يا ميسل!"

أطلقت: الكمان والناي نغمةً حادةً ختامية. أنهت سبارك وسيرّي رقصتهما بوقفةٍ عنيفةٍ بأعقابهما، وما زالت مرفقاهما متلاصقين. لهثتا في تعبٍ وارتجافٍ وعرقٍ يكسوهما، ثم ارتمتا في حضن بعضهما، غارقتين في الحماسة والحرارة والسعادة. انفجرت الحظيرة بضجّةٍ مدوّيةٍ من هتاف وتصفيق عشرات الأيادي.

قالت: سبارك وهي تلهث:

"فالكا، أيتها الشيطانة... حين نملّ من أعمال السطو، يمكننا أن نجوب العالم لنجني المال بالرقص..."

كانت: سيرّي بدورها تلهث بلا قدرة على الكلام، لا تستطيع سوى إطلاق ضحكةٍ متقطّعة بينما الدموع تنساب على وجنتيها.

فجأة: تعالى صخبٌ في الجموع. دفع كايلي أحد القرويين بعنفٍ، فردّ القرويّ الدفعة، فتعاركا بالأيدي. اقترب ريف بسرعةٍ وفي ضوء المشاعل ومضة خنجرٍ تبرق.

صرخت: سبارك بصوتٍ حاد،

"لا، توقّفوا! لا تقاتلوا! هذه ليلة رقص!"

أمسكت: الجنيّة بيد سيرّي وقفزتا سويًّا من فوق الطاولة إلى الأرض المدكوكة.

هتفت: سبارك للموسيقيين،

"اعزفوا! من لديه الجرأة ليرينا مهاراته في الرقص؟"

عاد: صوت مزمار القربة الرتيب ليعلو في نغمةٍ طويلةٍ ممدودة، تتبعه حدّة كمانٍ مشرقة. ضحك بعض القرويين، متغلّبين على خجلهم. تقدّم أحدهم — شابٌّ أشقر طويل القامة — نحو سبارك. وآخر، أصغر سنًّا وأقلّ عرضًا، انحنى على استحياء أمام سيرّي. هزّت سيرّي رأسها في إباء، لكنها سرعان ما ابتسمت بمرح.

احتضن: الشاب خصر سيرّي، ووضعت هي يديها على كتفيه. فشعرت بلمسته تشبه نصلًا من نار، ينضح برغبةٍ خفية.

صرخت: سبارك وهي تحثّ الموسيقيين:

"بحماسةٍ أكبر أيها الموسيقيون!"

اهتزّت: الحظيرة بالهتافات، وارتجّت مع النغم والإيقاع.

ورقصت سيرّي.

مصّاص الدماء (فامباير): كائنٌ ميتٌ حيٌّ أعادته الفوضى للحياة. بعد أن خسر حياته الأولى، يعيش الثانية في ظلمة الليل. يغادر قبره على ضوء القمر ويهاجم النائمين، وغالبًا ما يستهدف الشابّات، فيرتشف دماءهنَّ العذبة من دون أن يوقظهنّ من سباتهنّ.

من كتاب فيزيوليجوس

أكثر القرويون من أكل الثوم بكمياتٍ هائلة، ولضمان سلامتهم وضعوا أكاليل الثوم حول أعناقهم. بعضهم، لا سيما النسوة، وزّعن الثوم في كل مكان. تعبق القرية برائحةٍ خانقةٍ من الثوم، واعتقد الجميع أنّهم بذلك أصبحوا في مأمنٍ وأنّ مصّاص الدماء لا حيلة له معهم. لكنّ دهشتهم كانت عظيمة عندما أطلّ مصّاص الدماء عند منتصف الليل، ولم يظهر عليه أدنى خوف، بل انفجر ضاحكًا وأخذ يطحن أسنانه مسرورًا.

قال وهو يصرخ فرحًا:

"جيّد أنّكم مُتبَّلون سلفًا، فأنا أحبّ اللحم المتبَّل بطعمٍ قويّ، فهو يوافق ذوقي أكثر. أضيفوا بعض الملح والفلفل، ولا تنسوا الخردل"!

"ليبر تينيبراروم"

أو "كتاب الحكايات المخيفة التي لم تستطع العلوم تفسيرها قط"

لـ سيلفستر بوغياردو

يُشرق القمر، يطير الميت، الثوب يرفرف... يرفرف...

آنسة، ألا يعتريك الخوف؟

أغنية شعبية

الفصل الرابع

شرعت الطيور — كما هي عادتها — بالترحيب بشمس الصباح قبل أن تشرق، فملأت صمت الفجر الرمادي المغمور بالضباب بانفجارٍ حقيقيٍّ من الزقزقة. وكما دائمًا، كانت أول من استعدّ للمسير نساء وأطفال كيرنو. وانضمّ إليهم بسرعة ونشاطٍ موازٍ الجرّاح إيميل ريجيس، مستعينًا بعصًا للمشي وحقيبةٍ جلدية على كتفه. أمّا سائر الرفقة، الذين قضوا ليلتهم مستمتعين بمقطّرات الماندراكورا، فلم ينهضوا بمثل تلك النضارة. صحيح أنّ برد الصباح أيقظهم وبثّ فيهم شيئًا من النشاط، لكنّه لم يستطع محو تأثير شراب الماندراكورا تمامًا.

استيقظ: جيرالت في زاويةٍ من الكوخ، وقد اتكأت رأسه على حجر ميلفا. كان زولتان ودانديليون متمدّدين فوق كومةٍ من الجذور، يشخران بصوتٍ جعل حزم الأعشاب المعلّقة على الجدار تتمايل. عُثر على بيرسيفال خلف الكوخ، متكورًا قرب شجرةٍ صغيرةٍ تتدلى منها ثمرات الكرز، وقد تمدّد فوق حصيرةٍ من القشّ كان ريجيس يستعملها لتنظيف الأحذية الموحلة. ظهرت على الخمسة جميعًا دلائل واضحة — وإن اختلفت في حدّتها — على التعب، كما شعروا بعطشٍ شديدٍ دفعهم إلى التوق صوب الينبوع.

على الرغم من ذلك، ومع انقشاع الضباب وتوّهج قرص الشمس الأحمر على قمم الصنوبر واللاركس في فين كارن، انطلق الجمع في طريقه، يسير بخطًى حثيثة بين القبور. تقدّم: ريجيس أوّلًا، وخلفه تبعه بيرسيفال وداندیليون ينشدان أغنيةً عن ثلاث شقيقات وذئبٍ من حديد. مشى خلفهم زولتان تشيفاي بخطواتٍ ثقيلة، ممسكًا بعنان حصانه الكستنائي. كان القزم قد وجد في كوخ الجرّاح قطعةً متعرّجة من خشب الدردار، فأخذ يقرع بها الأحجار الضخمة (المينهير)، متمنّيًا لجنّيات الإلف القابعة تحت الثرى راحةً أبديّة. من جهته، جلس فيلد مارشال دودا على كتف القزم، وأطلق بين الحين والآخر شتائم بدا عليها التعب وقلّة الحماسة.

أمّا أقلّهم تحمّلًا لآثار الماندراكورا فكانت ميلفا. مشت بصعوبةٍ بالغة، متعرّقةً، شاحبةً، ومتوتّرة كالدبور. لم تردّ على الفتاة المرحة ذات الضفائر، التي كانت تمتطي سرجها. ورأى جيرالت أن من الأفضل ألّا يفتح أيّ نقاش معها، لاسيّما أنّ مزاجه هو الآخر لم يكن في أحسن أحواله. ساعدهم الضباب والأغنية المدوّية عن الذئب الحديدي على حجب أصوات مجموعةٍ من الفلّاحين الذين فوجئوا بهم فجأة. كان الفلّاحون قد التقطوا وقع أقدامهم من بعيد وانتظروا بينهم ساكنين وسط القبور

النابتة من الأرض، مختبئين بمعاطفهم الرمادية التي امتزجت بأجواء المكان. كاد: زولتان أن يطعن أحدهم بعصاه إذ ظنّه شاهد قبر!

صاح: زولتان وهو يلوّح بعصاه متراجعًا،

"أوه! معذرةً يا جار! لم أرك هناك. صباح الخير! هلُمّ بالتحيّة!"

رنّت أصواتٌ متداخلةٌ من أفواه عشرة فلاحين عابسي الوجوه، فتمتموا بتحيةٍ مقتضبة. حمل الفلاحون في أيديهم معاولَ ومجارفَ وأوتادًا خشبية.

قال: القزم وهو يكرّر كلماته بنفاد صبر، "قلتُ صباح الخير. أظنّكم من معسكر تشوتلا، صحيح؟"

بدلًا من أن يردّ أحدهم، أشار رجلٌ إلى حصان ميلفا.

تمتم بحدة، "حصانٌ أسود. هل ترى؟"

قال: رجلٌ ثانٍ وهو يلعق شفتيه، "حصانٌ أسود. سيكون مفيدًا لنا."

صاح: زولتان وقد التقط نظراتهم وإيماءاتهم، "هاه؟ حصانٌ أسود، وماذا في الأمر؟ حصانٌ فحسب، وليس زرافة. لا غرابة في ذلك. ماذا تفعلون هنا، أيّها الجيران، في المقبرة؟"

سأل: أحد الفلاحين بنبرة اشمئزاز وهو يتفحّص الجمع بنظرةٍ حادة، "وأنتم؟ ما شأنكم هنا؟"

ردّ: القزم وقد واجه نظرة الفلاح مباشرة، ثم نقرَ بعصاه على صخرة (مينهير)،

"اشترينا هذه الأرض. وأنا أقيس المسافات لأتأكّد أنّنا لم نتعرّض للغشّ في عدد الأفدنة."

صاح: أحدهم وقد انتفخت أوداجه، "ونحن جئنا هنا لنصطاد مصّاص دماء!"

قال: زولتان متعجبًا، "ماذا؟"

كرّر: أكبر الفلاحين سنًّا، وهو يحكّ جبينه تحت قبعةٍ لباديةٍ متّسخةٍ ومتصلّبة، "مصّاص دماء. لا بدّ أن له مخبأً هنا، هذا الشيطان. لدينا أوتادٌ من خشب الدردار، سنغرسها في قلبه حتى لا ينهض مجدّدًا."

هتف: فلاحٌ آخر بحماسٍ وهو يلوّح بجرّةٍ صغيرة، "وأنا معي ماءٌ مقدّسٌ باركه قسّ. سيقضي على ذاك الماصّ للدماء إلى الأبد!"

ضحك: زولتان وهو يبتسم ابتسامةً عريضة، "أها، إذن أنتم في رحلة صيد، وقد استعدّدتم جيّدًا. مصّاص دماءٌ إذن؟ أنتم محظوظون، فمعنا خبيرٌ بأشباه الموتى والغيلان هـ..."

توقّف فجأة عندما ركله الويتشر بقوّةٍ على كاحله.

سأل: جيرالت بحدّة وهو يرمق رفاقه بنظرةٍ آمرة، تأمرهم بالصمت،

"من منكم رأى ذلك المصّاص؟ وكيف عرفتم أنّه يمكن أن يكون مختبئًا هنا؟"

همهم الفلّاحون فيما بينهم.

اعترف أخيرًا الرجل المعتمر القبعة اللبادية المتّسخة بصوتٍ خافت:

"لم يره أحد، ولا سمعه أحد. كيف لنا أن نراه وهو يحلّق ليلًا في العتمة؟ وكيف نسمع جناحيه وهو يرفرف مثل الوطواط في صمت؟"

قال فلاحٌ ثانٍ:

"صحيحٌ أنّنا لم نرَ مصّاص الدماء، لكنّنا رأينا آثار عمله. في الليلتين الماضيتين، حين اكتمال القمر، قُتل شخصان: امرأةٌ وصبيّ. كان المشهد رهيبًا! جثتاهما ممزّقتان تمامًا، واستُنزِفَ دمهما من العروق. فهل سنقف مكتوفي الأيدي بانتظار الليلة الثالثة؟"

سأل: جيرالت وقد بان الجمود في نظراته:

"ومن قال إنّ الجاني مصّاص دماء تحديدًا وليس وحشًا آخر أو مفترسًا عاديًّا؟ ومن أين جئتم بفكرة البحث في المقبرة؟"

أجاب الأكبر سنًّا، وهو يحكّ جبينه تحت قبّعته المتّسخة المتصلّبة:

"أخبرنا كاهننا المبارك بذلك. إنّه رجلٌ متعلّم وتقيّ، نشكره نحنُ الآثمون لحضوره في معسكرنا. أدرك بسرعةٍ أنّ الذي يفتك بنا هو مصّاص دماء، عقوبةً لنا على إهمالنا الصلوات وتقصيرنا في تقديم القرابين للهيكل. وهو الآن باقٍ في المعسكر يصلّي، وقد أمرنا أن نبحث عن قبر ذلك الميت الذي ينام نهارًا."

سأل: الويتشر بهدوء:

"ولماذا هذه المقبرة بالذات؟"

رفع أحدهم ذراعه مشيرًا حوله وقال:

"وأين تجد قبر مصّاص الدماء إن لم يكن في المقبرة؟ ثم هذه مقبرةٌ قديمة تخصّ الجان؛ وكل طفلٍ يعرف أنّ الجان سلالةٌ شرّيرةٌ لا تعرف الربّ، وأنّ مصير واحدٍ من بين كل اثنين منهم هو أن يموت مرّةً أخرى! كل هذه اللعائن بسببه."

أومأ: زولتان بجدّية وقال:

"والكهنة أيضًا، نعم... كل طفلٍ يعرف ذلك. كم يبعد معسكركم هذا؟"

همّ أحد الفلاّحين بالجواب، لكنّ شابًّا أشعث الشعر عريض الحاجبين — ذاك الذي أبدى تبرّمه سابقًا — صاح بتحذير:

"لا تخبرهم أيّها الأب! لا ندري من هم على وجه الدقّة. قد يكونون عصابةً من قطّاع الطرق. فليعطونا الحصان الأسود، ثم فليرحلوا."

قال: الشيخ وهو يهزّ رأسه موافقًا:

"صدق الفتى. يجب أن ننجز ما جئنا لأجله قبل أن يمضي الوقت. أعطونا الحصان، الحصان الأسود. نحتاجه لاكتشاف موضع مصّاص الدماء. أنزلي الولد عن السرج أيتها المرأة."

رفعت: ميلفا عينيها ببطء عن تأمّل الغيوم، وحدّقت في الفلاح بنظرةٍ حادّةٍ غاضبة. انكمش وجهها وبدا وكأنّه يزداد خطرًا:

"هل تخاطبني أنت أيّها الخنزير؟"

أصرّ الفلاّح بلهجة آمرة:

"طبعًا أخاطبكِ. ناولينا الحصان الأسود، فنحن بحاجةٍ إليه."

مسحت: ميلفا عنقها المتعرّق، وعضّت على أسنانها. وفي عينيها المُتعَبتين بدا بريق الذئب الجريح.

تدخّل: الويتشر مُحاولًا تبديد التوتّر بابتسامة:

"على رسلكم أيّها الرفاق. لماذا تحتاجون هذا الحصان الذي تطلبونه بلطفٍ—إن صحّ التعبير؟"

أجابه: أحد الفلّاحين وقد استدارت نظراته على الجمع:

"كيف لنا أن نكتشف قبر مصّاص الدماء من دون الحصان الأسود؟ الكلّ يعرف أنّه إن طُفتَ على ظهر حصانٍ أسود حول المقبرة، وتوقّف الحصان فجأةً أمام أحد القبور ورفض التقدّم، فهذا قبر مصّاص الدماء. عندها نحفره ونغرس وتدًا في قلبه. لا غنى لنا عن الحصان الأسود!"

قال: دانديليون بنبرةٍ مهادِنة، وهو يمدُّ لجام بيغاسوس لأحد الفلّاحين:

"ألا يمكنكم استخدام حصانٍ بلونٍ آخر؟"

ردّ عليه أحد الفلّاحين بجمود:

"لا يمكننا ذلك."

قالت: ميلفا من بين أسنانٍ مطبقة، وقد بدت الغضب يعتمل في ملامحها:

"إذًا أنتم غير محظوظين، لأنني لن أتخلّى عن حصاني."

حدّق بها الفلّاح بعناد:

"لمَ لا تعطينا إيّاه؟ ألم تسمعي ما قلت؟ نحن بحاجةٍ إلى..."

قاطعته: الرامية دون أن تغيّر نبرتها الحادّة:

"أنتم بحاجة. أمّا أنا فلا شأن لي."

قال: ريجيس بهدوء، محاولًا رأب الصدع:

"هناك حلٌّ وديّ. أفهم تمامًا أنّ الآنسة ميلفا لا ترغب في ترك حصانها في يد أحدٍ سواها..."

أومأت: الرامية بقسوةٍ وهي تبصق جانبًا:

"يمكنك أن تجزم بذلك. يصيبني القشعريرة لمجرّد الفكرة."

أكمل: الجرّاح كلامه بنفس النبرة الهادئة:

"إذًا، ليبقَ الذئب والشاة آمنَين، أقترح أن تمتطي السيّدة ميلفا جوادها وتجري الطواف المطلوب في المقبرة."

صرخت: ميلفا وهي تزمّ شفتيها بحدّة:

"لن أتجوّل في المقبرة!"

عندها ارتفع صوت أحد الفلّاحين، ذاك الشاب الكثّ الشعر والحاجبين، وقال بعنف:

"لم يطلب أحدٌ رأيكِ، أيتها الفتاة! سنأخذ الحصان فحسب. النساءُ للقدور والأفران. ولو احتجنا فتاةً بعد أن نستدرج الوحش، فدموع العذراء تحرق مصّاص الدماء كالجمر، لكن يجب أن تكون عفيفةً لم يمسّها رجل. لا أظنّكِ تصلحين لشيء."

تقدّمت: ميلفا خطوةً خاطفةً، وانهالَت بقبضتها اليمنى على وجهه. صدر صوتُ فرقعةٍ حادّ، ارتدّ رأس الفتى إلى الخلف، وكشف عن عنقٍ أشعثٍ وفكٍّ متدلٍّ مثاليٍّ لضربةٍ ثانية. خطت الرامية خطوةً أخرى لتصدمه بباطن يدها في حلقه، وقد دعّمت حركة كتفيها ووسطها لتزيد القوّة. مال الشابُّ إلى الخلف، تعثّر بقدميه، وسقط أرضًا بارتطامٍ مسموعٍ، إذ اصطدم رأسه بصخرةٍ بارزة.

قالت: الرامية وصوتها يرتجّ غضبًا وهي تفرك قبضتها:

"الآن تراني ماذا أساوي؟ مَن الرّجل الآن، ومن الذي يستحقُّ الموقد؟ لا شيء أفضل من عراك الأيدي. فمَن بقي على قدميه فهو الرجل، ومن تسطّح أرضًا فهو الأحمق. أليس كذلك أيها الغبي؟"

اتّسعت: عيون الفلّاحين رعبًا، وجحظت أفواههم، فسارعوا إلى الموافقة على كلامها بهزِّ رؤوسٍ مذعورة. انحنى الفلّاح الكبير ذي القبعة اللبادية إلى جوار الشابِّ الملقى على الأرض، وربّت على خدّه في محاولةٍ يائسةٍ لإفاقته. ولكن دون جدوى.

أطلق: الفلّاح العجوز شهقةً وهو ينظر نحو الجمع:

"لقد مات... إنّه ميت. ماذا فعلتِ أيتها المرأة؟ لقد قتلته بلا سبب!"

همست: ميلفا وهي تشحب وجهًا وتسترخي ذراعاها:

"لم أقصد ذلك..."

ثم فعلت أمرًا لم يكن أحدٌ يتوقّعه أحدٌ على الإطلاق. التفتت، وانحنت، وأسندت جبينها إلى صخرةٍ مجاورة، ثم تقيّأت بعنف.

قال أحدهم: "ما الذي أصابه؟"

أجاب: ريجيس وهو ينهض ويشدّ رباط حقيبته:

"ارتجاجٌ طفيف. جمجمته سميكة. لقد استعاد وعيه، ويعرف اسمه وما الذي حدث له. هذه علامةٌ جيدة. يبدو أن انفعالات السيدة ميلفا الحادّة لم تخلّف عواقب وخيمة، ولحسن الحظ."

نظر: الويتشر إلى الرامية، التي كانت جالسةً قريبًا منهما على صخرة، شاخصةً ببصرها نحو الأفق البعيد.

تمتم: "ليست سيدةً رقيقةً تتأثر بمثل هذه الانفعالات بسهولة. ربما هو أثرٌ متبقٍّ من البيلادونا ليلة أمس."

تدخّل: زولتان بصوتٍ منخفض:

"لقد تقيّأت من قبل؛ أول أمس عند الفجر، حينما كان الجميع نائمين. أظنّها كانت تأثيرًا من تلك الفِطْر التي حصلنا عليها في تيرلو. أنا أيضًا عانيت ألمًا في معدتي طوال يومين."

رمقه: ريجيس بنظرةٍ غريبة من تحت حاجبيه الرماديين، ثم ابتسم ابتسامةً غامضةً ولفّ عباءته السوداء حول جسده. توجّه: جيرالت صوب ميلفا، وتنحنح قبل أن يحدّثها.

قال بهدوء: "كيف حالكِ؟"

ردّت بصوتٍ خافتٍ متعب:

"أشعر بالبؤس. كيف حال الفتى؟"

أجاب: الويتشر:

"سيكون على ما يرام. استعاد وعيه، لكنّ ريجيس منعه من النهوض. الفلّاحون يصنعون له نقّالة؛ سننقله إلى المعسكر بين حصانين."

قالت: ميلفا وهي تنكس رأسها:

"خذوا حصاني."

هزّ الويتشر رأسه نافيًا:

"سنستخدم بيغاسوس والحصان الكستنائي؛ فهما أكثر هدوءً. هيا، حان وقت رحيلنا."

بدت المجموعة المتضخّمة الآن أشبه بموكبٍ جنائزيّ، وتحرّكت بالوتيرة ذاتها تقريبًا.

قال: زولتان تشيفاي مخاطبًا الويتشر،

"ما رأيك بمصّاص دمائهم هذا؟ هل تصدّق قصّتهم؟"

ردّ: الويتشر ببرود،

"لم أرَ الضحايا، ولا أستطيع أن أجزم بشيءٍ مسبقًا."

قال: دانديليون بيقينٍ واثق،

"هذا هراءٌ واضح. الفلّاحون يقولون إنّ الضحايا قد مُزّقوا إربًا. مصّاصو الدماء لا يفعلون ذلك؛ إنّهم يعضّون شريانًا ويمتصّون الدم، تاركين علامتَين واضحتَين من الأنياب. وغالبًا ما يبقى الضحايا على قيد الحياة. قرأت عن هذا في كتابٍ مختص. وكانت هناك رسومٌ توضيحيّة تبيّن آثار العضّ على أعناقِ بجعاتٍ عذراء. ما رأيك يا جيرالت؟"

تنهّد: جيرالت وهو يشيح بيده،

"ماذا عساي أقول؟ لم أرَ تلك الرسوم، كما أنّني لا أعرف الكثير من العذارى."

احتجّ: دانديليون بضيق،

"لا تسخر. أنت أكثر من رأى آثار عضة مصّاص الدماء. هل صادفتَ يومًا مصّاص دماءٍ يمزّق ضحيّته إربًا؟"

أجابه: جيرالت مقطّبًا،

"لا. هذا لا يحدث."

علّق: إيميل ريجيس وهو يدخل في الحديث،

"أبدًا، إذا كنّا نتحدّث عن مصّاصي الدماء العُليا. مما أعرفه، فإنّ ضحايا ألبس، وكاتاكين، ومولا، وبروكسا، ونوسفيرات لا يتعرّضون لأذًى شديد. أمّا فليدرس وإيكيمّا فهم قساة جدًا مع ضحاياهم."

علّق: جيرالت وقد ظهرت عليه علامات الإعجاب الصريح،

"رائع. لم تفُتك أيّ فصيلة من فصائل مصّاصي الدماء. ولم تذكر حتّى الفصائل الأسطورية التي لا وجود لها إلا في الحكايات الخرافية. معرفةٌ مدهشةٌ حقًّا. إذًا، فلا بدّ أنّك تعرف أنّ فليدرس وإيكيمّا لا يعيشان في هذا المناخ."

غمغم: زولتان وهو يلوّح بعصاه،

"هذا جيّد، ولكن ما الذي يعيش في مناخنا هذا وقادرٌ على تمزيق امرأةٍ ورجلٍ إربًا؟ هل مزّقهم بدافعٍ من غضبٍ جامحٍ؟"

أجاب: جيرالت وهو يعقد حاجبيه،

"إنّ قائمة المخلوقات المحتملة طويلة. قد يكون مثلًا قطيع كلابٍ شرسةٍ شاردة—وهي آفةٌ شائعةٌ في أزمنة الحروب. لا يمكنك أن تتخيّل ما يمكن أن تفعله هذه الكلاب. نصف الحالات التي تُنسب إلى وحوشٍ فوضويّةٍ غامضة تعود في الواقع إلى هجمات قطعان كلابٍ ضالّة."

قال: زولتان وهو يهز كتفيه متسائلًا:

"أتستبعد الوحوش إذًا؟"

أجاب: الويتشر بلهجة هادئة:

"بالطبع لا. قد يكون ستيغا، أو غرايفير، أو غول، أو حرابيّات... لكن ليس مصّاص دماء على الأرجح."

ذكّرهم: بيرسيفال قائلًا:

"تحدّث الفلاحون عن كاهنٍ أيضًا. هل يعلم الكهنةُ حقًّا بأمر مصّاصي الدماء؟"

علّق: الويتشر وهو يقطّب جبينه:

"بعضهم ملمٌّ بأمورٍ عديدةٍ، وكثيرًا ما تستحقّ آراؤهم الإصغاء. وللأسف ليس جميعهم كذلك."

شخّر: القزم بابتسامةٍ ساخرة:

"خصوصًا مَن يجوب الغابات مع اللاجئين. على الأغلب يكون متعصبًا يخاف من الخرافات. هو الذي أرسل هذه الحملة إلى مقبرتكم، يا ريجيس. حين كنتَ تجمع الماندراكورا خلال اكتمال القمر، ألم ترَ أيّ مصّاص دماء؟ ولو حتى صغير؟"

أجاب: ريجيس بابتسامةٍ خفيفة:

"لا، قطّ. ولا عجب. فمصّاص الدماء–كما سمعتم–يحلق في الظلام بأجنحة الوطواط، بلا ضجيج. يسهل جدًّا أن يغيب عن الأبصار."

أكّد: جيرالت وهو يومئ برأسه:

"بل وأسهل أن تتيقّن خلوّ المكان منه، وأنّه لم يكن هناك قط. حين كنتُ أصغر سنًّا، أهدرتُ وقتًا وطاقةً غير مرةٍ في مطاردة سرابٍ وخرافةٍ نسجها سكّان قريةٍ بأسرها، بما فيهم العمدة. ذات مرّة، أقمتُ شهرين في قلعةٍ يزعمون أن مصّاص دماءٍ يهدّدها، ولم يكن هناك أيّ مصّاص دماء... لكن كان فيها طبّاخٌ ماهر!"

علّق: ريجيس من دون أن ينظر إليه:

"لا شكّ أنّ تلك الحوادث موجودة. لكن ماذا لو كانت شائعة المصّاص في بعض الحالات صحيحة؟ عندها، أتصوّر أنّ جهدك ما كان ليضيع سُدًى. أتراه قُضي على الوحش بسيفك؟"

قال: الويتشر باقتضاب:

"في أحيانٍ كثيرةٍ، نعم."

قال: زولتان وهو يطوّح بعصاه:

"على كل حال، يمكن للفلاحين أن يعدّوا أنفسهم محظوظين بوجودنا. أنوي البقاء في المعسكر بانتظار مونرو برويس والرفاق. ولن يضرّنا بعض الراحة. ومهما يكن الذي قتل المرأة والصبي، فالأفضل له أن يتوخّى الحذر، إذ سيكون ويتشر في المعسكر."

ضمّ: جيرالت شفتيه وقال:

"وبما أنّنا في هذا الصدد، أرجو ألّا ينطلق أحدكم يعرّفني للناس أو يشيع اسمي. وهذا الكلام موجّه لك أيضًا يا دانديليون."

أومأ: القزم موافقًا:

"كما تشاء. لديك أسبابك، وأظنّك أخبرتنا في الوقت المناسب، لأنّنا شارفنا على الوصول إلى المعسكر."

أضافت: ميلفا وهي تقطع صمتًا طويلًا:

"وبإمكانكم سماع ما يجري هناك أيضًا... الضجّة توحي بالخوف."

قال: دانديليون بنبرةٍ تعليمية، وهو يصغي إلى الضجيج الآتي من المعسكر:

"ذلك الصوت الذي تسمعونه هو السيمفونية المعتادة لمخيّم اللاجئين. تصدرها حناجر مئات البشر، ومعهم الأبقار والأغنام والدجاج. أما الجزء المنفرد فيؤدّيه تذمّر النساء، وعراك الأطفال، وصياح ديك، وحمار—إن لم أكن مخطئًا—دسّ أحدهم شوكًا تحت ذيله. عنوان هذه السيمفونية: (الجماعة البشرية في صراعٍ للبقاء)."

علّق: ريجيس وهو يرفع أنفه المقوّس،

"السيمفونية هنا ليست سمعية فحسب، بل (سمعية-شميّة). فمن بين تلك الجموع المكافحة للبقاء، يتصاعد عبق حساء الملفوف والخضراوات، الذي يبدو أنّهم لا يستطيعون العيش من دونه. وهناك أيضًا عطرٌ مميّز يخلّفه التصرّف في الحاجات البشرية حيثما اتفق، غالبًا على أطراف المخيّم. لم أفهم يومًا سبب ظهور هذا العناد تجاه حفر المراحيض في ظروف البقاء."

صرّت: ميلفا على أسنانها بغضب وقالت بحدّة:

"كفى هذا الحديث الذكيّ! بدلًا من استخدام خمسين كلمةٍ معقّدة، اكتفِ بثلاثٍ فقط: ملفوف وفضلا."

أعلن: بيرسيفال شوتّنباخ حقيقةً فلسفية وهو يهزّ رأسه:

"يأتي الملفوف والفضلات دائمًا متلازمَين؛ أحدهما يفرز الآخر. إنّه محرّكٌ دائم."

ما لبثوا أن وصلوا إلى المخيّم المزدحم الكريه الرائحة، بين النيران والعربات والأكواخ المؤقتة. وعلى الفور، صاروا محور اهتمام جميع اللاجئين المتجمّعين هناك، وعددهم نحو مئتين، بل وربما أكثر. تصاعد الفضول سريعًا على نحوٍ يصعب تصديقه، فجأةً دوّى صراخٌ من مكان، وفي آخر طفر أحدهم على عنق شخصٍ آخر، وهناك انفجر أحدهم ضاحكًا، فيما أجهش آخر بالبكاء. عمّت الفوضى. ومن تضارب أصوات الرجال والنساء والأطفال، تعذّر فهم ما يجري في البداية. لكن سرعان ما اتّضح الأمر: امرأتان من كيرنو، كانتا تسافران برفقتهما، وجدتا زوجيهما وشقيق الزوج في المخيّم، بعدما اعتقدتا أنّهم قضوا أو اختفوا بلا أثر في خضمّ دوامة الحرب. كانت الفرحة والدموع لا توصف.

أشار: دانديليون بإصبعه إلى ذلك المشهد المؤثّر وقال بقناعة:

"أمرٌ تافهٌ وميلودراميّ كهذا لا يحدث إلا في الواقع. لو حاولتُ إنهاء إحدى قصصي الرومانسية بمثل هذا المشهد، لسخروا منّي بلا رحمة."

علّق: زولتان وقد حكّ لحيته بيده:

"لا مفرّ من ذلك. ومع هذا، فالكلّ مسرورٌ بأمرٍ يبدو مألوفًا وبسيطًا. إنّه يبهجنا حين تكون الأقدار لطيفة، بدل أن تواصل تحطيمنا. هيا، لقد سلّمنا النسوة أخيرًا إلى مقصدهنّ. ولن يتحقق لنا شيءٌ بالبقاء هنا."

شعر: الويتشر للحظةٍ بالرغبة في اقتراح الانتظار قليلًا، علّ إحداهنّ ترغب في التعبير عن شكرها للأقزام. لكنه عدل عن الفكرة إذ لم يبدُ هناك ما يشير إلى ذلك؛ فقد غمرتهنّ النشوة بلقاء أحبّتهنّ ولم يعد يلحظن رفاق الطريق على الإطلاق.

قال: زولتان وهو يرمقه بنظرةٍ حادّة:

"عمَّ تنتظر؟ أتراك تتوقّع منهم أن يرشّوك بالورود شكرًا؟ أو أن يُدهنوك بالعسل؟ هيا بنا، فلا شيء لنا هنا."

قال: جيرالت وهو يهزّ رأسه:

"أنت محقّ بلا شك."

لم يبتعدوا كثيرًا حتى أوقفهم صوتٌ رفيعٌ حادّ. كانت تلك الفتاة النمشاء، بضفيرتيها، قد لحقت بهم وهي تلهث، وفي كلتا يديها باقةٌ من أزهار الحقل.

قالت وهي ترفع صوتها الرفيع:

"شكرًا لكم... لأنّكم اعتنيتم بي وبأخي وأمي. كنتم طيّبين معنا وكلّ هذا. جمعتُ لكم بعض الأزهار."

قال: زولتان تشيفاي بملامح جادّة:

"شكرًا."

أضافت: الطفلة وهي تضع زهرةً في ضفيرتها:

"أنتم طيّبون. لا أصدّق ما قالته المرأة العجوز. لستم عفاريتًا قبيحةً من تحت الأرض، ولستم شياطين بيضًا من الجحيم. وأنت يا عمّ دانديليون، لست طاووسًا مهرّجًا كما زعمت. المرأة العجوز كذبت. وأنتِ يا عمّتي ميلفا، لستِ منحرفةً تحملين القوس... بل تعجبينني كثيرًا. جمعتُ لكِ أجمل الأزهار."

قالت: ميلفا بصوتٍ حزين:

"شكرًا لكِ."

قال: زولتان وهو يعيد شكره:

"جميعنا نشكركِ. هيه، بيرسيفال أيها العفريت القبيح من تحت الأرض، أعطِ الصغيرة هديةً تذكرنا بها. ألديك حجرٌ عديم القيمة في جيوبك؟"

قال: بيرسيفال وهو يتفحّص جيبه:

"لديّ، تفضّلي يا آنسة. هذا سيليكات البيريليوم والألمنيوم، ويُعرف عادةً باسم..."

قاطعته: القزم منهيًا جملته:

"زمردة. لا تربك الفتاة بأسماءٍ لن تتذكّرها على أية حال"

علّقت: الفتاة وقد اتسعت عيناها فرحًا:

"يا له من حجرٍ أخضر جميل! شكرًا جزيلًا لكم!"

قال: زولتان وهو يومئ مودّعًا:

"اعتني بنفسكِ."

تمتم: دانديليون بصوتٍ خافت:

"ولا تُضيّعيه، فذلك الحجر يساوي ثمن مزرعةٍ صغيرة."

قال: زولتان وهو يغرسُ الباقة التي أهدتها له الفتاة في قبّعته:

"تُفّه، الحجر مجرد حجر، ماذا عساي أقول؟ اعتنِ بنفسكِ يا صغيرة. هيا بنا، بإمكاننا أن ننصب معسكرنا قرب المعبر المائي وننتظر مونرو برويس ويازون فاردا والبقية. ينبغي أن يصلوا قريبًا. غريبٌ أننا لم نلتقِهم بعد. تبًّا! نسيتُ أن آخذ أوراق اللعب. أراهنُ أنهم جالسون في مكانٍ ما يلعبون الورق!"

قالت: ميلفا وهي تمسح جبينها:

"علينا توفير العلف للخيول... وكذلك بعض الشراب. لننزل إلى النهر."

أضاف: دانديليون بلهجةٍ متحمسة:

"ربّما نعثر على طعامٍ ساخن. بيرسيفال، قم بجولة في المخيّم، واستخدم حاسة شمّك! فلنتناول طعامنا عند أفضل الطباخين."

وما أثار دهشتهم أنّ الطريق المؤدي إلى النهر كان مسوَّرًا وتقوم عليه حراسة، وطالبهم الحرّاس بقرشٍ عن كل حصانٍ يعبر. احتدّ زولتان وميلفا، لكنّ جيرالت — تجنّبًا للمشاكل والضجة — هدّأهما. والمفاجئ أنّ دانديليون هو من استخرج من جيبه بعض العملات ليدفعها.

لم يلبث: بيرسيفال شوتّنباخ أن ظهر مجدّدًا، عابسًا متجهمًا.

سأله أحدهم: "هل وجدتَ شيئًا نأكله؟"

نفخ: العفريت (الغنوم) أنفه ومسح أصابعه بصوفٍ لخروفٍ كان عائدًا من النهر، ثم قال:

"وجدتُه، لكن لا أدري إن كنّا نستطيع تحمّل نفقاته. هنا يطلبون المال على كل شيء، والأسعار صادمة حتى وقعتُ على ظهري دهشةً. الطحين والشعير بسعر تاجٍ واحد للرافعة. صحن حساءٍ مائي بنوبلين اثنين. صحن سمكٍ من نهر تشوتلا الذي يُباع في ديلينجن برطلٍ واحد... لا تعليق."

سأله: أحدهم بقلق: "وماذا عن علف الخيول؟"

أجاب بيرسيفال:

"مكيال الشوفان بثالرٍ كامل."

صاح: القزم وقد جحظت عيناه:

"بكم؟! ماذا قلت؟!"

تمتمت: ميلفا بوجهٍ متجهّم:

"اسألوا الخيول عن الثمن! إن تركناها تقتات العشب وحده ستموت جوعًا. فوق ذلك، لا عشبَ هنا أصلًا. هذه هي الظروف، وليس بأيدينا حيلة. بإمكاننا المساومة مع الفلّاح الذي يبيع الشوفان، أو نعطيه بقية النقود التي في جيب دانديليون، أو نترك زولتان وببغاءه يكيلان له السباب... وطبعًا لن يجدي ذلك نفعًا. في كل الأحوال، الخيول تتوق لأن تدسّ رؤوسها في كيس العلف."

صرخ: القزم وهو يضرب بعصاه على عجلات العربات المارّة، متفجّرًا غضبًا:

"يا له من استغلالٍ بغيض! أتُرانا نستطيع التنفّس مجانًا أم أنّه سيفرض علينا ثمن كل نفَس؟ بل وثمن كل قضاء حاجةٍ أيضًا!"

قال: ريجيس بلهجةٍ هادئة:

"لستَ بعيدًا عن الحقيقة. حتى إشباع الحاجات الجسدية يكلّف هنا. هل ترى تلك الخيمة؟ والرجل الواقف عند مدخلها؟ إنّه يروّج مفاتن ابنته. الثمن قابلٌ للتفاوض؛ رأيته منذ قليل يقبل دجاجةً وبعض التبغ بدل النقود."

قال: زولتان بغلظةٍ وهو يقطّب جبينه:

"أتوقّع نهايةً سيّئة لعرقكم. كل كائنٍ عاقلٍ في هذا العالم، إذا انحدر به الحال إلى الفقر والبؤس والشقاء، ينضمّ عادةً إلى بني قومه، لأنّ التكاتف يسهّل تجاوز المحن. أمّا عندكم أنتم البشر، فكلٌّ منكم يحاول استغلال مصيبة الآخر لمصلحته. إذا جاع أحدهم، بدلًا من أن تتقاسموا الطعام، تفترسون الأضعف. هذا منطق الذئاب: الأنسب والأقوى يبقى على قيد الحياة بصحةٍ أوفر. لكن بين الأجناس العاقلة، ينجو المسيطرون وأسوأ الأوغاد، وتأمّل في عواقب ذلك كيف تشاء."

اعترض: دانديليون بعنفٍ، وبدأ يهاجم كلمات زولتان ذِكرًا لحوادث احتكارٍ ونفعيةٍ ارتكبها الأقزام، لكنّ زولتان وبيرسيفال أغرقا صوته بتقليدٍ ساخرٍ أشبه بصوت النفخ بالفم (الذي يعبّر لدى الجنسين عن الازدراء لحجج الخصم). وأُسدل الستار على شجارهما حين ظهرت فجأةً مجموعةٌ من الفلّاحين، يتقدّمهم الشيخ صاحب القبعة اللبادية صياد مصّاص الدماء الشهير.

قال: أحد الفلّاحين وهو يخطو نحوهم:

"جئنا بشأن كلوغ."

قالا: القزم والغنوم (بيرسيفال) معًا:

"نحن لا نريد شراء شيء."

أوضح: رجلٌ ثانٍ من المجموعة:

"كلوغ هو ذاك الذي ضُرب رأسه. فكّرنا في تزويجه."

قال: زولتان بغضبٍ مكتوم:

"ليست لديّ مشكلةٌ في ذلك. أتمنّى له سعادةً غامرةً في حياته الجديدة، وصحةً ورخاءً."

قال: دانديليون وهو يبتسم ابتسامةً ماكرة:

"وعشرات الصغار من كلوغ."

قال: الفلاح وهو ينظر إليهم بوجوم:

"لا، لا، أيها السادة. لا تضحكوا. كيف تريدوننا أن نزوجه؟ بعد أن ضربتموه على رأسه، صار عقله مختلًّا تمامًا، ولم يعد يميّز الليل من النهار."

قالت: ميلفا وهي تخفض عينيها نحو الأرض:

"حسنٌ، لا يبدو الأمر بهذا السوء عمومًا. يبدو لي أنّه أصبح أفضل الآن، بالتأكيد أفضل ممّا كان عليه صباح اليوم."

أجابها: الفلاح وهو يهزّ كتفيه:

"لا أعلم كيف كان كلوغ صباح اليوم، لكنّي رأيته ينحني أمام مجرفةٍ ويخاطبها وكأنّها فتاةٌ جميلة. لا أريد الإطالة في الحديث—ادفعوا دية الدم."

صرخت: ميلفا غاضبة:

"ماذا؟"

تدخّل: دانديليون متحدّثًا بنبرةٍ حازمة:

"حين يقتل فارسٌ فلاحًا، يُدفَعُ ما يُسمّى بدية الدم. هكذا ينصّ القانون. لكنّ ميلفا ليست فارسة، أوّلًا. وثانيًا، ما حصل كان حادثًا. وثالثًا، كلوغ ما يزال حيًّا، لذا لا يمكن أن تكون هناك دية دم، بل تعويضٌ عن الضرر لا أكثر. أمّا رابعًا، فليس معنا مال."

قال: الفلاح وهو يشير بيده كمن يطالب حقّه:

"إذًا أعطونا الخيول."

ضيّقت: ميلفا عينيها بحدّة تنذر بالخطر:

"ابتعد من هنا أيها الفلاح، واحذر طريقك."

تنهّد: زولتان وهو يربّت على فأسه المعلّق في حزامه:

"اسمعوا يا أيها الفلاحون: ليست لديّ أفضل الآراء فيمن يسعى للربح من رأسٍ مهشّمة لرجلٍ كان يشاركنا الطريق. انصرفوا الآن، أعدكم ألّا أطاردكم إن فعلتم."

قال: الفلاح وقد نفد صبره:

"إن لم تدفعوا، فلنرفع الأمر إلى سلطةٍ أعلى."

قبض: زولتان على مقبض فأسه وصرّ على أسنانه، لكنّ جيرالت أمسكه من مرفقه:

"روِيًّا يا زولتان. أترضى أن تحلّ الأمر بقتلهم؟"

شخر: القزم ساخطًا:

"ولمَ القتل فقط؟ يمكنني الاكتفاء بشلّ حركتهم."

بصق: الويتشر على الأرض وهو يستدير نحو الفلاح:

"كفى هراءً. من هي هذه السلطة الأعلى التي تتحدّث عنها؟"

قال: الفلاح وهو يشير بيده بعيدًا:

"كبيرنا هيكتور لابز، عمدة قرية بريزا. نقوده إلى هناك ليفصل بيننا."

أومأ: جيرالت برأسه:

"دلّنا عليه إذًا. سنحاول التفاهم معه."

هزّ: الفلاح كتفيه وقال بامتعاض:

"إنّه مشغولٌ الآن بمحاكمة ساحرة. إنّه يعقد جلسةً تحت شجرة القيقب ليستجوب الناس. قبضنا على ساحرةٍ متحالفة مع مصّاص الدماء."

قال: دانديليون وهو يمدّ ذراعيه بانفعال، "مرةً أخرى مع مصّاص الدماء. هل تسمعون؟ نفس الشيء مجددًا. ينبشون مقبرةً، ثم يقبضون على ساحرةٍ متواطئةٍ مع مصّاص دماء. أيها الريفيون، لمَ لا تصبحون ويتشراتٍ بدلًا من الحراثة والحصاد وجمع الغلال؟"

ردّ: الفلاح بامتعاضٍ، "لا تُلقِ النكات السخيفة. لا مجال للضحك في هذا الأمر. لدينا كاهن، وهو أوثق من الويتشر. وقد حكم بأنّ مصّاص الدماء هذا يصاحب الساحرة ويتعامل معها. هي تستدعيه وتشير له إلى ضحاياه."

قال: فلاحٌ ثانٍ مؤيّدًا، "أجل، الأمر كذلك. كانت هذه الساحرة الغادرة مختبئةً بيننا. لكن الكاهن رآها وهي تلقي التعاويذ، وستُحرق الآن."

تمتم: الويتشر بتهكّم، "طبعًا. حسنًا، لنذهب ونرى محكمتكم هذه. سأتحدّث إلى عُمَدكم بشأن الحادث المؤسف الذي تعرّض له كلوغ. سنجد تسويةً مُرضيةً. أليس كذلك، بيرسيفال؟ أراهن أنّك ما تزال تحتفظ بحجرٍ في إحدى جيوبك. تقدّموا، أيها الناس الطيّبون."

سار: الموكب باتجاه شجرة قيقبٍ كبيرةٍ تُلقي بأغصانها الظليلة على جمعٍ من الناس، كانوا يتدافعون بحماسة. تأخّر الويتشر قليلًا يحاول جذب أحد الفلاحين للحديث—فلاحٍ بدا على ملامحه شيءٌ من الصدق.

سأله: الويتشر وهو يحدّق فيه، "من هي هذه الساحرة التي قبضتم عليها؟ هل مارست حقًّا السحر الأسود؟"

غمغم: الفلاح بخفوتٍ وهو يُخفض رأسه، "لا أدري يا سيدي. هذه الفتاة متشرّدة، غريبة عنا. وعلى ما يبدو عقلُها مختلّ. عمرُها ناهز سنّ الرشد، لكنّها لا تلعب إلّا مع الصغار، وكأنها واحدةٌ منهم، وتردّد

(لا أم، لا أب). أنا لا أفهم هذه الأمور، لكن الكاهن والناس جميعًا يقولون إنّها مارست كل أنواع السحر."

قال: ريجيس بهدوءٍ، وهو يمشي بجوار الويتشر، "الجميع ما عدا المتّهمة، على ما أظنّ. لعلّهم سألوها فاكتفت بالقول (لا أم، لا أب)."

لم يتبقَّ وقتٌ للمزيد من الاستفسار. شقّوا طريقهم عبر الحشد ولم يكن ذلك ليتحقّق دون مساعدة زولتان وعصاه المصنوعة من الدردار.

هناك، على عجلةٍ تابعة لعربةٍ محمّلةٍ بالأكياس، رُبطت فتاةٌ لا تزيد عن ستة عشر عامًا، ممدودة الذراعين، وأطراف أصابع قدميها بالكاد تلامس الأرض. مزّقوا قماش قميصها عند ذراعيها الهزيلتين وربطوا به يديها. وصدر عنها مزيجٌ غريبٌ من ضحكٍ هستيريٍّ وبكاءٍ متقطّع.

اشتعلت نيرانٌ إلى جوار العربة، وكان أحد الحدادين ينفخ فيها بمنفاخ، بينما أمسك آخر بمكواةٍ والتقط بها حدوة حصانٍ ووضعها بين الجمر المتوهّج. علا فوق الصخب صوتُ الكاهن الحادّ:

قال: الكاهن وهو يشير بأصبعه نحو الفتاة

"أيتها الساحرة الدنيئة! أيتها الكافرة! اعترفي بالحقيقة! ها أنتم ترونها أيها القرويون؛ إنها مخدّرة بعشبةٍ خبيثة! السحر الأسود واضحٌ على ملامحها!"

كان: الكاهن نحيلًا، أسمر الوجه وجافًا كسمكةٍ مدخّنة، تتدلّى ثيابه السوداء عليه كأنما عُلِّقت على وتد. يلمع على عنقه رمزٌ مقدّس، لم يستطع جيرالت التعرّف إلى الإله الذي يمثّله، ولم يكن مهتمًّا بأيٍّ من هذه الآلهة المتكاثرة على كل حال. لعلّ الكاهن ينتمي إلى إحدى الحركات الدينية الجديدة؛ فالحركات القديمة كانت تُعنى بأنشطةٍ أكثر ربحًا، ونادرًا ما تنخرط في تتبّع فتياتٍ صغيرات وربطهنّ على عجلات العربات وتأليب العامة ضدّهن بعناوين الخرافة.

صرخ: الكاهن بصوتٍ متحمّس مرتعش

"منذ الأزل والمرأة هي بؤرة الشرّ! إنها أداة الفوضى وشريكة المؤامرة ضد العالم وجنس الرجال! المرأة محكومةٌ بالشهوة الجسدية، أيها القرويون! لذا، نجدها تتعاون طوعًا مع الشياطين لإرواء نزواتها التي لا تشبع، بل وغير طبيعية!"

قال: ريجيس وهو يهمس مقتربًا من دانديليون،
"ها قد تعلّمنا أمرًا جوهريًا عن النساء. هذه رُهابٌ صافٍ في شكله السريري. كثيرٌ من هؤلاء (الرجال المقدّسين) تراودهم كوابيس (فرجٍ ذي أسنان)."

ردّ: دانديليون هامسًا، بعينين لامعتين

"وأراهن أنّه أسوأ من ذلك. أظنه يحلم طول الوقت بنموذجٍ (عادي) بلا أسنان، ما جعل شهوته تختمر في عقله."

علّق: ريجيس وهو يراقب الفتاة المقيّدة

"والنتيجة أنّ تلك المسكينة المختلّة ستدفع الثمن."

قالت: ميلفا وهي تشدّ قبضتيها

"ألا يوجد أحدٌ يوقف هذا الأحمق الأسود؟"

نظر: دانديليون برجاءٍ إلى الويتشر، لكن جيرالت تهرّب من نظراته.

عاد: الكاهن يصرخ ويدوّي صوته

"ومن غير هذه الساحرة الأنثى يقع عليه وزرُ مصائبنا وبؤسنا؟ أليس هنّ ساحرات تانتد أولئك اللواتي خُنّ ملوكنا واغتلن ملك ريدانيا؟ أليست تلك الجنية الساحرة في دول بلاثانا هي التي تحرّض السناجب ضدّنا؟ أرأيتم الآن ما جرّته علينا مهادنة الساحرات؟ التغاضي عن دنس أعمالهنّ؟ إغماض العين عن تجبّرهنّ وغطرستهنّ وثرواتهنّ؟ ومَن المسؤول؟ الملوك! إنهم حكّامٌ متغطرسون نبذوا الآلهة، وطردوا الكهنة الذين كانوا في مجالسهم، واستعاضوا عنهم بالساحرات، مُغدقين عليهنّ المجد والذهب! وهذه النتيجة أمامكم!"

قال: دانديليون وهو يغمغم

"آه! إذن هذا هو (مصّاص الدماء) الحقيقي. لقد أخطأتَ يا ريجيس. يبدو أنه أمرٌ سياسيّ لا علاقة له بتلك (الفرج المسنونة)."

أضاف: زولتان تشيفاي بامتعاض

"وبالمال أيضًا."

تابع: الكاهن وقد اهتزّ صوته من فرط حماسته

"لذلك أقول لكم! قبل أن ننخرط في حربٍ مع نيلفجارد، طهّروا دياركم من هذا الرجس! أحرقوا هذه الآفة بالحديد المحمّى! طهّروا أرضكم بمعمودية النار! لا تُبقوا على مَن تتعامل مع السحر حيّةً!"

دوّى: بعض الأصوات من الحشد

"لا تسمحوا بذلك! إلى المحرقة بها!"

انفجرت: الفتاة المقيّدة في العربة بضحكاتٍ هستيرية وعيونٍ زائغةٍ تدمع في آنٍ واحد.

قال: أحد القرويين الضخام، الذي كان يُحيط به رجالٌ ونساءٌ صامتون حتى اللحظة

"على مهلٍ يا قوم... سمعنا الصراخ، وكلٌّ يقدر على الصراخ حتى الغِربان. كنتُ أنتظر منكَ أيها الكاهن كلامًا أسمى من نعيق الغربان..."

قال: الكاهن بصوتٍ حاد، موجّهًا كلامه إلى العملاق الذي يُدعى هيكتور لابز:

"أتُكذّب كلامي، أيها العمدة؟ كلامَ الكاهن؟"

بصق: العملاق على الأرض وعدّل سرواله الخشن وقال بلهجةٍ صارمة:

"لا أكذّب شيئًا، هذه الفتاة يتيمة ومشرّدة، ولا تعنيني في شيء. إن ثبت أنّها متواطئة مع مصّاص الدماء، فخذها واقضِ عليها. ولكن طالما أنا كبير هذا المعسكر، فأنا هنا لأعاقِب المذنبين الحقيقيّين. إن كنت ترغب في معاقبة أحدهم، فأحضر أدلّتك على جُرمه."

رفع: الكاهن صوته مجدّدًا وأشار لأتباعه — وهم أنفسهم من كانوا يضعون الحدوات في النار قبل قليل — فجاؤوا من خلف العربة يحملون قدرًا صغيرًا، وضعوه على الأرض.

صرخ: الكاهن وهو يركل القدر ليقلب محتواه، فتدفّقت منه سائلٌ صافٍ يتخلّله بضع قطعٍ من الجزر وشرائطُ خضراءُ مبهمة وشيءٌ من العظام الصغيرة:

"ها هي أدلّتكم! لقد كانت هذه الساحرة تطبخ جرعةً سحريةً! إكسيراً سحريًّا يتيح لها أن تحلّق في الهواء! لتتصل إلى عشيقها مصّاص الدماء، وتتواصل معه، وتتآمر على المزيد من الجرائم الدنيئة! أنا أعرف أساليب الساحرات وأدواتهنّ! هذه المرق قد طُبِخت بقطٍّ حي!"

تنهّد: الحشد بامتعاضٍ وقشعريرة.

همس: دانديليون وقد ارتجف بدوره:

"يا له من أمرٍ بشع. سلقُ كائنٍ حي؟ أشعر بالشفقة على الفتاة، لكنّ هذا فظيع فعلًا..."

قالت: ميلفا بحدّةٍ وهي تنهره:

"اخرس."

أكّد: الكاهن وهو يلوّح بعظمةٍ صغيرة انتشلها من البركة المغليّة،

"انظروا إلى هذا الدليل القاطع! إنّها عظمة قطّ!"

قال: زولتان تشيفاي بنبرةٍ هادئة، رافعًا عينيه نحو الأعلى:

"هذه عظمة طائر... ربما غراب زاجل أو حمامة. كانت الفتاة تعدّ حساءً لا أكثر."

صاح: الكاهن وقد احمرّ وجهه غضبًا:

"اخرس أنت أيّها القزم الوثني! لا تنطق بالكفر وإلا حاقت بك عقوبةُ الآلهة على أيدي المؤمنين! قلتُ إنّه إكسيرٌ بقطٍّ حي!"

تجاوب: الفلّاحون المحيطون به بصياحٍ صاخب:

"قطّ حي! لا شكّ أنّه قطّ! الفتاة كانت تملك قطًّا أسود، والجميع رآه يتبعها دائمًا. والآن أين هو؟ اختفى! لا بدّ أنّها طهته!"

"طهته في مرقها السحري!"

"لا شكّ أنّها صنعت حساءً من القطّ!"

"لا حاجة لأي دليلٍ آخر! أحرقوا الساحرة! لكن فلنعذّبها أوّلًا! فلتعترف بكل شيء!"

نعب: فيلد مارشال دودا بصوته الأجش:

"كررررروا يا أمّ!"

قال: بيرسيفال شوتّنباخ بصوتٍ عالٍ على نحوٍ مفاجئ:

"أشعر بالأسى على القطّ، لقد كان بهيًّا حقًّا. جلده يلمع كالفحم، وعيناه مثل البيريل، وشواربه طويلة، وذنبه كثيف كذنب الراكون! قطٌّ كلوحةٍ فنيّة. لا بدّ أنّه كان بارعًا في صيد الفئران!"

فجأة، صمت: الفلّاحون جميعًا.

قال أحد الفلاحين، وهو يتجمهر حول الغنوم:

"وكيف عرفتَ أنت، أيها السيد الغنوم، شكل ذلك القط؟"

نفخ: بيرسيفال شوتّنباخ أنفه، ثم مسح أصابعه في ساقه وقال بنبرةٍ هادئة:

"أعرفه لأنّه موجودٌ هناك، جالسٌ فوق العربة، وراءكم بالضبط."

استدار: الفلاحون جميعًا في وقتٍ واحد، ونظروا إلى حيث يشير، فوجدوا القط جالسًا فوق الأكياس المكدّسة على العربة، وقد رفع قائمته الخلفية في غفلةٍ من الجميع، وانشغل بلعق موضعه الخاص.

وسط صمتٍ مهيب، تعالى صوت زولتان تشيفاي ساخرًا:

"ها قد تبيّن لنا أنّ (دليلكم القاطع) قد انتهى به المطاف، حرفيًا، تحت ذيل قطٍّ ذكر. أين دليلُكم الثاني؟ هل هو قطٌّ آخر؟ سيكون أمرًا رائعًا؛ نستطيع تربيتهما والتكاثر منهما، فلن يبقى جرذٌ واحدٌ في المخازن لمسافة نصف ميل."

ضجّ بعض الفلّاحين بالضحك أو النفخ بسخرية، فيما أطلق هيكتور لابز نفسه ضحكةً مكتومةً من صدره العريض. أمّا الكاهن فاحمرّ وجهه بشدّة.

صاح وهو يشير إلى القزم بإصبعه المتوتّر:

"سأحتفظ بذكراك، أيها الكافر الملعون! أيها القزم الدنيء! كائن الظلام! من يدري من أين جئت؟ ربما أنت متواطئ مع مصّاص الدماء! انتظر فحسب إلى أن نعاقب هذه الساحرة، ثم يأتي دورك في التعذيب! لكن قبل ذلك، سنحاكم الساحرة! لقد وضعنا الحدوات في النار، وسنرى ما ستبوح به حين تلامس جلودُها القبيحة الحديد المحمّى! أؤكّد لكم أنّها ستعترف بسحرها! وهل نحتاج لأكثر من اعترافها؟"

علّق: هيكتور لابز باستهزاء، وهو يهزّ رأسه:

"هذا يعتمد. فلو كُويتَ أنت أيها الكاهن بحَدواتك المحمّاة، لربما اعترفت بأنّك ضاجعت فرسًا! أُفٍّ! وتدّعي أنك رجلُ الربّ؟ ليضربكما — أنت والجنّ على حدّ سواء — بما تستحقّان!"

صرخ: الكاهن محاولًا إسكات تذمّر الفلّاحين الذي بدأ يتصاعد:

"أجل، أنا رجلُ الربّ! أؤمنُ بعدالته وعقابه وانتقامه! وبمحكمته السماوية! ستُعرض هذه الساحرة على قضاء الربّ، حكم الربّ..."

ارتفع صوت: جيرالت فجأةً، بعدما اخترق دائرة الحشد:

"فكرةٌ جيّدة جدًّا. حكم الربّ هو الأسلوب الأكثر يقينًا وعدلًا. والمحاكم الدنيوية تعترف بالاختبارات الإلهية، ولها قواعدها. تنصّ تلك القواعد على أنه في حال محاكمة امرأة أو طفل أو شيخٍ هرمٍ أو شخصٍ مختلّ العقل، يجوز أن ينوب عنهم مدافع. أليس كذلك، أيها العمدة لابز؟ أرغب في الدفاع عن هذه الفتاة. ارسموا ساحة القتال، وليتقدّم من يؤمن يقينًا بجرمها ولا يخشى حكم الربّ. فليبارزني."

صرخ: الكاهن محدّقًا فيه بعيونٍ مليئةٍ بالحقد، فيما خيّم الصمت وارتفعت أعناق الفلاحين دهشةً:

"أهذا ما تريد؟ مبارزة؟ من ينظر إليك يعلم أنك سفّاكٌ متعجرف! أتريد تطبيق عدالة الربّ بسيفك؟"

قال: زولتان وهو يتقدّم ليقف بجوار الويتشر:

"إذا لم يعجبكم السيف، وإذا كان هذا الرجل لا يناسبكم، فربما أنا أناسبكم؟ هيا، فليتقدّم من يتّهم الفتاة لينازلني أنا بفأسي!"

قالت: ميلفا وهي تحوّل عينيها نحو الجمع، وقد ضاقت نظرتها تحدّيًا:

"أو أنا بالقوس. سهمٌ واحدٌ على مسافة مئة خطوة."

صرخ: الكاهن وهو يلوّح بيديه في وجوه الحاضرين:

"أترون، أيها الناس، كم يتكاثر المدافعون عن الساحرة بسرعة؟ حسنٌ أيها الأوغاد، أقبل اختبار الربّ لثلاثتكم. سنقيم حكم الله لنعرف ذنب الساحرة، ولنتبيّن فضيلتكم أيضًا! لكن ليس بالسيوف أو الفؤوس أو الرماح أو الأقواس. تقولون إنكم تعرفون قواعد (حكم الربّ)؟ وأنا أعرفها كذلك! هناك حدوةٌ في الجمر المتّقد! معمودية النار! تعالوا، يا أنصار السحر! مَن يخرج الحدوة من النار ويأتي بها إليّ، ولا

يظهر على يده أثر حرق، يثبت براءة الساحرة. أما إن أظهر حكم الربّ غير ذلك، فستموتون معها! وقد قلتُ كلمتي!"

تداخل: هكتور لابز وبعض رفاقه بتأفّفٍ واعتراض، لكن صراخ بقية الحاضرين — المتحمّسين لمشهدٍ مثير — غطّى أصواتهم. حدّقت: ميلفا بزولتان، ثم تبادلا نظرةً مع جيرالت، الذي أدار رأسه نحو السماء قبل أن يعيد النظر إلى ميلفا.

سألها: الويتشر بصوتٍ خفيض:

"أتؤمنين بالآلهة؟"

أجابته: الرامية وهي تحدّق في الجمر المتوهّج:

"أؤمن، لكن لا تتوقّع أنها تهتمّ بحدواتٍ ساخنة."

زمجر: زولتان وهو يعضّ على كلماته:

"من النار إلى هذا الوغد ثلاثُ خطوات. سأتحمّل، فقد عملتُ في الحدادة من قبل... لكن ابتهلي من أجلي لتلك الآلهة."

تقدّم: إيميل ريجيس ووضع يده على كتف القزم، وقال بلهجةٍ هادئة:

"انتظروا قليلًا. لا حاجةَ للصلاة."

اقترب: الجرّاح من النار، وانحنى باحترامٍ أمام الكاهن والحشد، ثم—من دون أي تردّد—مدّ يده إلى داخل الجمر المتوهّج. أطلق الجمهور شهقةً واحدةً مدوية، وشتم زولتان في حنق، بينما تشبّثت ميلفا بذراع جيرالت. استقام: ريجيس واقفًا، ناظرًا بهدوءٍ إلى الحدوة التي أمسكها بيده، ثم سار بتمهّلٍ نحو الكاهن. تراجع: الكاهن خطوتين، لكنه ارتطم بالفلاحين الواقفين خلفه.

قال: ريجيس وهو يرفع الحدوة في يده:

"هذا ما طلبته، أليس كذلك يا فضيلة الكاهن؟ معمودية النار؟ إذن، أرى أنّ حكم الله جاء واضحًا. الفتاة بريئة. ومدافعوها أبرياء. ويبدو أنّي أنا أيضًا بريء."

تمتم: الكاهن بعصبية، وقد بدأ يتلعثم:

"أ... أخرج يدك... يجب أن تكون يَدُك محترقة..."

ابتسم: الجرّاح ابتسامةً مشدودة الشفتين، ثم نقل الحدوة إلى يده اليسرى، ورفع اليمنى أمام الكاهن. كانت اليد سليمةً تمامًا، فعرضها على الجميع. تعالت في الحشد ضجّةٌ كبيرةٌ من الدهشة.

قال: ريجيس وهو ينظر حوله:

"لمن هذه الحدوة؟ فليتقدّم صاحبها وليأخذها."

لم يجبه أحد.

صرخ: الكاهن وهو يشيح بيده في الهواء:

"هذا سحرٌ شيطاني! أنت ساحرٌ أو شيطانٌ متجسّد!"

ألقى ريجيس بالحدوة على الأرض واستدار.

قال ببرود: "إذن فلتجرِ عليّ طقوس طرد الأرواح الشريرة. سأتقبّل الأمر طوعًا. لكنّ حكم الربّ قد تمّ بالفعل. وأعرفُ أنّ ازدراء نتائج القضاء الإلهي يُعدّ هرطقةً."

صاح الكاهن وهو يلوّح بتميمته أمام الجرّاح، ثم أخذ يرسم إشاراتٍ قباليةً بيديه:

"مت أيها الملعون! ابتعد! انحدر إلى جحيم الهاوية، أيها الشيطان! لتنفلق الأرض من تحتك..."

صرخ زولتان بغضب:

"كفى هراءً! أيها الناس! أيها العمدة لابز، إلى متى سنحتمل هذا الجنون؟ أتظنّ..."

غير أنّ صوته انقطع فجأةً عندما تعالى صراخٌ حاد:

"نيييييلفغاااارد!"

"خيولٌ تأتي من الغرب! فرسانٌ قادمون! إنّه جيش نيلفجارد! أنقذوا أنفسكم أيّها الناس!"

في غمضة عين، عمّت الفوضى أرجاء المعسكر. اندفع الجميع نحو عرباتهم وأكواخهم، يتدافعون ويسقطون فوق بعضهم البعض، وسط ضجيجٍ يصمّ الآذان.

صاحت ميلفا وهي توزّع الركلات واللكمات من حولها:

"خيولنا! يا ويتشر، خيولنا! إلحقني بسرعة!"

علا صوت دانديليون وهو يصرخ:

"جيرالت! ساعدني!"

انشقت الحشود في تدافعها العشوائي كأمواج البحر الهائج، لتبتلع ميلفا في طرفة عين. أمسك جيرالت بياقة دانديليون بقوّة، لكنّهما كادا ينجرفان أيضًا لولا أنّ الويتشر تمكّن من التشبّث بعجلة العربة التي كانت الفتاة المتّهمة بالسحر ما تزال مقيّدةً إليها. فجأةً اهتزّت العربة وتحركت من مكانها، فسقط جيرالت والشاعر أرضًا. راحت الفتاة تهزّ رأسها وتضحك بهستيرية، ثمّ مضت العربة مبتعدةً ببطء، وتلاشى ضحكها في جلبة المعمعة.

ولول دانديليون وهو مطروحٌ على الأرض:

"سيسحقوننا تحت الأقدام! سيردموننا! آآآه!"

ارتفع صوت فيلد مارشال دودا من مكانٍ غير مرئيّ:

"كرررروا يا أمّ!"

رفع جيرالت رأسه وبصق الرمل من فمه، فرأى مشهدًا غريبًا مُضحكًا.

لم يشارك في موجة الذعر العام سوى أربعة أشخاص، أحدهم كان مكرهًا لا بطلًا. ذاك المكره كان الكاهن، إذ أمسك العمدة هيكتور لابز بعنقه بقبضةٍ حديدية. أمّا الاثنان الآخران فكانا زولتان وبيرسيفال. بلمحة خاطفة، رفع الغنوم (بيرسيفال) طرف رداء الكاهن من الخلف، فيما انتشل القزم (زولتان) بملقطٍ حدوةً متّقدةً من النار وقذف بها داخل بنطال الكاهن. ما إن أفلتَ العمدة قبضته حتى اندفع الكاهن كالشهاب بذيلٍ دخاني، وتوارى صراخه وسط هدير الحشود. لمح جيرالت العمدة والغنوم والقزم وهم يهنّئون بعضهم على نجاحهم، قبل أن تكتسحهم موجةٌ تاليةٌ من الجماهير المذعورة. تلاشى كل شيءٍ في غبارٍ متطاير، ولم يعد الويتشر قادرًا على رؤية مزيدٍ من التفاصيل. ولم يكن لديه وقتٌ للتركيز؛ فقد انشغل بمحاولة إنقاذ دانديليون الذي اصطدم به خنزيرٌ مذعور.

حين انحنى جيرالت ليرفع الشاعر عن الأرض، سقطت فوق ظهره سلّمٌ رماه أحدهم من عربةٍ مارة. كان وزنه كافيًا لإسقاطه أرضًا. وخلال ثوانٍ، تدافع خمسة عشر شخصًا فوق السلّم قبل أن يتمكّن من دفعه بعيدًا. ما إن تحرّر أخيرًا، حتى اهتزّت عربةٌ مجاورةٌ وانقلبت بقعقعةٍ مدوية، فوقعت على الويتشر ثلاثةُ أكياسٍ من دقيق القمح الذي يُباع بتاجٍ للرطل. انفجرت الأكياس في الهواء، وعمّت سحبٌ بيضاء غطّت المكان.

صاح دانديليون من جواره:

"انهض يا جيرالت! انهض، اللعنة!"

لهث الويتشر وهو يعصر عينيه المغمورتين بالدقيق الثمين:

"لا أستطيع..."

قبض بكلتا يديه على ركبته التي شلّها الألم. "أنقذ نفسك، دانديليون..."

قال الشاعر بحزمٍ وهو يحاول النهوض:

"لن أتركك!"

من الجهة الغربية للمعسكر، تعالى صراخٌ مروّع، امتزج بصوت حوافر الخيو. ارتفع ضجيجٌ معدني، أشبه باصطدام الحديد بجرسٍ ضخم.

صاح دانديليون:

"قتال! إنهم يتقاتلون!"

سأل الويتشر وهو يحاول مسح الدقيق والرمل عن عينيه:

"مَن ضد مَن؟"

على مقربةٍ منهم، اشتعل شيءٌ ما، فاندلع لهيبٌ لاهب ودخانٌ خانق. ازداد وقع سنابك الخيل عنفًا، وارتجّت الأرض تحتهم. في البداية، لمح جيرالت سحابةً من الغبار، ثم رأى عشرات السيقان الكتوفية للجياد تندفع هرولةً من كل الجهات. قاوم آلامه بابتلاع شهقاته.

قال مخاطبًا دانديليون:
"تحت العربة! اختبئ تحت العربة وإلا سيطؤوننا!"

أنّ الشاعر وتمسّك بالأرض:

"لا تتحرّك... فلنبقَ مكاننا... سمعتُ أنّ الخيل لا تطأ مَن يستلقي على..."

قال الويتشر لاهثًا:

"لستُ واثقًا أنّ الخيل سمعتْ بهذا المثل. تحتهـ..."

لكنّه لم يُتمّ جملته؛ إذ باغته أحد الجياد — الذي لم يسمع النصيحة — فركله في رأسه خلال مروره الخاطف. ومضت أمام عيني جيرالت أضواءٌ حمراء وذهبية كأنها كل نجوم السماء، ثم بعد لحظةٍ هوت عتمةٌ لا تُخترق على العالم.

* * *

قفز الجرذان من نومهم، وقد أيقظتهم صرخةٌ مدوّيةٌ طويلة، تضاعفت أصداؤها على جدران الكهف. قبض: آس وريف على سيفيهما، بينما أطلقت: إيسكرا سُبابًا عاليًا، إذ ارتطم رأسها بنتوءٍ صخريّ.

صرخ: كايلي وهو يتلفّت جزعًا، "ما الأمر؟ ماذا يحدث؟"

كان: الكهف يكتنفه ظلامٌ دامس، رغم أنّ الشمس خارجًا كانت مشرقة. استراح الجرذان هنا بعد ليلةٍ قضوها على ظهور الخيل هربًا من مطاردين. وضع: جيسيلير شعلةً في النار حتى اشتعلت، ثم نهض واقترب من الركن الذي تنام فيه سيري وميسل معًا — كالعادة — بعيدًا عن الآخرين. جلست: سيري ورأسها مُطأطأ، فيما غطّت ميسل شعرها.

رفع: جيسيلير الشعلة. اقترب الآخرون أيضًا. مدّت: ميسل فروةً لتغطي بها كتف سيري العاري.

قال: جيسيلير زعيم الجرذان بجدّية، "اسمعيني يا ميسل. لم أتدخّل أبدًا فيما تفعلانه في فراشكما. لم أسخر منكما قط. بل كنتُ دائمًا أشيح بنظري وأتجاهل الأمر. هذه حياتكما وخياركما، ولا مشكلة لديّ طالما تلازمان الهدوء والكتمان. لكن هذه المرّة تجاوزتُما الحدّ بعض الشيء."

قاطعته: ميسل بحدّة، "لا تتفوّه بالحماقات. ماذا تظنّ... أن الفتاة كانت...؟ لقد كانت تصرخ وهي نائمة! إنه كابوس!"

التفت: جيسيلير وسأل بهدوء، "أصرختِ يا فالكا؟"

أومأت: سيري برأسها.

سألها وقد ضيّق عينيه، "هل كان حلمًا فظيعًا؟ ما الذي رأيتِ؟"

اعترضت: ميسل بصوتٍ خفيض، "دعها وشأنها!"

قال: جيسيلير وهو يحدّق بها، "اصمتي يا ميسل. تكلّمي يا فالكا."

تمتمت: سيري متردّدة، "شخص... أعرفه. رفسه حصان بحوافره... شعرتُ كيف مزّقت ضربته... أحسستُ ألمه... رأسه وركبته... ما زال يؤلمني. اعذروني... أيقظتكم..."

قال: جيسيلير بشفاهٍ مضمومة، وقد رمق ميسل بنظرة، "لا تعتذري. أنتِ التي تستحقين الاعتذار. مجرد حلم؟ حسنٌ، أيّ شخص قد يرى حلمًا كهذا. أيّ شخص."

أغمضت: سيري عينيها. لم تكن متيقّنةً إن كان جيسيلير على حق.

* * *

استيقظ على رفسةٍ في جسده. كان مستلقيًا على ظهره، وقد استند رأسه إلى عجلة عربةٍ مقلوبة، وبجواره جلس دانديليون القرفصاء. الرجل الذي ركله يرتدي خوذةً مستديرةً وسترة، ويقف إلى جانبه رفيقٌ آخر. أمسك الاثنان لجامي فرسين، وتدلّت من سروجيهما رماحٌ ودروع.

سأل أحدهما بلهجةٍ مستهجنة، "هل هو الطحّان أم الشيطان؟"

هزّ: الجندي الآخر كتفيه بلا مبالاة. رأى: جيرالت أنّ دانديليون يحدّق في الدروع بلا انقطاع. وكان جيرالت هو الآخر قد انتبه منذ وقتٍ طويل إلى رسم الزنابق المنقوش على الدروع: شعار مملكة تيميريا.

الرمز نفسه يزين بقية الخيّالة المنتشرين في المكان. انشغل معظمهم باقتناص الخيول السائبة ونهب الجثث التي ارتدى معظم أصحابها عباءاتٍ سوداء تبيّن كونها لجنود نيلفجارد.

بدا المعسكر كأطلالٍ مدخّنةٍ بعد الهجوم، لكن اتّضح أنّ الفلاحين الناجين لم يهربوا بعيدًا. راح الفرسان أصحاب الزنابق على دروعهم يجبرونهم على التجمّع في مجموعات، ويصيحون في وجوههم.

قال: الراوي إنّ ميلفا وزولتان وبيرسيفال وريجيس كانوا قد اختفوا تمامًا، ولم يظهر لهم أثر. أما إلى جوار جيرالت، فقد جلس بطلُ "محاكمة الساحرة" الأخيرة—القط الأسود—يحدّق فيه بعينين ذهبيّتين بلا اكتراث. استغرب الويتشر الموقف، إذ إنّ القطط لا تحبّ الاقتراب منه عادةً. لكنّه لم يجد وقتًا للتفكير في هذه الظاهرة الغريبة؛ ذلك أنّ أحد الجنود ضربه بحربةٍ على كتفه.

صاح: الجندي وهو يلوّح بالرمح في وجهيهما،

"قفَا، كلاكما! هيه، هذا الأبيض معه سيف!"

صرخ: جنديٌّ آخر وهو ينادي رفاقه،

"ألقِ السيف على الأرض! أو أغرزه في جوفك!"

أطاع: جيرالت الأمر، بينما ما يزال الصداع يطنّ في رأسه.

سأله: أحد الجنود بخشونة،

"من أنتم بحقّ الشيطان؟"

ردّ: دانديليون متحذلقًا،

"نحن مسافرون."

زمجر: الجندي ساخرًا،

"حقًّا؟ مسافرون عائدون إلى الديار؟ هاربون؟ أتراكم خلعتم الزيّ العسكري وفررتم من وحداتكم؟ كثيرون في هذا المعسكر فعلوا ذلك؛ تذوّقوا خبز الجيش، فلمّا رأوا نيلفجارد ارتعدت فرائصهم. بعضهم كانوا رفاقًا لنا من نفس الفصيلة!"

قهقه: جنديٌّ ثانٍ وقال،
"وهؤلاء المسافرون ينتظرون رحلةً أخرى. قصيرةً جدًّا... على حبل مشنقةٍ يتدلّى من غصن شجرة!"

صاح: الشاعر في فزع،

"لسنا هاربين من الخدمة!"

قال: الجندي متهكّمًا،

"يبدو ذلك، من طريقتكم في الحديث."

ومن حلقةٍ من الرماة يمتطون الخيل، خرجت مجموعةٌ من الفرسان الخفاف، تقدّمهم رجالٌ يرتدون دروعًا ثقيلة وخوذًا مزدانةً بريشٍ فاخر. حدّق دانديليون في الفرسان القادمين، نفض الدقيق عن ثيابه، ثم بصق في كفّيه وحرّك شعره بأصابعه.

قال: دانديليون محذّرًا وهو يلتفت إلى جيرالت،

"اصمت أنت، يا جيرالت. سأقوم أنا بالحديث. هؤلاء فرسان، انتصروا على نيلفجارد. نحن لم نفعل شيئًا، وأعرف كيف أتحدّث إلى النبلاء. علينا أن نُظهر لهم أنّنا من مستواهم، لا من عوامّ الناس."

تمتم: جيرالت متضايقًا،

"دانديليون، بحقّ الآلهة..."

ردّ: دانديليون وهو يرفع حاجبيه بثقة،

"لا تقلق، ستكون الأمور على ما يُرام. أعرف كيف أخاطب الفرسان والنبلاء، فنصف تيميريا يعرفني. هيه، ابتعد أيها التابع! دعني أمرّ لمخاطبة أسيادك!"

رمقه: الجنود بنظراتٍ متردّدة، لكنّهم رفعوا حرابهم بتثاقلٍ وأفسحوا له الطريق على مضض. سار دانديليون وجيرالت نحو الفرسان، بينما مضى الشاعر بخيلاءٍ كأنه لورد، على الرغم من مسحة الدقيق التي تغطّيه.

صرخ: أحد الفرسان بقوّة،
"قف عندك! خطوةٌ أخرى ولن تفلت! من تكون بحقّ السماء؟"

قال: دانديليون وهو يضع يديه على وركيه،

"ولماذا أجيب؟ ولأي سبب؟ من أنتم أيها السادة النبلاء الذين يضايقون مسافرين أبرياء؟"

صرخ: فارسٌ آخر بغيظ،

"لست أنت من يطرح الأسئلة يا وغد! أجب حالًا!"

مال: الشاعر برأسه، متفحّصًا شارات النبالة المرسومة على الدروع والعباءات التي يضعها الفرسان.

قال دانديليون وهو يتفحّص شعارات النبالة:

"ثلاثةُ قلوبٍ حمراء على حقلٍ ذهبيّ. هذا يعني أنّك من عائلة أوبري. أمّا الرأس في الدرع، الذي تتوسّطه شارةٌ بثلاثة أسنان، فيُشير إلى أنّك الابنُ البِكر لأنزِلم أوبري. أعرف والدك جيّدًا، يا سيّدي الفارس. وأنت، أيّها الفارس، ما الذي تحمله على درعك الفضي؟ عمودٌ أسود تُحيط به رأسا غريفين؟ إن لم أكن مخطئًا—وهذا نادرٌ في أمور الشعارات—فهذا شعار عائلة بابيبروك. يقال إنّ العمود الأسود يُعبّر عن ذكاءٍ خاص في أحد أفراد العائلة."

أنّ: جيرالت متأوّهًا، "اصمت... تبًّا لك."

تابع: الشاعر بفخرٍ متجاهلًا تحذير الويتشر:

"أنا دانديليون، الشاعر الشهير! لا بدّ أنّكم سمعتم باسمي. قودوني إلى قائدكم أو زعيمكم، فأنا معتادٌ على الحديث مع من هم في سويّتي!"

وقف: الفرسان المدرّعون صامتين، لكنّ نظراتهم ازدادت صرامة، وتشددت قبضاتهم على اللُّجُم. أمّا دانديليون، فبدا أنّه لا يلحظ شيئًا.

سألهم متعجّبًا:

"ما بكم؟ بمَ تنظرون هكذا يا سيّدي الفارس؟ أجل، أنتَ يا صاحب العمود الأسود. لا ينبغي أن تُقطّب جبينك هكذا. هل نصحك أحدٌ بأن ترسم هذه الملامح—حاجبان مزمومان وفكٌّ متوتّر—لتبدو أكثر رجولةً وهيبة؟ لقد خدعك، لأنّ مظهرك يُوحي بأنك لم تستطع التبرّز لمدّة أسبوع!"

صاح: الابن البكر لأنزِلم أوبري حامل درع القلوب الثلاثة:

"اقبضوا عليهما!"

حرّك: الفارس صاحب العمود الأسود من عائلة بايبروك حصانه وهو يضع المهماز في خاصرته:

"اقبضوا عليهما! وقيّدوا هذين الوغدَين!"

اقتيد: جيرالت ودانديليون سيرًا على الأقدام خلف الخيول، بعدما جرى ربط رسغيهما بحبالٍ عُلِّقت أطرافُها بسرج الفرسان. اضطرّا أحيانًا إلى الركض لأنّ الفرسان لم يُشفِقوا لا على الخيل ولا على الأسيرين. تعثّر دانديليون مرّتين وسقط أرضًا على بطنه، وظلّ يصرخ فيما يُجرّ على التراب قبل أن يضطرّ الفرسان إلى التمهّل قليلًا. نهض بمساعدة حرابهم التي أغروها في جنبيه، ثم أرغموه على متابعة السير. تطاير الغبار في عيونهما وخنق أنفاسهما والتصق بحناجرهما ظمأٌ محرق.

كان الشيء الوحيد الذي خفّفَ عن جيرالت— ولو قليلًا — هو اتّجاه الطريق جنوبًا. أخيرًا يسير في الوجهة الصحيحة، وبسرعةٍ نوعًا ما. لكنّه لم يشعر بأيّ فرح؛ فقد كان يتصوّر رحلته نحو الجنوب في صورةٍ مختلفة تمامًا.

وصلوا إلى مكانٍ ما في وقتٍ صارت فيه صيحات دانديليون قد بحّت من اختلاط الشتائم بطلب الرحمة، وأضحى الألم في مرفقي جيرالت وركبتيه بمثابة عذابٍ حقيقي، قاسيًا إلى حدٍّ جعله يفكّر في حلٍّ جذريٍّ وإن كان يائسًا.

بلغوا معسكرًا عسكريًّا تحيط به أطلال حصنٍ نصف محترقٍ ومتهدّم. ساروا بهم بين المواقد والخيام المُزيّنة برايات الفروسية، تدور حول ساحةٍ كبيرةٍ مزدحمة يحدّها سياجٌ خشبيٌّ ضخمٌ متفحّم. عندما لمح جيرالت ودانديليون حوضًا مخصصًا لسقي الخيول، شدّا الحبال التي تُقيّدهما محاولةً الوصول إلى الماء. في البداية، لم يشأ الفرسان السماح لهما بالاقتراب، لكنّ ابن أنزِلم أوبري تذكّر حديث دانديليون عن صداقته مع أبيه، فأشفق عليهما أخيرًا. انحنيا وسط الخيول ليشربا ويغسلا وجهيهما بأياديهما المقيّدة، لكن سرعان ما شدّهما الفرسان بالحبال لينهضا مجدّدًا ويعودا إلى الواقع.

سأل فارسٌ طويلٌ نحيل، مرتديًا درعًا مذهبًا وفاخرًا، بينما يُربّت على مقبض صولجانٍ مُزيّنٍ بنقوشٍ متقنة:

"مَن أحضرتم إليّ هذه المرة؟ لا تقولوا لي إنّهما جاسوسان آخران؟"

أجاب ابن أنزِلم أوبري:

"جواسيس أو هاربان. قبضنا عليهما في معسكر تشوتلا عند صدّنا هجوم جيش نيلفجارد. إنّهما عنصران مشبوهان."

زمجر الفارس ذو الدرعِ المذهب، ثم دقّق النظر في دانديليون، فتغيّر وجهه الصارم — الذي بدا ما يزال شابًّا — بسرعة وتفاجأ:

"هذا عبث. حرّروهما من قيودهما."

صاح فارس العمود الأسود — من عائلة بايبروك — معترضًا:

"لكنّهما جواسيس لنيلفجارد! خصوصًا ذلك النذل كثير الكلام الذي يدّعي أنّه شاعر! أرأيته كيف ينبح في كل مكان؟"

ابتسم الفارس المذهب وقال بهدوء:

"لم يكذب. إنّه الشاعر دانديليون. أعرفه. افكّوا وثاقه، وكذلك الآخر."

سأله فارسٌ متردّد:

"هل أنت واثق، يا كونت؟"

ردّ بصوتٍ آمِر:

"إنّه أمرٌ يا فارس بايبروك."

تمتم دانديليون وهو يفرك رسغه المتصلّب حيث رُبط الحبل:

"ألم أخبرك أنّ سمعتي تسبقني في كل مكان؟"

لم يُجب جيرالت، إذ كان منشغلًا بفرك رسغيه وركبتيه ومرفقيه المتضرّرة.

قال الفارس الملقّب بالكونت معتذرًا:
"أرجو أن تُسامحا حماس هؤلاء الشبّان. يرون عملاء نيلفجارد في كل زاوية، وكل دورية تعود بمشتبهين جدد من بين اللاجئين. والسبب أنهم يراقبون بدقّة مَن يلفت الأنظار. وأنت أيها النبيل دانديليون، تلفت الأنظار. كيف انتهى بك المقام بين اللاجئين في تشوتلا؟"

ارتجل دانديليون على الفور:

"كنا في طريقنا من ديلينجن إلى مارِيبور، أنا وهذا الصديق... أيضًا شاعر. بالتأكيد تعرفه، اسمه جيرالدوس."

قال: الكونت، متفاخرًا، وهو ينظر إلى دانديليون وجيرالدوس:

"بالطبع أعرفك، بالطبع قرأتُ قصائدك، يا سيّد جيرالدوس. إنّه لشرفٌ عظيم. اسمي دانيل إتشيفري، كونت غاراموني. على شرفي، يا معلّم دانديليون، لقد تغيّر الكثير منذ زرتَ بلاط الملك فولتيست."

قال: دانديليون، وهو يرفع حاجبيه:

"لا شكّ أنّ الكثير قد تبدّل."

قطّب: الكونت دانيل إتشيفري جبينه، ثم تابع بلهجةٍ مثقلةٍ بالهموم:

"من كان ليظنّ أنّ الأمور ستؤول إلى ما هي عليه؟ إمبراطور إيمهير استولى على فيردن، وباتت بروغ تقريبًا محتلة، وسودين تشتعل مجدّدًا... ونحن ننسحب، باستمرار ننسحب... اعذراني، أقصد: ننفّذ مناوراتٍ تكتيكية. نيلفجارد يحرق وينهب كلّ ما حوله، وقد بات على أبواب نهر إينا، ويحاصر قلعتَي رازوان ومايِنا. ومع هذا كلّه، لا يزال الجيش مستمرًّا في تلك المناورات التكتيكية."

علّق: دانديليون بلهجةٍ فيها شيءٌ من الفضول:

"حين رأيتُ زنابِقكم على ضفاف التشوتلا، كنتُ مقتنعًا أنّه هجومٌ مضاد."

صحّح: الكونت، وهزّ رأسه:

"إنّها مجرّد ضربةٍ مضادّة. معركة استطلاعية. عبَرنا النهر ودمّرنا بعض دوريات النيلفجارد وأفرقة السكوياتايل التي كانت تشعل الحرائق. وما ترونه هنا ما هو إلا ما تبقّى من حصن آرميريا بعدما استعدناه. أمّا حصنا كركانو وفيدورت فقد أحرقا تمامًا... الجنوب كلّه يغرق في الدم والنار والدخان... أوف، أرجو ألا أكون قد أزعجتُكما، أيّها السادة. فأنتما تعرفان بالتأكيد ما يحدث في بروغ وسودين، إذ عبرتما مع اللاجئين من تلك المناطق. ومع ذلك، أخذ رجالي يظنّونكما جواسيس! أرجو أن تقبلا اعتذاري بدعوةٍ على الغداء. بعض السادة من النبلاء سيسرّهم لقاؤكما، أيها الشاعران."

قال: جيرالت وهو ينحني بانضباط:

"إنّه لشرفٌ كبيرٌ لنا، ولكنّ الوقت يداهمنا. علينا الانطلاق حالًا."

ابتسم: دانيل إتشيفري ابتسامةً ودودة وقال:

"لا داعي للحرج. إنّه طعامُ جنديٍّ بسيط: لحمُ طرائد، وطائرُ حسّون البندق، وبعضُ الفاكهة، وكمأة..."

ازدرد: دانديليون ريقه خِلسة، ثم تبادل نظرةً ذات مغزًى مع الويتشر قبل أن يعلّق:

"إنّ رفض مثل هذه الدعوة إهانةٌ كبيرة. فلننطلق إذًا، يا مولاي. تلك الخيمة الزرقاء والذهبية خيمتك؟"

أجابه: الكونت وقد أشار بيده:

"كلا، تلك خيمة القائد. الأزرق والذهبي هما لونا موطنه."

رفع: دانديليون حاجبيه دهشةً وقال:

"كيف ذلك؟ كنتُ متيقّنًا أنّك القائد، يا كونت."

علّق: دانيل إتشيفري بنبرةٍ هادئة:

"هذا فصيلٌ منفصلٌ من جيش تيميريا. أنا مجرّد ضابط اتصال تابعٍ للملك فولتيست، ومعي نبلاء آخرون يقاتلون تحت راية تيميريا. لكن نواة هذا الجيش تتكوّن من رعايا ممالك أخرى. انظرا إلى تلك الراية أمام خيمة القيادة."

توقّف: جيرالت فجأةً وحدّق في الراية ثم قال بصوتٍ خافت:

"أسودٌ... أسودٌ ذهبيّة على حقلٍ أزرق. هذا... هذا شعار..."

أومأ: الكونت مؤيّدًا:

"سنترًا. هؤلاء منفيّو مملكة سنترًا التي احتلّها نيلفجارد حاليًّا. يقودهم المارشال فيسيغيرد."

استدار: جيرالت بسرعة، وهمّ بأن ينبس بكلمةٍ توضح أن أمورًا عاجلةً تلزمه برفض دعوة الغداء على أيّة حال. لكنّه لم يفلح، إذ أبصر مجموعةً من الضبّاط تقترب منهم، يتقدّمهم فارسٌ قويّ البنية، كثّ الشعر يميل إلى الشيب، يرتدي عباءةً زرقاء ودروعًا ذهبية الحلقات.

قال: دانيل إتشيفري وهو يشير بيده بتحية:

"ها هو المارشال فيسيغيرد شخصيًّا، أيها السادة الشعراء. اسمحا لي بشرف تقديمكما..."

قال: المارشال فيسيغيرد بصوته الأجش، محدّقًا في جيرالت بنظراتٍ ثاقبة:

"لا حاجة إلى ذلك. قد تعرّفنا من قبل. في سنترًا، في بلاط الملكة كالانثي. أثناء حفل خطبة الأميرة بافيتا. كان ذلك قبل خمس عشرة سنة، لكنّ ذاكرتي جيّدة. وأنت، أيها الويتشر النذل، هل تذكرني؟"

قال: جيرالت وهو يستسلم لقيود الجنود:

"أتذكّرك."

حاول: دانيل إتشيفري، كونت غاراموني، التدخّل لصالح جيرالت ودانديليون، بعد أن جعلهم الجنود يجلسون على كراسٍ في خيمة المارشال. ولمّا خرج الجنود بناءً على أمر فيسيغيرد، استأنف الكونت مساعيه:

"هذا هو الشاعر والمغنّي المتجوّل دانديليون، يا سيّدي المارشال، أعرفه حقّ المعرفة. شهرته تعمّ أرجاء العالم. لا يليق أن نعامله هكذا. بشرفي، أضمن أنّه ليس جاسوسًا لصالح نيلفجارد."

ردّ عليه فيسيغيرد وهو لا يصرف بصره عن المقيّدَين:

"لا تحلف بهذه السرعة، يا كونت. ربّما كان شاعرًا، لكنّه قُبض عليه مع هذا الوغد الويتشر، ولا أستطيعُ الوثوق فيه. يبدو أنّك لم تدرك بعد نوع الطريدة التي وقعتْ في شِباكك."

سأله: الكونت بريبة:

"الويتشر؟"

أكّد: فيسيغيرد، ناظرًا إلى جيرالت بازدراء:
"أجل، إنّه جيرالت الذي يُدعى الذئب الأبيض. ذاك المحتالُ نفسه الذي طالب بحقٍّ في سيريلا، ابنة

بافيتا، حفيدة كالانثي... سيريلا التي تتناقل الألسن أخبارها اليوم. أنت صغير السنّ، لا تتذكّر تلك الأيام، حين عمّت الفضيحة قصور الممالك كلّها. لكنّي كنت شاهدًا على تلك الأحداث بعينيّ."

استفسر: الكونت وقد التمعت عينه فضولًا:

"وما الرابط بينه وبين الأميرة سيريلا؟"

أشار: المارشال بيده إلى جيرالت:

"هذا الكلب ساهم في زواج بافيتا، ابنة الملكة كالانثي، من دوني وهو غريبٌ مجهولٌ أتى من الجنوب. ومن هذا الاتحاد المشين وُلدت سيريلا. قبل أن تولد، وُعد بها ذلك الويتشر الحقير، مكافأةً له على مساعدته في إنجاح الزواج. هل سمعت بما يُسمّى حقّ المفاجأة؟"

قال: الكونت وهو يهزّ رأسه:

"لم أسمع به قطّ. واصل حديثك، يا مارشال."

أكمل: فيسيغيرد وهو يرفع إصبعه مُتّهِمًا جيرالت مجدّدًا:

"بعد وفاة بافيتا، أراد الويتشر أخذ الفتاة، لكنّ كالانثي منعته وطردته. ومع ذلك، انتظر فرصته. ولمّا اندلعت الحرب مع نيلفجارد وسقطت سنترًا، استغلّ الفوضى وخطف سيريلا. أخفاها بعيدًا لأنّه علم أنّنا نبحث عنها. ثم ضاق ذرعًا بها أخيرًا وباعها لإيمهير."

صرخ: دانديليون غاضبًا:

"هذه كلها أكاذيب وافتراءات! لا كلمةَ واحدة من الحقيقة في كلّ هذا!"

قال: المارشال فيسيغيرد وهو يقطّب جبينه، موجّهًا الحديث للكونت:

"اصمت أنت، أو سأجعلهم يكمّمون فاك. اربط الحقائق معًا، أيها الكونت. الويتشر كانت لديه سيريلّا، والآن صارت لدى إمهِير إمريس. والويتشر قُبض عليه مختلطًا بمقدّمة دورية نيلفجاردية. ما معنى هذا؟"

هزّ: دانيل إتشيفري (كونت غاراموني) كتفيه، كمن لا يعرف الجواب.

كرّر: فيسيغيرد سؤاله، مقتربًا من جيرالت بحدّة:
"ما معناه؟ تكلّم أيها المنحرف! منذ متى وأنتم تتجسّسون لصالح نيلفجارد؟"

ردّ: جيرالت بنبرةٍ جامدة:

"أنا لا أتجسّس لأحد."

صرخ: المارشال مُلوّحًا بيده:

"سأمزّقك إربًا!"

قال: جيرالت ببرودٍ متحدٍّ:

"افعل."

تدخّل: الكونت دانيل إتشيفري فجأةً، موجّهًا الكلام إلى دانديليون:

"مستر دانديليون، سيكون من الأفضل لك لو شرحت الموقف. كلّما بادرتَ أسرع، كان أحسن."

انفجر: دانديليون وكأنه كان ينتظر الإذن:

"هذا ما وددتُ فعله، لولا أنّ المارشال هددني بإسكاتي! نحن أبرياء، وكلّ ما ذُكِر من اتهامات مجرّد تلفيقٍ سافر وافتراءٍ شنيع. سيريلّا خُطفت من جزيرة تانِد، وجيرالت أصيب إصابةً بالغةً وهو يدافع عنها. ويمكن لأيّ ساحرٍ كان هناك وقتها أن يؤكّد هذا. بل حتى مستشار ريدانيا، الكونت سيجيسموند ديكسترا..."

توقّف: دانديليون فجأة، متذكّرًا أنّ ديكسترا لن يكون شاهدًا مناسبًا للدفاع، وأنّ ذكر السحرة في تانِد ليس أفضل وسيلةٍ لتحسين موقفهم.

واصل: الشاعر كلامه بسرعةٍ وحماس:

"أمّا اتهام جيرالت بخطف سيريلّا من سنترًا فهو هراءٌ محض. جيرالت وجدها بعد مذبحة المدينة وهي تهيم بلا مأوى، فخبّأها عن أعين عملاء نيلفجارد الذين كانوا يبحثون عنها. أنا شخصيًّا وقعتُ في قبضة هؤلاء العملاء، وتعرّضتُ للتعذيب كي أبوح بمخبأ سيريلّا. لم أقل شيئًا... وماتوا جميعًا بعد أن جهلوا مع مَن عبثوا."

قال: الكونت بلهجةٍ متعاطفة:

"شجاعتك للأسف كانت بلا طائل. إمهِير ظفر في النهاية بسيريلّا، والجميع يعلم أنّه ينوي الزواج منها وتنصيبها إمبراطورةً لنيلفجارد. في الوقت الراهن يعاملها كملكةٍ على سنترًا وما حولها، وهذا يسبّب لنا مشكلات جمة."

أعلن: دانديليون وهو يشدّ قامته:

"إمهِير كان يستطيع الجلوس على عرش سنترًا متى شاء، أمّا سيريلّا فلو ارتضت ذلك، فإنّ لها حقًّا مشروعًا في العرش."

زمجر: فيسيغيرد، وقد تطاير رذاذٌ من فمه على وجه جيرالت:

"حقّ؟ لا حقّ لها في أيّ شيء! ليتزوّجها إمهِير إن شاء، ولتنجب له أبناءً، وهو يمنحها ألقابًا كيفما يشاء—لتكن ملكة سنترًا وجزر سكيلّي لو أراد، ولمَ لا دوقة بروغ؟ كونتيسة سودين؟ لا يهمّنا ذلك بشيء! ولِم لا يجعلها ملكة الشمس والقمر أيضًا؟ تلك الدماء النجسة والملعونة لا تُخوّلها أي عرش! ملعونٌ ذاك النسب، كلّ سلالة النساء في تلك العائلة ملعونة، مخلوقاتٌ منحطّة، بدءًا بريانون! وجدّتها الكبرى أداليا خانت شرفها مع ابن عمّها، وأمّها موريل فعلت ما هو أسوأ وأدنأ! لا يولد من تلك الدماء غير مومساتٍ منحطّاتٍ بالقرابة!"

قال: دانديليون بنبرةٍ وقحة، وهو يحدّق في المارشال:

"تكلّم بهدوء، يا مارشال. تلك الراية المعلّقة أمام خيمتك عليها أسودٌ ذهبية، وأنت على وشك أن تصف جدة سيريلّا، كالانثي، لبؤة سنترًا—التي سكب معظمُ جنودك دماءهم لأجلها في مارنادال وسودين بأنّها مجرّدةٌ من الأخلاق والخيانة! ولستُ واثقًا أنّ جيشك سيظلّ وفيًّا لك حين يسمع هذا الكلام."

قطع: فيسيغيرد المسافة بينه وبين دانديليون في خطوتين، وقبض على مقدمة قميصه رافعًا إياه عن الكرسي. بدا وجه المارشال هادئًا قبل لحظات، ثم احمرّ احمرارًا قانيًا أقرب للون الشعار. شعر: جيرالت بقلقٍ حقيقيّ على سلامة صديقه، لولا أنّ ضابطًا مساعدًا اندفع فجأةً إلى الخيمة بلهفة، مُعلنًا وصول أخبارٍ عاجلة ومهمّة من دورية عادت للتو. أفلت: فيسيغيرد دانديليون، وأسقط معه الكرسي، ثم غادر.

قال: دانديليون وهو يئنّ، ممرّرًا يده على عنقه:

"أوف... كان ذلك وشيكًا. كاد يخنقني... أيها الكونت، أتسمح بفكّ وثاقي؟"

ردّ: دانيل إتشيفري، كونت غاراموني، بجمود:

"كلا يا سيّد دانديليون، لا أستطيع."

استنكر: دانديليون متألّمًا:

"أتصدّق هذه الإفتراءات؟ أنّنا جواسيس؟"

أجابه: الكونت بهدوء:

"اعتقادي لا دخل له بالأمر. ستظلاّن مقيّدَين."

سعل: دانديليون بضيق، وقال:

"ما الذي دبّ في المارشال؟ هجم عليّ فجأةً كهجوم صقرٍ على فريسته!"

ارتسمت: على شفتي دانيل إتشيفري ابتسامةٌ ملتوية، وقال:

"حين تطرّقتَ، يا سيّد الشاعر، إلى (ولاء الجنود) دون أن تدري، نقرتَ على موضعٍ مؤلم لديه."

تساءل: دانديليون في حيرة:

"موضع مؤلم؟ ماذا تقصد؟"

أجابه: الكونت وهو يلوّح بيده كمن يشرح:

"كان الجنود قد ذرفوا الدموع حين سمعوا نبأ موت سيريلّا. ثم ظهرت أنباء أخرى بأن حفيدة كالانثي ما تزال على قيد الحياة، وأنّها في نيلفجارد وتحظى برعاية الإمبراطور إمهير. حدثت موجات هروبٍ جماعيّة من الجيش. هؤلاء الرجال تركوا بيوتهم وعائلاتهم، ونزحوا إلى سودين وبروغ ثم نحو تيميريا لأنّهم أرادوا القتال لأجل سنترًا—لأجل دم كالانثي. أرادوا تحرير بلادهم وطرد الغزاة منها، ليعيدوا نسل كالانثي إلى عرش سنترًا. لكن ماذا جرى؟ عاد دم كالانثي فعليًّا إلى العرش، مزهوًّا بالتكريم والمجد..."

قاطع: دانديليون بحدّة:
"وإنّما كدمية في يد إمهير الذي اختطفها."

عقّب: الكونت بنبرةٍ هادئة وهو يهزّ رأسه:

"إمهير يريد الزواج منها، ويضعها إلى جواره على العرش الإمبراطوريّ، مانحًا إياها الألقاب والتابعين. هل هذا تصرّف دُمية؟ سيريلّا رآها سفراءٌ من كوفير في بلاط الإمبراطور، وأكدوا أنّها لم تُسق هناك قسرًا. ورَدت الأنباء بين الجنود بأنّ سيريلّا — الوريثة الوحيدة لعرش سنترًا — قد حلّت في بلاط نيلفجارد كحليفة. هذه الحكاية التي تنتشر الآن، وقد تزعزِع النفوس في الجيش."

قال: جيرالت بنبرةٍ هادئة، كمن يعلّق في سِرّه:

"إنّها شائعاتٌ يروّجها عملاء نيلفجارد."

أومأ: الكونت، ثم قال:

"أنا أدرك ذلك جيّدًا. لكنّ الجنود لا يعلمون. كلّما طاردتَ فارًّا وأنزلت به عقوبة الشنق، أفهم الدافع وراء هروبه. يريدون القتال من أجل أرضهم ووطنهم... من أجل أنفسهم، لا من أجل تيميريا. تحت رايتهم الخاصة. إنّهم يرون بأمّ أعينهم في المعسكر أسدهم الذهبي وقد انحنى أمام زنابق تيميريا. كانت تحت إمرة فيسيغيرد ثمانية آلاف مقاتل، منهم خمسة آلاف سنترانيّ، أما الباقون فتشكيلات تيميرية وفرسان متطوعون من بروغ وسودين. والآن لم يبقَ سوى ستة آلاف. الفرار حصل في صفوف السنترانيّين وحدهم. جيش فيسيغيرد تحلّل بلا معركة. أتفهم ما يعنيه ذلك بالنسبة له؟"

علّق: دانديليون بسرعة:

"إنّه يفقد هيبته ومنصبه."

أومأ: الكونت مجدّدًا:

"بالضبط. إذا هرب بضع مئاتٍ أخرى، سيُجرِّده الملك فولتيست من عصاه القيادية. وما عاد بالإمكان تسمية هذه القوة بالجيش السنتراني أصلًا. فيسيغيرد ينتفض حانقًا، محاولًا وقف الانشقاقات، فينشر الكلام عن أصلٍ مشبوهٍ للأميرة سيريلّا وأسلافها."

سأل: جيرالت، وقد لم ينجح في كبح فضوله:
"وأنت أيها الكونت؟ يبدو عليك اشمئزازٌ حقيقي لدى سماع هذا الكلام."

ابتسم: دانيل إتشيفري ابتسامةً باهتة:

"ألاحظت ذلك؟ إنّ فيسيغيرد يعلم بخط نسبي... باختصار، تربطني صلة قربى بسيريلّا. إنّ موربيل كونتيسة غاراموني —ا لتي كانوا يلقّبونها بالحسناء — هي جدّة سيريلّا الكبرى، وجدّتي الكبرى أيضًا. وخلال صراعات العائلة، تردّدت أساطيرٌ حول مغامراتها العاطفية، غير أنني عندما أسمع أحد الشبّان الطائشين ينعت جدّتي بالزانية، يصيبني الغثيان. ومع ذلك لا أردّ. لأني جنديٌّ في النهاية. أتفهمانني، يا سيديَّ؟"

قال: جيرالت وهو يشبك ذراعيه:

"أجل."

ردّ دانديليون:

"لا."

فأوضح: الكونت بهدوء:

"فيسيغيرد هو قائد هذه الوحدة التابعة لجيش تيميريا. وسيريلّا في قبضة إمهير تشكّل تهديدًا لهذا الجيش ولبلادي ولملكي. لن أنفي إشاعات فيسيغيرد أو طعنه في شرعية سيريلّا، ولا سأسعى لدحض أكاذيبه. بل سأدعمه، لكي يثبت أنّ سيريلّا ولدت من نسبٍ زائف ولا حقّ لها في العرش. لن أعارض المارشال ولا قراراته وأوامره. على العكس، سأقف معه."

قال: الويتشر بابتسامةٍ ساخرة وهو يلتفت إلى دانديليون:

"أرأيت يا دانديليون؟ الكونت لم يظنّنا جواسيس ولو للحظة، وإلا لما شرح لنا كلّ هذا بالتفصيل. إنّه يعلم ببراءتنا، لكنّه مع ذلك لن يحرّك ساكنًا حين يصدر فيسيغيرد حكمه ضدّنا."

شهق: دانديليون وقد شحب وجهه:

"أتعني... أتريد القول إنّ..."

حول: الكونت وجهه جانبًا، متجنبًا النظر إليهما.

قال: الكونت دانيل إتشيفري بصوتٍ خافت، موجّهًا نظراته نحو الويتشر ودانديليون:

"إنّ فيسيغيرد ثائرٌ بشدة. لقد ساء حظكما حين وقعتم في قبضته. لا سيّما أنت، أيها الويتشر. سأسعى جاهداً... مع السيّد دانديليون..."

قُطع كلامه بدخول فيسيغيرد، الذي ظلّ وجهه محمرًّا كالثور الهائج. تقدّم المارشال نحو الطاولة، وضرب عليها بعصاه الموشّاة، ثم نشر خريطةً فوقها واستدار نحو جيرالت، مثبّتًا عينيه الثاقبتين عليه. لم يُنزل الويتشر نظره.

قال: فيسيغيرد بصوتٍ ممدود النبرات:

"دورية اعترضت طريق جنديٍّ من نيلفجارد كان جريحًا. لكنّه تمكّن من نزع ضماداته ونزف حتى الموت في الطريق، مفضّلًا أن يهلك بدلًا من أن يبوح بشيءٍ يفيدنا في هزيمة قومه. أردنا استجوابه، لكنّه أفلت من بين أيدينا مخلفًا لنا دماءً فحسب. درسٌ جيّد. من المؤسف أن الويتشرات لا يعلّمون أمثال هذه الأمور لأبناء الملوك الذين يقومون بتنشئتهم."

لزم: جيرالت الصمت، لكنه انحنى برأسه.

أطلق: فيسيغيرد نظرةً ملتهبة وهو يقترب:

"ما بك أيها الممسوخ؟ أيها الشاذّ عن الطبيعة، مخلوق الجحيم! ماذا علّمتَ سيريلّا؟ أيّ تربيةٍ قدمتَ لها؟ الكلّ رأى والكلّ يعلم! تلك اللقيطة تعيش الآن، توسّع عرش نيلفجارد كما لو كان أمرًا عاديًّا! وحين يأخذها إمهير إلى فراشه، فستكون راغبةً بذلك كالغانية!"

قال: دانديليون مُستفزًّا:

"ليس من شيم الفارس، يا سيّدي المارشال، أن يُطلق العنان لغضبه فيُحمّل طفلةً مختَطَفة المسؤولية."

زمجر: فيسيغيرد بحدّة:

"حتى الطفل يمكنه رفض العنف! في حوزة الملوك والفروسية أساليبٌ كثيرة. لو كانت فعلاً من دمٍ ملكيّ، لوجدت سبيلًا للخلاص. مقصّ، قطعة زجاجٍ مكسور، أيّ خرامة! أما تلك العاهرة، فكان بإمكانها أن تشقّ رسغيها بأسنانها إن عجزت عن ذلك، أو أن تُعلّق نفسها بجوربٍ لو شاءت!"

قال: جيرالت بهدوءٍ خانقٍ للغضب:

"لن أسمع المزيد يا فيسيغيرد. لن أسمع المزيد."

أطبق: المارشال على أسنانه، وجعل صوته يرتجف شدةً:

"ولن تسمع المزيد بالفعل، إذ لا كلام عندي سوى شيءٍ واحد. يومذاك في سنترًا، قبل خمس عشرة سنة، تحدّثتَ كثيرًا عن القدر. ظننتُه وقتها هراءً. لكنه كان قدرك حقًّا، أيها الويتشر. منذ تلك الليلة، كُتبت نهايتك على النجوم بأحرفٍ سوداء. سيريلّا، ابنة بافيتا، هي قدرك... وهي أيضًا موتك. من أجل سيريلّا، ابنة بافيتا، ستُنصب مشنقتك!"

كانت فرقة "السابعة دايرلان" متاحةً للعملية بوصفها فرعًا مستقلًّا من سلاح الفرسان في الجيش الرابع. تلقّينا دعمًا تمثّل في ثلاث سرايا من الفرسان الخفيفين، قادمة من فيردن، وألحقتُها بمجموعة القتال فريمديه. أمّا ما تبقّى من الفرقة فقد أشركتُه في حملة آيدرن، بعد تقسيمه إلى مجموعتَي قتال: "سيفيرز" و"مورتيزن"، تضمّ كلٌّ منهما أربع سرايا.

خرجنا من نقطة التجمّع في دريشخوت مساء الخامس من أغسطس برفقة الجيش الرابع. كانت الأوامر تقضي ببلوغ حدود فيدورت وكاركانو وآرميريا، والسيطرة على معابر نهر إينا، مع القضاء على أيّ عدوّ نواجهه، وتجنّب نقاط المقاومة الكبيرة. أضرمنا الحرائق—خصوصًا ليلًا—كي تنير درب الجيش الرابع، وتنشر الذعر بين صفوف السكّان المدنيين، وتسدّ طرق الإمداد خلف خطوط العدوّ بأفواج اللاجئين. تظاهرنا بمحاصرة القوّات المنسحبة ودفعها نحو ما يشبه "الغلاية" الحقيقيّة. قضينا على مجموعاتٍ مختارةٍ من المدنيين والأسرى لإشاعة الرعب والخوف وزعزعة معنويات العدوّ. وقد نفّذت الفرقة هذه المهامّ بتضحيةٍ عسكريّةٍ عظيمة.

من كتاب "لأجل الإمبراطور والوطن" لـ إيلان تراهي

الفصل الخامس

لم تتمكن ميلفا من بلوغ الخيول أو إنقاذها. شاهدت السرقة رأي العين، لكنها كانت شاهدةً عاجزةً تمامًا. أول الأمر، علقت وسط حشدٍ هائجٍ مذعور، ثم سدّت أمامها الطريق عرباتٌ مندفعة، وعندما أفلتت أخيرًا وجدت نفسها تتخبّط في قطيعٍ من الخراف الصوفيّة، فاندفعت تزيحها كما لو كانت تجتاز كومةً من الثلج. وفي النهاية، قفزت إلى الوحل والقصب عند ضفّة التشوتلا، فنجت من سيوف جنود نيلفجارد الذين كانوا يقتلون كلّ من يصادفونه بلا رحمة، حتى النساء والأطفال لم ينجوا.

أرتمت ميلفا في النهر، ونجحت في الفرار إلى الضفة المقابلة، تارةً وهي تخوض في المياه الضحلة، وتارةً تسبح على ظهرها متخلّلةً جثثًا تجرفها المياه.

واصلت المطاردة بعدما استرجعت في ذاكرتها المسار الذي سلكه الفلاحون السارقون، أولئك الذين استولوا على حصان جيرالت (روتش)، وبيغاسوس، والحصان الكستنائي، وجوادها الأسود. ثم إنّ سرج حصانها الأسود يحمل قوسها الثمين الذي لا تقدّر قيمته. همّت بالركض في حذائها المبتل بالماء، وخاطبت نفسها: لا حيلة لي الآن، سيضطرّ الباقون إلى تدبّر أمرهم بأنفسهم ريثما أستعيد حصاني والقوس اللعين!

أوّل ما استعادت كان بيغاسوس. فقد كان حصانُ الشاعر هذا يتجاهل الركلات في جنبيه وصياح الفلّاح الذي يمتطيه، إذ لم يكن يجري بل يمشي بخطًى متثاقلة في بستانٍ من أشجار البتولا، بطيئًا متراخيًا. فتخلّف الفلّاح بذلك عن رفاقه سارقي الخيول مسافةً كبيرة. وما إن سمع ورأى ميلفا تقترب حتى قفز عن ظهر الحصان في الحال، وهرب مُدمدمًا وسط الأدغال وهو قابضٌ بيديه على سرواله. لم تُطارده ميلفا، رغم رغبتها الملحّة في قتله؛ بل قفزت فوق السرج، فارتجّت أوتار العود المربوط به. وبحكم خبرتها مع الحصان، استطاعت إرغام بيغاسوس على العَدْو. أو بالأحرى على هرولةٍ ثقيلةٍ اعتبرها بيغاسوس جريًا سريعًا.

ومع ذلك، كانت تلك الهرولة المزعومة كافيةً للّحاق بسارقي الخيول، إذ كانت سرعتهم قد تباطأت بسبب فرسٍ غير مألوفة لهم: كانت تلك روتش، فرس الويتشر البُنية، التي طالما هدد جيرالت بأن يستبدلها بحمارٍ أو بغلٍ أو حتى ماعز. وعندما لحقت ميلفا باللصوص، كان الرجل الذي يجرّ روتش من لِجامها قد سقط أرضًا، بينما انشغل بقيّة الفلّاحين بالقفز عن سروجهم محاولين ترويض الفرس التي كانت تثور وترفس بقوّة. كانوا منهمكين إلى حدّ أنهم لم يلاحظوا ميلفا وهي تقترب فوق ظهر

بيغاسوس، فركلت أحدهم في وجهه، وحطّمت أنفه بركلةٍ عاتية. وحين سقط أرضًا يتلوّى، شاهرًا ذراعيه ومستغيثًا بالآلهة، عرفته ميلفا على الفور: لقد كان كلوغ نفسه. على ما يبدو، لم يكن حظّه جيّدًا مع كل من يلقاهم... ولا سيما مع ميلفا.

يلفا، للأسف، توقّف حظّها عند هذا الحد. وبمعنىً أدق، لم يكن سوء الحظ هو السبب، بل ثقتها المبالغ فيها بأنّ بإمكانها ضرب بضعة فلاحين كما تشاء. وما إن ترجلت عن السرج حتى فُوجئت بلكمةٍ في عينها، ولم تفهم كيف وجدت نفسها ملقاةً على الأرض. سحبت سكينها، عازمةً على شقّ بعض البطون، لكنّ ضربةً على رأسها بعصًا غليظةٍ حطّمت تلك العزيمة، وانهارت العصا متساقطةً بقشورها وخشبها العفن في عينيها. كانت مصدومةً وواهنةً، لكنها استطاعت أن تقبض على ركبة الفلّاح الذي ما زال ممسكًا ببقايا العصا؛ إلاّ أنّه فجأةً هوى صارخًا على الأرض. أما رفيقه فهبّ يصرخ وغطّى رأسه بكلتا يديه.

مسحت ميلفا عينيها فرأت ذاك الفلّاح يتعرّض لسيلٍ من ضربات السوط، من فارسٍ ممتطٍ حصانًا أشهب. نهضت ميلفا وانهالت بضربةٍ على عنق اللص، فانهار وهو يصدر صوتًا أجشّ، فاستغلّت الفرصة لتفرغ جام غضبها في ركلةٍ عنيفة. التفّ الفلّاح حول نفسه قابضًا على منشئ ذكره يطلق صرخاتٍ مدويّة أسقطت أوراق أشجار البتولا المحيطة عليهم.

أما الفارس على الحصان الأشهب فقد نجح في دحر باقي الرجال وكلوغ — الذي كان ما يزال ينزف من أنفه — دافعًا إياهم إلى داخل الغابة بسوطه. ثم استدار بفرسه عائدًا نحو الرجل المولول، لكنه أوقفه فجأة. فقد كانت ميلفا قد أمسكَت بجوادها الأسود، وها هي تشهر قوسها وقد وضعت سهمًا على وتره، نصفه مجدود، أما رأس السهم فمُصوّبٌ مباشرةً نحو صدر الفارس.

للحظة تبادل الفارس والفتاة نظراتٍ حادّة. ثم مدّ الفارس يده بحركةٍ بطيئةٍ نحو حزامه حيث استلّ سهمًا طويل الريش، ورماه تحت قدمي ميلفا.

قال بهدوء: "كنتُ أعلم أنني سأنال فرصةً لإعادة سهمكِ، أيتها الجنية."

ردّت ميلفا بحدّة: "لستُ جنيةً، أيها النيلفجاردي."

قال الفارس برباطة جأش: "ولا أنا نيلفجاردي. لذا اخفضي القوس. لو أردتُ إيذاءكِ، لتركْتُ هؤلاء الفلاحين يوسعونك ضربًا."

تمتمت ميلفا وهي تحافظ على ثبات القوس في يدها: "الشيطان وحده يعلم من تكون. على كلٍ، شكرًا على المساعدة... وعلى إعادة سهمي... وعلى ذاك النذل الذي ركلته."

كان الفلاح الذي تلقّى ركلة ميلفا ملتفًّا حول نفسه، قد غطّى وجهه بأوراق الأشجار وصار ينتحب في صمتٍ مرير. أما الفارس، فلم يلقِ إليه بالًا، بل استمرّ في مراقبة ميلفا.

قال الفارس وهو يومئ برأسه باتجاه الخيول:

"أمسكي بالخيول. علينا أن نبتعد عن النهر بسرعة، فالجيش منتشر في الغابة على ضفّتيه."

قطّبت: ميلفا جبينها وهي تخفض قوسها قليلًا:

"نحن؟ معًا؟ منذ متى أصبحنا أصدقاء أو رفاقًا؟"

أجابها وهو يستدير بحصانه، ممسكًا بلجام الكستنائي:

"سأوضّح الأمر إن منحتِني بعض الوقت."

قالت وهي تهزّ كتفيها بعجلةٍ:

"الوقت بالذات هو ما نفتقده. الويتشر والبقيّة..."

قاطعها:

"أعلم ذلك. لكن لا يمكننا إنقاذهم إن قُتلنا أو وقَعنا في الأسر. خذي الخيول واتبعيني إلى الغابة. أسرعي!"

كان يُدعى كاهير، هكذا تذكّرت ميلفا وهي تنظر إلى رفيقها الغريب، الجالس على جذع شجرةٍ سقطت. ذاك النيلفجارديّ المزعوم الذي يُصرّ على أنّه ليس نيلفجارديًّا. كاهير.

قالت وهي ترمقه بشيءٍ من الريبة:

"ظننّا أنك قُتلت. الحصان الكستنائي عاد إلينا من دون فارسه."

أجابها بجفاف:

"تعرضتُ لمغامرةٍ صغيرة. ثلاثةُ قطاع طرق أشعثو الشعر كهجّانٍ بشريٍّ — كأنّهم ذئاب مستذئبة — نصبوا لي كمينًا. فرّ الحصان. أمّا أولئك الأشقياء فبقوا حيث هم على أقدامهم ولم يُفلحوا، ولم أفلح أنا في العثور على جوادٍ جديد إلاّ بعد أن ابتعدتم كثيرًا. لم ألحق بكم إلاّ صباح اليوم قبيل دخولكم المعسكر. اجتزتُ النهر وانتظرتكم على هذه الضفة؛ لأنني علمتُ أنكم تتجهون شرقًا."

دقّ: أحد الأحصنة المختبئة بين أشجار النغت (ألدر) بحافره على الأرض. كانت العتمة تحلّ، وأخذت البعوضات تطنّ حول آذانهما.

قال كاهير وهو يرهف السمع:

"الهدوء يعمّ الغابة. الجيش انصرف. يبدو أنّ المعركة قد انتهت."

ردّت: ميلفا بمرارة:

"المذبحة، تقصد."

تردّد: الفارس لوهلة، ثم عقّب بصوتٍ خافت:

"سلاح فرساننا الإمبراطوري هاجم المخيّم، ثم هاجمكم من الجنوب جيشكم... على الأغلب تيميريّ. أظنّهم كانوا يباغتون نيلفجارد."

استدارت: ميلفا نحوه وقالت بقلقٍ ظاهر:

"إذا انتهى القتال، علينا أن نعود. يجب أن نبحث عن الويتشر وداندیليون والباقين."

أشار الفارس برأسه رافضًا التسرّع:

"الأفضل أن ننتظر حلول الليل."

قالت وهي تضمّ قوسها إلى صدرها بانقباض:

"هذا المكان فظيع... كئيب ويجثو على الصدر. لا نسمةَ هواء تحرّك أغصانه، لكنّ شيئًا ما يصدر أصواتًا في الشجيرات... ذكرَ الويتشر أنّ الغيلان تنجذب إلى ساحات المعارك. والفلاحون قالوا شيئًا عن مصّاصي دماء..."

طمأنها: كاهير بصوتٍ هادئ:

"لن تكوني وحدكِ. الإنسان الوحيد أشدّ خوفًا."

فهمت: ميلفا ما يرمي إليه فقالت:
"طبعًا. لقد ظللتَ تلاحقنا منذ قرابة أسبوعين، وحيدًا. خلفك قومك، وجيشك منتشر في كل مكان...

لكنك تقول إنك لست نيلفجارديًّا مع أنك كنتَ منهم يومًا. والشيطان يأخذني إن كنتُ أفهمك... بدلًا من أن تعود إلى صفوفهم، تقفو أثر الويتشر. لماذا؟"

ردّ وهو ينهض من على الجذع:

"إنها قصّةٌ طويلة."

* * *

انحنى الجنيّ الطويل من السكوياتيل فوقه، وسترُويكين مربوطٌ إلى وتد، فأغمض سترُويكين عينيه رُعبًا. يُقال إنّ الجان جميعًا يولدون جميلين، ولا يوجد بينهم قبيح. لعلّ القائد الأسطوري للسكوياتيل وُلد جميلًا أيضًا. لكنّ ندبةً قبيحةً شقّت جبينه وحاجبه وأنفه وخدّه قطريًّا، فلم تُبقِ على أيِّ أثرٍ من جماله الإلفيّ.

جلس: ذاك الجني على جذع شجرةٍ متصدّعٍ مُلقى على جانبه.

قال: بصوتٍ هادئ وهو يميل صوب الأسير مجدّدًا، "اسمي إيسنغريم فاولتيارنا. منذ أربع سنواتٍ وأنا أقاتل البشر، ومنذ ثلاثٍ أدير فصيلي بنفسي. دفنتُ في صراعي هذا: أخًا سقط في المعركة، وأربعةً من أبناء عمومتي، وأكثر من أربعين رفيقًا. في قتالي لأجل إمبراطوركم، كنتُ حليفًا أثبتُ جدارتَي للمرات عدّة، إذ قدّمتُ الاستخبارات لجهازكم السريّ، وساعدتُ عملاءكم في التخلّص من أُناسٍ يُعَدّ وجودهم غير مرغوبٍ فيه."

توقّف: فاولتيارنا عن الكلام ولوّح بيده المُقفّزة بقفّاز. تقدّم جنيٌّ آخر من السكوياتيل بجانبه، رافعًا علبةً صغيرةً من لحاء البتولا. ففاح منها عطرٌ حلْو.

تابع: إيسنغريم فاولتيارنا بشفته المندملة، "اعتبرتُ ولا أزال أعتبر نيلفجارد حليفًا لي، لذا لم أصدّق للوهلة الأولى حين حذّرني مُخبري بأنّهم يُدبّرون لي كمينًا. أنّه حين أقابل المُوفَد النيلفجارديّ وحيدًا، سيقبضون عليّ. لم أصدّق أُذنيّ، لكنّني — بحكم الحذر — وصلتُ إلى مكان اللقاء قبل الموعد، ولم أكن وحيدًا. تخيّل مدى صدمتي وخيبتي حين وجدتُ ستّة قطاع طرق ينتظرونني هناك، معهم شِباك صيد وحبالٌ وقناعٌ جلديٌّ بزِمامٍ، وقميصٌ مُجهّزٌ بأحزمةٍ وأبازيم. تجهيزاتٌ تستعملها عادةً استخباراتكم

السريّة. أرادَ جهازُكم السريّ اعتقالي—أنا، فاولتيارنا—حيًّا، وأخذي إلى مكانٍ ما وكمُّ فمي بحزامٍ يلفّ أذنيّ، وقميصٌ يقيّدني. أمرٌ غريبٌ فعلًا، ويفتقر لتفسير. سعدتُ على الأقلّ بأنّ واحدًا من أولئك الأشقياء بقي حيًّا، وأسرناه. وسيكون راغبًا جدًّا في إعطائي ذلك التفسير."

شدّ: سترُويكين على أسنانه، وحوّل رأسه لئلّا ينظر إلى وجه الإلف المليء بالندب. فضّل أن تُبحر عيناه نحو علبة لحاء البتولا حيث راحت بعض الدبابير تحوم من حولها.

قال: فاولتيارنا، وهو يمسح عرق جبينه بمنديل:

"حسنًا إذًا. تحدّث يا هذا. ولتسهيل المناقشة، سأوضّح بضع نقاط. في هذه العلبة شرابُ القيقب (الميبل). إن لم تجرِ محادثتنا بروحٍ من التفاهُم المتبادل والصدق الكامل، فسأغطي رأسك بهذا الشراب بسخاء، مع التركيز على عينيك وأذنيك. ثم نضعك على كومةٍ من النمل—أوه، انظر! تلك الحشرات النشيطة تجري هناك فعلًا. دعني أؤكّد لك أنّ هذه الطريقة أثبتت جدواها مع بعض الدهوين والآنغيفاري، ممن أبدوا عنادًا ونقصًا في الصدق."

صرخ: الجاسوس شاحب الوجه،

"أنا أخدم الإمبراطورية! أنا ضابطٌ في الاستخبارات الإمبراطورية، خاضعٌ لفاتير دي ريدو، فيكونت إيدّون! اسمي يان سترُويكن! أنا أحتجّ..."

قاطع: الإلف كلامه قائلًا:

"مصادفةٌ قاتلة. فالنمل في هذه الغابة يعرف شراب القيقب حقّ المعرفة، لكنّه لم يسمع قطّ باللورد دي ريدو. فلنبدأ إذًا. لن أسألك مَن الذي أصدر الأمر بخطفي، لأنّه معلوم. سؤالي الأوّل: إلى أين كنتَ تعتزم أخذي؟"

حاول: الجاسوس النيلفجاردي التخلّص من الحبال وهو يهزّ رأسه، إذ خُيّل إليه أنّ النمل بدأ يزحف على خدّيه. لكنه آثر الصمت.

تمتم: فاولتيارنا بأسف، مشيرًا للإلف الذي يحمل العلبة:

"ادهِنوه."

عندها صرخ: سترُويكن بصوتٍ عالٍ:
"كنتُ سأنقلك إلى فيردن، إلى قلعة ناستروغ! بأمرٍ من اللورد دي ريدو!"

قال: الإلف ببرود:

"شكرًا. وما الذي كان ينتظرني في ناستروغ؟"

أجاب: سترُويكن وصوته يرتعش:

"استجواب... "

قال: فاولتيارنا وهو يحافظ على هدوئه:

"وعن أيّ أمورٍ كنتم ستستجوبونني؟"

توسّل: الجاسوس وقد زادت ضربات قلبه:

"عمّا حدث في تانِد! أرجوك، فكّ وثاقي! سأخبرك بكل شيء!"

أصدر: الإلف تمتمةً عميقة وهو يرفع حاجبه:

"طبعًا ستخبرني كل شيء. وخاصّةً أنّنا تجاوزنا أصعب مرحلة—وهي البداية. واصل الكلام."

تابع: سترُويكن بخوف:

"أُمرتُ بأن أجبرك على الاعتراف بمكانك الذي تُخفي فيه رينس وفيلغيفورتز وكاهير مور دِفّرين أيب تسيالاخ!"

ضحك: فاولتيارنا بنبرةٍ ساخرة:

"ممتع. تنصبون فخًّا لتسألوني عن رينس وفيلغيفورتز؟ ماذا يمكنني أن أعرف عنهما؟ أين تجدانهم؟ أما عن مسألة كاهير فهي أشدّ طرافة. أنا أعدته إليكم مثلما أردتم—مقيّدًا. ألم يصلكم الطرد بعد؟"

هتف: سترُويكن متوترًا:

"الفصيلُ الذي أرسل لاستلامه قُضي عليه في موقع اللقاء... ولم يكن كاهير بين القتلى..."

علّق: فاولتيارنا وهو يهزّ رأسه ببطء:

"إذًا اشتبه فاتير دي ريدو في الأمر؟ وبدلًا من أن يرسل موفدًا آخر إلى إحدى مجموعاتي طالبًا إيضاحات، قرّر أن يوقع بي كمينًا. وأمر بسحبي إلى ناستروغ لاستجوابي حول أحداث تانِد."

لاذ: الجاسوس بالصمت.

قال: الإلف وهو يميل بوجهه المشوّه نحو الأسير:

"ألَم تفهم؟ لقد كان سؤالًا. ماذا هناك؟"

صرخ: سترُويكن وقد شحب وجهه:

"لا أعرف... لا أعرف، أقسم..."

أشار: فاولتيارنا بيده. فأخذ سترُويكن يصرخ ويتلوّى، ويُقسم بالشمس العظمى أنّه يجهل الحقيقة، يهزّ رأسه ويبصق شراب القيقب الكثيف الذي رموه في وجهه. ولمّا حمله أربعةٌ من السكوياتيل نحو عشّ النمل، انطلق لسانه أخيرًا. حاول طرد فكرة أنّ ما سيحدث لاحقًا قد يكون أسوأ من النمل نفسه.

قال وهو يلهث بفزع:

"سيدي... إن علِم أحدٌ بهذا، سأُقتل... لكن سأخبرك... اطّلعتُ على أوامر سريّة، وتسلّلتُ إلى بعض المعلومات... سأخبرك بكلّ شيء..."

أومأ: الإلف برأسه وقال ببرود:

"هذا مفروغ منه. إنّ الرقم القياسي على عشّ النمل هو ساعة وأربعون دقيقة، ويتعلق بموظّفٍ من قوات ديمافند الخاصّة. لكنه تحدّث في النهاية أيضًا. هيا، تكلم بسرعة وبوضوح ودون إطالة."

تكلّم: سترُويكن وهو يرتجف:

"الإمبراطور مقتنعٌ بأنّ من في تانِد قد خانوه. الخائن وفيلغيفورتز روغيفين، الساحر. ومساعده رينس. وقبل الجميع كاهير مور ديفرين أيب سيالك. فاتير... اللورد فاتير دي ريدو يشكّ في أن يكون لك ضلعٌ في الخيانة، ولو دون قصد... لذا أمر بالقبض عليك سِرًّا وأخذك إلى ناستروغ... سيّد فاولتيارنا، لي عشرون سنةً في الاستخبارات... فاتير دي ريدو هو قائدي الثالث..."

رفع: الإلف حاجبًا وقال بنبرةٍ هادئة:

"اختصر الكلام، وتوقّف عن الارتجاف. إن كنت صادقًا معي، فقد تعيش لتخدم قادةً آخرين."

تابع: الجاسوس بعدما بلع ريقه:

"كانت تلك أعمق الأسرار في الدولة، لكنني عرفتُ مَن هي التي قبض فيلغيفورتز وكاهير عليها في الجزيرة. بدا الأمر وكأنهما نجحا، لأنهما اقتادا إلى لوك غريم... ما اسمها... أجل، أميرة سنترًا. حسبناها ضربةً ناجحة وأنّ رينس وكاهير سينالان لقبي بارون، وأنّ الساحر قد يُمنح رتبة إيرل على الأقل... لكن بدلًا من ذلك، استدعى الإمبراطور كالوس... أقصد اللورد سكيلين واللورد فاتير، وأمر بالقبض على كاهير... وعلى رينس وفيلغيفورتز... وعلى كلّ من قد يعرف شيئًا عمّا جرى في تانِد، وتعذيبهم... وأنت أيضًا... الأمر واضحٌ، لا بدّ من خيانة؛ فقد أحضروا إلى لوك غريم أميرةً مزيّفة..."

انقطع صوت: سترُويكن حين غمرت فمه دفقةٌ جديدةٌ من شراب القيقب.

قال: فاولتيارنا وهو يلتفت إلى رفاقه من السكوياتيل:

"فكّوا وثاقه، واغسلوا وجهه."

نفّذ السكوياتيل الأمر على الفور. وبعد برهةٍ وقف مخططُ الكمين الفاشل أمام قائدهم مطأطئ الرأس. حدّقه: فاولتيارنا بنظرةٍ باردة لا تبالي.

قال: فاولتيارنا، بعد أن مسح ما علق بالشراب من أذني سترُويكن، بنبرةٍ هادئة:

"امسح شراب القيقب عن أذنيك بعناية، وأصغِ لما سأقوله الآن. اجتهد في استحضار ذاكرتك—كما يليق بجاسوسٍ مخضرم. سأقدمُ لك دليلًا على ولائي للإمبراطور، وأمنحك تقريرًا وافيًا عن الأمور التي تهمّك. لكن عليك أن تنقل كلّ كلمةٍ منها إلى فاتير دي ريدو، حرفًا بحرف."

هزّ: الجاسوس رأسه بحماسٍ وامتنان.

بدأ: الإلف كلامه وهو يرمق الأسير بنظراتٍ متفحّصة:

"في منتصف شهر بلاثه، والذي يوافق—بحسابكم—بداية شهر يونيو، تواصلت بي الساحرة إيند آن غلينّا، المعروفة أيضًا باسم فرانشيسكا فيندابير. بناءً على أمرها، وصل إلى فصيلي قريبًا أحدٌ يُدعى رينس، يُقال إنه مساعدٌ لفيلغيفورتز روغيفين، وهو أيضًا ساحر. وضعنا سرًّا خطة تحرّكٍ ترمي إلى تصفية عددٍ من السحرة خلال مؤتمرهم في جزيرة تانِد. عرضوا عليّ الخطة باعتبارها تحظى بدعم الإمبراطور إمهير، وفاتير دي ريدو، وستيفان سكيلين. ولولا ذلك لما وافقتُ على التعاون مع أي دهوين—كانوا

سحرةً أم لا—لأني ذقتُ الكثير من الاستفزازات في حياتي. لقد تأكّد لي تورّط الإمبراطورية بعدما رست سفينةٌ عند رأس بريمرفورت، جاءت بكاهير، ابن سيالك، حاملًا تفويضاتٍ وأوامر خاصّة. ووفقًا لتلك الأوامر، كان عليّ أن أختار مجموعة صغيرة من فصيلي لتخضع مباشرةً لإمرة كاهير، مهمّتها اختطاف شخصٍ معيّن من الجزيرة."

تابع: الإلف وهو يعتدل في جلسته قليلًا:

"أبحرنا إلى تانِد على السفينة التي جاء بها كاهير. كان رينس يحمل تمائمَ صاغ بها غلالةً من الضباب السحري حول المركب. دخلنا به إلى المغارات تحت الجزيرة. ومن هناك، صعدنا إلى قبوٍ تحت غارستانغ."

تنفّس: فاولتيارنا بعمق، ثم استطرد:

"ما إن كنا في القبو حتى أدركنا أن ثمة شيئًا غير طبيعي. تلقّى رينس رسالةً تليباثيةً من فيلجيفورتز. اتضح أنّنا سندخل في صراعٍ دامٍ حين نبدأ التحرك، فاستعددنا. وكان ذلك جيدًا، إذ سرعان ما انفجر الجحيم حالما خرجنا من القبو."

قطّب: الإلف جبينه العريض ذا الندبة العميقة، كمن يتألّم من ذكرياته:

"بعد نجاحٍ أولي، ساءت الأوضاع. لم نتمكّن من القضاء على كل ساحرات الملوك، وتكبّدنا خسائر جسيمة. قُتِل عدد من سحرة صفّنا، وفرّ آخرون من أجل إنقاذ رقابهم، فتلاعبوا بالتعويذات لاختفائهم. في مرحلةٍ ما، اختفى فيلغيفورتز، وتبعه رينس، ثم بعدهما إيند آن غلينّا. عندئذٍ أيقنتُ أنّ انسحابها كان إشارةً نهائيّة لي بوجوب التراجع. لكنّني لم أرغب بإعطاء الأمر قبل عودة كاهير ومجموعته، الذين انطلقوا لتنفيذ مهمتهم في بداية العملية. ولمّا لم يعودوا، شرعنا في البحث عنهم."

قال: فاولتيارنا وهو يحدّق في عيني الجاسوس النيلفجاردي:

"لم يبقَ من تلك المجموعة فردٌ واحدٌ على قيد الحياة؛ قُتلوا جميعًا بطريقةٍ وحشية. عثرتُ على كاهير عند الدرج المؤدي إلى تور لارا، البرج الذي انفجر أثناء القتال ولم يتبقّ منه سوى أطلال. كان مصابًا وفاقدًا للوعي، ويتّضح أنه لم يُتمّ المهمة الموكلة إليه. في المناطق المجاورة لم يكن هناك أيّ أثرٍ للهدف الذي جاء من أجله، وتحتنا في لوكسيا وأريتوزا كان رجال الملوك قد استولوا على المكان. أدركتُ أنّه لا يمكن السماح بوقوع كاهير في أيديهم؛ لأنّ ذلك سيكون دليلاً واضحًا على تورّط نيلفجارد في العملية. أخذته وعدت به إلى القبو، ومنه إلى الكهوف. صعدنا على متن السفينة وأبحرنا. لم يبقَ من فصيلي سوى اثني عشر مقاتلًا على الأكثر، معظمهم مصابون."

تابع: الإلف بوجهه المخدوش نُدوبًا:

"كانت الرياح في صالحنا، فنزلنا غرب هيروندوم واختبأنا في الغابات. راح كاهير يمزّق ضماداته وهو يصيح بكلامٍ عن سيّدةٍ مجنونة ذات عيونٍ خضراء، وعن سيري لبؤة سنترًا، وعن ويتشر دمّر مجموعته، وعن ساحرٍ حلّق كالطير باتجاه برج النّوارس. طلب حصانًا وأمرنا بالعودة للجزيرة، مدّعيًا أنها أوامر الإمبراطور، لكنني اعتبرتُها — في ظلّ هذه الظروف — هذيان شخصٍ فقد صوابه. في آيدرن، كنّا قد عرفنا أنّ الحرب قد اشتعلت فعلًا، فرأيتُ أنّ من الأفضل إعادة تشكيل الفصيل واستئناف القتال ضدّ الدهوين."

قال: فاولتيارنا وهو يقطّب حاجبيه:

"ظلّ كاهير بيننا حتّى وجدتُ صندوق الاتصال الذي يحوي أوامركم السريّة. تملكتني الدهشة؛ إذ رغم فشل مهمّته، لم يكن ثمة ما يشير إلى ضلوعه في خيانة. لكنني لم أفكر طويلًا في الأمر، لأنّها مشكلتكم وعليكم حلّها بأنفسكم. كاهير، حين كبّلناه، لم يقاوم، بل بدا هادئًا ومستسلمًا. أرسلته في تابوتٍ خشبيّ، وبمساعدة أحد أصدقائي من الهافكآرن، شحنتُه إلى الموقع المبيّن في الأوامر. أعترف أنني لم أرغب بإضعاف فصيلي من أجل حمايته في الطريق. لا أدري من قتل رجالكم عند موقع الالتقاء. وحدي عرفتُ تلك الإحداثيات. فإذا كانت روايتي لا تطابقُ تمامًا وقائع مقتل فرقتكم، ففتّشوا عن الخونة بينكم، لأنكم — سواي — الوحيدون الذين يعرفون الزمان والمكان."

نهض: فاولتيارنا واقفًا.

قال: "هذا كلّ شيء. كلّ المعلومات التي قدّمتها صحيحة. حتى في زنزانات ناستروغ، لم تكن لتحصل على أكثر من ذلك. الأكاذيب والاختراعات، التي ربما كنتُ سأقدمها لمُعذّبك، كانت لتضرك أكثر مما تنفعك. لا أعلم شيئًا آخر، وبالتحديد لا أعرف مكان فيلجيفورتز وريانس، كما أنني لا أدري إن كان يجب الاشتباه بهما بالخيانة. ولكي أكون صريحًا، لا أعلم شيئًا عن أميرة سينترا، لا حقيقةً ولا زيفًا. لقد أخبرتك بكل ما أعرف. آمل أن يكون اللورد دي ريدو وستيفان سكولين قد تخلّيا عن فكرة نصب كمين لي. لقد حاول الـ دهوين القبض عليّ أو قتلي منذ زمن طويل، فطوّرتُ عادةً بأن أقتل كلّ من يحاول ذلك. وفي المستقبل، لن أنتظر لأرى إن كان أحد العملاء قد أُرسل صدفةً بأوامر فاتير أو سكولين. لن أملك لا الوقت ولا الرغبة. هل وضّحتُ مقصدي؟"

أومأ سترُويكن، وهو يبتلع ريقه.

قال: "فإذاً، خذ حصانك، أيها الجاسوس، واغادر غابتي."

* * *

همست ميلفا: "لقد تحمّلت العذاب في ذلك التابوت الذي حملوك فيه."

ثم أضافت ببرود: "لا أفهم، لماذا لم تذهب إلى بلدة وتختبئ؟ لماذا تتبع الويتشر؟ إنه يكرهك... لقد أنقذك مرتين..."

قال: "ثلاث مرات."

تابعت ميلفا، عاقدةً ذراعيها: "كنت هناك مرتين. وإن لم تكن أنت الساحر الذي حطم عظام الويتشر في تانيد، فلا أعتقد أنه من الآمن أن تقترب من سيفه. ما بينكما لا أفهمه، لكنك أنقذتني، لذا أنظر إليك بعطف... ولهذا أخبرك يا كاهير، إن الويتشر يبحث عن أولئك الذين اختطفوا سيري وأخذوها إلى نيلفجارد؛ إنه يطحن أسنانه حتى تتطاير الشرر، وعندما يبصق، يهمس لعابه كأنّه زئير."

كرر كاهير، بصوتٍ خافت: "سيري... اسم جميل."

سألت ميلفا بدهشة: "ألم تكن تعرفه؟"

قال: "لا. لطالما سمعتها تُدعى سيرلا، أو لبوة سينترا الصغيرة... وحين كانت معي... لأنها كانت يوماً ما... لم تنطق بكلمة. رغم أنني أنقذت حياتها."

قالت ميلفا بمرارة: "لن يفهم هذا إلا الشيطان نفسه." ثم أضافت: "قدرك يا كاهير متشابك ومعقد، ليس لعقلي البسيط."

سأل فجأة: "وما اسمكِ؟"

قالت: "ميلفا... ماريا بارينغ. لكنهم ينادونني ميلفا."

قال كاهير بعد لحظة صمت: "الويتشر يسلك طريقًا خاطئًا، يا ميلفا. سيري ليست في نيلفجارد. لم تكن نيلفجارد هي من اختطفتها، إن كانت قد اختُطفت أصلاً."

سألت ميلفا، وقد ضاقت عيناها: "كيف ذلك؟"

أجاب، وهو يحدق في الأفق: "إنها قصة طويلة."

* * *

قالت فرينغيلا، وهي تقف عند العتبة مائلة رأسها في دهشة: "بحق الشمس العظيمة، ما الذي فعلتِ بشعركِ، أسيريه؟"

ردّت أسيريه فار أناهيد بجفاف: "غسلته... ولففته. تفضلي بالدخول، اجلسي. انهض من الكرسي، ميرلين. هيا، ابتعد!"

جلست الساحرة في المكان الذي أخلته القطة السوداء على مضض، بينما ظلت تحدق في شعر صديقتها.

قالت أسيريه، وهي تمرر يدها على تجعيداتها اللامعة: "كفي عن التحديق بي، قررتُ أن أغيّر مظهري قليلاً. على أي حال، لقد اتبعتُ مثالكِ."

ضحكت فرينغيلا فيغو قائلة: "لطالما اعتُبرتُ متمردة وعنيدة. لكن عندما يرونكِ في الأكاديمية أو البلاط..."

قاطعتها أسيريه ببرود: "أنا لا أذهب إلى البلاط. أما الأكاديمية، فسيتعين عليها الاعتياد على الأمر. هذا هو القرن الثالث عشر، وحان الوقت لتحطيم الخرافة القائلة بأن الاهتمام بالمظهر الخارجي يدل على التفاهة وضعف العقل."

ضيّقت فرينغيلا عينيها الخضراوين التي لم تغفل أي تفصيل، وقالت بمكر: "الأظافر أيضاً... لا أكاد أتعرف عليكِ، عزيزتي."

قالت الساحرة ببرود: "تعويذة بسيطة كافية لإثبات أنني لستُ دوبلر. ألقيها إن شئتِ، ثم لننتقل إلى السبب الحقيقي الذي دعوتكِ من أجله."

بدأت فرينغيلا فيغو تربّت على القطة التي احتكت بساقها، تخرخر وتمطّط، متظاهرة بأنّها تفعل ذلك بدافع العاطفة، وليس كإشارة مبطّنة إلى أن الساحرة ذات الشعر الأسود كانت تحتل كرسيها.

قالت دون أن ترفع رأسها: "هل صحيح أن السنشال سيالاخ أيب غروفيد قد زاركِ؟"

أكدت أسيريه: "نعم، زارني سيالاخ، كان يائسًا، يطلب مساعدتي، يتوسل إليّ كي أتوسط له مع ابنه، الذي أمر الإمبراطور إمهير بالقبض عليه وتعذيبه وإعدامه. إلى من يلجأ الأب المكلوم إن لم يكن إلى أحد أقاربه؟ ماور، زوجة سيالاخ، وأم كاهير، هي ابنة أختي، أصغر بناتها. ومع ذلك، لم أعده بشيء، لأنني ببساطة لا أستطيع فعل شيء في هذه القضية. مؤخرًا، ظهرت ظروف تمنعني من جذب الانتباه إليّ. سأشرح لكِ الأمر. لكن أولًا، دعيني أسمع المعلومات التي طلبتُ منكِ جمعها."

تنفّست فرينغيلا سرًا بارتياح. كانت تخشى أن تسعى صديقتها للتدخل في قضية كاهير، ابن سيالاخ، وهي قضية تفوح منها رائحة المقصلة. ولو طُلِب منها المساعدة، لما استطاعت أن ترفض.

قالت فرينغيلا، وهي تبدأ حديثها: "في منتصف يوليو تقريبًا، أُتيحت الفرصة لكامل بلاط لوك غريم لرؤية فتاة في الخامسة عشرة من عمرها، زُعم أنها أميرة سينترا، وخلال جلسة الاستقبال، قدّمها إمهير بوصفها ملكة، وتعامل معها برفق وكرم، لدرجة أن الشائعات بدأت تنتشر عن زواج وشيك."

مسّدت أسيريه القطة التي بدت محبطة لأن فرينغيلا لم تتحرك من مكانها، وفكّرت القطة في البحث عن كرسي آخر، ثم قالت: "سمعتُ أن الحديث عن هذا الزواج السياسي بلا شك لا يزال مستمرًا."

أجابت فرينغيلا: "لكن بصوت أخفض وأقل تواترًا، لأن أميرة سينترا نُقلت إلى دارن روان. وكما تعلمين، فإن دارن روان يُعرف عادة بأنه مكان لاحتجاز السجناء، وليس لإيواء مرشحات لمنصب الإمبراطورة."

لم تُعلّق أسيريه، بل انتظرت بصبر، محدقة في أظافرها التي صقلتها ودهنتها حديثًا.

استأنفت فرينغيلا حديثها: "لا شك أنكِ تتذكرين، قبل ثلاث سنوات، عندما استدعانا إمهير جميعًا وأمرنا بالعثور على شخص معين في ممالك الشمال. ولا شك أنكِ تتذكرين مدى غضبه حين فشلنا في ذلك، وألبريخ حينها أوضح له أن الأمر مستحيل، فلا يمكننا الرؤية بهذه المسافة، ناهيك عن اختراق الحواجز. والآن استمعي جيدًا. بعد أسبوع من الجلسة الشهيرة في لوك غريم، وأثناء الاحتفالات بانتصار ألدرزبرغ، لمحنا إمهير فجأة، ونادانا أنا وألبريخ ليشرفنا بمحادثة قصيرة. فحوى حديثه، باختصار، كان:

‘أنتم مجموعة من العالة، كسالى وبلا فائدة. ألعابكم السحرية هذه تكلّفني ثروة، ولا أجني منها شيئًا. المهمة التي كلفتُ أكاديميتكم البائسة بها، أتمّها منجم بسيط خلال أربعة أيام فقط.’"

زمّت أسيريه شفتيها بازدراء، وواصلت مداعبة القطة.

قالت فرينغيلا، متجاهلة ردة فعلها: "اكتشفت بسهولة أن هذا المنجم لم يكن سوى زارثيسيوس، المشعوذ سيئ السمعة."

تساءلت أسيريه ببرود: "إذن، الشخص الذي كان يُبحث عنه، هذه السينترانية، هي المرشحة لمنصب الإمبراطورة. وزارثيسيوس وجدها. ثم ماذا؟ هل تم تعيينه أمينًا للدولة؟ رئيسًا لإدارة المهام المستحيلة؟"

ردّت فرينغيلا، بلهجة ساخرة: "لا، بل زُجّ به في السجن بعد أسبوع."

قالت أسيريه بعد لحظة من الصمت: "لا أفهم بعدُ ما علاقة هذا كله بـ كاهير، ابن سيالاخ."

قالت فرينغيلا بصبر: "تحلّي ببعض الصبر، من الضروري أن أسرد لكِ الأمور بالترتيب."

قالت أسيريه، متنهدة: "حسنًا، أسمعك."

أومأت فرينغيلا واستطردت: "هل تتذكرين ما قدّمه لنا إمهير منذ ثلاث سنوات عندما بدأنا البحث؟"

أجابت أسيريه دون تردد: "خصلة شعر."

هزّت فرينغيلا رأسها مؤكدة، ثم أخرجت شيئًا من حقيبتها قائلة: "بالضبط. هذه الشعرة. شعر فاتح اللون لطفلة في السادسة من عمرها. احتفظتُ ببضع شعيرات، وقد كان لذلك فائدة عظيمة، لأن الشخص الذي يعتني الآن بأميرة سينترا المعزولة في دارن روان هو ستيلا كونغريف، كونتيسة ليدرتال. وستيلا مدينة لي بجميل، لذا لم يكن من الصعب الحصول على خصلة شعر ثانية. هذه هي. أغمق قليلًا من الأولى، لكن الشعر عادة ما يزداد قتامة مع التقدم في السن. ومع ذلك، بعد فحص دقيق، تبيّن أن الخصْلتين تعودان لشخصين مختلفين تمامًا، ولا مجال للشك في ذلك."

قالت أسيريه معترفة: "كنت أتوقع كشفًا من هذا النوع، منذ أن سمعت بأن السينترانية قد عُزلت في دارن روان. إما أن المنجّم أخطأ في العثور على الشخص المطلوب، أو أنه كان جزءًا من مؤامرة لتقديم شخص مزيف إلى إمهير. مؤامرة ستكلف كاهير أيب سيالاخ رأسه. أشكركِ، فرينغيلا. كل شيء أصبح واضحًا."

هزّت الساحرة ذات الشعر الأسود رأسها وقالت: "ليس كل شيء. أولًا، كان زارثيسيوس هو من عثر على السينترانية، وهو من أحضرها إلى لوك غريم. لم يبدأ بقراءة الطوالع إلا بعد أن أدرك أنه سلّم أمهر أميرة زائفة، وحينها بدأ في البحث المحموم عن الحقيقة. وانتهى به الأمر في الزنزانات بسبب خطأ غبي في فنونه أو ربما بسبب خداع متعمّد. ما تمكّنتُ من التأكد منه هو أنه استطاع تحديد موقع الشخص المطلوب ضمن دائرة قطرها مئة ميل. وكانت هذه الدائرة... صحراء، صحراء غير مأهولة تقع في مكان ما خلف جبال تير توشاير، وراء نهر فيلدا. ستيفان سكيلين، الذي أُرسل إلى هناك، لم يجد سوى العقارب والنسور."

تنهدت أسيريه، ثم قالت ببرود: "لم أكن لأتوقع شيئًا آخر من زارثيسيوس. لكن هذا لن يغيّر شيئًا فيما يتعلق بمصير كاهير. إمهير غاضب، لكنه لا يُرسل أحدًا إلى التعذيب والموت بلا سبب. وكما قلتِ بنفسك، شخصٌ ما دبّر وصول الأميرة المزيفة إلى لوك غريم. شخصٌ ما وجد شبيهة لها. إذن هناك مؤامرة، وكاهير قد تمّ الزج به فيها. ولا أستبعد أن يكون ذلك دون علمه. ربما تم استغلاله."

ردّت فرينغيلا متأملة: "لو كانوا استغلوه، لفعلوا ذلك حتى النهاية. كان هو من سيُحضر الشبيهة إلى إمهير. لكن كاهير اختفى دون أثر. لماذا؟ لا بد أن اختفاءه أثار الشكوك. هل كان يتوقع أن يكتشف إمهير الخدعة من النظرة الأولى؟ لأنه كان سيكتشفها. كان سيعرف، لأنه..."

قاطعتها أسيريه فجأة: "خصلة شعر. خصلة شعر لطفلة في السادسة من عمرها. فرينغيلا، إمهير لم يكن يبحث عن هذه الفتاة منذ ثلاث سنوات فقط، بل منذ وقت أطول بكثير. يبدو أن كاهير قد وقع في دوامة شيء مرعب، شيء بدأ عندما كان لا يزال يتجول ممسكًا بعصا يتخيلها حصانًا."

أضافت بصوت هادئ مدروس: "هممم... اتركي لي خصلة الشعر هذه. أريد أن أجري عليها بعض الاختبارات."

ضيّقت فرينغيلا عينيها الخضراوين وهزّت رأسها ببطء، وقالت بتحذير واضح: "سأتركها، لكن كوني حذرة، أسيريه. لا تنغمسي في شيء مرعب. لأن ذلك سيجلب الأنظار إليكِ. في بداية حديثنا، ذكرتِ أنكِ لا تستطيعين تحمّل ذلك. وعدتِ بأن توضحي الأسباب."

وقفت أسيريه فار أناهيد واتجهت نحو النافذة، عيناها معلقتان في الأفق حيث انعكست أشعة الشمس الغاربة على أسطح الأبراج في قلب نيلفجارد، العاصمة التي دُعيت ذات يوم بـ مدينة الأبراج الذهبية.

قالت دون أن تلتفت: "قلتِ ذات مرة، وأتذكر ذلك جيدًا، أن السحر لا ينبغي أن يُحدّ بالحدود. وأن خير السحر يجب أن يكون أعظم الخير، فوق كل أنواع الانقسامات. مثل هذا الأمر يتطلب... منظمة سرية... شيئًا أشبه بمجمع أو محفل..."

قالت فرينغيلا، مجيبة على السؤال غير المطروح: "أنا مستعدة. حازمة وعازمة على المضي قُدمًا. أشكرك على الثقة والشرف. متى وأين سينعقد اجتماع هذا المحفل، يا صديقتي الغامضة والمتحفظة؟"

استدارت أسيريه فار أناهيد، ساحرة نيلفجارد. ظهر ظل ابتسامة على شفتيها.

قالت: "قريبًا. سأشرح لكِ كل شيء الآن. لكن قبل ذلك... سأعطيكِ عنوان خياطتي، فرينغيلا."

* * *

همست ميلفا وهي تحدق في الضفة المظلمة للنهر، حيث تلألأت سطح المياه تحت ضوء القمر: "ولا نار واحدة... ولا روح هناك أيضًا. كان في المخيم مئتا لاجئ. ألم ينجُ أحد منهم؟"

أجاب كاهير بصوت خافت أيضاً: "إن كان الإمبراطوريون قد انتصروا، فسيكون الجميع قد سيقوا إلى العبودية. وإن كان النصر حليف قومك، فلا بد أنهم أخذوا اللاجئين بعيدًا عن هذا المكان."

اقتربا أكثر من الضفة، حيث نمت القصب والمستنقعات. دست ميلفا على شيء ما فقفزت متراجعة، مخنوقة الصرخة حين رأت يدًا تخرج من الوحل، مغطاة بالعلق.

تمتم كاهير وهو يمسك بذراعها: "مجرد جثة. إنها من طرفنا. دايرلاني."

سألت، ترتجف: "من؟"

قال وهو يحدق في الكم المزين بشعار العقرب الأبيض: "لواء الفرسان السابع – دايرلان."

اهتزت ميلفا بعنف، تشد على قبضتها حول القوس المتعرق، ثم تمتمت بصوت مرتجف: "بالآلهة... هل سمعت ذلك الصوت؟ ما كان؟"

رد كاهير وهو يصغي: "ذئب."

همست ميلفا، تتلفت حولها بحذر: "أو غول... أو إحدى الأرواح الملعونة الأخرى. لا بد أن الجثث تملأ المخيم... الطاعون! لن أذهب إلى الضفة الأخرى في الليل!"

قال كاهير وهو ينظر إليها بقلق: "سننتظر حتى الفجر... ميلفا؟ ما هذا العطر الغريب؟"

شهقت ميلفا حين وصلها عبق الشيح والمريمية والكزبرة واليانسون، وهمست مكبوتة الصرخة: "ريجيس؟... ريجيس، أهذا أنت؟"

جاءهم الصوت الهادئ من الظلام: "أنا هو."

ظهر الجراح من العتمة، بهدوئه المعتاد، وقال: "كنت قلقًا عليكم. أرى أنك لست وحدك."

سحبت ميلفا يدها من ذراع كاهير، الذي كان قد تحسس سيفه بالفعل، وقالت بتنهيدة: "أنت ترى جيدًا. لست وحدي، ولكن يبدو أنك كذلك. ريجيس، أين الويتشر؟ دانديليون؟ والبقية؟ هل تعرف ما حل بهم؟"

قال ريجيس بنبرة جادة: "أعرف مكانهم، هل لديكم الخيول؟"

هزّت ميلفا رأسها: "لدينا. مخبأة بين القصب..."

قال ريجيس، وعيناه تلتمعان في العتمة: "إذن ننطلق جنوبًا، على طول مجرى شوتلا. بلا تأخير. يجب أن نصل إلى أرميريا قبل منتصف الليل."

ضيّقت ميلفا عينيها وسألته بقلق: "ماذا عن الويتشر والشاعر؟ هل ما زالا على قيد الحياة؟"

أومأ ريجيس برأسه ببطء، وقال بصوت منخفض: "إنهما يعيشان... لكنهما في مأزق."

قطبت ميلفا حاجبيها وسألت: "أي مأزق؟"

قال ريجيس بهدوء غامض: "إنها قصة طويلة..."

* * *

أنّ دانديليون وهو يئن، محاولًا أن يتحرك ليجد وضعًا أكثر راحة، لكن المهمة كانت مستحيلة لشخص مقيّد بالحبال كقطعة لحم معدّة للتدخين، وملقى على كومة من نشارة الخشب وبقايا الحطب.

قال وهو يلهث: "لم يتم تسليمنا فورًا... هذا يعني أن هناك أملًا..."

رد الويتشر بهدوء، مستلقيًا دون حراك، وعيناه تحدقان في القمر الذي يظهر من خلال ثقب في سقف مخزن الخشب: "أتدري لماذا لم يشنقنا فيسيغيرد على الفور؟ لأن إعدامنا سيكون علنيًا عند الفجر، أمام الجيش بأكمله، من أجل الدعاية السياسية."

صمت دانديليون، ثم سمعه جيرالت يتنهد بأسى.

قال الويتشر محاولًا تهدئته: "لا تزال لديك فرصة للهروب. فيسيغيرد يريد الانتقام مني شخصيًا، لكنه لا يملك شيئًا ضدك. صديقك الكونت سيتدخل لإنقاذك من السجن، سترى."

قال الشاعر بنبرة غير متوقعة من الهدوء والمنطق، ما أثار دهشة جيرالت: "هراء. هراء، هراء، وهراء. لا تعاملني كطفل. أولًا، من أجل الدعاية، شنق اثنين أفضل من شنق واحد. ثانيًا، أنا شاهد على انتقامه الشخصي، ولن يترك شاهدًا حيًا. لا، يا أخي، سنترنّح معًا فوق المشنقة."

قال جيرالت، مغمضًا عينيه: "توقف، دانديليون. ابقَ هادئًا وفكّر في خطة."

"أي خطة، بحق الجحيم؟"

كلام الشاعر كان يعوق الويتشر عن التركيز. كان يعرف أن الوقت لا يعمل لصالحه، وكان يتوقع في أي لحظة أن يقتحم جنود المخابرات العسكرية التيميرية مخزن الخشب، بأوامر مباشرة من فيسيغيرد، الذي بالتأكيد سيرغب في استجوابه حول تفاصيل ما جرى في غارستانغ بجزيرة ثانيد.

كان جيرالت يعلم أنه لا يملك الكثير من المعلومات ليقدّمها، لكنه كان متأكدًا من أن العملاء، قبل أن يقتنعوا بذلك، سيجعلونه يمرّ بتجربة بالغة الألم. أمله الوحيد كان أن يكون فيسيغيرد، في عماه الانتقامي، لم يبلغ المخابرات العسكرية بعد عن القبض عليهما. لأن المخابرات، إن تدخلت، فستأخذ الأسيرين إلى مقرّها، حيث سيواجهان استجوابًا أكثر احترافية، لكن ربما، وربما فقط، قد تكون لديهما فرصة للبقاء على قيد الحياة...

في تلك اللحظة، خطر للشاعر فكرة خطة.

قال دانديليون بحماس: "جيرالت! يمكننا التظاهر بأننا نعرف شيئًا مهمًا. أننا بالفعل جواسيس أو شيء من هذا القبيل. ثم..."

قال الويتشر بيأس: "ارحمني، دانديليون."

واصل الشاعر دون أن يعبأ: "يمكننا أيضًا محاولة رشوة الحراس. لدي مال مخبأ. ودبلة ذهبية، مخيط في بطانة حذائي. إدّخرته ليوم عصيب... نادِ على الحراس..."

قال جيرالت بسخرية: "ثم يأخذون كل شيء منك، وتظل معلقًا فوق المشنقة."

ارتدّ الشاعر إلى الخلف بامتعاض، لكنه استسلم. من خارج مخزن الخشب، كانت تصلهم أصوات الصياح، ووقع حوافر الخيول، والأدهى، رائحة حساء البازلاء العسكري، والتي كان الويتشر على استعداد لأن يبادلها بكل شرائح اللحم والكمأ في العالم في تلك اللحظة.

كان الحراس الواقفون بجانب المخزن يتبادلون الحديث بلا اكتراث، يضحكون أحيانًا، ويمسحون حلقهم بالبصاق الطويل بين الحين والآخر. كانوا جنودًا محترفين، وكانت لديهم القدرة على التواصل باستخدام جمل معقدة، تحتوي على ضمائر كلها قذارة وإهانة.

قال دانديليون بعد صمت: "جيرالت؟"

"ماذا؟"

"أتساءل ما الذي حدث لميلفا... وزولتان، وبيرسيفال، وريجيس... هل رأيتهم؟"

هزّ جيرالت رأسه وقال ببرود: "لا. لا أستبعد أنهم قُتلوا أثناء المعركة أو دُهسوا تحت سنابك الخيل. قد تكون جثثهم الآن ملقاة في أرجاء المخيم."

اعترض دانديليون بعناد، وبصوت يحمل أملاً خافتًا: "لا أصدق ذلك. لا يمكن أن يحدث هذا لأشخاص ماكرين كزولتان، وبيرسيفال... أو ميلفا..."

قال جيرالت بجفاء: "كفّ عن خداع نفسك. حتى لو نجوا، فلن يتمكنوا من مساعدتنا."

"لماذا؟"

"لثلاثة أسباب. أولًا، لأن لديهم مشاكلهم الخاصة. ثانيًا، لأننا مقيدون داخل مخزن يقع في قلب معسكر يضم عدة آلاف من الجنود."

تردد دانديليون قليلًا، ثم قال: "والسبب الثالث؟ لقد ذكرت ثلاثة أسباب."

قال جيرالت بتعب وهو يغمض عينيه: "السبب الثالث، هو أن نصيب المعجزات لهذا الشهر قد استُنفد تمامًا عندما وجدت نساء كيرنو أزواجهن المفقودين."

* * *

قال الجراح، مشيرًا إلى النقاط المتوهجة لنيران المخيم: "هناك، هناك يقع حصن أرميريا، حيث يتمركز حاليًا جيش تيميريا المتجمع في ماينا."

وقفت ميلفا على ركابها وحدّقت في الظلام: "الويتشر ودانديليون محتجزان هناك؟ ها، المكان مظلم تمامًا... لا بد أن هناك حشودًا من الجنود المسلحين والحراس. لن نتمكن من الاقتراب دون أن نُكتشف."

قال ريجيس، وهو يترجل من فوق بيغاسوس، الذي شخر بضيق بسبب الرائحة العشبية المنبعثة من فارسه: "لن يكون عليكم التسلل." كرر، "أنا يمكنني التعامل مع الأمر وحدي. خذوا الخيول واتجهوا نحو أسطع نجم في مجموعة الماعز السبعة، وانتظرونا عند النقطة التي يصب فيها نهر تشوتلا في نهر إينا. عندما أنجح في تحرير الويتشر، سنتوجه إلى هناك. سنلتقي هناك."

همس كاهير لميلفا بعد أن نزلا عن الخيول ووقفا قريبين من بعضهما: "إنه شديد الغرور، هل سمعته؟ وحده، دون مساعدة، يذهب إلى الخطر؟ من يكون هذا؟"

همست ميلفا، وعينيها تراقب ريجيس وهو يبتعد: "حقًا، لا أعرف. لكنني أصدق ما يقوله. بالأمس، بأيدٍ عارية، انتزع حدوة حصان من جمر متقد، رأيته بأم عيني..."

تساءل كاهير، ناظرًا إليها بريبة: "هل هو ساحر؟"

قال ريجيس من خلف بيغاسوس، ما يدل على سمعه الحاد: "وهل الأمر بهذه الأهمية؟ أنا لم أسألكم عن تفاصيلكم الشخصية."

قال كاهير بوضوح، وكأنه يعلن عن نفسه بفخر: "أنا كاهير ماور ديفرين أب كيللاخ."

قال الجراح بصوت يحمل لمحة سخرية: "أشكرك، وأنا معجب جدًا، فقد نطقت الاسم النيلفجاردي دون أي لكنة تُذكر."

فتح كاهير فمه ليعترض: "أنا لست..."

لكن ميلفا قاطعته بحدة: "كفى! لا وقت للجدال والمماطلة. ريجيس، الويتشر ينتظر إنقاذه."

قال الجراح ببرود، رافعًا رأسه نحو القمر: "ليس قبل منتصف الليل. إذن، لدينا بعض الوقت للحديث. من يكون هذا الرجل، ميلفا؟"

قالت الرامية بحدة، وقد بدأ الغضب يتصاعد في صوتها: "هذا الرجل أنقذني من ورطة. هذا الرجل سيخبر الويتشر، عندما يلتقي به، أننا نسير في الاتجاه الخاطئ. سيري ليست في نيلفجارد."

لينت نبرة ريجيس قليلًا وهو يقول: "حقًا؟ يا لها من معلومة مثيرة. وما هو مصدر هذه الحقيقة، أيها السيد كاهير، ابن كيللاخ؟"

قال كاهير، محدقًا في الأفق البعيد: "إنها قصة طويلة."

* * *

التزم دانديليون الصمت لفترة طويلة، حين قطع أحد الجنود المكلفين بحراستهم حديثه في منتصف شتيمة، متلعثمًا، بينما أطلق الثاني تأوهًا خافتًا. عرف جيرالت أن عددهم كان ثلاثة، فأنصت بحذر، لكنه لم يسمع صوتًا من الجندي الثالث.

انتظر، حابسًا أنفاسه. لم يكن الصوت الذي التقطه أذنه هو صرير باب يُفتح، بل كان صوت شخير ثقيل. لقد غفا الحراس أثناء نوبتهم.

أطلق زفرة مكبوتة، ثم لعن بصمت، مستعدًا للغرق في أفكاره عن ينيفر، حين ارتجف الميدالية الفضية حول عنقه فجأة، وانتشر في الهواء عطر قوي من الشيح، الريحان، الكزبرة، المريمية، اليانسون، وأشياء أخرى لا يعلمها إلا الله.

همس بدهشة، محاولًا دون جدوى رفع رأسه عن الأرض: "ريجيس؟"

تمتم دانديليون، متحركًا بإزعاج بسيط: "ريجيس، لا أحد آخر تفوح منه هذه الرائحة... أين أنت؟ لا أستطيع رؤيتك..."

جاءه الصوت هامسًا: "اصمتوا."

توقفت الميدالية عن الارتجاف، وزفر الشاعر براحة، لكنه سرعان ما سمع صوت السكين وهو يقطع الحبال. بعد لحظات، تأوه دانديليون متألمًا بينما عادت الدورة الدموية إلى أطرافه المخدرة، فحاول كتم أنينه بعضّ قبضته.

اقترب ظل الجراح الغامض منه، وهمس وهو يقطع الحبال التي قيدت جيرالت: "يجب أن تخرجوا متجاوزين الحراس. اتبعوا النجم الأشد سطوعًا من الماعز السبعة نحو الشرق، مباشرة إلى نهر إينا. ميلفا تنتظركم هناك مع الخيول."

تمتم الويتشر، وهو يحاول الوقوف: "ساعدني على النهوض..."

نهض على قدم واحدة، ثم الأخرى، قاضمًا على قبضته ليقاوم الألم. كان دانديليون قد استعاد إحساسه بالكامل، وبعد لحظات، كان جيرالت أيضًا مستعدًا للمغادرة.

سأل الشاعر فجأة: "كيف نخرج؟ الحراس عند الباب يشخرون، لكنهم..."

قاطعه ريجيس هامسًا: "لن يشكلوا مشكلة، لكن كونوا حذرين عند المغادرة. القمر بدر الليلة، وهناك ضوء كثير من نيران المخيم. ورغم أن الوقت ليلاً، إلا أن الحركة لا تزال مستمرة في المعسكر، وهذا في صالحكم. أفراد الدورية تعبوا من طلب كلمة السر. انطلقوا. حظًا موفقًا.

قال دانديليون: "وأنت؟"

ردّ ريجيس بهدوء: "لا تقلق بشأنّي. لا تنتظرني ولا تلتفت خلفك."

اعترض دانديليون، لكن جيرالت همس له بنبرة حادة: "لقد قال لك ألا تقلق بشأنه، ألم تسمع؟"

كرر ريجيس: "اذهبا، حظًا موفقًا. وداعًا، جيرالت."

استدار الويتشر، نظر إليه للحظة، ثم قال: "شكرًا على مساعدتك. لكن من الأفضل ألا نلتقي مجددًا، هل تفهمني؟"

أجاب ريجيس بابتسامة غامضة: "تمامًا. لا تضيّع الوقت."

نام الحراس في أوضاع غريبة، شخيرهم يملأ المكان، وهمهمات مبهمة تخرج من أفواههم. لم يتحرك أحدهم عندما تسلل جيرالت ودانديليون عبر الباب المفتوح، ولم ينبس أحدهم ببنت شفة حينما انتزع الويتشر بلا تردد معطفين ثقيلين من الصوف.

تمتم دانديليون وهو يراقبهم بدهشة: "هذا ليس نومًا عاديًا..."

أجاب جيرالت، مختبئًا في ظلام السقيفة، وهو يتفحص الساحة بعينين يقظتين: "بالطبع لا."

تنهد الشاعر وأردف: "فهمت، ريجيس ساحر، أليس كذلك؟"

هزّ الويتشر رأسه: "لا. ليس ساحرًا."

واصل دانديليون متحيرًا: "لقد سحب الحدوة المحترقة من النار، وجعل الحراس ينامون...؟"

قاطعه جيرالت بحزم: "كُفَّ عن الثرثرة وركّز، لم ننجُ بعد. ارتدِ المعطف وتوجه نحو الساحة. إذا أوقفنا أحد، سنتظاهر بأننا جنود."

تمتم الشاعر وهو يضع المعطف على كتفيه: "حسنًا. وإذا حدث شيء، سأقول..."

قاطعه جيرالت بنبرة واثقة: "سنتظاهر بأننا جنود أغبياء. لنذهب."

عبرا الساحة، متجنبين التجمعات حول العربات والنيران المشتعلة. كان الجنود يتنقلون ذهابًا وإيابًا، فلم يثر ظهور رجلين إضافيين أي ريبة. لم يوقفهما أحد، لم يشك بهما أحد، ولم يوجه لهما أحد تحية أو نداء. في صمت وسرعة، اقتربا من المتاريس دون أي عوائق.

كل شيء كان يجري بسلاسة... بسلاسة أكثر مما ينبغي.

شعر جيرالت بالقلق، فقد استشعر خطرًا يقترب، وهذا الشعور، بدلاً من أن يتلاشى مع ابتعادهم عن مركز المعسكر، ازداد قوة. كان يخبر نفسه مرارًا وتكرارًا أنه لا يوجد شيء مريب في الأمر – في ليلة مزدحمة مثل هذه، لن يلاحظ أحد مرور شخصين، والخطر الوحيد يكمن في احتمال أن يرفع أحد الحراس الإنذار بعد اكتشافهم نائمين في السقيفة. لكنهم الآن يقتربون من محيط المعسكر، حيث يتوجب على الحراس أن يكونوا يقظين تمامًا.

حينها فقط تذكر الويتشر أن في وحدة فيسيغيرد، كان الهروب جريمة خطيرة، وأن الأوامر الموجهة للحراس كانت واضحة: الانتباه الشديد لأي شخص يحاول مغادرة المعسكر.

كان ضوء القمر كافيًا ليمنح دانديليون رؤية محدودة دون الحاجة إلى التحسس في الظلام، أما الويتشر، فبإمكانه الرؤية كما لو كان في وضح النهار. وبفضل ذلك، تمكنا من تجنب جنديين يمتطيان الأحصنة، بعد أن انتظرا بصمت في الأحراش حتى مرّ دورية التفتيش. أمامهما، على بعد خطوات، كانت هناك غابة من أشجار الألدر، مظلمة ومنخفضة، تنتظر أن تخبئهما بين ظلالها المتشابكة، وكان هناك، على الجانب الآخر من سياج الأعمدة، طريق الحرية.

كل شيء كان يسير بسلاسة.

بسلاسة أكثر مما ينبغي.

لقد نسي قاعدة أساسية من قواعد الانضباط العسكري.

كان ذلك البستان الكثيف مغريًا، إذ وفر ملاذًا مثاليًا للاختباء. لكن منذ الأزل، كان الجنود، عندما يوكل إليهم الحراسة، يتمددون في الأحراش، حيث يمكنهم النوم بالتناوب، وفي الوقت ذاته، مراقبة الأعداء والتأكد من عدم تعرضهم لمداهمة مفاجئة من ضباطهم المتجولين.

لم يكد جيرالت ودانديليون يخطوان نحو غابة الألدر حتى ظهرت أمامهما فجأة ظلال داكنة.

وبريق حادّ لأسنان رماح مشحوذة، موجهة نحوهما.

كلمة السر!"

"سينترا!" صاح دانديليون دون تردد.

ضحك الجنود بصوت عالٍ، ضحكة جماعية لم تكن تبشر بخير.

"آه، أيها الرجال، أيها الرجال..." قال أحدهم ساخرًا. "ليس لديكم ذرة من الخيال. ألا يمكنكم ابتكار شيء أكثر إبداعًا؟ لا شيء سوى 'سينترا'؟ هل أصابكم الحنين للوطن أم ماذا؟ حسنًا، السعر كما هو، تمامًا مثل البارحة."

سمع جيرالت صوت أسنان داندليون وهو يصرّها غضبًا، لكنه استغل الفرصة لتقييم الموقف. لكن النتيجة لم تكن مشجعة.

"هيا، ادفعوا الضريبة وسنغض الطرف. أسرعوا، فالدورية ستمر قريبًا."

غيّر الشاعر لهجته متصنعًا الاسترخاء. "حسنًا، لكن عليّ الجلوس ونزع حذائي، لدي... "

لم يكمل جملته. في لحظة، طرحه الجنود أرضًا، أمسك اثنان منهما بقدميه بينما انتزع آخر الحذاء بسرعة. الجندي الذي طلب كلمة السر مزّق البطانة الداخلية، فسقط منها شيء على الأرض مصدِرًا رنينًا معدنيًا.

"ذهب!" صاح أحد القادة بحماس. "فتّشوا الآخر! واستدعوا الدورية!"

لكن أحدًا لم يسمعه، فقد ركع الجنود جميعًا على الأرض، بعضهم يبحث عن العملات المتناثرة بين الأوراق الجافة، بينما انتزع آخرون الحذاء الثاني لداندليليون.

"الآن أو لا أبدًا." فكر جيرالت، ثم وجّه لكمة قوية إلى فك القائد، تبعها بركلة خاطفة إلى جانب رأسه وهو يسقط أرضًا. أما بقية الجنود، فقد كانوا منهمكين في التقاط الذهب ولم يلاحظوا ما حدث."

قفز داندليليون على قدميه دون الحاجة إلى تشجيع، وانطلق عبر الشجيرات. لحق به جيرالت بسرعة.

"نجدة! نجدة!" صرخ قائد الحراس، متكئًا على أحد رفاقه. "بوااااااابة!"

"لصوص!" صاح داندليليون أثناء ركضه. "سرقوا نقودي!"

"وفّر أنفاسك أيها الأحمق!" زمجر جيرالت. "هل ترى الغابة؟ اركض!"

"إعلاااااااااام!" دوّى صوت الإنذار في أرجاء المعسكر.

ركضا بكل ما أوتيا من قوة، لكن جيرالت أدرك خطورة الموقف عندما سمع قرقعة الدروع، وصفير الأوامر، وصوت سنابك الأحصنة خلفهما... وأمامهما أيضًا.

لم يدم اندهاشه طويلًا. فالغابة، التي ظنها طريق الخلاص، كانت تزحف نحوهم، ليس كملاذ، بل كأمواج متلاطمة من الفرسان القادمين بسرعة مرعبة.

"توقف، دانديليون!" صاح جيرالت، ثم استدار نحو الدورية القادمة بأقصى سرعتها وصفّر بقوة بأصابعه.

"نيلفجارد!" زأر بأقصى ما أوتي من قوة. "نيلفجارد قادم! إلى المعسكر! عودوا إلى المعسكر، أيها الحمقى! ارفعوا الإنذار! نيلفجارد!"

قائد الدورية التي كانت تطاردهم نظر إلى الأمام، صرخ بذعر، وحاول أن يدير حصانه. لكن جيرالت قرر أنه قد نال كفايته من أسود سينترا وزنابق تيميريا. قفز برشاقة وأطاح بالجندي من سرجه بمهارة.

"امتطِه، داندليون! وتمسك جيدًا!"

لم يكن على الشاعر أن يُقال له مرتين. الحصان تردد للحظة تحت ثقل الراكب الثاني، لكنه انطلق بجنون تحت ضغط كعبين يغرسان في جنبيه. الآن، أصبح جدار الفرسان الأسود القادم من نيلفجارد تهديدًا أكبر بكثير من فيزجارد وجيشه، لذلك اندفعوا بمحاذاة حلقة الحراسة التي تحيط بالمعسكر، محاولين الابتعاد قدر الإمكان عن الخطوط التي يمكن أن تشتعل في أي لحظة عند اصطدام الجيشين.

لكن النيلفجارديين رأوهم.

صرخ دانديليون، واستدار جيرالت ليرى الجدار الأسود المتحرك وهو يمد مجساته من الفرسان نحوهم بسرعة مرعبة. لم يتردد، غير وجهة الحصان مباشرة نحو المعسكر، متجاوزًا الحراس الفارين.

هذه المرة، لم يكن صراخ دانديليون بلا جدوى.

رأى جيرالت أيضًا الفرسان ينطلقون من جانب المعسكر. كان جيش فيزجارد قد استجاب للتحذير بسرعة مثيرة للإعجاب، وامتطوا خيولهم في زمن قياسي. وجد جيرالت ودانديليون نفسيهما عالقين في كماشة قاتلة، بين جيشين يندفعان كالإعصار.

لا مفر.

غير جيرالت وجهة الحصان مجددًا، مستنفذًا آخر ما تبقى له من سرعة، محاولًا الانفلات من الفجوة الضيقة التي كانت تضيق بسرعة بين المطرقة والسندان.

وعندما بدا أن الهروب قد ينجح، اخترق صوت السهام المسافرة عبر الهواءِ الليل كسوط مسعور.

صرخ دانديليون، هذه المرة ألماً، وغرز أصابعه في أضلاع جيرالت.

شعر الويتشر بشيء دافئ يتناثر على عنقه.

"تمسك جيدًا!" أمسك جيرالت بذراع الشاعر وضغطه بقوة على ظهره. "تمسك يا دانديليون!"

"لقد قتلوني!" صرخ دانديليون، بصوت عالٍ أكثر مما ينبغي لرجل ميت. "أنا أنزف! أنا أموت!"

"تمسك!"

زخات الأسهم والسهام، التي أمطرت الجيشين وأثبتت أنها قاتلة لدانديليون، تحولت في الوقت ذاته إلى طوق نجاته. تحت هذا القصف العنيف، فقدت الجيوش زخم اندفاعها، مما خلق فجوة بينهما، مجالاً صغيرًا للتنفس، لكنه كان كافيًا لإخراج الفارسين وحصانهما من الفخ المحكم.

أجبر جيرالت حصانه بلا رحمة على مواصلة الجري بجنون، لأن الخطر لم يكن قد زال بعد. رغم أن الظلام بدا يبتلعهم، إلا أن دوي حوافر مطارديهم ما زال يتردد خلفهم.

الحصان شهق، تعثر، لكنه واصل الجري، وكادوا ينجون تمامًا... لولا أن دانديليون تأوه فجأة وانزلق من مؤخرة الحصان، ساحبًا جيرالت معه من السرج.

لم يكن للويتشر وقت لرد الفعل، فقد شُدَّت الرِّكاب، شدّ اللجام لا إراديًا، فرفع الحصان قائمتيه الخلفيتين، وأُلقي بهما في الأدغال.

ارتطم دانديليون بالأرض دون أن يتحرك، لكنه لم يكن فاقد الوعي تمامًا، فقد انطلق منه صرخة ممزقة للقلب.

كان نصف وجهه الأيسر وكتفه مغطَّيان بالدم، المتلألئ سواده تحت ضوء القمر.

خلفهم، اصطدمت الجيوش بضجيج يصم الآذان من صليل السيوف، صرخات الموتى، وتحطم الرماح والدروع.

لكن مطاردو نيلفجارد لم ينسوا أمرهم.

ثلاثة فرسان اندفعوا باتجاههما.

نهض جيرالت، ليتوهج بداخله غضب بارد كالثلج. قفز أمام المطاردين، محاولًا صرف انتباههم عن دانديليون الملقى بلا حراك.

لم يكن يريد التضحية بنفسه من أجل صديقه. أراد القتل.

اندفع أول فارس نحوه بفأس مرتفعة، لكنه لم يتوقع أن يكون هدفه ويتشر.

بسهولة خاطفة، تفادى جيرالت الضربة، أمسك بسرج الحصان بيد، وبالأخرى شدَّ حزام النيلفجاردي العريض.

جذب الفارس بقوة، أسقطه أرضًا، ثم ارتطم به فوق التربة القاسية.

حينها فقط أدرك أنه بلا سلاح.

أطبق بيديه على حلق النيلفجاردي، لكنه وجد صعوبة في خنقه بسبب الطوق الحديدي الذي يحيط بعنقه.

المحارب المصروع راح يضربه بقفازه المعدني، ممزقًا وجنته، لكن جيرالت دحرجه بكل جسده، شعر بالخنجر مثبتًا على حزام الرجل، فانتزعه بسرعة.

انتبه الجندي للخنجر، صرخ برعب.

ضغط جيرالت بكل قوته على الذراع التي تحمل شعار العقرب الأبيض، ورفع الخنجر لينهي الأمر.

النيلفجاردي صرخ.

غرَس الويتشر الخنجر في فم خصمه المفتوح، حتى بلغ المقبض.

عندما نهض، رأى الخيول هائمة بلا فرسان، والجثث متناثرة حوله، فيما توجهت مجموعة أخرى نحو المعركة. كان رجال سينترا من المعسكر قد لاحقوا مطاردي نيلفجارد، ولم ينتبهوا في الظلام للقتيلين أو للشاعر والجندي المصروع.

"دانديليون؟ أين أصبت؟ أين السهم؟"

"في... الـ... رأس... مسمّر في رأسي..."

"لا تتحدث هراء! اللعنة، لقد كنت محظوظًا... مجرد خدش بسيط..."

"لكنني أنزف..."

نزع جيرالت سترته، مزق كمّها ولفّه حول رأس الشاعر بسرعة. رأس دانديليون كان يرتجف، أصابعه تلمس الجرح بين حين وآخر، ثم ينظر إلى الدم الذي يلطّخ يديه وكمّيه بعينين ضائعتين.

في تلك اللحظة، أدرك الويتشر أن ما يراه أمامه رجلٌ، لأول مرة في حياته، يشعر بألم حقيقي، ولأول مرة يرى هذا الكم من دمه.

"انهض." شدّ جيرالت العقدة جيدًا، "إنه مجرد خدش، دانديليون، انهض، علينا أن نغادر..."

كانت المعركة الليلية على السهل قد بلغت ذروتها. ازداد صليل السيوف، وارتفع صهيل الخيول، وتعالت صرخات القتلى والمحتضرين.

تحرك جيرالت بسرعة، أمسك بلجام اثنين من خيول النيلفجارديين، لكنه لم يكن بحاجة إلا لواحد.

داندليليون حاول النهوض، لكنه تهاوى فورًا على الأرض، وأطلق أنينًا مروعًا.

رفع جيرالت صديقه، هزّه بشدة حتى استعاد وعيه، ثم ساعده على الامتطاء.

قفز خلفه إلى السرج، حثّ الحصان على الانطلاق، واتجه شرقًا، حيث كانت السماء تنجلي ببطء، وسطع نجمٌ وحيد، الأكثر إشراقًا بين كوكبة الماعز السبعة.

* * *

قالت ميلفا دون أن تنظر إلى السماء، بل إلى سطح النهر اللامع:

"سيطلع الفجر قريبًا. سمك السلور يطارد السلمون. لكن لا أثر للويتشر أو داندليليون. اللعنة، آمل أن ريجيس كان يعرف ما يفعله..."

تمتم كاهير، بينما كان يعيد ضبط السرج على حصانه الكستنائي المستعاد:

"لا تفقدي الأمل."

بصقت ميلفا جانبًا، تمتمت بمرارة:

"همم... الاقتراب من سيري كأنك تضع رأسك تحت البلطة... الفتاة تجلب النحس... البؤس والموت."

"توقفي، ميلفا"

"همم... أشعر بالبرد... وأحتاج إلى شربة، لكن رأيت عند حافة النهر جثة متحللة. بُررر... أشعر بالغثيان... أريد أن أتقيأ."

ناولها كاهير قِربة الماء:

"اشربي. سأجلس قربك وأدفئك."

ضربت أسماك السلور الضفاف، فتراقصت على السطح في وميض فضي.

تمتمت ميلفا، وهي تضغط بذراعها على ذراع كاهير:

"من يدري ما الذي سيحدث غدًا؟ من سيعبر هذا النهر؟ ومن سيستولي على هذه الأرض؟"

قال بهدوء:

"سيكون ما سيكون. لا تشغلي بالكِ."

"ألست خائفًا؟"

"أنا خائف. وأنتِ؟"

"أشعر بالغثيان."

ساد الصمت طويلًا.

سألت ميلفا أخيرًا:

"قل لي، كاهير، متى التقيت بسيري؟"

"لأول مرة؟ قبل ثلاث سنوات. خلال معركة سينترا. عندما كنت أغادر المدينة. وجدتها، كانت محاصرة بالنيران من كل الجهات. اخترقت اللهب، عبرت الدخان، كنت أحملها بين ذراعي... وكانت هي الأخرى مثل النار."

"كيف ذلك؟"

"لا أحد يمكنه أن يمسك النار في يديه."

طالت لحظة الصمت بينهما، ثم همست ميلفا:

"إذا لم تكن سيري في نيلفجارد... فأين هي؟"

أجاب كاهير، صوته كأنما يعبر الفراغ:

"لا أعلم."

* * *

دراكنبورغ، القلعة الرِيدانية التي تحولت إلى معسكر اعتقال للجان، والعناصر المتمردة الأخرى، كانت قد طورت عبر ثلاث سنوات من تشغيلها تقاليد قاتمة. أحد هذه التقاليد كان تنفيذ الإعدامات عند

الفجر. أما التقليد الثاني، فكان جمع جميع المحكوم عليهم في زنزانة كبيرة مشتركة، حيث يتم اقتيادهم إلى المشنقة عند بزوغ الفجر.

يتم حشد المدانين في الزنازين بأعداد تتراوح بين عشرة وعشرين شخصًا، وفي كل صباح يُعدم اثنان، ثلاثة، أو أربعة منهم. أما البقية، فينتظرون دورهم. أحيانًا يكون الانتظار طويلًا، وأحيانًا لا يتجاوز أسبوعًا. أولئك الذين ينتظرون في الزنازين كانوا يُطلق عليهم "السعداء". لأن الأجواء في الزنزانة كانت دائمًا مشبعة بالسخرية السوداء. أولًا، كان يُقدم للمعتقلين طعامٌ ونبيذٌ حامضٌ مخفف بشدة، يُعرف في مصطلحات المعسكر باسم "ديكسترا ريسلينغ"، إذ لم يكن سرًا أن هذا المشروب يُقدم بأمر شخصي من رئيس الاستخبارات الريداني. ثانيًا، من كان في زنزانة المحكوم عليهم بالإعدام لم يكن يُسحب إلى المغاسل السرية تحت الأرض، ولم يكن مسموحًا للحراس بالتنكيل بهم.

تلك الليلة، كان أحد التقاليد يُعاد تمثيله. في زنزانة يشغلها ستة من الجان، ونصف جان، وهالفلينغ، وبشريان، وأحد النيلفجارديين، سادت أجواء من الفرح القاتم. كان نبيذ "ديكسترا ريسلينغ" يُسكب في صحن من الصفيح، وكانوا يرتشفونه دون استخدام الأيدي، في محاولة لزيادة فرصة الشعور بالدوار من النبيذ المخفف. وحده أحد الجان، وهو أحد مقاتلي السكوياتايل من فرقة إيورفيث، كان قد تلقى ضربًا مبرحًا مؤخرًا في المغسلة، لكنه حافظ على هدوئه وكبريائه، وكتب على أحد العوارض الخشبية عبارة: "الحرية أو الموت". كانت هناك مئات العبارات المشابهة محفورة في الجدران. أما بقية المحكوم عليهم، فقد اتبعوا التقليد، وأخذوا ينشدون معًا نشيد السعداء، وهو أغنية مجهولة المؤلف، وُلدت في دراكنبورغ، وكان جميع السجناء في الثكنات يحفظون كلماتها عبر الليالي، إذ كانوا يدركون أنهم يومًا ما سينضمون إلى هذا الجوقة الأخيرة.

يرقص المشنوقون على الحبال،
يتلوّون بإيقاعٍ متشنّج،
غنّوا أغنيتكم،
بشجنٍ حزين،
لتسلية السعداء،
كلُّ ميتٍ يتذكّر لحظة مغادرة قدميه للكرسي،
وعينيه تخرجان من محجريهما.

صرير القفل، وأنين الباب، قطع الأغنية في منتصفها.

كان دخول الحراس عند الفجر لا يعني سوى أمرٍ واحد – سيُحذف بضعة أصواتٍ من الجوقة.

السؤال هو: أي الأصوات؟

دخل الحراس جماعة، يحملون الحبال التي ستُستخدم لتقييد أيدي أولئك الذين سيُقتادون إلى المشنقة. أحدهم تنحنح، وضع هراوته تحت إبطه، فتح لفافة من الجلد، ثم قرأ بصوتٍ أجشّ:

"إيشيل ترايغلثان!"

"ترايغلثان"، صحح الجنيّ من فرقة إيورفيث، ناظرًا إلى الشعار الذي كان قد كتبه على العارضة الخشبية، ثم نهض ببطء.

"كوزمو بالدنيايغ!"

ابتلع الهالفلينغ ريقه بصعوبة. كان نازاريان يعلم أنه سُجن بتهمة التخريب لحساب المخابرات النيلفجاردية. لكن بالدنيايغ أصرّ على أنه سرق جوادي الفرسان لمصلحته الشخصية، وليس له أي علاقة بنيلفجارد. على ما يبدو، لم يصدقوه.

"نازاريان!"

نهض نازاريان بلا مقاومة، ومدّ يديه للحراس ليقيدوهما. وحين اقتيد الثلاثة بعيدًا، استأنف السعداء غناءهم:

ارقصوا على الحبال المعلّقة،
تلّووا بفرحٍ في التشنجات،
والريح تحمل أنغامكم،
فينتشر اللحن في الأرجاء...

كان الفجر يتلون بأطياف من الأرجواني والأحمر، مشيرًا إلى يومٍ مشمسٍ وجميل.

لاحظ نازاريان أن كلمات الأغنية كانت خاطئة.

المشنوقون لا يرقصون على المشانق، لأنهم لم يُشنقوا على مشانق أصلاً، بل على أعمدةٍ خشبيةٍ بسيطة مغروسة في الأرض. لم تُستخدم الكراسي، بل جذوعُ أشجارِ البتولا التي حملت آثار الاستخدام المتكرر.

وفي النهاية، المؤلف المجهول للأغنية، الذي كان قد أُعدم بنفسه، لم يكن ليعرف هذه التفاصيل حين ألفها.

تمامًا كما تعلمها جميع المشنوقين، قبل لحظاتٍ من موتهم.

لم تُنفَّذ الإعدامات في دراكنبورغ علنًا. لم تكن العقوبة انتقامًا ساديًا، بل تنفيذًا صارمًا للعدالة.

وكانت هذه إحدى العبارات المنسوبة إلى ديكسترا.

نفض الجنيّ من فرقة إيورفيث يدي الحراس، صعد على الجذ ع الخشبي، وسمح لهم بلفّ الحبل حول عنقه.

"عاشت ال..."

ركله أحد الحراس بقوة، فتأرجح جسده في الهواء، وانقطع صوته قبل أن يكمل جملته.

أما الهالفلينغ، فقد احتاج الأمر إلى قطعتين من الخشب، وضعتا فوق بعضهما البعض. صعد إليهما المتهم بالتخريب دون صرخات يائسة، لكن ساقيه القصيرتين رفرفتا بقوة قبل أن تهدأ حركته تمامًا. سقط رأسه على كتفه بارتخاء.

عندما أمسك الحراس بنازاريان، قرر فجأة.

"سأتكلم!" صرخ بصوت أجشّ. "سأعترف! لديّ معلومات مهمة لـ ديكسترا!"

ضحك فاسكوين، نائب قائد دراكنبورغ للشؤون السياسية، الذي كان حاضرًا أثناء الإعدامات، وهزّ كتفيه بلامبالاة.

"دائمًا، واحد من كل اثنين منكم، يكتشف خياله عندما يلتفّ الحبل حول عنقه!"

"لست أختلق شيئًا!" نفض نازاريان نفسه من أيدي الجلادين. "لديّ معلومات!"

بعد أقل من ساعة، كان يجلس في زنزانة بلا نوافذ، متأملاً جمال الحياة.

إلى جانبه، كان رسول يستعدّ لمغادرة السجن، يحكّ نفسه بحماس، بينما جلس فاسكوين، يعدّل تقريرًا سيُرسل إلى ديكسترا.

* * *

بكل تواضع، أرفع إلى سموّكم هذا التقرير، إذ اعترف مجرمٌ يُدعى نازاريان، محكومٌ عليه بالإعدام بتهمة الاعتداء على أحد المسؤولين الملكيين، بالمعلومات التالية:

بتوجيه من شخص يُدعى رينس، شارك نازاريان برفقة شريكَين، النصف-إلف شيرّو والإنسان ميليه، في جريمة قتل المحاميين كودرينغير وفين في مدينة دوريان، وذلك خلال ليلة القمر الجديد من شهر يوليو هذا العام.

النصف-إلف شيرّو هو من نفّذ الاغتيال بنفسه وأضرم النار في منزل المحاميين. أما المجرم نازاريان، فيزعم أن شيرّو قام بكل شيء، نافياً أي تورط شخصيّ له في القتل، ربما خوفًا من المشنقة.

إلا أن ما قد يثير اهتمام سموّكم هو التالي:

قبل أن ينفّذ هؤلاء الأوغاد جريمتهم بحقّ المحاميين، كانوا يتعقّبون ويتجسّسون على ويتشر يُدعى جيرالت من ريفيا، الذي كان قد التقى بالمحامي كودرينغير سرًا.

غير أن المجرم نازاريان يجهل موضوع اللقاء، إذ لم تتح له الفرصة للتجسس عليهم أو استجوابهم، بسبب أمرٍ عاجل ورد من رينس يقضي بقتل المحاميين فور اكتشافه لقاءهما السريّ بالويتشر.

كما أدلى المجرم نازاريان بشهادة أخرى:

حيث سرق شريكه شيرّو وثائق من منزل المحاميين، وسلّمها لاحقًا إلى رينس داخل نُزل "الثعلب الماكر" في كاريّراس.

أما فحوى المحادثة التي جرت بين رينس وشيرّو، فإن نازاريان لا يعلم عنها شيئًا، لكنه يؤكد أنه في اليوم التالي، توجّه الثلاثي الإجرامي إلى بروج، وهناك، في الليلة الرابعة بعد القمر الجديد، نفّذوا عملية خطفٍ لفتاة شابة من منزل مبنيٍّ من الطوب الأحمر، كان على بابه مقصٌّ نحاسيٌّ مثبت.

بعد ذلك، أجبر رينس الفتاة المخطوفة على شرب إكسيرٍ سحريّ، وقام شيرّو ونازاريان بنقلها على عجلٍ إلى فيردن، وتحديدًا إلى قلعة نستروغ.

وهنا يأتي الجزء الذي أوصي سموّكم بقراءته بعناية فائقة:

هؤلاء الأوغاد الذين اختطفوا الفتاة وسلموها إلى القائد النيلفجاردي للقلعة، أكدوا له أن اسمها هو "سيريلا من سينترا".

وبحسب اعتراف المجرم نازاريان، فإن القائد، فور سماعه هذا الاسم، أصيب بحالة من الإثارة والحماس الشديد.

التقرير أعلاه مُرسل إلى سموّكم بشكل سرّي.

وكما يقتضي البروتوكول، أرفقتُ مع هذه الرسالة نسخة من استجواب المجرم المفصّل.

أنتظر أوامر سموّكم بشأن مصير نازاريان، هل ينبغي حرقه بالملقط الساخن ليُنعش ذاكرته أكثر، أم يجب تنفيذ حكم الإعدام المقرر في حقّه كما كان مقرراً؟

أرفع هذا إلى سموّكم بكل احترام، إلخ... إلخ...

وضع فاسكوان توقيعه على التقرير بحركة سريعة، ثم ختمه واستدعى الرسول.

وصلت محتويات التقرير إلى ديكسترا في نفس المساء، بينما علمت فيليبا إيلهارت بذلك في اليوم التالي عند الظهيرة.

* * *

حين خرج الحصان الذي يحمل الويتشر ودانديليون من بين أشجار ألدر، كان كل من ميلفا وكاهير في غاية التوتر. فقد كانوا يسمعون طوال الفترة الأخيرة أصوات المعركة تُحمل عبر مياه نهر إينا.

وعندما ساعدت ميلفا في إنزال الشاعر من السرج، رأت كيف تصلب جسد جيرالت فور رؤيته للنيلفجاردي. لم تستطع أن تنبس بكلمة واحدة، إذ أطلق دانديليون أنينًا يائسًا وانزلق من بين يديها.

أراحوه فوق الرمال، ووضعوا معطفًا تحت رأسه النازف. كانت ميلفا على وشك إزالة الضمادات المشبعة بالدم عندما شعرت بيد على كتفها، وتناهى إلى أنفها عبق الشيح واليانسون وأعشاب أخرى مألوفة. وكما هي عادته، ظهر ريجيس من العدم، بلا صوت أو أثر يُنبئ بقدومه.

قال وهو يخرج أدواته الطبية من حقيبته العميقة:

"دعيني أتكفل بالأمر."

عندما بدأ الجراح بإزالة الضمادات عن الجرح، تأوه دانديليون بألم.

قال ريجيس وهو يغسل الجرح بحذر:

"اهدأ... هذا ليس شيئًا خطيرًا. مجرد دم بسيط. مجرد قطرات من الدم... دمك ذو رائحة طيبة، أيها الشاعر."

عندها، تصرف الويتشر بطريقة لم تتوقعها ميلفا. توجه إلى الحصان، وسحب من غمدٍ تحت السرج سيفًا طويلًا.

"ابتعد عنه." قالها بحدة، وهو يقف بجانب الجراح.

كرر ريجيس دون أن ينظر إليه:

"رائحة الدم طيبة... لا أشتم أي علامات على التهاب، وهو أمر قد يكون قاتلًا في حالة الجروح في الرأس. لا توجد إصابة في الشرايين أو الأوردة... والآن، سأضطر إلى إجراء شق صغير."

صرخ دانديليون أنينًا حادًا وأخذ يلهث بعنف. ارتجف السيف في يد الويتشر، وانعكس ضوء النهر على نصله اللامع.

قال ريجيس، دون أن يحيد بنظره عن الجرح أو يُبدي أي اهتمام بالويتشر وسيفه المرفوع:

"سأقوم بعمل بضع غرز، تمسك جيدًا يا دانديليون."

ودانديليون، رغم كل شيء، كان شجاعًا.

قال ريجيس وهو ينهي علاجه:

"انتهيت. بين اليوم وحفل زفافك، كما يقولون، ستتعافى تمامًا. الجرح أمر مثالي لشاعر مثلك، داندليون. ستسير في الطرقات وكأنك بطل حرب، برأسك المضمد، وقلوب الفتيات اللواتي ينظرن إليك ستذوب كالشمع. نعم، إنه جرح شعري بحق. ليس كالسهم في البطن. كبد ممزقة، كلى وأمعاء مقطعة، فضلات متناثرة، التهاب صفاق... حسنًا، انتهيت. جيرالت، أنا تحت تصرفك."

نهض، وفي لمح البصر، كان سيف الويتشر مسلطًا على عنقه، حركته سريعة لدرجة لم تلحقها العين.

زمجر جيرالت وهو يحذر ميلفا:

"ابتعدي."

لم يرتجف ريجيس، رغم أن حافة النصل كانت تستقر بلطف على جلده. شهقت الرامية عندما رأت كيف تألقت عيناه في الظلام، بضوء شبيه بضوء عيون القطط.

قال ريجيس بهدوء:

"حسنًا، افعلها. ادفع النصل."

أنَّ دانديليون من مكانه على الأرض، وبدأ يستعيد وعيه تمامًا:

"جيرالت، هل جننت؟ لقد أنقذنا من المشنقة... لقد عالج رأسي..."

ميلفا ذكّرته بلطف:

"لقد أنقذنا جميعًا، كما أنقذ تلك الفتاة في المعسكر."

قال جيرالت بخشونة:

"اصمتا. أنتما لا تعرفان من هو."

لم يتحرك الجراح. وعندها، رأت ميلفا ما كان يجب أن تراه منذ زمن بعيد. نظرت إلى الأرض، وامتلأت عيناها بالرعب.

ريجيس... لم يكن له ظل.

قال ببطء:

"صحيح، أنتم لا تعرفون من أكون. وقد حان الوقت لتعلموا. اسمي إميل ريجيس روهليك تيرزيف-جودفروي. عشت في هذا العالم لمئة وثمانية وعشرين عامًا وفقًا لحساباتكم البشرية، وستة وأربعين عامًا وفقًا لحسابات الجن. أنا من نسل الناجين، مخلوقات تعيسة حوصرت بينكم بعد الكارثة التي تسمونها

تقاطع العوالم. يُنظر إلي، بلطفٍ شديد، كوحش. كمصاص دماء مخيف. والآن، وقعتُ في طريق ويتشر، قاتل محترف وظيفته القضاء على أمثالي. هذا كل شيء."

خفض جيرالت سيفه وقال بهدوء:

"يكفي. انهض. ارحل من هنا، إميل ريجيس أو أيًّا كان اسمك. وداعًا."

سخر ريجيس:

"لا يُصدق. هل ستتركني أرحل؟ أنا، الذي يُفترض أنه تهديد للبشر؟ الويتشر عليه اغتنام كل فرصة للقضاء على مثل هذه الأخطار."

قال جيرالت، بصوت خافت لكنه حازم:

"انهض. اذهب بعيدًا، وبسرعة."

تساءل ريجيس ببطء وهو ينفض عباءته ويربط حقيبته:

"وأين أذهب؟ في النهاية، أنت ويتشر. أنت تعرف حقيقتي. وعندما تنتهي من مشكلتك الآن، عندما تحل ما يتوجب عليك فعله، ستعود حتمًا إلى هنا. تعرف أين أعيش، إلى أين أذهب، وماذا أفعل. هل ستطاردني أيضًا؟"

رد جيرالت ببرود:

"لا أستطيع استبعاد ذلك. إن كان هناك مكافأة، فأنا ويتشر."

ابتسم ريجيس، ببطء وهو ينظر إليه:

"أتمنى لك الحظ."

ثم قال وهو يعيد ترتيب عباءته على كتفيه:

"وداعًا. آه، شيء أخير. كم يجب أن تكون المكافأة على رأسي حتى تجد الأمر يستحق العناء لمطاردتي؟ كم تقدرني؟"

قال جيرالت بصوت جاف:

"عالية جدًا."

قال ريجيس مبتسمًا بمكر، وهو يكشف عن أنيابه لأول مرة:

"أرضِ غروري. كم تحديدًا؟"

قال جيرالت ببرود، دون أن يشيح بنظره عنه:

"اذهب إلى الجحيم، ريجيس."

"بالطبع. لكن قبل ذلك، تقييمي، من فضلك."

"مصاص دماء عادي يُقدَّر بما يعادل حصان جيد وسرج متين. لكنك لست عاديًا."

"إذن، كم؟"

قال الويتشر بصوت بارد كالجليد:

"أشكّ في أن أحدًا يمكنه دفع الثمن."

"أفهمك وأشكرك." ابتسم مصاص الدماء، كاشفًا عن أسنانه، وعند رؤيتها تراجع كل من ميلفا وكاهير، بينما كتم دانديليون صرخة رعب.

قال ريجيس، وهو يشد عباءته حوله:

"وداعًا، وحظًا سعيدًا."

قال جيرالت بهدوء، دون أن يُخفض سيفه:

"وداعًا، ريجيس. وأنت كذلك."

وفي لحظة، دار إميل ريجيس روهليك تيرزيف-جودفروي بعباءته، ثم... اختفى. ببساطة، اختفى.

استدار جيرالت بسيفه العاري، وحدّق في كاهير:

"والآن، دورك، أيها النيـ..."

قاطعته ميلفا بغضب وهي تصرخ:
"كفى! لقد نفد صبري منك! خذوا الخيول، لنخرج من هنا! الأصوات تتردد عبر النهر، قبل أن ندرك، سنجد الأعداء فوق رؤوسنا!"

قال جيرالت بخشونة:

"لن أذهب معه."

"إذًا، اذهب وحدك!" صرخت ميلفا، وقد امتلأ صوتها بالغضب الصادق. "لقد طردتَ ريجيس، رغم أنه أنقذ حياتك، حسنًا، هذا شأنك. لكن كاهير أنقذ حياتي أنا! إذا كنتَ تعتبرنا جميعًا أعداء، إذًا عد إلى أرماريا! هناك أصدقاؤك بانتظارك... بحبل مشنقة!"

قال جيرالت بحدة:

"توقفي عن الصراخ."

"إذًا، لا تقف هناك كأنك حجر! ساعدني في وضع دانديليون على ظهر الحصان."

سأل جيرالت، وهو يلقي نظرة سريعة حوله:

"أنقذتم خيولنا؟ ورُوش أيضًا؟"

"هو من أنقذها." أشارت ميلفا برأسها إلى كاهير. "والآن، فلنرحل."

عبروا نهر إينا، وساروا على ضفته اليمنى، على طول المجاري الضحلة والبحيرات القديمة التي غمرتها أشجار الصفصاف، عبروا المروج والمستنقعات التي كانت تضجّ بنقيق الضفادع، وصيحات البط غير المرئي، وزقزقة الزيزان. بزغ الفجر بلون أحمر متوهج، وانعكست أشعته الباهرة على الأسطح المائية المغطاة بأزهار الزنبق. عندها، توجهوا نحو المكان حيث يلتقي أحد تفرعات نهر إينا بنهر ياروغا العظيم.

دخلوا الغابات الكثيفة القاتمة، حيث الأشجار نبتت مباشرةً من الطحالب العائمة فوق المستنقعات الخضراء.

تقدمت ميلفا في المقدمة، بجانب الويتشر، تحكي له بصوت خافت حكايتها مع كاهير. ظل غيرالت صامتًا كالأبكم، لم يلتفت قط، ولم يلقِ نظرة واحدة على النيلفجاردي، الذي كان يسير في المؤخرة، يساعد الشاعر. دانديليون كان يتأوه ويسبّ، شاكياً من الصداع، لكنه تحمّل الأمر بشجاعة، ولم يعيق المسير. استعادة حصانه بيغاسوس الذي كان مربوطاً بسرجه رفعت معنوياته بشكل واضح.

عند الظهيرة تقريبًا، عادوا إلى مرج مشمس، خلفه امتدت السهول الفيضية الواسعة لنهر ياروغا العظيم. عبروا مجرى النهر القديم، متجاوزين الرمال الضحلة والبقع اليابسة، حتى وصلوا إلى جزيرة، رقعة جافة وسط المستنقعات والأدغال، محاطة بفروع متشابكة من النهر. كانت الجزيرة مليئة بالشجيرات، مكسوة بالقصب، تنمو فيها أشجارٌ عارية، جافة، مغطاة بفضلات طيور الغاق البيضاء.

كانت ميلفا أول من لمح القارب العالق بين القصب، لا بد أن التيار قد حمله إلى هناك. رأت في إحدى الفجوات بين أشجار الصفصاف مساحة مناسبة لترعى فيها الخيول.

توقفوا، وعندها قرر الويتشر أن الوقت قد حان ليتحدث مع النيلفجاردي... على انفراد.

قال جيرالت بصوت بارد وهو ينزل عن ظهر جواده:

"كاهير، تعال معي."

لم يطرح كاهير أي أسئلة، ولم يبدُ عليه التردد. ترجّل عن حصانه، ألقى نظرة على دانديليون، الذي كان متكئًا على جذع شجرة، ثم تبع الويتشر نحو عمق الجزيرة الصغيرة، بين الأشجار الجافة وأعواد القصب المتشابكة.

ميلفا، التي كانت تفهم جيدًا ما كان يجري، لم تتدخل. جلست على الأرض، شابكة ذراعيها على صدرها، وعيناها تتابعان الاثنين وهما يبتعدان.

عندما توقفا، التفت جيرالت ببطء، وعيناه الرماديتان تتوهجان ببرود قاتل.

"حان وقت الحديث، كاهير."

قال النيلفجاردي بهدوء، دون أن يحاول حتى الدفاع عن نفسه:
"كنت أعلم أن هذه اللحظة ستأتي."

قال غيرالت بصوت هادئ لكنه مليء بالحدة:
"لقد منحتك حياتك في ثانيد. شعرت بالشفقة عليك، أيها الفتى. وكان ذلك أكبر خطأ في حياتي. هذا الصباح، تركت مصاص دماء أعلى يفر من نصل سيفي، ذلك الذي يحمل على ضميره العديد من الأرواح البشرية. كان يجب أن أقتله. هناك شيء واحد فقط يهمني: أن أقتص ممن آذوا سيري. لقد أقسمت لنفسي أن من تسبب في معاناتها سيدفع الثمن بدمه."

ظل كاهير صامتًا.

تابع غيرالت بنبرةٍ باردة كالجليد: "اعترافك الذي أخبرتني عنه ميلفا لا يغير شيئًا. إنه يوضح شيئًا واحدًا فقط: أنك في ثانيد لم تتمكن من اختطاف سيري، رغم أنك حاولت جاهدًا. والآن، تتبعني على أمل أن أقودك إليها مرة أخرى. لتضع مخالبك فيها وتعيدها إلى إمبراطورك، متمنيًا أن يغفر لك وألا يرسلك إلى حبل المشنقة."

ظل كاهير صامتًا، لكن غيرالت شعر بسوء لا يمكن وصفه. كان داخله يموج بالعواطف، لكنه لم يسمح لها بالظهور.

قال بصوت منخفض لكنه مثقل بالغضب: "بسببك كانت تستيقظ ليلاً تصرخ. كنت كابوسًا لها، في عينيها الطفوليتين، مجرد ظل مفزع. ومع ذلك، لم تكن سوى أداة، مجرد تابع بائس لإمبراطورك. لا أعلم ماذا فعلت لتصبح كابوسها. والأسوأ من ذلك، لا أفهم لماذا، رغم كل شيء، لا أستطيع قتلك. لا أفهم ما الذي يمنعني."

قال كاهير بهدوء، صوته بالكاد مسموع: "ربما، رغم كل شيء، هناك شيء مشترك بيننا، أنا وأنت؟"

ضاقت عينا غيرالت، صوته كان ساخرًا لكنه يحمل شيئًا من الفضول: "وما هو؟"

رفع كاهير رأسه قليلاً وقال: "مثلك، أريد إنقاذ سيري. مثلك، لا يهمني إن بدا هذا غريبًا أو مفاجئًا للآخرين. مثلك، لا أنوي أن أفسر لأحد أسبابي."

قال غيرالت ببرود: "هل هذا كل شيء؟"

أجاب كاهير: "لا."

قال غيرالت وهو يراقبه بعناية: "أنا أستمع."

قال كاهير ببطء، كأنه ينتقي كلماته بعناية: "سيري، أراها في حلمي. تمتطي حصانًا، تعبر قرية غبارية، برفقتها ستة شبان. بينهم فتاة ذات شعر قصير. سيري ترقص في سقيفة على طاولة، وهي سعيدة..."

عقد غيرالت حاجبيه، صوتُه كان مشوبًا بالشك: "ميلفا أخبرتك بأحلامي."

هزّ كاهير رأسه وقال بهدوء: "لا. لم تخبرني بشيء. أنت لا تصدقني، أليس كذلك؟"

قال غيرالت دون تردد: "لا."

خفض كاهير رأسه، يعبث بحذائه في الرمال، ثم قال بصوت بالكاد يُسمع: "لقد نسيت أنك لا تستطيع أن تصدقني. لست مضطرًا للثقة بي، أنا أفهم ذلك. لكنك حلمت بهذا الحلم، كما حلمتُ به أنا. حلماً لم تخبر به أحدًا. لأنني أشك في أنك ترغب في إخباره لأي شخص."

* * *

يمكن القول إن سيرفاديو كان محظوظًا ببساطة. فقد جاء إلى لوريدو دون نية للتجسس على أي شخص بعينه. لكن القرية لم تُدعَ "وكر اللصوص" من فراغ. كانت لوريدو تقع على طريق اللصوص، حيث يلتقي قطاع الطرق واللصوص من جميع أنحاء منطقة فيلدا العليا لبيع أو تبادل مسروقاتهم، والتزود بالمؤن، والراحة، واللهو في صحبة الأشرار. تعرّضت القرية للحرق عدة مرات، لكن بعض السكان الدائمين وعددًا لا بأس به من الوافدين الجدد استمروا في إعادة بنائها. كانوا يعيشون على قطاع الطرق، ويعيشون برفاهية أيضًا. لذا، كان للجواسيس والمخبرين مثل سيرفاديو فرصة دائمة للحصول على معلومات في لوريدو تستحق بضعة فلورينات من الحاكم.

أما الآن، فكان سيرفاديو يطمح إلى أكثر من مجرد بضع فلورينات. فقد دخلت القرية مجموعة "الجرذان".

كان جيسلير في المقدمة، تحيط به سبارك وكايلي. خلفهم كانت ميستل وهذه الفتاة الجديدة التي تُدعى فالكا، فيما أغلق ريف وآسي المسيرة، يقودان خيولًا احتياطية، من الواضح أنها مسروقة وكان لا بد من بيعها هنا. كانوا متعبين ومغطّين بالغبار، لكنهم جلسوا على سروجهم بثبات، يردّون بحماس على تحيات الرفاق والمعارف الذين كانوا يقيمون في لوريدو. قفزوا من خيولهم، قُدّم لهم الجعة، وسرعان ما شرعوا في المساومة مع التجّار والمشترين الصاخبين للبضائع المسروقة. جميعهم باستثناء ميستل والفتاة الجديدة ذات الشعر الرمادي، التي كانت تحمل سيفًا مشدودًا على ظهرها. هاتان الاثنتان سارتا بين الأكشاك التي ملأت الساحة كالمعتاد. كانت لدى لوريدو أيام سوق، حيث تكون البضائع القادمة من قطاع الطرق غنية ومتنوعة بشكل خاص. وكان هذا اليوم أحد تلك الأيام.

تابع سيرفاديو الفتاتين بحذر. كان يعلم أنه إذا أراد كسب المال، فعليه الحصول على معلومات، وللحصول على المعلومات، كان عليه أن يستمع.

راحت الفتاتان تفحصان الأوشحة الملونة، والمرجان، والبلوزات المطرزة، وأكياس السروج، والزينة المنسّقة للخيول. نظرتا إلى البضائع، لكنهما لم تشتريا شيئًا. طوال الوقت تقريبًا، كانت ميستل تمسك بيد الفتاة ذات الشعر الرمادي.

تحرك الجاسوس بحذر أقرب، متظاهرًا بفحص الأحزمة والأربطة عند أحد أكشاك السروج. كانت الفتاتان تتحدثان بصوت خافت، ولم يتمكن من التقاط أي من الكلمات، لكنه كان يخشى الاقتراب أكثر حتى لا يلاحظانه ويثير الشكوك.

كان أحد الأكشاك يبيع حلوى القطن. اقتربت الفتاتان منه. اشترت ميستل عصوين من الحلوى المغلفة بالسُّكر الأبيض الناعم، وأعطت إحداهما للفتاة ذات الشعر الرمادي. راحت الأخيرة تقضمها برقة. التصقت الرقائق البيضاء بشفتيها. مسحتها ميستل بحركات لطيفة ومعاملة حذرة. اتسعت عينا الفتاة ذات الشعر الزمردي، ثم لحست شفتيها ببطء، وابتسمت وهزّت رأسها بمكر.

شعر سيرفاديو بقشعريرة، وانسابت برودة العرق على عنقه وبين لوحي كتفيه. تذكر الشائعات المتداولة عن هاتين الفتاتين، وبدأ قلبه ينبض بقلق لم يفهم مصدره تمامًا.

كان ينوي الانسحاب سرًا، فقد كان واضحًا أنه لن يتمكن من سماع أي شيء أو تعلم أي شيء ذي قيمة. لم تكن الفتاتان تتحدثان عن أي شيء مهم، في حين أنه ليس بعيدًا، حيث اجتمع شيوخ العصابة، كان جيسلير وكايلي والبقية يجادلون بصخب، يساومون، يصرخون، ويضعون كؤوسهم مرة تلو الأخرى تحت صنبور البرميل. هناك، كان احتمال حصول سيرفاديو على معلومات ذات قيمة أكبر. فقد يفلت من أحد أفراد "الجرذان" كلمة أو حتى جملة قد تكشف عن خطط العصابة المستقبلية، أو مساراتهم، أو وجهاتهم القادمة. وإن تمكّن من سماع شيء ما ونقل الأخبار في الوقت المناسب إلى جنود الحاكم أو إلى عملاء نيلفغارد، الذين كانوا مهتمين بشدة بمطاردة "الجرذان"، فستكون المكافأة في جيبه عمليًا. بل وإن نجح الحاكم، استنادًا إلى المعلومات، في تنظيم كمين ناجح، فسيتمكن سيرفاديو من تحقيق دخل مالي كبير.

"سأشتري لزوجتي معطفًا"، فكّر بحماس، "وأخيرًا سأتمكن من شراء أحذية ولُعب للأطفال... وأما أنا..."

كانت الفتاتان تتجولان بين الأكشاك، تلعقان قطع الحلوى القطنية وتتناولانها بلذة. وفجأة، أدرك سيرفاديو أن هناك من يراقبهما. بل وأشار إليهما بأصابع الاتهام. كان يعلم أن تلك الأصابع تعود إلى لصوص وسارقي الماشية من عصابة بينتو.

أطلق اللصوص بعض التعليقات البذيئة وضحكوا بتحدٍ. ضيّقت ميستل عينيها وضغطت بيدها على كتف الفتاة ذات الشعر الرمادي.

"تعالي هنا، أيتها الفاتنة!" صاح أحد اللصوص، ذو شارب يشبه حزمة من القش. "اقتربي وأعطينا قبلة!"

رأى سيرفاديو الفتاة ذات الشعر الرمادي ترتجف، ورأى أصابع ميستل تشتد على كتفها. ضحك اللصوص بصوت عالٍ. استدارت ميستل ببطء، فتوقفت بعض الضحكات فورًا. لكن الرجل ذو الشارب كان إما ثملاً للغاية أو مجرد أحمق لا يملك أي قدر من الحس السليم.

"هل تحتاج إحداكن إلى رجل؟" تقدم نحوهن، ملوّحًا بحركات مقززة وصريحة. "صدقنني، أفضل علاج هو نكاح جيد، وسيزول كل هذا الانحراف في لحظة. هيه! أنا أتحدث إليكن..."

لم يتمكن أبدًا من لمسهن.

تحركت الفتاة ذات الشعر الرمادي بسرعة كالثعبان وهو يهاجم، سيفها كان قد استُلّ بالفعل وتحرك قبل أن تلامس قطعة الحلوى القطنية الأرض. ترنح اللص ذو الشارب، بينما كان الدم يتدفق من جرح غائر في عنقه، مندفعًا في تيار طويل، كنافورة قاتمة تحت ضوء السوق الباهت.

مدّت الفتاة يدها مرة أخرى، مأخوذة في رقصة ثنائية الخطوات، ضربت مجددًا، فتطايرت موجة من الدم لتلطخ الأكشاك، وسقط الجسد على الأرض، محوّلًا الرمال من تحته إلى بقعة حمراء داكنة. تعالت صرخة شخص ما. انحنى اللص الثاني بسرعة وسحب خنجرًا من حذائه، لكنه لم يحظَ بفرصة استخدامه، إذ سقط أرضًا بضربة قوية من رمح جيسلير، الذي استخدم الطرف غير الحاد منه ليطرحه أرضًا.

"جثة واحدة تكفي!" صاح قائد "الجرذان"، صوته يصدح فوق الضجيج. "هذا الرجل وحده هو المذنب، لم يكن يعلم مع من يعبث! ابتعدي، فالكا!"

أخيرًا، خفضت ذات الشعر الرمادي سيفها. رفع جيسلير كيسًا من المال وهزّه بقوة.

"وفقًا لقوانين أخوتنا، سأدفع ثمن القتيل. بعدل، بحسب الوزن، ثالر لكل رطل من جسده القذر. وهكذا ينتهي الخلاف! أليس كذلك، أيها الرفاق؟ ها، بينتو، ما رأيك؟"

وقف سبارك، كايلي، آس، وريف خلف زعيمهم، وجوههم كانت بلا تعبير، وأيديهم مستقرة على مقابض سيوفهم، متأهبين لأي طارئ.

"بإنصاف"، قال أحد أفراد عصابة بينتو، رجل قصير القامة، ذو ساقين مقوستين، مرتديًا سترة جلدية. "تتحدث بصدق، جيسلير. انتهى الخلاف."

ابتلع سيرفاديو ريقه بصعوبة، محاولًا الاندماج وسط الحشد المتجمّع حول الحادثة. فجأة، لم يعد يشعر برغبة في التجول بالقرب من "الجرذان" أو من تلك الفتاة ذات الشعر الرمادي، التي يدعونها بـ"فالكا". أدرك في لحظة أن المكافأة التي عرضها الحاكم لم تكن تستحق المخاطرة كما كان يظن.

أعادت فالكا السيف إلى غمده بصمت، بينما نظرت حولها. دُهش سيرفاديو عندما رأى وجهها الطفولي الصغير يتغير فجأة.

"حلوى القطن خاصتي"، صاحت الفتاة، عيناها متسعتان وهي تحدق في قطعة الحلوى الملقاة في الرمال. "أسقطت حلوى القطن خاصتي..."

عانقتها ميستل بلطف، همست لها: "سأشتري لكِ واحدة أخرى."

* * *

جلس الويتشر على الرمال بين القصب، عابسًا، غاضبًا، غارقًا في أفكاره. راقب طيور الغاق الجافة الجالسة فوق الأشجار الذابلة.

كاهير، بعد الحديث، اختفى في الأدغال ولم يعد. ميلفا ودانديليون كانا يبحثان عن شيء ليأكلانه. داخل القارب، الذي وجدوه بين القصب، عثروا تحت المقاعد على قدر نحاسي وسلة من الخضروات. صنعوا مصيدة من أغصان الصفصاف التي وجدوها في القارب، وخاضوا المياه الضحلة على طول الشاطئ وهم يضربون الطحالب بالعصي، محاولين دفع الأسماك نحو المصيدة.

الشاعر كان يشعر بتحسن واضح، يمشي منتصبًا بفخر، برأسه المضمد وكأنه فارس عاد منتصرًا من ساحة المعركة.

أما الويتشر، فظل غارقًا في التفكير والغضب.

سحب دانديليون وميلفا المصيدة المصنوعة من الصفصاف من الماء وبدآ يطلقان الشتائم، إذ بدلاً من أسماك الشبوط الكبيرة، لم تحبس المصيدة سوى أسماك صغيرة عالقة بين الأعشاب البحرية.

نهض الويتشر واقفًا.

"تعالا إلى هنا، أنتما الاثنان! اتركا المصيدة وتعالا. لديّ شيء لأقوله."

"عودا إلى الديار،" قال بلهجة مباشرة حين اقتربا، مبتلين تفوح منهما رائحة السمك. "إلى الشمال، نحو ماهكام. سأكمل الطريق وحدي."

"ماذا؟"

"طرقنا تفترق هنا، دانديليون. كفى عبثًا. عد إلى منزلك واكتب الأغاني. ميلفا ستقودك عبر الغابة... ما بكِ؟"

"لا شيء." أبعدت ميلفا شعرها عن كتفيها. "لا شيء. تكلّم، ويتشر. أريد أن أعرف ماذا لديك أيضًا لتقوله."

"ليس لدي شيء آخر لأقوله. أنا ذاهب جنوبًا، إلى الضفة الأخرى من الياروغا. عبر أراضي نيلفجارد. الأمر خطير والطريق طويل. ولا يمكنني الانتظار. لذا سأذهب وحدي."

"بعد أن تخلصت من الأعباء المزعجة،" عقّب دانديليون ساخرًا. "الكرة والسلاسل التي تعيق مسيرتك. بعبارة أخرى، أنا."

"وأنا،" أضافت ميلفا، ناظرة بعيدًا.

"اسمعا،" قال جيرالت بصوت أكثر هدوءً. "هذا أمر شخصي. لا يخصكما. لا أريد المخاطرة بحياتكما من أجل شيء لا يعنيكما."

"هذا الأمر يخصك وحدك،" كرر دانديليون ببطء. "لا حاجة لأحد، ولا رغبة في وجود أي شخص. صحبتنا تزعجك وتبطئ مسيرتك. لا تتوقع المساعدة من أحد، وليس لديك نية للقلق على أحد. بالإضافة إلى ذلك، أنت تحب الوحدة. هل نسيت شيئًا؟"

"نعم،" قال جيرالت بغضب. "نسيت أن تستبدل رأسك الفارغ بآخر يحتوي على دما غ. لو أن تلك السهم انحرف قليلاً نحو اليمين، أيها الأحمق، لكانت الغربان تلتهم عينيك الآن. أنت شاعر؛ لديك خيال واسع، حاول أن تتخيل تلك الصورة. أكرر، عُد إلى الشمال، فأنا ذاهب في الاتجاه الآخر. وحدي."

"أنا ذاهبة،" نهضت ميلفا بعزم. "هل تظن أنني سأطلب إذنك؟ اللعنة عليك، ويتشر. هيا، دانديليون، لنبحث عن بعض الطعام. أشعر بالجوع، والاستما ع لهذا الهراء جعلني أشعر بالغثيان."

أدار جيرالت رأسه، راقب طائر الغاق الأخضر العينين وهو ينشر جناحيه ليجف على غصن مغطى بالبراز الأبيض. فجأة، التقط أنفه رائحة نفاذة للأعشاب، فأشهر سيفه بغضب.

"أنت تسيء استغلال صبري، ريجيس."

لم يُظهر مصاص الدماء، الذي ظهر من العدم كعادته، أي تأثر وجلس بجوار الويتشر بهدوء.

"يجب أن أغيّر ضمادات الشاعر،" قال ببرود.

"إذن، اذهب إليه. لكن ابقَ بعيدًا عني."

تنهد ريجيس، دون أدنى نية للرحيل.

"سمعت حديثك الآن مع دانديليون والرماة،" قال بنبرة خالية من السخرية. "يجب أن أعترف بأن لديك موهبة حقيقية في إبعاد الناس عنك. بينما العالم كله يقف ضدك، تتخلى عن حلفائك ورفاقك المستعدين لمساعدتك."

"العالم انقلب رأسًا على عقب. مصاص دماء يعلّمني كيف أتعامل مع البشر. ماذا تعرف عن البشر، ريجيس؟ الشيء الوحيد الذي تعرفه هو طعم الدم. تبًا، لماذا بدأت أتحدث معك أصلًا؟"

"العالم بالفعل مقلوب،" أقر مصاص الدماء، بجدية تامة. "بما أنك بدأت الحديث، فقد ترغب في الاستماع إلى نصيحتي؟"

"لا. لا أريد. لا أحتاج إلى نصيحتك."

"صحيح، كدت أنسى. أنت لا تحتاج إلى النصيحة، ولا إلى الحلفاء أو الرفاق. فهدف رحلتك، في النهاية، هدف شخصي وخاص، تتطلب طبيعته أن تنجزه وحدك، بنفسك. المخاطر، والأخطار، والصعوبات، والصراعات مع الشك، يجب أن تؤثر عليك وحدك، دون غيرك. لأنها في النهاية، جزء من كفارتك، توبتك، الذنب الذي تحاول التكفير عنه. نوع من، كما يقال، المعمودية بالنار. عبر النار، التي تحرق، ولكنها أيضًا تطهّر. وحدك، منفردًا. لأنه إذا قبلت دعم أحدهم، مساعدته، فسيحمل عنك جزءًا من هذه المعمودية بالنار، من هذا الألم، من هذه الكفارة، وسيخففها عنك. وهكذا تحرمهم من المشاركة في ذلك الجزء من التكفير الذي يجب أن يكون حكرًا عليك. أنت وحدك من يجب أن يسدد هذا الدين، ولا تريد أن تسدده مع دائنين آخرين. هل فهمت منطقك؟"

"وجودك يزعجني، أيها المصاص. اتركني وشأني مع كفارتي. ومع ديوني."

"كما تشاء." نهض ريجيس. "اجلس، فكر. لكني سأمنحك نصيحتي على أي حال. الحاجة إلى التكفير، إلى معمودية النار، إلى الشعور بالذنب، هذه أشياء يمكنك أن تزعم أنها تخصك وحدك. لكن الحياة ليست مصرفًا؛ فهي تسمح بسداد الديون عبر ديون الآخرين."

"اذهب، أرجوك."

"كما تشاء."

غادر مصاص الدماء وانضم إلى دانديليون وميلفا. وأثناء تغيير الضمادات، ناقش الثلاثة ما لديهم من طعام. نظرت ميلفا إلى السلة المصنوعة من الخوص حيث تجمعت الأسماك الصغيرة.

"لا حاجة للتفكير الطويل،" قالت. "يمكننا أن نضع هذه الأسماك الصغيرة على العيدان ونشويها فوق النار."

"لا." هزّ دانديليون رأسه الملفوف بالضمادات. "ليست فكرة جيدة. الأسماك صغيرة جدًا، ولا تكفي. أقترح أن نحضر منها حساءً."

"حساء سمك؟"

"بالطبع. لدينا مجموعة من هذه الأشياء الصغيرة، ولدينا الملح." بدأ دانديليون يعدّ على أصابعه ليؤكد وجهة نظره. "وجدنا البصل، والجزر، والبقدونس، والكرفس، والقدر. وعند جمع كل هذه العناصر، نحصل على الحساء."

"يمكننا استخدام بعض التوابل."

قال ريجيس مبتسمًا وهو يمد يده إلى حقيبته: "آه، لن تكون هذه مشكلة. لديّ ريحان، بابريكا، فلفل، ورق غار، مريمية..."

قاطعه دانديليون قائلًا: "كفى، كفى. فقط لا تضع جذور الماندريك في الحساء، فهي ليست مطلوبة. إلى العمل. نظّفي الأسماك، ميلفا."

قالت ميلفا بانزعاج: "نظّفها بنفسك! هل تعتقد أن وجود امرأة في المجموعة يعني أنها ستعمل في المطبخ؟ سأذهب لجلب الماء وأشعل النار، وأنت يمكنك تنظيف هذه الأسماك الصغيرة بنفسك."

قال ريجيس بتصحيح هادئ: "هذه ليست أسماك صغيرة، إنها من نوع الشوب، الروش، والبريم."

قال دانديليون ساخرًا: "هاه، أرى أنك خبير في الأسماك."

أجاب مصاص الدماء بتواضع: "أعرف الكثير من الأشياء. لقد درست هنا وهناك."

نفخت ميلفا على النار مجددًا، ثم نهضت قائلة: "إذا كنت خبيرًا إلى هذا الحد، يمكنك تنظيف هذه الأسماك بنفسك. سأذهب لجلب الماء."

سألها دانديليون وهو ينظر إلى القدر: "هل يمكنك حمله وهو ممتلئ؟ جيرالت، ساعدها."

تذمرت ميلفا بانفعال: "يمكنني التعامل مع الأمر. لا حاجة لمساعدته. إنه منشغل بأموره الشخصية، ولن أجرؤ على إزعاجه!"

أدار جيرالت رأسه متظاهرًا بعدم السماع. في هذه الأثناء، كان دانديليون وريجيس ينظفان الأسماك بكفاءة.

قال دانديليون وهو يعلّق القدر فوق النار: "سيكون هذا حساءً خفيفًا. كنا بحاجة إلى سمكة أكبر."

ظهر كاهير فجأة من بين القصب، ممسكًا بسمكة بيك تزن ثلاثة أرطال، ما زالت تلوّح بذيلها وتفتح وتغلق خياشيمها، وقال بهدوء: "هل ستفي هذه بالغرض؟"

هتف دانديليون بفرح: "آها! يا لها من سمكة رائعة! من أين حصلت عليها أيها النيلفجاردّي؟"

قال كاهير بجدية: "أنا لست نيلفجاردّي. أنا من فيكوفارو واسمي كاهير..."

لوّح دانديليون بيده مقاطعًا: "حسنًا، حسنًا، أعرف. سؤالي كان: من أين حصلت على السمكة؟"

أجاب كاهير بهدوء: "صنعت سنارة صيد. استخدمت الضفادع كطُعم. رميتها من ضفة النهر، وأمسكت بها فورًا."

قال دانديليون وهو يهز رأسه المضمد: "الكل هنا خبير. من المؤسف أن أحدًا لم يقترح شرائح اللحم، فربما كان سيتمكن من صيد بقرة. لكن لنشكر ما لدينا. ريجيس، ضع كل الأسماك الصغيرة في القدر، برؤوسها وذيولها. أما سمكة البيك، فيجب إعدادها جيدًا. هل تستطيع ذلك، نيلف... كاهير؟"

قال كاهير ببساطة: "أستطيع."

قال دانديليون بحماس: "إذن لنبدأ العمل. اللعنة، جيرالت، إلى متى ستظل جالسًا هناك متظاهرًا بأنك غاضب؟ قشّر الخضار!"

نهض الويتشر ممتثلًا للأمر، واقترب، لكنه جلس بوضوح بعيدًا عن كاهير. قبل أن يشكو من عدم امتلاكه سكينًا، أخرج النيلفجاردّي – أو الفيكوفاري – سكينه وقدّمه له، ثم استلّ سكينًا ثانيًا من حذائه. أخذ جيرالت السكين وهو يتمتم بشكر غير واضح.

سارت الأمور بسلاسة. امتلأ القدر بالأسماك الصغيرة والخضار، وبدأ يغلي، بينما كان مصاص الدماء يحركه بملعقة خشبية نحتتها ميلفا. بعد أن نظف كاهير البيك وقسمه، ألقى دانديليون بالذيل والرأس في القدر، وحرّك المزيج بحماسة.

قال دانديليون وهو يشتم الرائحة: "همم، رائحة شهية. عندما ينضج كل شيء، سنصفّي البقايا."

رفعت ميلفا حاجبيها بينما كانت تنحت ملعقة أخرى: "ما لم تستخدم جواربك، فنحن لا نملك مصفاة."

ابتسم ريجيس قائلاً: "ميلفا العزيزة، بالطبع نستطيع! ما نفتقده يمكننا استبداله بما لدينا. الأمر كله يتعلق بالمبادرة والتفكير الإيجابي."

ردّت ميلفا بازدراء: "إذهب إلى الجحيم مع فلسفتك هذه، أيها المصاص."

قال كاهير فجأة: "يمكننا تصفيته من خلال درعي الشبكي. وما يتبقى فيه يمكننا التخلص منه."

قالت ميلفا محذرة: "تأكد من غسله جيدًا أولًا، وإلا فلن أتذوق هذا الحساء."

تمت عملية التصفية بسلاسة.

قال دانديليون وهو يشتم الرائحة مجددًا: "الآن تخلص من الفضلات، كاهير. الرائحة رائعة، همم، لذيذ." ثم التفت إلى جيرالت محذرًا: "لا حاجة للمزيد من الحطب، جيرالت! ماذا تفعل بهذه الملعقة؟ لا حاجة لمزيد من التحريك!"

تمتم جيرالت دون اكتراث: "لا تصرخ. لم أكن أعلم."

ابتسم ريجيس قائلاً: "الجهل ليس عذرًا للأفعال الطائشة. عندما لا يعرف المرء أو يكون في شك، فمن الأفضل طلب المشورة..."

صاح جيرالت بغضب وهو ينهض ويستدير مبتعدًا: "اصمت، أيها المصاص!"

قهقه دانديليون ساخرًا: "انظروا إليه، لقد أهنته مجددًا."

قالت ميلفا وهي تلوّح بيدها بازدراء: "استمعوا إليه، إنه محتال كبير. إذا لم يكن يعرف ماذا يفعل، فإنه يثرثر ويتذمر. هل لاحظتم ذلك بعد؟"

تمتم كاهير بهدوء: "منذ زمن بعيد."

قال دانديليون وهو يلعق الملعقة متذوقًا: "أضفوا الفلفل. وقليلًا من الملح. آه، الآن أصبح جاهزًا. أخرجوه من فوق النار. اللعنة، إنه ساخن! لا أملك قفازات..."

قال كاهير ببساطة: "أنا أملك."

قال ريجيس وهو يرفع القدر بين يديه دون اكتراث: "وأنا لا أحتاجها."

ضحك الشاعر وهو يمسح الملعقة على سرواله: "حسنًا، هيا أيها الرفاق، اجلسوا. بالهناء والشفاء! جيرالت، هل تنتظر دعوة رسمية؟ نداء المرسلين وعزف الأبواق؟"

جلس الجميع حول القدر الذي وضعوه على الرمال، ولم يُسمع سوى صوت الرشفات العالية، متقطعة بنفخات الهواء على الملاعق الساخنة. وبعد أن التهموا نصف الحساء، بدأوا في اصطياد قطع البيك بحذر، حتى جف القدر تمامًا.

تنهدت ميلفا وهي تمسح شفتيها: "أقول إنه كان من الغباء أن نُعد الحساء، دانديليون."

هزّ ريجيس رأسه موافقًا: "بالتأكيد." ثم نظر إلى الويتشر وسأله: "ما رأيك، جيرالت؟"

قال الويتشر وهو ينهض متثاقلًا، يفرك ركبته التي بدأت تؤلمه: "أقول... شكرًا لكم." ثم نظر إليهم بتحدٍّ وأضاف: "هل يكفي هذا؟ أم أنكم بحاجة إلى عزف الأبواق؟"

لوّح دانديليون بيده بلا مبالاة: "هذا هو حاله دائمًا، تجاهلوه. لقد كان محظوظًا فقط، كنت معه عندما كان يتشاجر مع ينيفر، تلك الجميلة الشاحبة ذات الشعر الأسود الغراب."

ذكّره ريجيس بنبرة هادئة: "كن أكثر تحفّظًا، ولا تنسَ، إنه يواجه مشاكله الخاصة."

تمتم كاهير بعد أن كتم تجشؤه: "المشاكل... يجب مواجهتها."

قال دانديليون متأملاً: "هذا صحيح، ولكن كيف؟"

قهقهت ميلفا بتهكم وهي تتمدد لتجعل نفسها أكثر راحة على الرمال الدافئة: "مصاص الدماء عالم. يجب أن يكون قادرًا على ابتكار شيء ما."

قال ريجيس بهدوء: "المفتاح ليس المعرفة، بل القدرة على وزن جميع الإيجابيات والسلبيات. وعندما نأخذ الوضع بعين الاعتبار، نصل إلى استنتاج مفاده أننا نواجه مشكلة لا يمكن حلها. هذا المشروع برمته خالٍ من أي فرص للنجاح. احتمالية العثور على سيري تساوي الصفر."

سخرت ميلفا: "أوه نعم؟ أليس الأمر مجرد مسألة مبادرة وتفكير إيجابي، كما كان الحال مع المصفاة؟ إذا لم يكن لدينا شيء، فسنستبدله بشيء آخر. هكذا كنت أظن."

أكمل ريجيس دون أن يتأثر بسخريتها: "حتى وقت قريب، كنا نعتقد أن سيري في نيلفجارد. الوصول إلى هناك وإنقاذها أو اختطافها بدا مهمة مستحيلة. أما الآن، بعد اعترافات كاهير، لم نعد نعرف حتى أين هي. من الصعب الحديث عن المبادرة عندما لا نملك أي فكرة عن الاتجاه الذي يجب أن نسلكه."

زمّت ميلفا شفتيها وسألت: "وماذا نفعل إذن؟ جيرالت يُصر على أن نتجه جنوبًا..."

ابتسم ريجيس قائلاً: "بالنسبة له، لا معنى للجهات الأربع. لا يهمه الاتجاه طالما أنه لا يجلس مكتوف الأيدي. هذه هي طبيعة الويتشر. العالم مليء بالشر، لذلك يذهبون حيث تقودهم أعينهم، ويدمرون أي شر في طريقهم، وبهذا يخدمون النظام. الباقي يأتي لاحقًا. بمعنى آخر، الحركة هي كل شيء، والهدف لا شيء."

قالت ميلفا وهي تهز رأسها: "هذا كلام سخيف. هدفه هو سيري. ألا تهمه؟"

أقرّ ريجيس بخفة: "كنت أمزح، ولكن بدون تكتيك يذكر. آسف. أنتِ محقة، ميلفا العزيزة. هدفنا هو سيري. وبما أننا لا نعرف أين هي، فمن المنطقي أن نحاول معرفة ذلك وإدارة تحركاتنا بذكاء. الطفلة المفاجأة، كما ألاحظ، تعج بالسحر والتنبؤات الخارقة. وأنا أعرف شخصًا خبيرًا جدًا في هذه الأمور، ومن المؤكد أنه يمكنه مساعدتنا."

هتف دانديليون بحماس: "هاه! من يكون؟ أين نجده؟ هل هو بعيد؟"

أجاب ريجيس بابتسامة هادئة: "أقرب مما تظن. أقرب من عاصمة نيلفجارد نفسها. وبالتحديد، قريب جدًا. في أنغرين، على هذا الجانب من الياروغا. أتحدث عن دائرة الحوريات التي تسكن غابات كايددو."

قال دانديليون بحماس: "فلننطلق دون تأخير!"

تكلم غيرالت أخيرًا، متوترًا: "ألم يفكر أي منكم في أن من المناسب أن يسألني عن رأيي؟"

استدار دانديليون نحوه قائلاً بمكر: "أنت؟ لكنك لا تملك أدنى فكرة عما يجب فعله. حتى الحساء الذي تناولته مدين لنا به. لولا نحن، لكنتَ جائعًا. ونحن كذلك، لو انتظرناك لتتصرف. هذا الحساء كان ثمرة تعاون. نتيجة جهود جماعية تسعى نحو هدف مشترك. هل تفهم، صديقي؟"

قطبت ميلفا جبينها وقالت بحدة: "وكيف له أن يفهم؟ إنه يفضل العزلة. الذئب الوحيد! نحن نعلم أنه ليس بصياد يفهم الغابات. الذئاب لا تصطاد منفردة! أبدًا! الذئب الوحيد مجرد خرافة يرددها سكان المدن. لكنه لا يفهم؟"

ابتسم ريجيس بطريقته المعتادة، بشفتيه المزمومتين: "أعتقد أنه يفهم."

أكد دانديليون بابتسامة ساخرة: "إنه يبدو فقط كمن لا يفهم. لكنه في النهاية سيستخدم دماغه. وربما يستخلص استنتاجًا صحيحًا. وهو أن النشاط الوحيد الذي يمكن للمرء القيام به وحده هو... الاستمناء."

التزم كاهير الصمت بحذر، متجاهلاً الحوار تمامًا.

لوّح غيرالت بالملعقة بغضب وقال أخيرًا: "لتأخذكم اللعنة جميعًا. أيها الحمقى المتعاونون في مجموعات متحدة لهدف مشترك، وهو هدف لا يفهمه أيٌّ منكم. وليأخذني الشيطان معكم أيضًا."

هذه المرة، سار الجميع على نهج كاهير، والتزموا الصمت بحذر. دانديليون، ماريا بارينغ الملقبة بميلفا، وإميل ريجيس روهليك تيرزيف-غودفروي.

هز غيرالت رأسه مستنكرًا وقال بتهكم: "يا لي من محظوظ! وجدتُ لي رفقة! رفاق سلاح! فريق من الأبطال! لا يسعني سوى الضحك. لدينا شاعر يصنع الأبيات على لوت، وأنثى سليطة اللسان، نصفها وحش ونصفها دريادا. لدينا فامباير عمره أربعمائة عام. ونيلفجاردِيٌّ ملعون، يُصرُّ على أنه ليس نيلفجاردِيًّا!"

أكمل ريجيس بهدوء، دون أن يفقد ابتسامته المعتادة: "ويقودهم ويتشر، يفتك به الندم والعجز وعدم القدرة على اتخاذ القرارات. لذا، أقترح أن نسافر متخفين، حتى لا نثير الانتباه."

قالت ميلفا متهكمة: "ولا نثير الضحك أيضًا."

قالت الملكة: "لا تتوسلي إليّ طلبًا للرحمة، بل الجئي إلى أولئك الذين آذيتِهم بسحرك. كان لديكِ الجرأة لارتكاب الشر، فتحلّي الآن بالشجاعة لمواجهة العدالة التي اقتربت. ليس في وسعي العفو عن خطاياكِ".

قهقهت الساحرة كالقط، وعيناها الشريرتان تلتمعان بخبث. "نهايتي وشيكة"، صرخت، "لكن مصيركِ ليس بعيدًا أيضًا، يا ملكتي. في ساعة موتكِ الرهيب ستتذكرين لارا دورين ولعنتها. وستعلمين أن اللعنة ستمتد إلى جميع نسلِكِ لعشرة أجيال قادمة".

لكن، حين أدركت الساحرة الإلفية الشريرة أن الملكة لا تعرف الخوف، توقفت عن التهديد والوعيد، وتحولت إلى نحيب مذلٍّ ككلبة تستجدي الرحمة والمغفرة"...

حكاية لارا دورين، كما يرويها البشر

..."لكن توسلاتها ودعواتها لم تلِن قلوب الدهوين (البشر) الحجرية، هؤلاء البشر القساة الذين لا يعرفون الرحمة. وحين أمسكت لارا بباب العربة، تتوسل النجاة—ليس لنفسها، بل لطفلتها—أمرت الملكة أحد حراسها بضربة سيف، قُطعت بها أصابعها".

"حلَّ البرد القارس في تلك الليلة، وعلى تلٍّ وسط الغابات، لفظت لارا أنفاسها الأخيرة وهي تضع ابنتها، محتضنة إياها بما تبقى من دفء في جسدها. ورغم أن الليل كان حالكًا، والشتاء قارصًا، والعاصفة تضرب الأرض، فإن الربيع أشرق فجأة على التل، وأزهرت زهور الفيينويد. ومنذ ذلك الحين، لا تنبت تلك الزهور إلا في مكانين فقط: وادي دول بلاثانا، وعلى التل الذي شهد موت لارا دورين أيب شيادال".

حكاية لارا دورين، كما يرويها الإلف

الفصل السادس

قالت سيري بغضب، وهي مستلقية على ظهرها: "طلبت منكِ ألا تلمسيني."

سحبت ميستل يدها، التي كانت تلامس مؤخرة عنق سيري بدغدغة، واستلقت بجانبها، ثم وضعت يديها تحت رأسها المحلوق وحدّقت في السماء.

"أنتِ تتصرفين بغرابة مؤخرًا، هوك."

"فقط لا أريد أن يلمسني أحد، هذا كل شيء."

"كانت مجرد لعبة."

"أعلم،" عضّت سيري شفتيها، "مجرد لعبة. كل هذا كان بالنسبة لكِ مجرد لعبة. لكنني لم أعد أستمتع بهذه اللعبة. فقط توقفي!"

استلقت ميستل مرة أخرى على ظهرها وبقيت صامتة طويلًا، محدقة في السحب البيضاء التي كانت تزحف ببطء عبر السماء. كان هناك صقر يحلّق عاليًا فوق الغابة.

"أحلامكِ،" قالت أخيرًا، "الأمر يتعلق بأحلامكِ، صحيح؟ في كل ليلة تقريبًا تستيقظين وأنتِ تصرخين. ما مررتِ به يعود إليكِ في الأحلام. أنا أعلم ذلك."

لم تجب سيري.

"لم تخبريني قط عن نفسكِ،" واصلت ميستل كسر الصمت. "عما حدث لكِ. لم تخبريني حتى من أين أتيت. ولا إن كان لديكِ من تحبينهم..."

حركت سيري يدها بسرعة إلى رقبتها، لكنها لم تجد سوى دعسوقة صغيرة.

"كان لديّ عائلة،" قالت بفتور، دون أن تنظر إلى رفيقتها. "أو بالأحرى، كنت أعتقد أن لديّ واحدة... كان بإمكانهم العثور عليّ، حتى هنا، في أقصى العالم لو أرادوا... أو لو كانوا ما زالوا أحياء..."

"أوه، ما الذي تفعلينه، ميستل؟ هل يجب أن أخبركِ عن نفسي؟"

"لستِ مضطرة لذلك."

"جيد. لأن الأمر على الأرجح مجرد لعبة بالنسبة لكِ. مثل كل شيء آخر بيننا."

"لا أفهم،" استدارت ميستل نحوها، "لماذا لا ترحلين إذا كنتِ تعانين معي هكذا؟"

"لا أريد أن أكون وحدي."

"هل هذا كل شيء؟"

"وهذا كثير."

عضّت ميستل شفتها. لكن قبل أن تتمكن من قول أي شيء، سمع الاثنتان صفيرًا. فقفزتا فورًا، نفضتا الإبر العالقة على ملابسهما، وركضتا نحو الخيول.

قالت ميستل وهي تقفز إلى السرج وتستل سيفها: "لتبدأ المتعة." ثم أضافت بحدة، "منذ بعض الوقت وأنتِ تستمتعين بهذا أكثر من الآخرين، فالكا. لا تظني أنني لم ألاحظ."

بغضب، ضربت سيري الحصان بكعبيها. اندفعتا أسفل منحدر الوادي بتشنج، بينما كانت تستمعان إلى صرخات الفئران البرية الأخرى القادمة من الغابة على الجانب الآخر من الطريق. أُغلِقت فكوك المصيدة.

* * *

إنتهت الجلسة الخاصة.

غادر فاتيه دي ريدو، الفيكونت من إيدون، ورئيس الاستخبارات العسكرية للإمبراطور إمهير ڤار إمريس، المكتبة، وانحنى أمام ملكة وادي الزهور بانحناءة أقصر مما يتطلبه البروتوكول.

كان الانحناء في الوقت ذاته محسوبًا وحذرًا للغاية إذ لم يُبعد الجاسوس الإمبراطوري عينيه عن الفهدين اللذين كانا يسترخيان عند قدمي سيدة الإلف. كانت أعين القطط الزرقاء تبدو وادعة وناعسة، لكن فاتيه كان يعلم جيدًا أنها ليست حيوانات أليفة، بل حراس يقظون، مستعدون في أي لحظة لتحويل أي شخص يتجرأ على الاقتراب من الملكة إلى أشلاء دموية.

انتظرت فرانشيسكا فيندابير، المعروفة باسم إينيد آن غلينّا، أو "ملكة الوادي"، حتى أُغلِق الباب خلف فاتيه، ثم مدّت يدها لتمسّد قططها.

قالت: "حان الوقت، إيدا."

ظهرت الساحرة الإلفية، إيدا إميان آيب سيفني، إحدى الأحرار من الإلف أائين سيدهي من الجبال الزرقاء، بعد أن كانت مختبئة أثناء الاجتماع بتعويذة التخفي. راحت تعدل خصلات شعرها بلون الماهوجني، بينما استجاب الفهدان بفتح أعينهما قليلًا، إذ لم يكن بمقدور السحر خداع حواس القطط بسهولة.

قالت فرانشيسكا بابتسامة ساخرة وهي تتحرك بارتياح في كرسيها المصنوع من خشب الأبنوس: "هذا الاستعراض من الجواسيس بدأ يزعجني."

وأضافت بتهكم: "مؤخرًا، أرسل لي هنسلت من كايدوين 'قنصلًا'، وجاء ديكسترا إلى دول بلاثانا في 'بعثة تجارية'. والآن، يظهر فاتيه دي ريدو بنفسه، رئيس استخبارات الإمبراطور! أوه، ولا ننسَ أن ستيفان سكيلين قد كان يتجول هنا أيضًا، ذلك 'العظيم اللاشيء' للإمبراطورية. لكنني لم أمنحه شرف الاستماع إليه. فأنا الملكة، وسكيلين لا شيء. حتى لو كانت له سلطة، فهو لا يزال مجرد نكرة.

قالت إيدا إميان ببطء: "كان ستيفان سكيلين هنا أيضًا لرؤيتنا، وقد حالفه الحظ أكثر. تحدث مع فيلافاندريل وفانادين."

قالت فرانشيسكا بسخرية: "وكما فعل فاتيه معي، سأل عن فيلغيفورتز، وينيفر، ورييس، وكاهير ماور ديفرين آيب كيلاك؟"

"من بين أمور أخرى. ستتفاجئين، ولكن ما أثار اهتمامه كان النسخة الأصلية لنبوءة إثلين إيجلي آيب أيفينين، وخاصة المقاطع التي تتحدث عن 'آين هين إيكير'، دماء القدماء. كما كان مهتمًا ببرج لارا، برج النوارس، والأسطورة التي تقول إنه كان هناك بوابة سحرية تربط برج النوارس ببرج زيراييل، برج السنونو. كم هو نموذجي للبشر، إينيد. أن يتوقعوا منا أن نفسر لهم، بأمرٍ منهم، أسرارًا وغوامض حاولنا نحن أنفسنا فك شيفرتها لقرون."

رفعت فرانشيسكا يدها، متأملة خواتمها.

"مثير للاهتمام"، قالت، "وهل تعرف فيليبا عن هذه الهوايات الغريبة لفاتيه وسكيلين؟ وعن إمهير ڤار إمريس، الذي يخدمانه؟"

"من الحكمة الافتراض بأنها لا تعلم"، حدّقت إيدا إميان في الملكة بحدة، "وأن نخفي ذلك في اجتماع مونتيكالفو عما نعرفه، سواء عن فيليبا أو عن المجلس بأكمله. فهذا لن يعكس صورة جيدة عنا... نحن نريد لهذا المجلس أن يعمل. نريد أن يثقوا بنا، نحن السحرة الإلف، لا أن يشكوا في لعبنا على الجانبين."

"المشكلة هي أننا فعلًا نلعب على الجانبين، إيدا. ونحن نلعب بالنار. بالنار البيضاء لنيلفجارد..."

"النار تحرق"، نظرت إيدا إميان إلى الملكة مباشرة، "لكنها أيضًا تطهر. وعلينا أن نجتازها، إينيد. يجب أن يوجد هذا المجلس، يجب أن يبدأ بالعمل. مع جميع أعضائه. اثنتا عشرة ساحرة، ومن بينهن واحدة ورد ذكرها في النبوءة. حتى لو كان هذا مجرد لعبة، فلنضع ثقتنا فيها."

"وإذا كانت مجرد مكيدة؟"

"أنتِ تعرفين الأشخاص المشاركين في هذا أفضل مني."

تأملت إينيد آن غلينّا للحظة، ثم قالت أخيرًا:

"سيلا دي تانسرڤيل شخص منعزل وسري، ليس لديها أي روابط سياسية. تريس ميريجولد وكيرا ميتز لديهما، لكنهما الآن في المنفى لأن الملك فولتيست طرد جميع الساحرات من تيميريا. مارجريتا لوكس-أنتيل تهتم فقط بمدرستها ولا شيء آخر. بالطبع، في الوقت الحالي، تخضع الثلاثة الأخريات لتأثير فيليبا، وفيليبا تبقى لغزًا. سابرينا جليفيسيج لم تتخلَّ عن نفوذها السياسي، وهو في كايدوين، لكنها لن تخون المجلس. إنها تستمد القوة، وتمنحها للمجلس."

قالت فرانشيسكا، مبتسمةً ابتسامة خفيفة: "أما أسير فار أناهيد؟ وأما تلك النيلفجاردية الأخرى، التي سيتم الإعلان عنها في مونتيكالفو؟ لا أعرف عنهما الكثير، لكن بمجرد أن أراهما، سأعرف أكثر. بمجرد أن أرى، ما الذي ترتديانه وكيف."

ضيّقت إيدا إميان عينيها المرسومتين بدقة، لكنها امتنعت عن طرح أي سؤال. بعد لحظة من الصمت، قالت:

"تمثال اليشم، ذلك التمثال الغامض وغير المؤكد الذي ورد ذكره في إثلينيسبيث. ربما حان الوقت لنستمع إليه. ليخبرنا بما ينتظرنا. هل أساعدكِ في إزالة الضغط؟"

قالت فرانشيسكا، بصوت هادئ لكن حاسم: "لا، سأفعل ذلك بنفسي. أنتِ تعلمين كيف يكون ردّ الفعل عند إزالة الضغط. كلما قلّ عدد الشهود، قلّت الضربة التي تتلقاها كبرياؤها."

تحقّقت فرانشيسكا فيندابير مرة أخرى من أن الفناء بأكمله محاط بحقلٍ واقٍ يعزله عن بقية القصر، يخفيها عن الأنظار ويمنع تسرب الأصوات. ثم أشعلت ثلاث شموعٍ سوداء وثبّتها في شمعدانات مزودة بعاكسات مرآوية مقعّرة. وضعت الشمعدانات في أماكن محددة داخل دائرة الفسيفساء التي احتوت على العلامات السبع لفيكا، الأبراج الإلفية، إضافة إلى رموز تمثل بيلتين، لاماس ويول.

داخل دائرة الأبراج، كانت هناك دائرة ثانية أصغر، مرسومة برموز سحرية تحيط بخُماسية الزوايا. على ثلاثة من الرموز في الدائرة الداخلية، وضعت فرانشيسكا ثلاث قواعد حديدية صغيرة، وثبّتت عليها بعناية ثلاث بلورات مقطوعة. كانت البلورات تتناسب تمامًا مع القوالب أعلى القواعد، لذا وجب أن يكون الترتيب دقيقًا. رغم ذلك، تحققت فرانشيسكا منه عدة مرات. لم تكن تودّ المخاطرة بالفشل.

في الجوار، كان نافورة رخامية تهمس، يتدفق الماء من جرةٍ من المرمر تحملها نايادٌ حجرية، متدفقة في أربعة تيارات تنساب إلى الحوض، حيث تتحرك أوراق الزنابق المائية، وبينها كانت تسبح الأسماك الذهبية بهدوء.

فتحت فرانشيسكا الصندوق، وأخرجت تمثالًا صغيرًا من اليشم، صابونياً في ملمسه، ووضعته بدقة في منتصف الخُماسية. ثم تراجعت للخلف، ألقت نظرة أخرى على كتاب التعويذات الملقى على الطاولة، أخذت نفسًا عميقًا، رفعت يديها، ثم تلت تعويذتها.

اشتعلت الشموع بوهج أقوى، وانعكست أضواء متألقة من زوايا البلورات. تركزت الأشعة على التمثال، الذي سرعان ما تغير لونه من الأخضر إلى الذهبي، ثم أصبح شفافًا بعد لحظات. امتلأ الهواء بطاقة سحرية قوية، ارتطمت بالحاجز الواقي. قذفت إحدى الشموع شرارات على الأرضية، وبدأت الظلال تتراقص على أرضية الفسيفساء، التي بدأت هي الأخرى تتحرك، تتغير أشكالها. لم تُخفض فرانسيسكا يديها، واستمرت في إلقاء التعويذة.

راح التمثال يتغير بسرعة، نابضًا ومرتجًا، يتبدل في بنيته وهيئته كأنه سحابة من الدخان. والضوء المنبعث من البلورات، الذي اخترق هذا الدخان، كشف على حوافه حركةً وتصلبًا للمادة. بعد لحظات، ظهرت في منتصف الدائرة فجأة هيئة بشرية—امرأة ذات شعر أسود، مستلقية بلا حراك على الأرض.

انطفأت الشموع، متصاعدةً في شرائط من الدخان، وخبت البلورات. أنزلت فرانشيسكا يديها، مدت أصابعها، ومسحت العرق عن جبينها. عندها، تقلّص جسد المرأة السوداء الشعر، ثم بدأت تصرخ.

قالت فرانشيسكا بصوت عالٍ: "ما اسمكِ؟"

تلوّت المرأة على الأرض، وعوت بألم، قابضةً بيديها على أسفل بطنها.

"ما اسمكِ؟"

أجابت بصوت مبحوح بين الأنين والصراخ: "يي... يينيف... ينيفر! آآآآآه!"

تنهدت فرانشيسكا بارتياح. كانت المرأة لا تزال تتلوى، تصرخ، تأن، وتضرب قبضتيها على الأرضية، تحاول جاهدةً ألا تتقيأ. لكن فرانشيسكا انتظرت بصبر، بثقة. كان من المتوقع أن تعاني المرأة، التي كانت قبل لحظات مجرد تمثال من اليشم. لكن عقلها لم يُصب بضرر.

قالت فرانشيسكا بعد لحظات، مقاطعة الأنين: "حسنًا، ينيفر... يكفي هذا، صحيح؟"

بجهد واضح، رفعت ينيفر نفسها على يديها وركبتيها، ومسحت وجهها وعينيها بذراعها. نظرت حولها، لكن عيناها كانتا فارغتين، كأنها لا ترى شيئًا. مرّ بصرها فوق فرانشيسكا كأن الإلفية لم تكن حتى موجودة في الفناء. ثم توقفت نظراتها فجأة عند رؤية الماء المتدفق من النافورة، وكأن الحياة عادت إليها.

بصعوبة شديدة، زحفت ينيفر إلى حافة النافورة، ثم ألقت بنفسها داخل الحوض، محدثةً ضجّة مائية عالية. اختنقت، بدأت بالسعال والتجشؤ، لكنها شقت طريقها عبر زنابق الماء حتى وصلت إلى قاعدة التمثال الرخامي للناياد. هناك، جلست متكئةً على التمثال، غارقة في الماء حتى صدرها.

تلعثمت ينيفر، ويدها تتحسس النجمة المصنوعة من حجر السبج حول عنقها، بينما بدأت نظراتها تعود إلى وعيها شيئًا فشيئًا.

"فرانشيسكا... أنتِ..."

سألتها فرانشيسكا ببرود: "ماذا تتذكرين؟"

"هل ضغطتِني...؟ اللعنة، هل ضغطتِني؟"

"ضغطتُكِ، ثم أعدتُ فك الضغط عنكِ. ماذا تتذكرين؟"

"جارستانغ... الإلف... سيري... أنتِ... ثم ذلك الشعور وكأن خمسمئة وزن سقطت فجأة على رأسي... الآن فقط أدركت ماهيته. أن يتم ضغطكِ إلى قطعة أثرية..."

"ذاكرتكِ تعمل بشكل جيد. هذا أمر جيد."

خفضت يينيفر رأسها، وأخذت تحدق في الأسماك الذهبية التي كانت تسبح حول ساقيها.

تمتمت: "تأكدي من تغيير ماء البركة، إينيد... لقد تبولتُ فيها للتو."

ابتسمت فرانسيسكا بخفة: "تفصيل بسيط. لكن انتبهي ما إذا كان بإمكانكِ رؤية دم في الماء. أحيانًا، ضغط التحف يتسبب في تدمير الكلى."

"الكلى فقط؟" أخذت ينيفر نفسًا حذرًا، ثم تابعت: "لا أعتقد أن هناك عضوًا واحدًا سليمًا بداخلي... على الأقل هذا ما أشعر به. اللعنة، إينيد، ما الذي فعلته لأستحق هذا؟"

"اخرجي من الماء."

"لا، أشعر بالراحة هنا."

"أعرف. إنها الجفاف."

"التحلل. الحرمان. لماذا فعلتِ هذا؟"

"اخرجي، ينيفر."

بصعوبة، رفعت ينيفر نفسها، مستندة بكلتا يديها على الناياد الرخامية. بحركة مفاجئة، هزّت زنابق الماء عن جسدها، ثم وقفت عارية تحت الماء المنهمر. غسلت جسدها، شربت قليلًا، ثم خرجت من الحوض وجلست على الحافة، تعصر شعرها المبلل.

سألتها أخيرًا، بنبرة متعبة: "أين أنا؟"

في دول بلاثانا."

مسحت ينيفر أنفها وسألت: "هل لا تزال المعركة في ثانيد مستمرة؟"

"لا. انتهت منذ شهر ونصف."

قالت ينيفر، وعينيها تضيقان: "لا بد أنني سببت لكِ ضررًا كبيرًا، إينيد. لا بد أنني آذيتكِ بشدة. لكن يمكنكِ اعتبار أن حسابنا قد تم تصفيته. لقد انتقمتِ كما يجب، رغم أن هذا كان شديد السادية بعض الشيء. ألم يكن كافيًا أن تقطعي حلقي؟"

زمّت فرانشيسكا شفتيها وقالت ببرود: "لا تتحدثي بهذا الهراء. لقد قمت بضغطكِ لأحمي حياتكِ في جارستانغ. سنعود إلى هذا لاحقًا. خذي هذه المنشفة. وهنا ملاءة. بعد الاستحمام، سأعطيكِ ثوبًا جديدًا. في المكان المناسب، يوجد حوض ماء دافئ. لقد سببتِ الأذى لعدد كافٍ من الأسماك الذهبية."

كانت فرانشيسكا وإيدا إيمين تحتسيان النبيذ، بينما شربت ينيفر كميات كبيرة من عصير الجزر.

بعد أن استمعت إلى فرانشيسكا، لخصت بحدة:

"دعيني ألخص الأمور. لقد غزت نيلفجارد ليريا، ودمرت نصف إيدين وكيدوين، وأحرقت فينجر بيرج. والآن تحتل بروج وسودين، بينما استسلمت فيردن دون قتال. فيلغيفورتز اختفى دون أثر. تيسايا دي فريس انتحرت. وأنتِ أصبحتِ ملكة وادي الزهور. كافأكِ الإمبراطور إمهير بالتاج والصولجان مقابل تسليمه سيري، التي بحث عنها طويلًا، والآن يستخدمها كما يحلو له. وأنا، بقيت مضغوطة ومعبأة في صندوق على هيئة تمثال من اليشم لمدة شهر ونصف. وتريدين مني أن أشكركِ على ذلك؟"

"سيكون ذلك لطيفًا." أجابت فرانشيسكا فيندابير ببرود. "في ثانيد، كان هناك شخص يُدعى رينس، جعل من قتلِك ببطء وبطريقة وحشية مسألة شرف شخصي. فيلغيفورتز وعده بأن يحقق له ذلك. طاف رينس أرجاء جارستانغ بحثًا عنك. لكنه لم يجدك، لأنك كنتِ بالفعل تمثالًا من اليشم يتأرجح حول عنقي."

قالت ينيفر، وهي تشد فكّها: "كنتُ تمثالًا لمدة سبعة وأربعين يومًا."

"نعم. ومن جهتي، عندما كانوا يسألون، كنتُ أجيب بصدق بأن ينيفر من فينجر بيرج ليست في دول بلاثانا. فهم كانوا يسألون عن ينيفر، ولم يسألوا عن تمثال."

"ما الذي تغير وجعلكِ تقررين أخيرًا فكي ضغطي؟"

"الكثير. سأشرح لكِ."

"قبل أن تفعلي، أريد أن أعرف شيئًا آخر. جيرالت كان في ثانيد. الويتشر. تذكرين أنني قدمته لكِ في أريتوزا. ماذا حدث له؟"

قالت فرانشيسكا بنبرة مطمئنة: "اهدئي. إنه حي."

"أنا هادئة. أخبريني، إينيد."

"ويتشرُكِ، خلال ساعة واحدة، فعل ما لم يفعله الكثيرون طوال حياتهم. باختصار: كسر ساق ديجسترا، وقطع رأس أرتو تيرّانوفا، وقتل بوحشية نحو عشرة من السكوياتايل. آه، ولا ننسى أنه أيقظ رغبة غير صحية لدى كايرا ميتز."

"فظيع!" قالت ينيفر، متظاهرة بالاشمئزاز، وهي تعقد حاجبيها بمبالغة. "لكن كايرا استعادت رشدها منذ ذلك الحين، أليس كذلك؟ لا تحمل ضغينة، آمل ذلك. لأن ما أيقظ فيها تلك الرغبة، بلا شك، كان نقص الوقت، وليس إهمالًا متعمدًا. طمئنيها بشأن ذلك من أجلي."

ابتسمت ملكة الوادي ببرود: "ستحصلين على الفرصة لتفعلي ذلك بنفسك. وقريبًا جدًا. لكن لنعد إلى الأمر الذي تحاولين بجهد أن تتظاهري بعدم الاكتراث له. ويتشرُكِ، الذي دافع بجنون عن سيري، تصرف بغباء شديد واندفع نحو فيلغيفورتز. ولكن فيلغيفورتز حطّمه تمامًا. لم يقتله، على الأرجح، بسبب ضيق الوقت، وليس لانعدام الرغبة. إذن؟ هل ما زلتِ تتظاهرين بأن هذا لا يعنيكِ؟

"لا." قالت ينيفر بتعبير قاتم على شفتيها، متخلية عن سخريتها. "لا، إينيد. هذا يخصني. وسرعان ما سيشعر بعض الأشخاص بدهشتي. أعطيكِ كلمتي."

وكما لم تتأثر فرانشيسكا بالسخرية، لم تتحرك أمام التهديدات.

قالت ببرود: "تريس ميريجولد نقلت الويتشر، وهو شبه ميت، إلى بروكيلون. وحسب ما أعلم، لا يزال يتعافى مع الحوريات. يبدو أنه بخير، لكنه سيكون أفضل حالًا لو لم يخرج من الغابة. عملاء ديكسترا يطاردونه. كما أنهم يطاردونكِ أيضًا."

"وماذا فعلتُ لأستحق هذا الشرف؟ فأنا لم أكسر أي شيء لديكسترا... آه، لا تقولي شيئًا، دعيني أخمن بنفسي. لقد اختفيتُ من ثانيد دون أثر. لم يتخيل أحد أنني كنتُ داخل جيبك، صغيرةً ومضغوطة. الجميع مقتنع أنني هربت إلى نيلفجارد مع شركائي المتآمرين. الجميع باستثناء المتآمرين الفعليين، بالطبع، لكن هؤلاء لن يصححوا الخطأ. الحرب مستمرة، والمعلومات المضللة سلاح يجب أن يكون نصله دائمًا حادًا. والآن، بعد سبعة وأربعين يومًا، حان وقت استخدام هذا السلاح. منزلي في

فينجر بيرج قد أُحرق، وأنا مُطاردة. لا يوجد ما يمكنني فعله سوى الانضمام إلى بعض وحدات السكوياتايل. أو ربما الانضمام إلى القتال من أجل حرية الجان."

احتست ينيفر رشفة من عصير الجزر وحدقت مباشرة في عيني إيدا إيمين أيب سيفني، التي كانت تراقبها بهدوء وثبات.

"حسنًا، سيدة إيدا؟ يا ليدي الآين سيدهي الحرة من جبال الشمال الزرقاء؟ هل هذا قدري الإلهي؟ لماذا تصمتين كالصخر؟"

"أنا، يا ليدي ينيفر،" أجابت إيدا إيمين، وهي تميل برأسها قليلاً، "أصمت عندما لا يكون لدي شيء ذو معنى لأقوله. فهذا دائمًا أفضل من إلقاء الافتراضات غير المبررة وإخفاء القلق بالثرثرة. ادخلي في صلب الموضوع، إينيد. اشرحي للسيدة ينيفر ما الذي يحدث."

"أنا أسمعكِ." قالت ينيفر، وهي تلمس النجمة المعلقة بشريط من المخمل. "تحدثي، فرانشيسكا."

وضعت ملكة الوادي ذقنها على أصابعها المتشابكة.

قالت بهدوء: "اليوم هو الليلة الثانية بعد اكتمال القمر. بعد قليل، سننتقل عبر البوابة إلى قلعة مونتيكالفو، مقر فيليبا إيلهارت. سنشارك في اجتماع منظمة قد تثير اهتمامك. فقد كنتِ دائمًا من القائلين بأن السحر هو القيمة العليا، التي يجب أن تسمو فوق كل الانقسامات، والصراعات، والاختيارات السياسية، والمصالح الشخصية، والأحقاد، والعداوات. ربما ستسرّك هذه الأخبار؛ لقد أنشأنا مؤخرًا إطارًا لمثل هذه المؤسسة، شيئًا أشبه بمحفل سري، تم إنشاؤه فقط للدفاع عن مصالح السحر، وتكليفها بضمان احتلاله للمكانة التي يستحقها في التسلسل الهرمي للمجتمع. لقد سمحتُ لنفسي بترشيح اثنتين للانضمام إلى هذا الكيان: إيدا إيمين أيب سيفني، وأنتِ."

قهقهت ينيفر بسخرية: "يا له من شرف غير متوقع وترقية مفاجئة. من العدم، مباشرةً إلى محفل سري، نخبوي، وسحري. مؤسسة تسمو فوق الأحقاد والعداوات الشخصية. ولكن هل أنا مرشحة مناسبة؟ هل سأجد في نفسي القوة لأتخلص من العداوة التي أشعر بها تجاه من سرقوا سيري، أو عذبوا رجلًا لم يكن غير مبالٍ بالنسبة لي، وتجاه من قاموا بتعذيبي أنا نفسي؟"

قاطعتها فرانشيسكا ببرود: "أنا متأكدة، ينيفر، أنكِ ستجدين في نفسك القوة اللازمة لذلك. أنا أعرفكِ، وأعلم أنكِ لا تفتقرين لمثل هذه القوة. ولا تفتقرين للطموح، وهو أمر يجب أن يبدد شكوككِ حول شرف هذه الترقية. ولكن، إذا كنتِ ترغبين في أن أكون صريحة تمامًا، فسأقولها لكِ مباشرةً: لقد رشحتكِ للمحفل لأنني أعتقد أنكِ شخص يستحق ذلك، ويمكنه أن يخدم القضية كما ينبغي."

قالت ينيفر بابتسامة ساخرة: "شكرًا لكِ، إينيد. حقًا، أشعر أن الطموح، والكبرياء، والأنانية تتضخم بداخلي. سأنفجر في أي لحظة. وهذا قبل أن أبدأ حتى بالتساؤل عن سبب ترشيحكِ لي لهذا المحفل، بدلاً من ترشيح إحدى ساحرات دول بلاثانا أو الجبال الزرقاء."

أجابت فرانشيسكا ببرود: "في مونتيكالفو، يمكنكِ معرفة السبب."

"أفضل ألا أنتظر."

همست إيدا إيمين: "أخبريها."

قالت فرانشيسكا بعد لحظة من التفكير، وهي تحدق في ينيفر بعيون غامضة: "الأمر يتعلق بسيري. المحفل مهتم بها. ولا أحد يعرف الفتاة كما تعرفينها أنتِ. ستعرفين المزيد هناك."

"حسنًا." حكّت ينيفر لوح كتفها بشدة، فقد كانت بشرتها لا تزال جافة وتسبب لها الحكة بشكل لا يُطاق بسبب تأثير الضغط الذي تعرضت له. "من هم أعضاء هذا المحفل؟ باستثناءكِ وفيليبا؟"

"مارغريتا لوكس-أنتيل، تريس ميريجولد، وكيرا ميتز، شيلا دي تانسرڤيل من كوفير، سابرينا جليفيسيج، وساحرتان من نيلفجارد."

"هل هذه جمهورية نسائية دولية؟"

"يمكنكِ تسميتها كذلك."

"لا بد أنهن ما زلن يعتبرنني متواطئة مع فيلغيفورتز. هل سيقبلن بي؟"

"لقد قَبِلن بي. أما الباقي، فعليكِ تدبيره بنفسكِ. سيُطلب منكِ شرح علاقتكِ بسيري. منذ البداية، منذ الأحداث التي تورط فيها ذلك الويتشر قبل خمسة عشر عامًا، عندما دارت القصة في سينترا، وحتى الأحداث التي وقعت خلال الشهر ونصف الماضي. المحفل سيطلب منكِ الصراحة الكاملة والصدق التام، لإثبات ولائكِ."

"من قال أي شيء عن إثبات الولاء؟ أليس من المبكر بعض الشيء الحديث عن ذلك؟ بالكاد أعرف شيئًا عن قوانين وبرامج هذا التجمع النسائي الدولي..."

عقدت فرانشيسكا حاجبيها قليلًا وقالت بنبرة صارمة:
"لقد رشحتكِ لهذا المحفل، ينيفر. لكنني لا أنوي إجباركِ على أي شيء خاصة الولاء. لديكِ خيار."

"أتخيل أنه ليس خيارًا كبيرًا."

قالت فرانشيسكا بنبرة هادئة لكن حازمة: "حسنًا، يمكنكِ أن تتخيلي ذلك. لكنه لا يزال اختيارًا حرًا. ومع ذلك، أنصحكِ بشدة، ينيفر، أن تختاري الانضمام إلى المحفل. صدقيني، بهذه الطريقة يمكنكِ مساعدة سيري بشكل أكثر فاعلية بدلًا من أن تلقي بنفسكِ بشكل أعمى في دوامة الأحداث، وهو ما يبدو لي أنكِ تميلين إليه بشدة. سيري في خطر الموت. ولا يمكن إنقاذها إلا من خلال تحركنا المشترك. عندما تسمعين ما سيقال في مونتيكالفو، ستدركين أنني أقول الحقيقة... ينيفر، لا يعجبني البريق الذي أراه في عينيكِ. أعطيني كلمتكِ أنكِ لن تحاولي الهرب."

هزّت ينيفر رأسها، وهي تغطي النجمة بيدها وقالت ببرود: "لا."

تنهّدت فرانشيسكا ثم قالت بتحذير واضح: "سأحذّركِ بصدق، عزيزتي، جميع بوابات النقل السريعة الثابتة مغلقة. أي شخص يحاول الانتقال داخلًا أو خارجًا بدون إذن فيليبا سينتهي به المطاف في زنزانة مبطنة بالديميريتيريوم. لا يمكنكِ فتح بوابة بنفسكِ بالوسائل العادية. لا أريد مصادرة نجمتكِ، فأنتِ بحاجة إلى الحفاظ على سيطرتكِ على ذهنكِ. لكنني أحذّركِ! إذا حاولتِ أي شيء... لا يمكنني السماح لكِ بذلك... المحفل لا يمكنه أن يسمح لكِ بالتهور لإنقاذ سيري والانتقام. لا تنسي أنني ما زلت أحتفظ بقالبكِ وخوارزمية التعويذة. يمكنني تقليصكِ وضغطكِ إلى تمثال اليشم مرة أخرى. إذا لزم الأمر، لأشهر... أو حتى لسنوات."

قالت ينيفر ببرود، دون أن تتزحزح عن موقفها: "أشكركِ على التحذير. لكن حتى مع كل هذا، لن أعطيكِ كلمتي."

* * *

في تلك الأثناء، كانت فرينجيلا فيجو تحاول إخفاء توترها، لكنها كانت متوترة بالفعل. لطالما وبّخت السحرة الشباب في نيلفجارد بسبب انقيادهم وراء الصور النمطية الساذجة حول ساحرات الشمال – تلك الأفكار التي ترسمهن كنساء فائقات الجمال بشكل مصطنع، متعجرفات، متكبرات، مدللات إلى حدود الفجور، وأحيانًا إلى ما هو أبعد من ذلك. لكنها الآن، مع اقتراب لحظة الانتقال إلى قلعة

مونتيكالفو، وجدت نفسها ضحية للشكوك التي تساورها حول ما قد تجده هناك، وما قد يكون بانتظارها في اجتماع المحفل الغامض.

تخيلاتها الهائجة رسمت صورًا لساحرات يجلسن في قاعات مزينة بالمجوهرات، تتدلى الماسات من أعناقهن فوق صدور مكشوفة، تتوهج حلماتهن المصبوغة بالكريمزي، وشفاههن الرطبة، وأعينهن المتألقة تحت تأثير المخدرات. في خيالها المتوتر، تحولت مناقشات المحفل السرية إلى طقوس صاخبة من الفجور، تصدح فيها الموسيقى المحمومة، وتمتلئ بالأفيونات والعبيد من كلا الجنسين، وأدوات المتعة المعقدة.

أحدثت آخر عملية نقل سحري ارتجاجًا داخلها، تاركة إياها بين عمودين من الرخام الأسود، بفم جاف وعينين دامعتين بفعل تيارات السحر، بينما قبضت يدها بشدة على قلادة الزمرد التي انزلقت داخل فتحة عنقها. إلى جانبها، بدت أسيريه فار أناهد متوترة بشكل ملحوظ، رغم أن فرينجيلا اشتبهت في أن اضطراب صديقتها ربما كان سببه أكثر من مجرد القلق ربما كان عدم ارتياحها في فستانها الجديد، غير المعتاد عليها: لون أزرق بسيط وأنيق، مكمل بعقد صغير ومتواضع من الإسكندريت.

سرعان ما تبدد التوتر. القاعة الفسيحة، المضاءة بمصابيح سحرية، كانت باردة وصامتة. لم يكن هناك رجل أسود عارٍ يقرع الطبول على الطاولات، ولا فتيات يرقصن بأجساد مزينة بالمجوهرات فقط، ولا رائحة الحشيش أو مسحوق الإثارة الكانثاريد. استقبلتهما سيدة القلعة، فيليبا إيلهارت، بلباقة واهتمام، كانت ودودة ومهذبة. اقتربت باقي الساحرات وقدمن أنفسهن، وعندها أطلقت فرينجيلا زفرة ارتياح.

كانت ساحرات الشمال جميلات، فاتنات، تتلألأ المجوهرات حول أعناقهن، لكن في أعينهن، المحددة بلمسات من المساحيق التجميلية، لم يكن هناك أي أثر لتعاطي المخدرات أو هوس الشبق. لم تكشف أي واحدة منهن عن صدرها، بل على العكس، اثنتان منهن كانتا ترتديان فساتين تصل إلى أعناقهن—سيلا دي تانسرڤيل المتجهمة، وتريس ميريجولد الشابة ذات العيون الزرقاء الجميلة والشعر الكستنائي. أما سابرينا جليفيسيج السمراء، ومارجريتا لوكس-أنتيل الشقراء، وكيرا ميتز، فقد ارتدين فساتين ذات فتحات عند الصدر، لكن ليس أكثر عمقًا مما ارتدته فرينجيلا نفسها.

أعطى انتظار وصول باقي المشاركات في الاجتماع فرصةً لتبادل الحديث، حيث أتيحت لكل واحدة منهن الفرصة لتقديم نفسها. بفضل تعليقاتها اللبقة وتصريحاتها الحذقة، نجحت فيليبا إيلهارت بسرعة ومهارة في كسر الجليد—رغم أن الجليد الوحيد في القاعة كان متراكمًا على جبل من المحار. أما الجليد الآخر، فلم يكن ملموسًا.

وجدت سيلا دي تانسرڤيل، الباحثة، فورًا قواسم مشتركة مع نظيرتها أسيريه فار أناهد، فيما شعرت فرينجيلا سريعًا بانجذاب نحو تريس ميريجولد المرحة. ترافقت الأحاديث مع التهام نهم للمحار. وحدها سابرينا جليفيسيج امتنعت، مخلصةً لغابات كايدوين التي نشأت فيها، ولم تتردد في التعبير عن ازدرائها لهذه "القذارة اللزجة"، مفضلةً قطعة من لحم الغزال البارد مع البرقوق. لم ترد فيليبا إيلهارت على الإهانة بتعجرف بارد، بل جذبت حبل الجرس، ولم يمضِ وقت طويل حتى جاء الخدم، صامتين وغير ملفتين، حاملين اللحم.

شعرت فرينجيلا بالدهشة. حسنًا، فكرت في نفسها، مناطق مختلفة، عادات مختلفة.

في تلك اللحظة، بدأ البوابة السحرية بين العمودين تتوهج وتهتز. غطى الذهول وجه سابرينا جليفيسيج بلا حدود. كيرا ميتز أفلتت سكين المحار على الجليد. تريس ميريجولد شهقت بصوت مسموع.

ثلاث ساحرات عبرن البوابة. ثلاث ساحرات إلفيات. إحداهن بشعر ذهبي داكن، والثانية بشعر كستنائي محمر، والثالثة بشعر حالك السواد.

قالت فيليبا، بصوت لم يُظهر أي مشاعر، وإن ضاقت عيناها بحذر شديد: "مرحبًا بكِ، فرانشيسكا."

ابتسمت فرانشيسكا، ذات الشعر الذهبي العذب، ملاحظةً دهشة فيليبا بوضوح، وقالت: "كان لي شرف تقديم اثنتين من المرشحات لهذا الاجتماع. جميعكن تعرفن ينيفر من فينجربيرج. وأقدّم لكنّ السيدة إيدا إيمان أيب سيفني، آين سايفهيرن من جبال البلور."

انحنت إيدا إيمان برأسها قليلًا، متأرجحةً خصلاتها الحمراء، وهمس ثوبها الفاخر وهو ينحني معها.

قالت فرانشيسكا وهي تتفحّص الوجوه من حولها: "أفترض أننا مكتملون."

قالت سابرينا جليفيسيج بصوت منخفض، لكنه لم يخلُ من الغضب الظاهر، وهي تحدّق في ينيفر بعينين ثاقبتين: "ما زلنا نفتقد فيلغيفورتز."

غمغمت كيرا ميتز بتهكم: "وسكوياتايليون مختبئون في القبو." فتجمدت تحت نظرة صارمة من تريس.

بدأت فيليبا بالتعريف بين الحاضرات. راحت فرينجيلا تحدّق بفضول في فرانشيسكا فيندابير، إينيد آن جليانا، ملكة الوادي، الملكة الشهيرة لدول بلاثانا، حاكمة الإلفيين الذين استعادوا وطنهم حديثًا. فكّرت فرينجيلا أن الشائعات عن جمالها الأخّاذ لم تكن مبالغة.

أما إيدا إيمان، الإلفية ذات الشعر الأحمر والعينين العميقتين، فقد أظهرت اهتمامًا حقيقيًا بكل ما حولها، حتى بالساحرتين النلفجارديتين. لم يكن الإلفيون الأحرار من جبال البلور يحافظون على أي علاقات، لا مع البشر ولا حتى مع أقربائهم من الإلفيين الذين عاشوا بينهم. وكانت الآين سايفهيرن، أي "العالمون"، نادرين للغاية حتى بين الإلفيين الأحرار، وكانوا أقرب إلى الأساطير. قلة قليلة من الناس، حتى من بين الإلفيين أنفسهم، يمكنهم التفاخر بمعرفة قريبة بآين سايفهيرن. لم تكن إيدا متميزة فقط بلون شعرها، بل في زينتها أيضًا، حيث لم يكن بين مجوهراتها أي معدن أو حجر كريم، بل كانت ترتدي اللؤلؤ والمرجان والكهرمان فقط.

لكن مصدر الإثارة الأكبر كان الساحرة الثالثة بلا شك ينيفر، ذات الشعر الفاحم، المتشحة بالأسود والأبيض. وعلى عكس الانطباع الأول لدى فرينجيلا، لم تكن إلفية. لقد كان ظهورها في مونتيكالفو مفاجأة عظيمة، ولم تكن سارة للجميع. شعرت فرينجيلا بهالة من النفور والعداء تنبعث من بعض الساحرات تجاهها.

حين قُدمت الساحرتان النلفجارديتين، توقفت فرينجيلا عند عيني ينيفر البنفسجيتين. كان التعب واضحًا فيهما، تحيط بهما هالات داكنة لم يستطع حتى المكياج إخفاءها.

قالت ينيفر، وهي تلمس النجمة المصنوعة من السبج عند حلقها: "نحن نعرف بعضنا."

ساد الصمت في الغرفة فجأة، مشحونًا بالترقب.

كررت ينيفر، متعمقة في نظرتها: "لقد التقينا سابقًا."

تجهمت فرينجيلا وهي تحدق بها: "لا أذكر ذلك."

قالت ينيفر ببرود: "لست متفاجئة. أما أنا، فذاكرتي جيدة عندما يتعلق الأمر بالوجوه والهيئات. لقد رأيتك على تل سودين."

رفعت فرينجيلا فيجو رأسها بفخر، وعيناها تجولان بين الحاضرات: "وبذلك، لا شك في الأمر. كنت على تل سودين."

توقعت فيليبا إيلهارت الرد وتدخلت بسرعة: "كنت هناك أيضًا، وأتذكر أشياء كثيرة. لكنني لا أظن أن استدعاء الذكريات القديمة، خاصة بطريقة مبالغ فيها وغير ضرورية، سيفيدنا هنا. ما نحن على وشك الشروع فيه سيُخدم بشكل أفضل بالنسيان، والتسامح، والمصالحة. هل توافقينني الرأي، ينيفر؟"

أزاحت الساحرة ذات الشعر الأسود خصلة حلزونية عن جبينها، وقالت بجفاء: "عندما أكتشف أخيرًا ما تنوون القيام به هنا، سأخبرك يا فيليبا بما أوافق عليه... وما لا أوافق عليه."

قالت فيليبا ببرود: "في هذه الحالة، من الأفضل أن نبدأ بلا تأخير. سيداتي، تفضلن بالجلوس."

تم تحديد أماكن الجلوس حول الطاولة المستديرة—باستثناء مقعد واحد بقي فارغًا. جلست فرينجيلا إلى جانب أسير فار أناهيد، والمقعد على يمينها بقي شاغرًا، ما فصلها عن سيلي دي تانزرفيل، التي كانت تجلس بجوار سابرينا جليفيسيج وكيرا ميتز. إلى يسار أسير جلست إيدا إيمان، ثم فرانشيسكا فيندابير، وأخيرًا ينيفر. وفي الجهة المقابلة تمامًا لأسير، جلست فيليبا إيلهارت، وبجوارها إلى اليمين مارجريتا لوكس-أنتيل، وإلى اليسار تريس ميريجولد.

كانت جميع الكراسي ذات مساند منحوتة على شكل أبي الهول.

بدأت فيليبا الحديث. كررت الترحيب، ثم شرعت مباشرة في صلب الموضوع. كانت فرينجيلا قد تلقت ملخصًا مفصلًا من أسير فار أناهيد عن الاجتماع السابق للمجلس، فلم تسمع في المقدمة أي جديد. لم تفاجأ بتصريحات الساحرات، ولا بموضوع النقاش الأول. لكنها شعرت ببعض الإحراج عندما كان أول موضوع يُطرح هو الحرب مع إمبراطورية نيلفجارد، وخاصة العمليات العسكرية الأخيرة في سودين وبروج، حيث اشتبكت الجيوش الإمبراطورية مع جيش تيميريا.

على الرغم من الطابع غير السياسي المفترض للمجلس، لم تستطع بعض الساحرات إخفاء آرائهن. بدا على البعض منهن القلق الواضح من اقتراب نيلفجارد من أبوابهن. شعرت فرينجيلا بمشاعر متضاربة؛ فقد كانت تفترض أن أشخاصًا مستنيرين كهؤلاء سيدركون أن الإمبراطورية ستجلب إلى الشمال الثقافة، والرفاهية، والنظام، والاستقرار السياسي. لكن، من ناحية أخرى، لم تكن متأكدة من شعورها لو كانت جيوش أجنبية تقترب من وطنها.

لكن فيليبا إيلهارت، على ما يبدو، كانت قد ضاقت ذرعًا بالمناقشات حول القضايا العسكرية.

قالت: "لا أحد يستطيع التنبؤ بنتيجة الحرب. والأهم من ذلك، فإن أي تنبؤ سيكون بلا معنى. دعونا نحلل أحدث التطورات بعقل بارد. أولًا، لا أعتبر الحرب أسوأ الشرور. هناك ما هو أكثر إلحاحًا، مثل آثار الاكتظاظ السكاني، التي في ظل هذا المستوى من تطور الزراعة والصناعة، قد تؤدي إلى مجاعة شاملة. ثانيًا، الحرب ليست سوى استمرار لسياسات الحكام. كم منهم سيعيش لمئة عام؟ لا أحد، بالطبع. كم من السلالات الحاكمة ستظل قائمة؟ لا يمكن التنبؤ بذلك. النزاعات الإقليمية اليوم، والصراعات الأسرية، والطموحات والآمال الحالية، بعد مئة عام، لن تكون سوى رماد وغبار في سجلات

التاريخ. لكن، إن تم جرّنا إلى هذه الحروب، سننتهي نحن أيضًا إلى رماد وغبار. أما إذا نظرنا إلى ما هو أبعد من الرايات، إذا أغلقنا آذاننا عن صرخات المعركة والمشاعر الوطنية، فسننجو. ونحن بحاجة إلى النجاة. يجب أن نبقى، لأن لدينا مسؤولية. ليست تجاه الملوك ومصالحهم الضيقة المرتبطة بممالكهم الفردية. نحن مسؤولون عن العالم. عن التقدم. عن التغيرات التي يجلبها هذا التقدم. نحن مسؤولون عن المستقبل."

قالت فرانشيسكا فينداباير: "تيسايا دي فريس كانت ترى الأمر بطريقة مختلفة. لقد كانت تؤمن دائمًا بالمسؤولية تجاه الناس العاديين والبسطاء. ليس في المستقبل، بل هنا والآن."

قالت فيليبا ببرود: "تيسايا دي فريس ماتت. لو كانت حية، لكانت بيننا الآن."

ابتسمت ملكة الوادي، ثم قالت: "ربما. لكنني لا أعتقد أنها كانت ستوافق على نظرية الحرب كعلاج للمجاعة والاكتظاظ السكاني. انتبهن جيدًا للكلمة الأخيرة، زميلاتي العزيزات. هذه النقاشات التي نخوضها الآن تجري بلغة مشتركة، لتسهيل الفهم. لكنها بالنسبة لي لغة أجنبية، وتزداد غرابتها يومًا بعد يوم. في لغتي لا توجد كلمة تعني 'الاكتظاظ السكاني'، فلو أردنا ابتكار كلمة مرادفة لها، فستكون نحتًا لغويًا حديثًا. تيسايا دي فريس، كانت دائمًا تهتم بمصير البشر العاديين. أما أنا، فلا يقلّ مصير الجني العادي أهمية عندي. يمكنني أن أتفق مع فكرة الاهتمام بالمستقبل فقط، واعتبار الحاضر أمرًا زائلًا. لكن يؤسفني القول إن اليوم هو ما يحدد الغد، وإذا لم ننتبه، فسيكون الغد بلا مستقبل. بالنسبة لكم، أنتم البشر، قد يكون من السخيف الحزن على احتراق شجيرة بلسان بسبب رياح الحرب، فهناك دائمًا شجيرات أخرى، فما الذي يهم؟ لكن لاحظن، أن ما هو بالنسبة لكم مجرد سياسة، هو بالنسبة لنا نحن الجان مسألة بقاء مادي."

قالت مارجريتا لوكس-أنتيل، رئيسة أكاديمية السحر، بصوت عالٍ: "السياسة لا تهمني. كل ما أريده هو ألا تُستخدم الفتيات اللواتي أُشرف على تعليمهن كأدوات حرب تُعبًّأ بشعارات حب الوطن ويُدفع بهن إلى ساحات المعارك. موطن هؤلاء الفتيات هو السحر، وهذا ما أعلمهن إياه. فإذا قام أحدهم بإرسال فتياتي إلى الحرب، ليضعهن على تلة سودين جديدة، فسيخسرن، بغض النظر عن نتيجة المعركة. أفهم مخاوفكِ يا إينيد، لكن علينا أن نركز على مستقبل السحر، وليس القضايا الراديكالية."

قالت سابرينا غليفسيج بحدة: "علينا أن نهتم بمستقبل السحر، لكن مستقبل السحر يتحدد بوضع السحرة. وضعنا. قيمتنا. الدور الذي نلعبه في المجتمع. الثقة، الاحترام، المصداقية، الاعتقاد العام بضرورتنا، بأن السحر ضرورة لا غنى عنها. لدينا خيار واضح – إما أن نفقد مكانتنا ونعزل أنفسنا في

أبراج عاجية، أو أن نقدم خدماتنا. حتى لو كانت تلك الخدمة في تلال سودين، حتى لو كنا قادة عسكريين في ساحات القتال..."

قالت تريس ميريجولد، وهي ترمي شعرها الكستنائي للخلف: "أو أن نصبح خدمًا ورسلاً؟ ننحني برؤوسنا، مستعدين لتنفيذ الأوامر فور أن يحرّك الإمبراطور إصبعه؟ لأن هذا، في نهاية المطاف، هو الدور الذي ستمنحه لنا نيلفجارد إذا تمكنت من غزونا."

قالت فيليبا بلهجة حازمة: "إذا تم غزوكم، فلن يكون أمامنا خيار. سنضطر إلى الخدمة. لكن ليس خدمة الملوك أو الأباطرة، ولا السياسة اليومية. ولا حتى قضية دمج الأعراق، لأنها أيضًا خاضعة للأهداف السياسية الحالية. لم يُعقد مجمعنا، سيداتي العزيزات، لكي نتكيف مع هذه السياسات أو مع التقلبات اليومية في ميادين القتال. ولا لكي نلهث وراء حلول مؤقتة نغير بها جلدنا مثل الحرباء. إن دور المحفل هو أن يكون فاعلًا. وأن يكون معارضًا لما ذكرتُه للتو. وعلينا أن نقوم بذلك بكل الوسائل المتاحة لدينا."

رفعت شيلا دي تانسرڤيل رأسها قائلة: "إذا فهمتُكِ بشكل صحيح، فأنتِ تحثّيننا على التأثير الفعّال في مجرى الأحداث؟ بكل الوسائل؟ حتى غير القانونية منها؟"

أجابت فيليبا بحدة: "عن أي قوانين تتحدثين؟ هل تقصدين تلك التي خُطّت لحماية الضعفاء والعاجزين؟ أو تلك التي تُسجَّل في المدونات القانونية ويستخدمها المحامون؟ نحن لا تربطنا سوى قاعدة واحدة: قانوننا!"

ابتسمت ساحرة كوفير بمكر، وقالت: "فهمتُ. إذن نحن مكلفات بالتأثير الفعلي في مجريات الأمور. وإذا لم نحب سياسة الحكام، فإننا ببساطة نغيّرها. أهذا هو مقصودكِ يا فيليبا؟ أوليس من الأفضل، بالمناسبة، أن نطيح بهؤلاء الحمقى المتوجين، ونعزلهم ونطردهم؟ لماذا لا نأخذ السلطة بأيدينا؟"

رفعت فيليبا ذقنها قليلًا وقالت ببطء: "لقد جلسنا أكثر من مرة على عروش الحكام. لكن خطأنا كان أننا لم نجلس على عرش السحر. لم نمنح السحر يومًا سلطة مطلقة. آن الأوان لنصحح ذلك الخطأ."

انحنت سابرينا غليفسيج إلى الأمام فوق الطاولة وقالت ساخرة: "وتقصدين نفسكِ، بالطبع؟ ملكة ريدانياً؟ جلالة الملكة فيليبا الأولى؟ مع ديكسترا زوجًا للأميرة؟"

ابتسمت فيليبا ببرود، وقالت: "أنا لا أعني نفسي. ولا أعني مملكة ريدانيا. ما أعنيه هو المملكة العظمى للشمال، التي ستنشأ من كوفير الحالية. إمبراطورية تساوي في قوتها نيلفجارد، فتُعيد التوازن إلى العالم أخيرًا. إمبراطورية يحكمها السحر، وسنصل إلى عرشها عن طريق تزويج وريث كوفير بساحرة.

نعم، لقد سمعتنّ بشكل صحيح، زميلاتي العزيزات. وأنتنّ تنظرن في الاتجاه الصحيح. نعم، هنا على هذه الطاولة، هناك مقعد فارغ، ستجلس عليه الساحرة الثانية عشرة. ومن هناك، ستجلس على العرش."

كسرت شيلا دي تانسرڤيل الصمت الذي ساد، وقالت بنبرة يملؤها السخرية: "إنه مشروع طموح بالتأكيد، يستحق كل من يجلس هنا. وهو يبرر تمامًا وجود هذا المحفل. في النهاية، سيكون من المهين لنا أن يُوكل إلينا هدف أقل نُبلًا، حتى وإن كان متأرجحًا بين الواقع والإمكان. سيكون الأمر أشبه بمحاولة دق مسمار باستخدام أسطرلاب. لا، لا، من الأفضل أن نبدأ بمهمة مستحيلة تمامًا."

سألت فيليبا، بنبرة حادة: "ولماذا تعدّها مستحيلة؟"

قالت سابرينا غليفسيج: "تحلّي ببعض الرحمة، فيليبا. لن يقبل أي ملك أبدًا بالزواج من ساحرة، ولن يقبل أي بلد بوجود ساحرة على العرش. لقد كان هذا العرف قائمًا منذ قرون. قد لا يكون عرفًا ذكيًا، لكنه مع ذلك موجود."

أضافت مارجريتا: "هناك أيضًا عوائق تقنية، إن صح التعبير. أي شخص يمكننا دفعه إلى بيت كوفير الملكي، يجب أن يستوفي شروطًا عديدة، من طرفنا ومن طرف العائلة الملكية. وهذه الشروط تستبعد بعضها البعض تلقائيًا. ألا تدركين هذا، فيليبا؟ بالنسبة لنا، يجب أن تكون شخصية متعلمة في السحر، مكرّسة تمامًا لقضية السحر، مدركة لدورها وقادرة على لعبه ببراعة، دون إثارة الشبهات. دون مساعدة، ودون أن تكون مجرد ظل لقوة خفية تُوجّه غضب العامة عند أول اضطراب. وفي ذات الوقت، يجب أن تكون شخصية يمكن لكوفير نفسها أن تقبلها كملكة وزوجة لوريث العرش، دون أي ضغط ظاهر من جهتنا."

أومأت فيليبا برأسها وأجابت بهدوء: "هذا صحيح."

تابعت مارجريتا بحدة: "ومن تعتقدين أن كوفير ستختارها دون ضغط؟ فتاة من العائلة الملكية، تجري في عروقها الدماء الملكية منذ أجيال. فتاة شابة، مناسبة لولي العهد الشاب. فتاة قادرة على الإنجاب، لأن الأمر يتعلق بسلالة حاكمة. هذا يضع شروطًا صارمة ويستبعدكِ أنتِ، فيليبا، ويستبعدني أنا، بل ويستبعد كايرا وترس، رغم أنهما الأصغر بيننا. كما أنه يستبعد كل الفتيات المتدربات في أكاديميتي، لأن براعمهن لم تتفتح بعد، ومن المستحيل أن تجلس إحداهن هنا على هذا الكرسي الفارغ كالساحرة الثانية عشرة. بعبارة أخرى، حتى لو أصيبت كوفير بالجنون ووافقت على زواج ملكها من ساحرة، فإنه لا توجد ساحرة تناسب هذا الدور. إذن، من ستكون هذه ملكة الشمال؟"

قالت فيليبا ببرود، كأنها تلقي الحقيقة القاطعة: "فتاة ذات دم ملكي، في عروقها يسري دم أعظم السلالات. شابة قادرة على الإنجاب. فتاة ذات قدرات غير مسبوقة في السحر التنبؤي، تحمل دماء القدماء. فتاة يمكنها أداء دورها دون توجيه أو إدارة أو سلطة خفية، لأنها قد وُلدت لهذا الدور. فتاة قدراتها ستكون سرًا محفوظًا لدينا وحدنا. سيريلّا، ابنة بافيتا من سينترا، وحفيدة اللبوة كالانثي. وريثة الدم القديم، اللهب الأبيض للشمال، الهدّامة والبنّاءة، تلك التي تنبأت بقدومها النبوءات منذ مئات السنين. سيريلّا من سينترا، ملكة الشمال. ومن دمها، ستولد ملكة العالم."

* * *

عند رؤية الجرذان يتساقطون في الكمين، استدار اثنان من الفرسان المرافقين للعربة وهربا. لم تكن لديهم أي فرصة. انقض عليهم جيزيلهير، ريف وإيسكرا، وقطعوا طريق هروبهم، وبعد صراع قصير ذبحوهم دون تردد. أما كايليغ، وآسي، وميستل فقد هاجموا الفارسين المتبقيين اللذين كانا على استعداد للدفاع عن العربة التي تجرها أربعة خيول حتى الرمق الأخير. شعرت سيري بإحباط وغضب طاغيين. لم يتركوا لها أي خصم. بدا الأمر وكأنها لن تحظى بفرصة للقتل.

لكن لا يزال هناك فارس واحد، شاب يمتطي جوادًا سريعًا كان في مقدمة العربة. كان بإمكانه الفرار، لكنه لم يفعل. استدار، استل سيفه، وانطلق يركض مباشرة نحو سيري. أوقفت حصانها الصغير، وتركته يقترب. حين هجم، ناهضًا في ركابه، انحنت متدلّية من السرج، مراوغةً ضربته برشاقة، ثم عادت لتستقيم على سرجها من جديد. كان الشاب مبارزًا سريعًا وماهرًا، فوجه لها ضربة أخرى. هذه المرة صدّتها جانبًا، ثم أوهمته بضربة إلى وجهه. بشكل غريزي، رفع يده ليحمي وجهه، فانزلقت شفرتها فوق سيفه واندفعت أسفل إبطه، تمامًا كما تدربت لساعات في كير مورهين. انزلق النيلفجاردِي عن سرجه وسقط أرضًا، ثم نهض جاثيًا على ركبتيه، يصرخ، محاولًا بيأس وقف الدماء المتدفقة بعنف من شريانه. حدقت فيه سيري للحظة، مأخوذة، كما هو الحال دائمًا، برؤية رجل يكافح بكل قوته ضد الموت. انتظرت حتى نزف حتى الموت. ثم استدارت دون أن تنظر خلفها.

انتهى الكمين. كانت الحراسة ممددة على الأرض تحت أقدامهم. تمكن ريف وآسي من إيقاف العربة، بينما كانا يُحكمان قبضتهما على رجلين يمسكان بعنان الخيول. الشاب الذي كان متمسكًا بالعنان الأيمن، يرتدي حلة ملونة، سقط على الأرض وهو يبكي ويتوسل طلبًا للرحمة. أما السائق فألقى لجامه أرضًا وبدأ يتضرع، مشبكًا يديه كما لو كان يصلي. اقترب جيزيلهير، إيسكرا وميستل من العربة، بينما قفز كايليغ من فوق جواده وانتزع الباب بعنف. اقتادت سيري حصانها بالقرب منهم، ثم ترجّلت، وسيفها الملطخ بالدماء لا يزال في يدها.

داخل العربة، جلست سيدة ممتلئة ترتدي ثوبًا فضفاضًا وقبعة، تحتضن فتاة شاحبة للغاية ترتدي فستانًا أسود، مُحكم الأزرار حتى العنق مع ياقة دانتيل. لاحظت سيري أن الفستان مزين بجوهرة. جميلة جدًا.

قالت إيسكرا، مصفقة بيديها عند رؤية خيول الجر: "يا لها من خيول رائعة! كأنها لوحة فنية! سنجني كومة من الفلورين مقابلها!"

كشف كايليغ عن أسنانه مبتسمًا للمرأة والفتاة، وقال: "والعربة أيضًا. سيقودها العريس والسائق إلى المدينة. وعندما تصبح الطريق وعرة، ستترجل السيدات النبيلات وتساعدن في الدفع."

شهقت السيدة، مرتعدة من الخوف، وهي تحدق في كايليغ، خوفها من ابتسامته الوضيعة كان أشد من خوفها من السيف المغطى بالدماء في يد سيري: "أيها اللصوص النبلاء! أستحلفكم بشرفكم! لا تُدنّسوا هذه الفتاة البريئة!"

ضحك كايليغ ساخرًا، ونادى بصوت عالٍ: "مستل، أسمعتِ؟ إنهم يناشدون شرفك!"

تجهم جيزيلهير وهو ما زال على سرجه، وقال بحدة: "أغلق فمك، لا أحد يجد نكاتك مضحكة. وأنتِ، اهدئي أيتها السيدة، نحن الجرذان، لا نحارب النساء ولا نؤذيهن. ريف، سبارك، فكّا اللجام! مستل، استولي على الخيول! بسرعة!"

ضحك كايليغ مجددًا، مكشّرًا عن أسنانه، وهو يحدّق في وجه الفتاة الشاحبة ذات الفستان الأسود: "نحن الجرذان، ولا نحارب النساء، لكننا أحيانًا نستمتع بهن، إن رغبن في ذلك. وأنتِ، يا آنسة؟ أما تشعرين بحكة بين ساقيك؟ لا خجل في ذلك. فقط أومي برأسك."

صرخت السيدة مرتجفة، بصوت منكسر: "أظهر بعض الاحترام! كيف تجرؤ على مخاطبة البارونة بهذه الطريقة، أيها الخارج عن القانون؟"

ضحك كايليغ، وانحنى بانحناءة مبالغ فيها: "أطلب العفو. لم أقصد الإهانة. ماذا، أليس مسموحًا لي حتى بالسؤال؟"

صاحت إيسكرا بحدة: "كايليغ! تعال إلى هنا! لماذا تماطل؟ ساعدني في فك اللجام! فالكا! تحركي!"

لم ترفع سيري عينيها عن الشعار المرسوم على باب العربة، وحيد قرن فضي على خلفية سوداء.

"وحيد القرن..." فكرت. "لقد رأيت مثل هذا من قبل... متى؟ في حياة أخرى؟ أم ربما كان مجرد حلم؟"

صرخت مستل: "فالكا! ما خطبك؟"

أنا فالكا. لكنني لم أكن كذلك دائمًا. لم أكن كذلك دائمًا.

أحكمت شفتيها، وراودتها فكرة أخرى. "لقد كنت قاسية مع مستل"، فكرت. "لقد جرحتها. يجب أن أعتذر لها بطريقة ما."

خطت بقدمها على سلم العربة، وعيناها مثبتتان على الجوهرة التي تزين فستان الفتاة الشاحبة.

قالت بجفاف: "أعطيني إياها."

شهقت السيدة الممتلئة، واهتز صوتها من الغضب والصدمة: "كيف تجرؤين؟ هل تعلمين من تخاطبين؟ إنها البارونة النبيلة من كاساداي!"

نظرت سيري حولها، متأكدة من أن لا أحد يسمع.

همست بشراسة، نبرتها تقطر سخرية واحتقارًا: "بارونة؟ لقب تافه. وحتى لو كانت هذه الطفلة كونتيسة، لكان عليها أن تنحني لي حتى تلامس مؤخرتها الأرض وينخفض رأسها أكثر. أعطني البروش! ماذا تنتظرين؟ أم يجب أن أنتزعه منكِ، مع مشدّك أيضًا؟"

* * *

ساد الصمت على الطاولة بعد خطاب فيليبا إيلهارت، لكنه لم يدم طويلًا، إذ تحول بسرعة إلى فوضى من الضجيج والصخب.

تعالت أصوات الساحرات، تملؤها الدهشة وعدم التصديق، مطالبات بتفسيرات. بعضهن بلا شك كنّ على علم بالكثير حول هذه الحاكمة المتنبأ بها للشمال، سيرّيلا أو سيري، وهو اسم سمعنه من قبل، لكنهن كنّ يعلمن القليل فقط.

فرينجيلا فيغو لم تكن تعرف شيئًا عن الشكوك والتكهنات، وانصب تركيزها بشكل رئيسي على خصلة شعر معينة. أما أسير، فقد التزمت الصمت، وأمرتها بنظرة واحدة أن تبقى كذلك.

عادت فيليبا إيلهارت للكلام مرة أخرى:
"رأى معظمنا سيري في تانيد، حيث كانت في حالة غيبوبة وتسببت نبوءاتها في قدر كبير من

الاضطراب. بعضنا كان لديه اتصال وثيق بها. وأتحدث هنا تحديدًا عنكِ، ينيفر. حان الوقت لتتحدثي."

حين بدأت ينيفر بسرد قصتها عن سيري، راقبت تريس ميريجولد صديقتها عن كثب. تحدثت ينيفر بهدوء، دون انفعال، لكن تريس كانت تعرفها منذ زمن طويل، وكانت تعرفها جيدًا.

لقد رأتها في مواقف عديدة، حتى تلك التي تسببت لها بالتوتر والإرهاق والاكتئاب. ولم يكن هناك شك في أن ينيفر كانت في تلك الحالة الآن. بدت محبطة، متعبة، ومريضة.

بينما كانت الساحرة تتحدث، كانت تريس، التي تعرف القصة وصاحبتها، تولي اهتمامها لمن يستمع. خصوصًا الساحرتين القادمتين من نيلفجارد.

أسير فار أناهيد، تغيرت كثيرًا، كانت تراقب بتركيز شديد، لكنه كان واضحًا أنها لا تزال تشعر بعدم الارتياح حيال مظهرها وزيّها العصري. أما فرينجيلا فيغو، الأصغر سنًا، فبدت ودودة، طبيعية الرشاقة، أنيقة ببساطة، بعينين خضراوين وشعر أسود كينيفر، لكنه كان أقل كثافة، أقصر، ومصففًا بنعومة.

لم تبدُ الساحرتان من نيلفجارد ضائعتين وسط تعقيدات قصة سيري، رغم أن رواية ينيفر كانت طويلة ومتشابكة.

بدأت من قصة الحب الشهيرة في سينترا بين بافيتا والشاب المسحور الذي كان على هيئة قنفذ، تحدثت عن دور جيرالت وقانون المفاجأة، وعن الرباط الذي جمع بين سيري والويتشر.

تحدثت عن لقاء جيرالت بسيري في بروكيلون، وعن الحرب، عن اختفائها وإيجادها، عن تدريبها في كاير مورهن. عن عميل نيلفجارد، ريينس، وكيف طارد الفتاة بلا هوادة. عن دراستها في معبد ميليتيل وعن قدراتها الغامضة.

"إنهن يستمعن بوجوه متحجرة"، فكرت تريس وهي تنظر إلى أسير وفرينجيلا.

"مثل أبو الهول. لكن من الواضح أنهن يخفين شيئًا. غريب، ترى ما هو؟ هل هنّ مندهشات لأنهن لم يعرفن أن إمير كان يحاول اختطافها إلى نيلفجارد؟ أم أنهنّ يعرفن كل شيء منذ فترة طويلة، ربما حتى أكثر مما نعرف نحن؟"

"بعد لحظات، ستتحدث ينيفر عن وصولها إلى تانيد مع سيري، وعن الكلمات التي قالتها وهي في حالة النبوءة، والتي سببت كل هذه الضجة. وعن المعركة الدموية في جارستانج، التي انتهت بتشويه جيرالت واختطاف سيري. عندها، ستنتهي التمثيلية"، فكرت تريس، "وستسقط الأقنعة."

"الجميع يعرف أن ما حدث في تانيد كان من فعل نيلفجارد. وعندما تتجه كل العيون إليكن، أيتها النيلفجارديات، لن يكون أمامكنّ خيار سوى التحدث. وحينها، ستتضح بعض الأمور، وسأتمكن أنا أيضًا من معرفة المزيد. كيف اختفت ينيفر من تانيد؟ ولماذا ظهرت فجأة هنا في مونتيكالفو مع فرانشيسكا؟ ومن تكون، وما هو دور إيدا إمين، العرافة الأين سيفهرن القادمة من الجبال الزرقاء؟"

"ولماذا أشعر أن فيليبا إيلهارت تخفي أكثر مما تفصح عنه، لكنها مع ذلك تعلن ولاءها المطلق للسحر وليس لديكسترا، الذي لا تزال تتبادل معه الرسائل باستمرار؟"

"وربما سأعرف أخيرًا من تكون سيري حقًا. سيرّيلا، ملكة الشمال بالنسبة لهنّ، لكنها بالنسبة لي تلك الفتاة الرمادية الشعر من كاير مورهن، التي أذكرها كأخت صغيرة."

سمعت فرينجيلا فيغو القليل عن السحرة، هؤلاء المحترفين الذين اعتادوا قتل الوحوش والمخلوقات. أصغت باهتمام إلى قصة ينيفر، استمعت إلى نبرة صوتها، راقبت تعابير وجهها. لكنها لم تنخدع. كان الرابط العاطفي القوي بين ينيفر وسيري واضحًا. وبالمثل، لم يكن خافيًا أيضًا ما كان بين الساحرة والويتشر.

بدأت فرينجيلا تتأمل، لكن أصواتًا مرتفعة قطعت أفكارها. كانت قد خمّنت بالفعل أن بعض الحاضرين هنا كانوا في معسكرات متعارضة خلال تمرد ثانيد؛ لذا لم تتفاجأ حينما ظهرت العداوات على الطاولة على شكل تعليقات موجهة إلى ينيفر. بدا وكأن شجارًا على وشك أن يندلع، لولا أن فيليبا إيلهارت أجهضته دون تردد، إذ صفعت بكفها المفتوحة سطح الطاولة بقوة حتى رنّت الأكواب والكؤوس.

قالت بصوت صارم:

"كفى!"

ثم صرخت: "اصمتي، سابرينا! لا تدعيهم يستفزونك، فرانشيسكا! لا مزيد من الحديث عن ثانيد وغارستانغ. لقد أصبحت تلك أحداثًا من الماضي!"

التاريخ... فكّرت فرينجيلا، بمشاعر متضاربة. لكنه تاريخ شاركوا في صنعه، حتى وإن كانوا على جوانب متعارضة. كانوا يعلمون ما يفعلونه، ولماذا يفعلونه. أما نحن، ساحرات الإمبراطورية، فلا نعلم شيئًا. في الواقع، نحن كفتيات يُرسلن في مهام، يدركن أنهن مُرسلات لكن لا يعرفن السبب. حسنًا، فكّرت، لأن ما حدث هو ما أدى إلى تشكيل هذه الأخوية. والشيطان وحده يعلم كيف سينتهي الأمر، لكنه قد بدأ بالفعل.

قالت فيليبا بحدة:

"تابعي، ينيفر."

ضغطت الساحرة ذات الشعر الأسود شفتيها وقالت ببرود:

"ليس لدي ما أقوله بعد." ثم كررت: "كانت تسّايا دي فريس هي من أمرتني بإحضار سيري إلى غارستانغ."

"من الأسهل إلقاء اللوم على الأموات." تمتمت سابرينا غليفيسيغ ساخرة، لكن فيليبا أسكتتها بإشارة مفاجئة.

قالت ينيفر، وقد بدت شاحبة ومنزعجة بوضوح:

"لم أرد التدخل فيما كان يحدث في أريتوزا. أردت فقط أخذ سيري والهرب من ثانيد. لكن تسّايا أقنعتني بأن ظهور الفتاة في غارستانغ سيكون صادمًا للكثيرين، وأن تقديمها أمامهم في حالة من الغيبوبة وهي تتحدث بالنبوءات قد يجنّب وقوع النزاع. لا ألومها، لأنني كنت أظن الشيء نفسه. كلانا ارتكبنا خطأً. لكن خطئي كان أكبر. لو أنني تركت سيري في رعاية ريتا..."

"ما حدث لا يمكن التراجع عنه." قاطعتها فيليبا بحدة. "الأخطاء يمكن أن تحدث لأي شخص. حتى لتسّايا دي فريس. متى رأت تسّايا سيري لأول مرة؟"

أجابت مارغريتا لوكس-أنتيل:

"قبل انعقاد المؤتمر بثلاثة أيام، في غورز فيلين. التقيت بها هناك أيضًا. وبمجرد أن رأيتها، علمت على الفور أنها امرأة استثنائية!"

استثنائية للغاية،" قالت إيدا إيمين أيب سيفني، التي التزمت الصمت حتى الآن. "بسبب إرثها الاستثنائي، بسبب دمها. هين إيشر، دم الأقدمين. المادة الجينية التي تمنح قدرات غير عادية لحاملها. قُدّر لها أن تلعب دورًا عظيمًا... وهو دور لا بد أن يُنفذ."

"لماذا يجب أن نسمع منكِ الأساطير والنبوءات الإلفية؟" قالت سابرينا غليفيسيغ بسخرية. "الأمر كله يبدو كحكايات خرافية من البداية! والآن، لم يعد لديّ أدنى شك. سيداتي، أقترح، كما هو معتاد، أن نناقش شيئًا جادًا، منطقيًا وحقيقيًا."

إيدا إيمين ابتسمت قليلاً وقالت بهدوء:

"أنا أنحني أمام الواقعية الرصينة، فهي مصدر قوة عظيمة وميزة بارزة لعرقكم. لكن، هنا، بين أولئك القادرين على تسخير قوة لا تخضع دائمًا للتحليل والتفسير العقلاني، يبدو من غير المناسب استبعاد النبوءات الإلفية. عرقنا ليس عقلانيًا بالكامل، بل يستمد قوته من مصادر أخرى. ومع ذلك، نحن موجودون منذ عشرات الآلاف من السنين."

"المادة الجينية المسماة دم الأقدمين، التي نتحدث عنها، تبين أنها لم تكن بهذه المقاومة،" علّقت سيلا دي تانسرڤيل. "حتى الأساطير والنبوءات الإلفية، التي لا أقلل من شأنها، تعتبر أن دم الأقدمين قد انقرض تمامًا. أليس كذلك، السيدة إيدا؟ لم يعد هناك دم الأقدمين في هذا العالم. آخر من حمله كان يجري في عروق لارا دورين أيب شيادال. جميعنا نعرف قصة لارا دورين وكريغانان أوف لود."

"ليس جميعنا،" قالت أسيري كار أناهيد، متحدثةً لأول مرة. "لقد درستُ أسطورتكم، لكنني لا أعرف هذه القصة."

"إنها ليست مجرد أسطورة،" قالت فيليبا إيلهارت. "بل حقيقة. كما أن بيننا شخصًا لا يعرف فقط قصة لارا وكريغانان، بل يعرف أيضًا عواقبها، وهذه العواقب ستكون مثيرة لاهتمامنا جميعًا. نطلب منكِ أن تتحدثي، فرانسيسكا."

ابتسمت ملكة الإلفين وقالت:

"من حديثك، يبدو أنكِ تعرفين القصة جيدًا مثلي تمامًا."

"لا أنكر ذلك. لكنني أرجوكِ أن ترويها لنا."

إنيد آن غلينّا أومأت برأسها قائلة:

"لإثبات صدقي وولائي للأخوية، سأفعل. أطلب منكن، سيداتي، أن تتخذن وضعًا مريحًا، لأن هذه القصة... لن تكون قصيرة."

قالت فرانشيسكا: "قصة لارا وكريغانان هي قصة حقيقية، لكنها نُسجت بزخارف خيالية حتى بات من الصعب التعرف عليها. هناك اختلافات شاسعة بين النسخة البشرية والنسخة الإلفية من الأسطورة، وفي كليهما يرنّ صدى التعصب والكراهية العرقية. لذا، سأجردها من تلك الزخارف وأقتصر على الحقائق المجردة. نعم، كان كريغانان أوف لود ساحرًا، وكانت لارا دورين أيب شيادال ساحرة إلفية، من الـ أيين سيفهيرن، العارفين الغامضين حتى بالنسبة لنا نحن الإلفين. كانوا يحملون هين إيشر، دم الأقدمين، المادة الجينية التي تمنح حاملها قدرات استثنائية.

في البداية، استُقبلت صداقتهم، ثم علاقتهم العاطفية، بترحاب من كلا العرقين، لكن سرعان ما تعالت أصوات المعارضين للارتباط بين السحر البشري والسحر الإلفي. بين الإلفين والبشر، كان هناك من رأى ذلك خيانة. كما نشأت مشكلات أخرى، أصبحت الآن غامضة، تتعلق بالعداوات الشخصية، والغيرة، والحسد.

باختصار: نتيجةً للمكائد، قُتل كريغانان. أما لارا دورين، فقد طُوردت واضطُهدت حتى هلكت من الإرهاق في البرية، بينما كانت تضع ابنتها. لكن الطفلة نجت بمعجزة. ثم حظيت برعاية سيرو، ملكة ريدانيا..."

قالت كيرا ميتز، مقاطعةً السرد فجأة: "مرعوبةً من اللعنة التي أطلقتها عليها لارا، لأنها رفضت مساعدتها وتركتها في البرد لتموت. فإن لم تأخذ الطفلة، فقد كانت كارثة رهيبة ستصيبها وتصيب عائلتها..."

قاطعتها فيليبا ببرود: "هذه هي الزخارف الخيالية التي قررت فرانشيسكا الاستغناء عنها. التزمي بالحقائق."

قالت إيدا إيمين، ناظرةً إلى فيليبا: "موهبة النبوءة التي يمتلكها العارفون من دم الأقدمين هي حقيقة. وتكرارها في جميع نسخ الأسطورة يشير إلى أن موضوع النبوءة يستحق التفكير فيه."

قالت فرانشيسكا: "لقد كان كذلك في الماضي. لم تُنسَ شائعات لعنة لارا، بل استمرت حتى بعد سبعة عشر عامًا، عندما كبرت الفتاة التي حظيت برعاية سيرو، والتي سُمّيت ريانّون، لتصبح شابةً تفوق بجمالها حتى الجمال الأسطوري لوالدتها. نالت ريانّون لقب أميرة ريدانيا رسميًا، وكان العديد من العائلات الحاكمة مهتمين بها.

وحين اختارت ريانّون، أخيرًا، من بين العديد من المتنافسين، غويديمار، الملك الشاب لـ تيميريا، كاد الزواج أن ينهار بسبب الشائعات حول اللعنة. ومع ذلك، لم تبلغ تلك الشائعات قوتها الحقيقية إلا بعد ثلاث سنوات من زواج غويديمار وريانّون، خلال تمرد فالكا."

فعت فرينجيلا حاجبيها، إذ لم تكن قد سمعت قط عن فالكا ولا عن تمردها. لاحظت فرانسيسكا ذلك.

قالت، موضحة: "بالنسبة لممالك الشمال، كان حدثًا مأساويًا ودمويًا، لا يزال حيًا في الذاكرة، رغم أنه وقع قبل أكثر من مئة عام. أما في نيلفجارد، التي لم يكن لديها آنذاك أي اتصال تقريبًا مع الشمال، فمن المحتمل أن الأمر لم يكن معروفًا، لذا دعيني أسترجع بإيجاز بعض الحقائق.

كانت فالكا ابنة الملك فريدانك، ملك ريدانيا. زواجه الأول انهار عندما وقعت عيناه على الجميلة سيرو، ذاتها التي قامت لاحقًا برعاية ابنة لارا. هناك وثائق محفوظة تصف تفاصيل معقدة وطويلة لطلاقه، لكنها تحتوي أيضًا على وصف دقيق لزوجته الأولى، وهي نبيلة من كوڤير، كانت بلا شك نصف إلفية، لكن بسمات بشرية طاغية. كان شعرها جامحًا، وفمها كفم السحالي، وعيناها متوحشتين متقدتين بالجنون والهوس.

ببساطة: كانت قبيحة. فطردها وأعادها إلى كوڤير مع ابنتهما فالكا، وسرعان ما نسي كلًّا منهما."

قالت إنيد آن غلينّا بعد لحظة من الصمت: "بعد خمسة وعشرين عامًا، ذكّرته فالكا بنفسها، إذ أشعلت تمردًا، وقتلت بيديها والدها، وسيرو، واثنين من إخوتها غير الأشقاء. بدأ التمرد كصراع مسلح ضد كوڤير وتيميريا والنبلاء، باعتباره نضال الابنة البكر من أجل إرثها. لكنه سرعان ما تحول إلى حرب فلاحين واسعة النطاق.

ارتكب كلا الطرفين فظائع مروعة. انتقلت فالكا إلى الأساطير كشيطانة متعطشة للدماء، رغم أنه من المرجح أنها ببساطة لم تكن قادرة على السيطرة على الوضع، بينما كانت شعارات جديدة تُطبع باستمرار على رايات المتمردين: الموت للملوك، الموت للسحرة، الموت للكهنة، الموت للنبلاء،

الموت للأغنياء والسادة... وسرعان ما تحولت إلى الموت لكل حي، إذ لم يكن هناك وسيلة لكبح جماح الثوار السكارى بالدم. بدأ التمرد بالانتشار إلى ممالك أخرى..."

قاطعتها سابرينا غليفيسيغ بنبرة ساخرة واضحة: "لقد كتب مؤرخو نيلفجارد عن ذلك، كما قرأت بلا شك السيدة أسيري والسيدة فيغو. اختصري، فرانشيسكا، وتجاوزي إلى ريانّون والتوائم الثلاثة في هاوتبورغ."

قالت فرانشيسكا:

"حسنًا. ريانّون، ابنة لارا دورين التي نشأت تحت رعاية سيرو، والتي أصبحت لاحقًا زوجة غويديمار، ملك تيميريا، وقعت بالصدفة في أسر المتمردة فالكا وسُجنت في قلعة هاوتبورغ. كانت حاملاً حين أُسرت.

دافعت القلعة عن نفسها لفترة طويلة بعد قمع التمرد وسقوط فالكا، لكن غويديمار اقتحمها في النهاية وحرر زوجته. خرجت معه من الأسر ومعها ثلاثة أطفال: فتاتان وصبي. غير أن ريانّون كانت قد جُنّت تمامًا. استشاط غويديمار غضبًا، وأخضع باقي الأسرى للتعذيب، ومن خلال ما استخلصه من شهاداتهم وسط صراخهم، استطاع تكوين صورة واضحة للأحداث."

وأكملت: "لقد ورثت فالكا جمال جدتها الإلفية، أكثر من والدتها، ولم تبخل بسحرها على أحد، فوهبته بسخاء للنبلاء والفرسان والقادة والجنود، ضامنةً بذلك ولاءهم وإخلاصهم. وفي النهاية، حملت وأنجبت طفلًا، في نفس الوقت الذي كانت فيه ريانّون، المسجونة في هاوتبورغ، تضع توأمين.

أمرت فالكا بأن يُعطى طفلها إلى ريانّون. ويُقال إنها قالت حينها: "فقط الملكات يستحققن شرف إرضاع أبناء المتمردين"، وأن جميع النساء المتوجات في نظامها الجديد، الذي كانت تنوي بناءه بعد انتصارها، سيواجهن المصير ذاته.

المشكلة كانت أن أحدًا، بما في ذلك ريانّون نفسها، لم يكن يعلم أي من الأطفال الثلاثة كان طفل فالكا. قيل، بقدر عالٍ من التأكيد، إنه كان إحدى الفتاتين، لأن ريانّون أنجبت ولدًا وفتاة.

ومرة أخرى، يُزعم أنه رغم تصريح فالكا المتفاخر، فإن طفلها لم يُرضع من قبل ملكة، بل من مرضعة فلاحة عادية. أما ريانّون، فعندما شُفيت أخيرًا من جنونها، لم تتذكر سوى القليل جدًا. نعم، تتذكر الولادة. نعم، تتذكر أنهم جلبوا لها التوائم الثلاثة وأروها إياهم. لكن لا شيء أكثر من ذلك."

قالت فرانشيسكا: "في ذلك الوقت، استُدعي السحرة لفحص الأطفال الثلاثة وتحديد من هو من بينهم. كان غويديمار غاضبًا بشدة، وعندما اكتُشف ابن فالكا غير الشرعي، كان ينوي إعدامه علنًا. لم يكن بإمكاننا السماح بحدوث ذلك.

بعد قمع التمرد، ارتُكبت وحشية لا توصف ضد الأسرى من المتمردين، وكان لا بد من وضع حد لذلك. إعدام طفل لم يتجاوز العامين... هل تستطيعين تخيل ذلك؟ عندها وُلدت الأسطورة! كانت الشائعات قد بدأت تنتشر بالفعل، شائعة تقول إن فالكا كانت ثمرة لعنة لارا دورين، وهو بالطبع محض هراء؛ فقد وُلدت فالكا قبل أن تلتقي لارا بـ كريغانان أصلًا.

لكن لم يكن أحد يريد أن يُكلّف نفسه عناء حساب السنين. كُتبت كتيّبات، ونُشرت وثائق مليئة بالخرافات سرًّا، حتى في أكاديمية أوكسينفورت. لكن دعوني أعود إلى الاختبارات التي طلبها غويديمار منا..."

رفعت ينيفر رأسها وقالت: "منا؟ من تقصدين بـ 'منا'؟"

قالت فرانشيسكا بهدوء: "تيسايا دي فريس، أوغوستا فاغنر، ليتيشا شاروبونو، وهين غيديمديث. بالإضافة إليهن، انضممتُ إلى المجموعة. كنتُ آنذاك ساحرة شابة، لكنني كنت إلفية نقية الدم. ووالدي... والدي البيولوجي، فقد تم التخلي عني... كان من العارفين. كنتُ أعرف عن جين دم الأقدمين."

قالت سيلا دي تانسرڤيل: "وقد وجدتم هذا الجين في ريانّون، عندما فحصتموها هي والملك قبل أن تفحصوا الأطفال. ووجدتموه في اثنين من الأطفال، مما مكّنكم من تحديد أن ابن فالكا كان يفتقر إلى الجين. لكن كيف أنقذتم الطفل من غضب الملك؟"

ابتسمت الإلفية وقالت: "ببساطة شديدة، تظاهرنا بأننا لا نعرف. أخبرنا الملك أن الأمر ليس سهلًا، وأننا ما زلنا نحقق، لكن مثل هذه التحقيقات تحتاج إلى وقت... الكثير من الوقت.

كان غويديمار، في أعماقه، صاحب قلب طيب ونبيل، فهدأ سريعًا ولم يضغط علينا. وبمرور الوقت، كبر الثلاثة وصاروا يمرحون في القصر، ليملئوا حياة الزوجين الملكيين والبلاط كله بالفرح. أمفيت، فيونا، وأديلا كانوا متشابهين كالعصافير الثلاثة، لكن العيون كانت تراقبهم عن كثب، والشبهات كانت تثار باستمرار.

ذات مرة، سكبت فيونا محتويات وعاء من النافذة مباشرة على رأس أحد حراس القصر، فصرخ قائلًا إنها النغلة الشريرة، وانتهى به الأمر إلى فقدان منصبه. وفي وقت لاحق، قام أمفيت بدهن الدرج بالشحم، فتعثرت إحدى سيدات البلاط وسقطت صارخةً عن الدم الملعون، وكان عليها أن تغادر القصر للأبد. أما العامة فكانوا يُستقبلون بالسياط والنبذ، فتعلم الجميع بسرعة أن من الأفضل لهم أن يصمتوا.

حتى أن أحد البارونات من عائلة عريقة، عندما أطلقت عليه أديلا سهمًا أصابه في مؤخرته، لم يتمكن سوى من..."

قاطعتها فيليبا إيلهارت بحدة: "لن نتوسع في سرد شقاوات الأطفال. متى أخبرتم غويديمار بالحقيقة أخيرًا؟"

قالت فرانشيسكا بهدوء: "لم يُخبر أبدًا. لم يسأل عن الحقيقة، وكان ذلك يناسبنا تمامًا."

تساءلت فيليبا: "لكن أيٌّ من الأطفال كان ابن فالكا غير الشرعي؟ هل كنتم تعرفون؟"

قالت فرانشيسكا بلا تردد: "بالطبع، أديلا."

رفعت ينيفر حاجبيها وقالت: "وليس فيونا؟"

قالت فرانشيسكا: "لا، كانت أديلا. ماتت بسبب الطاعون. ابنة الشيطان، ذات الدم الملعون، الابنة الشيطانية لـ فالكا، خلال تفشي الوباء، ورغم احتجاجات الملك، كانت تساعد الكهنة في المستشفى، وساعدت في إنقاذ الأطفال المرضى في القلعة، لكنها أصيبت بالعدوى وماتت. كان عمرها سبعة عشر عامًا.

بعد عام، تورط شقيقها أمفيت في علاقة مع الكونتيسة آنا كامينِي، وقُتل على يد بلطجية استأجرهم الكونت. في العام نفسه، توفيت ريانّون، غارقةً في الحزن واليأس بسبب فقدان أطفالها الذين أحبتهم بشدة. عندها استدعانا غويديمار مجددًا.

فقد جذبت الأميرة فيونا، آخر من تبقى من التوائم الثلاثة، اهتمام كورام، ملك سينترا. كان يبحث عن زوجة لابنه، الذي كان يُدعى أيضًا كورام، لكنه كان يعلم بالشائعات، ولم يكن ليربط ابنه بطفلة فالكا غير الشرعية.

أكدنا لهم، بسلطتنا، أن فيونا هي الابنة الشرعية للعائلة الملكية. لا أعلم إن كانوا قد صدّقونا تمامًا، لكن الأمير الشاب وجدها على هواه، فأصبحت ابنة ريانّون، التي هي سلف سيري، ملكة على سينترا."

قالت فيليبا: "وبذلك، جلبت إلى السلالة الشهيرة لـ كورام الجين الذي كنا نلاحقه."

قالت إنيد آن غلينّا بهدوء: "لكن فيونا لم تكن حاملة لجين دم الأقدمين، الذي أطلقنا عليه اسم جين لارا."

سألت ينيفر بدهشة: "كيف يكون ذلك؟"

قالت فرانشيسكا: "كان حامل جين لارا هو أمفيت، واستمر اختبارنا. لأن آنا كامِيني، التي قتل زوجها عشيقها، أنجبت بعد فترة وجيزة توأمين، صبيًا وفتاة، وهي ما زالت في فترة الحداد. كان الأب بلا شك هو أمفيت، لأن الفتاة كانت حاملة للجين. سُميت مورييل."

قالت سيلا دي تانسرڤيل بدهشة: "مورييل، الجميلة المارقة؟"

ابتسمت فرانشيسكا وقالت: "ذلك حدث بعد زمن طويل. في البداية، كانت تُعرف باسم مورييل الحسناء. في الواقع، كانت طفلة لطيفة وودودة. وعندما بلغت الرابعة عشرة، بدأوا يلقبونها بـ موريل ذات العيون المخملية. لقد غرق أكثر من رجل في تلك العيون. وفي النهاية، تزوجت من روبرت، إيرل غارامون."

سألت ينيفر: "وماذا عن الصبي؟"

قالت فرانشيسكا بلا اكتراث: "كريسبين. لم يكن حاملًا للجين، لذا لم نهتم به. أعتقد أنه مات في إحدى الحروب، فلم يكن يشغل تفكيره سوى الأسلحة والقتال."

حركت سابرينا شعرها بسرعة وقالت: "انتظري. ابنة موريل الجميلة المارقة كانت أداليا، الملقبة بـ الجنية..."

أكدت فرانشيسكا قائلة: "صحيح. كانت أداليا شخصية مثيرة للاهتمام. مصدر قوي، ومادة مثالية لساحرة. لكن للأسف، لم تكن تريد أن تصبح ساحرة. فضّلت أن تكون ملكة."

سألت أسيري فار أناهيد: "وماذا عن الجين؟ هل حملته؟"

أجابت فرانشيسكا بفضول: "الغريب أنها لم تكن حاملة له."

أومأت أسيري برأسها وقالت: "كما توقعت. يمكن تمرير جين لارا فقط عبر السلالة الأنثوية. إذا كان الحامل ذكرًا، فإنه يختفي بعد الجيل الثاني أو الثالث."

قالت فيليبا إيلهارت: "لكنه يعاود الظهور مجددًا."

ثم تابعت: "أداليا، التي لم تكن حاملة للجين، كانت في النهاية والدة كالانثي، وكالانثي كانت جدة سيري، التي تحمل جين لارا."

تحدثت سيلا دي تانسرڤيل فجأة: "إذن، فرانشيسكا، لقد أخطأتِ. هناك جينان. أحدهما، الجين الحقيقي، كان كامنًا، ولم تنتبهي له في فيونا، إذ خدعك الجين الواضح والقوي في أمفيت. لكن الجين في أمفيت لم يكن الجين الفعلي، بل كان المُفعّل."

أومأت أسيري موافقةً وقالت: "هذا صحيح. المُفعّل يُنقل عبر السلالة الذكرية، وفي حالة أداليا، كان تأثيره ضعيفًا للغاية لدرجة أنه لم يكن ملحوظًا. أداليا كانت الابنة البكر للجميلة المارقة، ومن المرجح أن أطفالها اللاحقين لم يكن لديهم أي أثر للمُفعّل. لكن الجين الكامن في فيونا استمر في نسلها الذكري حتى الجيل الثالث. لكنه لم يختفِ، وأنا أعلم السبب."

همست ينيفر من بين أسنانها: "اللعنة."

قالت سابرينا غليفيسيغ: "لقد تهت تمامًا وسط هذه الأدغال من الأنساب والجينات."

سحبت فرانشيسكا صحنًا من الفاكهة نحوها، ومدّت يدها، وتمتمت تعويذة.

ابتسمت وقالت: "أعتذر عن هذا العرض البهلواني من التحريك الذهني،" ثم أمرت تفاحة حمراء بأن ترتفع عن الطاولة. "لكن بمساعدة هذه الفاكهة الطافية، سيكون من الأسهل توضيح كل شيء.

هذه التفاحة الحمراء تمثل جين لارا، دم الأقدمين. التفاحة الخضراء تمثل الجين الكامن. أما ثمرة الرمان، فهي الجين الزائف، المُفعّل. فلنبدأ."

"هذه ريانّون، التفاحة الحمراء. ابنها، أمفيت، الرمانة. ابنة أمفيت، موريل الجميلة المارقة، ثم ابنتها أداليا، هما أيضًا رمانتان، آخر السلالة الضعيفة.

والآن إلى الخط الثاني، حيث فيونا، ابنة ريانّون، هي التفاحة الخضراء. ابنها، كوربيت، ملك سينترا، كان أيضًا أخضر. ابن كوربيت وإيلين من كايدوين، داغوراد، أخضر كذلك. هل لاحظتن؟ في جيلين متتاليين من الذكور فقط، الجين يضعف ويُفقد. لكنه الآن يتصل مجددًا مع الرمانة والتفاحة الخضراء، عبر زواج أداليا، أميرة ماريبور، وداغوراد، ملك سينترا. وها هي ابنتهما، كالانثي، تفاحة حمراء .. عودة قوية لجين لارا."

أومأت مارغريتا لوكس-أنتيل قائلة: "إذن، جين فيونا التقى بالمُفعّل القادم من أمفيت عبر زواج سفاح ملكي. ألم يلاحظ أحد هذا القرب في النسب؟ ألم يلتفت أيٌّ من المؤرخين الملكيين أو نبلاء البلاط إلى هذا التزاوج القريب؟"

قالت فرانشيسكا ببرود: "لم يكن واضحًا إلى هذا الحد. آنا كامِيني لم تعلن أبدًا أن توأميها كانا أبناء غير شرعيين، لأنها كانت ستُجرد حينها، هي وأطفالها، من شعار العائلة الملكية، ومن ألقابهم وممتلكاتهم.

بالطبع، الشائعات انتشرت بعناد، ولم تقتصر على العامة فحسب. ولهذا، كالانثي، التي حملت وصمة سفاح القربى، كان عليها أن تجد زوجًا في إيبينغ البعيدة، حيث لم تصل تلك الشائعات."

قالت مارغريتا: "أضيفي إلى هرمك تفاحتين حمراوين، إنيد."

ثم تابعت: "الآن، وفقًا للملاحظة الدقيقة للسيدة أسيري، فإن جين لارا المُعاد إحياؤه ينتقل بسلاسة عبر السلالة الأنثوية."

قالت إنيد مؤكدةً: "نعم. هذه بافيتا، ابنة كالانثي. ثم بافيتا أنجبت سيريلا، الوحيدة في هذا الوقت التي ترث دم الأقدمين، حاملة جين لارا."

قالت سيلا دي تانسرڤيل بحدة: "الوحيدة؟ أنتِ واثقة جدًا من نفسك، إنيد."

تساءلت إنيد: "ماذا تعنين؟"

نهضت سيلا فجأة، ومدّت أصابعها المغطاة بالخواتم باتجاه صحن الفاكهة، ثم جعلت بقية الفاكهة تطفو، مُحطمةً ومُبدلةً مخطط فرانشيسكا بالكامل، محولةً إياه إلى فوضى متعددة الألوان.

قالت ببرود، مشيرةً إلى الفوضى: "هذا ما أعنيه. هذه هي الاحتمالات الجينية الممكنة. وما نعرفه لا يتعدى ما نراه هنا. أي لا شيء.

لقد انتقم خطؤك منك، فرانشيسكا، بسلسلة من الأخطاء المتتالية. لقد ظهر الجين بالصدفة، بعد مئة عام، وخلال تلك الفترة ربما وقعت أحداث لا نعلم عنها شيئًا. أحداث تم التستر عليها، إخفاؤها، طمسها. أطفال ولدوا خارج إطار الزواج، تبنّيات سرّية، حتى استبدال حديثي الولادة. سفاح قربى. تداخل في الأنساب، دماء أسلاف منسيين تستيقظ فجأة في أجيال لاحقة.

الخلاصة: قبل مئة عام، كان الجين بين يديك، لكنه أفلت منك. خطأ، إنيد، خطأ، خطأ! عشوائية مفرطة، مصادفات كثيرة جدًا. سيطرة ضئيلة، تدخل ضئيل للغاية في مجرى الأحداث."

زمّت إنيد آن غلينّا شفتيها وقالت: "لم نكن نتعامل مع أرانب يمكن حبسها في أقفاص واختيار قريناتها لها."

فرينجيلا، متبعةً نظرة تريس ميريجولد، رأت يدي ينيفر تنقبضان فجأة على مساند كرسيها المحفور بعناية

فكّرت تريس بحمى، متجنبةً التقاء العيون: "هذا ما يوحّد الآن بين ينيفر و فرانشيسكا ... الحسابات. لأن ما فعلتاه كان له علاقة بالانتقاء والتربية، كما لو كانا يتعاملان مع الأرانب. نعم، خططهما لـ سيري وملك كوفير، رغم أنها تبدو غير مرجحة، فهي حقيقية تمامًا.

لقد فعلوا ذلك بالفعل. يضعون من يشاؤون على العروش، يخلقون الروابط والسلالات كما يحلو لهم، وفقًا لما يناسبهم أكثر. يستخدمون السحر، الجرعات، والمثيرات.

الملوك والملكات يدخلون في زيجات غريبة، غالبًا مورغانية، مخالفة لكل الخطط والنوايا والمعاهدات. ثم، يتم إعطاء أولئك الذين يريدون الإنجاب لكن لا ينبغي لهم وسائل خفية لمنع الحمل. وأولئك الذين لم يرغبوا في الإنجاب، لكن كان من الضروري أن ينجبوا، لم تُعط لهم العلاجات الموعودة، بل مجرد ماء عرق السوس.

ومن هنا جاءت كل هذه الروابط غير المعقولة. كالانثي، بافيتا... سيري. كانت ينيفر متورطة في كل هذا. والآن، تندم. وهي محقة في ذلك. تبًا، إذا اكتشف جيرالت هذا..."

فكّرت فرينجيلا فيغو: "أبو الهول. تماثيل أبو الهول المنحوتة على مساند المقاعد. نعم، يجب أن يكون هذا هو الشعار ورمز الأخوية.

المعرفة، السرية، الصمت. إنهنّ أبو الهول. يمكنهنّ الوصول بسهولة إلى ما يردن. تزويج كوڤير بـ سيري؟ بالنسبة لهنّ، هذا أمرٌ تافه. إنهنّ يملكن القوة. يملكن المعرفة. يملكن الوسائل.

العقد الماسي حول عنق سابرينا غليفيسيغ ربما يساوي تقريبًا قيمة ميزانية كايدوين الجبلية المكسوة بالغابات بأكملها. يمكنهنّ تحقيق ما يخططن له بسهولة. لكن هناك عقبة واحدة..."

فكّرت تريس ميريجولد: "آه... أخيرًا، بدأنا نتحدث عن المسألة الحقيقية، عن النقطة التي بدأنا بسببها هذا كله. الحقيقة الصادمة: سيري في نيلفجارد، تحت سلطة إمهير ڤار إمريس. بعيدةً عن كل هذه الخطط التي يتم وضعها هنا..."

قالت فيليبا: "لا شك أن إمهير كان يطارد سيريلا منذ فترة طويلة. الجميع اعتقد أن الأمر يتعلق بزواج سياسي مع سينترا، وبالاستيلاء على إقطاعية، وهو إرث الفتاة القانوني.

لكن لا يمكننا استبعاد احتمال أن الأمر لم يكن يتعلق بالسياسة، بل بـ جين دم الأقدمين، الذي يرغب إمهير في إدخاله إلى السلالة الإمبراطورية.

إذا كان إمهير يعلم أننا نسعى لتحقيق النبوءة، فقد يرغب في أن تولد ملكة العالم المستقبلية في نيلفجارد."

تدخلت سابرينا غليفيسيغ قائلة: "تصحيح بسيط، ليس هذا ما يريده إمهير، بل ما يريده سحرة نيلفجارد. فقط هم من كان بإمكانهم تتبع الجين، إمهير أدرك أهميته لاحقًا. السيدات النيلفجارديات الحاضرات هنا ربما يردن تأكيد دورهن في هذه المؤامرة وتوضيحه."

قالت فرينجيلا بحزم: "يدهشني ميل النساء للبحث عن المؤامرات في نيلفجارد البعيدة، بينما تشير كل الدلائل إلى أن المتآمرين والخونة قد يكونون أقرب بكثير مما يظنون."

نظرت سيلا دي تانسرڤيل إلى سابرينا بنظرة جادة، مما أسكتها وهي تستعد للرد، ثم قالت: "ملاحظة مباشرة ودقيقة في آنٍ واحد. تشير كل الأدلة إلى أن المعلومات حول دم الأقدمين قد تسربت إلى نيلفجارد من داخلنا، فكل الظروف تؤكد ذلك. هل نسيتم فيلغيفورتز، سيداتي؟"

احترقت عينا سابرينا للحظة بنار الكراهية وقالت: "لم أنسَ!"

قالت كيرا ميتز، مبتسمةً ابتسامة تحمل في طياتها تهديدًا واضحًا: "سيحين وقته. لكن ليس الآن. الآن، الأمر يتعلق بـ سيري ودم الأقدمين، الذي يهمنا بشدة، والذي تحتجزه إمبراطورية نيلفجارد."

قالت أسيري بهدوء، ناظرةً إلى فرينجيلا: "الإمبراطور ليس لديه شيء في يديه. الفتاة التي يحتجزها في روان ليست حاملة لأي جين استثنائي. إنها عادية تمامًا، بلا أي شك، وليست سيريلا من سينترا. ليست الفتاة التي كان الإمبراطور يبحث عنها.

أولئك الذين يحملون الجين، يظهر لديهم حتى في شعرهم. لقد فحصتُ بعض خصلات شعرها، ووجدت شيئًا لم أفهمه حينها. الآن، أدركت الحقيقة."

قالت ينيفر بهدوء، وكأنها تكاد لا تصدق: "إذًا، سيري ليست في نيلفجارد. ليست هناك..."

أكدت فيليبا إيلهارت بجدية: "ليست هناك. لقد خُدع إمهير، لقد دسّ له أحدهم شبيهة. علمتُ بهذا بالأمس. ومع ذلك، يسعدني أن اعتراف أسيري يؤكد ذلك. إنه يؤكد أن الأخوية أصبحت تعمل بالفعل."

واجهت ينيفر صعوبة في السيطرة على ارتجاف يديها وشفتيها. تماسكي، قالت لنفسها، ابقِ هادئة، هادئة، كررت، لا تكشفي نفسك، هناك فرصة بانتظارك. استمعي، استمعي واجمعي المعلومات. كوني أبا الهول.

"إذن، الجاني هو فيلغيفورتز." ضربت سابرينا قبضتها على الطاولة. "ليس إمهير، بل فيلغيفورتز، ذاك المخادع الأنيق، الوغد الماكر! لقد خدع إمهير، وخدعنا نحن أيضًا!"

أخذت ينيفر نفسًا عميقًا لتهدئة نفسها. أسيري فار أناهيد، التي بدت غير مرتاحة في ثوبها الضيق، ذكرت شيئًا عن شاب نبيل من نيلفجارد. عرفت ينيفر من تقصد، وقبضت يديها دون وعي. فارس أسود، بأجنحة على خوذته، الكابوس الذي تكرره هلاوس سيري...

شعرت بعيون فرانشيسكا وفيليبا عليها. أما تريس، التي حاولت جذب نظرتها، فقد تجنبت عينيها.

تبا، فكرت ينيفر، محافظةً على تعبير غير مكترث بصعوبة. ما هذا الفخ اللعين الذي وقعت فيه هذه الفتاة؟ تبا، كيف يمكنني أن أنظر في عيني الويتشر...

صرخت كيرا ميتز بحماس: "إذن، ستكون هناك فرصة عظيمة لاستعادة سيري، وتمزيق جلد فيلغيفورتز، ثم إشعال النار تحت مؤخرته!"

قالت سيلا دي تانسرڤيل بسخرية، وهي التي لم تكن تُكِنُ لـ ينيفر الكثير من الود: "قبل أن نحرق الأرض تحته، علينا أولًا أن نكتشف مخبأه. حتى الآن، لم ينجح أحد في ذلك. حتى بعض السيدات الجالسات على هذه الطاولة كرّسن وقتهن الثمين ومواهبهُن في البحث عنه."

ردت فيليبا إيلهارت ببرود: "لقد وجدنا بالفعل اثنين من مخابئ فيلغيفورتز العديدة. ديكسترا يبحث بدقة عن المزيد، وأنا لن أقلل من قيمة جهوده. أحيانًا، عندما يفشل السحر، يكون التجسس والمخبرون هو الطريق للنجاح."

* * *

ألقى أحد الضباط المرافقين لـ ديكسترا نظرة واحدة على الزنزانة، فتجمد مكانه فجأة، ثم تهاوى مسندًا ظهره إلى الحائط، شاحبًا كقطعة ورق، وكأنه في أي لحظة سيفقد وعيه. دوّن ديكسترا في ذاكرته أن يتم نقل الضابط إلى وظيفة مكتبية. لكنه، عندما نظر إلى داخل الزنزانة، غيّر رأيه على الفور.

شعر بمعدته تنقلب، لكنه لم يكن ليسمح لنفسه بإظهار الضعف أمام مرؤوسيه. دون عجلة، أخرج منديلاً معطرًا ووضعه على أنفه وفمه، ثم انحنى ليفحص الجثث العارية الملقاة على الأرض الحجرية.

قال، وهو يجاهد للحفاظ على نبرة هادئة وباردة: "البطن والرحم مشقوقان والجرح دقيق للغاية، لاشك أنها يد جراح محترف. تم استخراج الجنين من الفتاة. عندما حدث ذلك، كانت لا تزال على قيد الحياة. لكنه لم يحدث هنا. هل جميعهن في حالة مماثلة؟ لينّيب، أنا أتحدث إليك."

ارتجف العميل، وأشاح ببصره عن الجثة قائلاً: "لا... الأخريات قُتلن عبر كسر أعناقهن باستخدام سلك خانق. لم يكنّ حوامل... لكن سيتم تشريح الجثث..."

سأل ديكسترا، دون أن يزيل المنديل عن وجهه: "كم عدد الجثث التي وُجدت حتى الآن؟"

أجاب العميل: "بالإضافة إلى هذه، أربع. لا يمكن التعرف على أيٍّ منهن."

قال ديكسترا بنبرة حاسمة: "هذا غير صحيح. لقد تعرفتُ على هذه الفتاة بالفعل. إنها جولي، الابنة الصغرى للكونت لانيير. اختفت دون أثر قبل عام. سألقي نظرة على البقية."

قال لينّيب بحذر: "النار شوهت بعضها. سيكون من الصعب التعرف... لكن، سيدي، بالإضافة إلى ذلك... وجدنا..."

قال ديكسترا بحدة: "تحدث، ولا تتلعثم."

أشار العميل إلى حفرة مفتوحة في الأرض وقال: "في تلك الحفرة، هناك عظام... الكثير من العظام. لم يكن لدينا وقت لاستخراجها وفحصها بعد، لكن بالنظر إلى جماجمها، فهي تعود جميعها لفتيات صغيرات.

إذا استعنا بساحر، فقد يكون قادرًا على التعرف عليهن... عندها، يمكنني إبلاغ العائلات التي لا تزال تبحث عن بناتها المفقودات..."

استدار ديكسترا بحدة وقال: "تحت أي ظرف من الظروف، لا يجوز لك أن تنطق بكلمة واحدة عما وجدناه هنا. لا أحد. وبالتحديد، ليس السحرة. بعد ما رأيته هنا، فقدتُ ثقتي بهم تمامًا.

لينّيب، هل تم تفتيش الطوابق العلوية بدقة؟ ألم تجدوا أي شيء قد يساعدنا في التحقيق؟"

أطرق لينّيب رأسه وقال: "لا شيء، سيدي. بمجرد أن وصلنا التقرير، انطلقنا نحو القلعة، دافعين الخيول إلى أقصى سرعتها. لكننا وصلنا متأخرين جدًا. كان كل شيء محترقًا. النيران كانت ذات قوة مدمرة. لا بد أنها كانت سحرية.

لكن هنا، في الزنزانة، لم يصل السحر. لا أعرف لماذا..."

قال ديكسترا وهو يحدّق في الفراغ: "أنا أعرف. لم يكن فيلغيفورتز هو من أشعل الحريق، بل أحد أتباعه، رينس أو ساحر آخر. فيلغيفورتز لا يرتكب مثل هذه الأخطاء؛ لو كان هو، لما تبقى لنا سوى رماد أسود على الجدران. نعم، هو يدرك أن النار تطهر... أنها تمحو كل الآثار."

تمتم لينّيب بقلق: "حسنًا، لقد تم محوها. ليس هناك أي دليل حتى على أن فيلغيفورتز كان هنا من الأساس..."

قال ديكسترا بحدة وهو يسحب المنديل عن وجهه: "إذن، اصنع الدليل. هل يجب أن أُعلمك كيف؟ أنا أعلم أن فيلغيفورتز كان هنا. في القبو، إلى جانب الجثث، ألا يوجد شيء آخر؟ ما الذي يوجد خلف تلك الأبواب الحديدية؟"

قال العميل وهو يلتقط شعلة: "اسمح لي، سيدي. سأريك."

لم يكن هناك أدنى شك في أن النيران السحرية التي كان من المفترض أن تحوّل كل شيء في القبو إلى رماد، قد بدأت من الغرفة الفسيحة خلف الأبواب الحديدية. الخطأ في التعويذة أفسد الخطة إلى حد كبير، لكن الحريق ظل قويًا ومدمرًا.

احترقت الأرفف الممتدة على طول أحد الجدران، وذابت الأدوات الزجاجية، مخلّفةً كتلة متفحمة كريهة الرائحة. الشيء الوحيد الذي بقي سليمًا في الغرفة كان طاولة وكرسيين أحدهما خشبي، والآخر فولاذي، ذو شكل غريب، مغروس في الأرض.

شكل غريب... لكن لا يترك مجالًا للشك بشأن غايته.

ابتلع لينّيب ريقه وهو يشير إلى الكراسي والأقواس المثبتة عليها، وقال بصوت متردد: "لقد صُممت... لإبقاء... الساقين... مفتوحتين. بشكل واسع جدًا."

زمجر ديكسترا بين أسنانه، والغضب يتأجج في عينيه: "ابن العاهرة..."

ثم قال بصوت منخفض، مشبع بالغضب المكبوت: "ابن العاهرة اللعين..."

تابع العميل حديثه: "في القناة أسفل الكرسي الخشبي، هناك آثار دماء، وبراز، وبول. أما الكرسي الفولاذي، فهو جديد تمامًا، على الأرجح لم يُستخدم قط. لا أدري ماذا أظن..."

قال ديكسترا بحدة: "أنا أعلم. الكرسي الفولاذي كان مُعدًا لشخص مميز. شخص كان فيلغيفورتز يشتبه في امتلاكه لقدرات خاصة."

* * *

قالت سيلا دي تانسرڤيل: "أنا لا أقلل من شأن ديكسترا وجهازه السري. أعلم أن العثور على فيلغيفورتز هو مسألة وقت. وبصرف النظر عن دافع الانتقام الشخصي الذي يبدو أنه يستحوذ على بعض السيدات هنا، فإنني أود أن أشير إلى أنه ليس مؤكدًا أن فيلغيفورتز لديه سيري."

قالت فيليبا: "وإن لم يكن فيلغيفورتز من يحتجزها، فمن إذن؟ كنتُ على الجزيرة، ولم يقم أيٌّ منا، على حد فهمي، باستخدام النقل الفوري. ديكسترا لا يملكها، ولا أيٌّ من الملوك، نحن نعرف ذلك. كما أن جثتها لم تُعثر عليها بين أنقاض برج النوارس."

قالت إيدا إيمين ببطء: "لقد كان تور لارا يخفي في الماضي بوابة قوية للغاية. هل يمكننا استبعاد احتمال أن الفتاة غادرت ثانيد عبر هذه البوابة؟"

أغلقت ينيفر عينيها، وغرست أظافرها في رأس تماثيل أبو الهول المنحوتة على مساند كرسيها. تماسكي، فكرت، تماسكي. شعرت بعيون مارغريتا عليها، لكنها لم ترفع رأسها.

تغيرت نبرة صوت عميدة أكاديمية أريتوزا قليلاً عندما قالت: "إذا دخلت سيري بوابة تور لارا، فإني أخشى أن علينا نسيان خططنا تمامًا. أخشى أننا لن نراها مجددًا أبدًا. لقد دُمّرت البوابة داخل برج النوارس."

صرخت سابرينا بانفعال: "عن ماذا نتحدث هنا؟ لأن الدخول إلى برج النقل الفوري، بل حتى رؤيته، يتطلب استخدام السحر من المستوى الرابع! ولتنشيط البوابة، تحتاج إلى قدرات ساحر عظيم! لا أعلم إن كان فيلغيفورتز قادرًا على فعل ذلك، فكيف بفتاة في الخامسة عشرة من عمرها؟ كيف تفترضون مثل هذا الأمر؟ من تعتقدون أنها؟ ما الذي يجعلها مميزة إلى هذا الحد؟"

* * *

تمدد ستيفان سكيلين، الملقب بـ كالوس، محقق الإمبراطور إمهير ڤار إمريس، وقال ببرود: "وهل يهم، أيها السيد بونهارت، ما الذي يجعلها مميزة؟ أو إن كان هناك شيء مميز بها حقًا؟ أنا شخصيًا مهتم برؤية ذلك. سأدفع لك مئة فلورين.

إذا كنت ترغب، تحقق مما إذا كان هناك شيء خاص بها، سواء قبل قتلها أو بعده، كما يحلو لك. لن يزيد السعر، سواء وجدتَ شيئًا أم لم تجد، هذا أؤكده لك بكل صدق وإخلاص."

قال بونهارت ببرود: "ماذا لو أحضرتها حية؟"

قال كالوس بحدة: "لا."

كان الرجل الملقب بـ بونهارت ضخم الجثة، لكنه نحيف وعظمي كهيكل عظمي. لفّ شاربه الرمادي بين أصابعه، بينما استقرت يده الأخرى دائمًا على سيفه، وكأنه يخفي عن سكيلين النقش البارز على مقبضه.

قال بصوت هادئ: "هل أُحضر لك رأسها إذن؟"

قطّب كالوس حاجبيه باشمئزاز: "لا. وماذا سأفعل برأسها؟ أحفظه في العسل؟"

قال بونهارت ببرود: "كإثبات."

أجاب كالوس بلامبالاة: "أنا أثق بكلمتك. أنت مشهور، بونهارت. وأيضًا موثوق به."

ابتسم صائد الجوائز وقال ساخرًا: "شكرًا على الاعتراف."

كان لدى سكيلين عشرون رجلًا مسلحًا يحيطون بالنزل، ومع ذلك، شعر بقشعريرة باردة تسري في عموده الفقري عند رؤية تلك الابتسامة.

قال بونهارت بنبرة ماكرة: "هكذا يجب أن يكون دائمًا، لكنني نادرًا ما ألقى مثل هذا التقدير. سادة وبارونات فارنهاغن يطلبون مني إحضار رؤوس جميع أفراد الفئران، وإلا فإنهم لا يدفعون. إن كنت لا تحتاج إلى رأس فالكا، فلا مانع لديك إن أضفتها إلى البقية، أليس كذلك؟"

ابتسم سكيلين بازدراء وقال: "لتحصل على مكافأة ثانية؟ ماذا عن الأخلاقيات المهنية؟"

ضيّق بونهارت عينيه وقال ببرود: "أنا، يا سيد سكيلين، لا أتقاضى أجرًا مقابل القتل، بل مقابل الخدمة التي أقدمها للزبون. وأنا أقدم هذه الخدمة لك، وكذلك لـ فارنهاغن."

أومأ كالوس موافقًا: "منطقي. افعل ما تريد. متى ينبغي أن أتوقع منك أن تأتي للمطالبة بالمكافأة؟"

قال بونهارت بثقة: "قريبًا."

سأل سكيلين باهتمام: "هل يعني ذلك...؟"

أجاب بونهارت ببرود: "الفئران يسيرون على طريق قطاع الطرق، يخططون لقضاء الشتاء في الجبال. سأقطع طريقهم. عشرون يومًا، ليس أكثر."

قال سكيلين متشككًا: "أأنت واثق من مسارهم؟"

ضحك بونهارت ببرود: "مرّوا عبر فين أسبرا، حيث نهبوا قافلة تجارية. ثم عبروا تيفي. أمضوا ليلة في درويغ ليرقصوا في مهرجان الحصاد. وأخيرًا، وصلوا إلى لوريدو. وهناك، في لوريدو، قتلت فالكا رجلاً. لا يزال الناس يتحدثون عن الأمر هناك، وأصواتهم ترتجف من الخوف.

لهذا سألتك، ما الذي لديك ضد هذه فالكا؟"

ضحك ستيفان سكيلين ساخرًا: "ربما الشيء ذاته الذي لديك." ثم أضاف بابتسامة ماكرة: "لا، معذرةً. فأنت، بعد كل شيء، لا تأخذ المال مقابل القتل، بل مقابل الخدمات التي تقدمها. أنت حرفي بارع، محترف صادق. مثل أي مهنة أخرى، أليس كذلك؟ هل تدفع لك العقود ما يكفي للعيش؟ هاه؟"

حدّق بونهارت في سكيلين طويلًا، ولم يطرف له جفن. في النهاية، اختفت الابتسامة عن شفتي كالوس.

قال بونهارت بصوت بارد، يكاد يكون خاليًا من العاطفة: "بالطبع، عليك أن تعيش. بعض الناس يكسبون قوتهم بما يعرفون. آخرون يفعلون ما يجب عليهم فعله. في النهاية، الحياة تبتسم لقلة محظوظة... إلا إذا كنتَ عاهرة.

أنا أتقاضى أجري مقابل حرفة أحبها، بكل إخلاص وصدق."

* * *

استقبلت ينيفر استراحة تناول الطعام وترطيب الحناجر الجافة، التي اقترحتها فيليبا، براحة وسعادة وأمل. لكن سرعان ما أدركت أن آمالها على وشك أن تتحطم.

مارغريتا، بوضوح، أرادت التحدث معها، إلا أن فيليبا سرعان ما جذبتها إلى الطرف الآخر من القاعة. تريس ميريجولد، التي اقتربت منها، كانت برفقة فرانشيسكا. كانت الإلفية تراقب المحادثة دون أي حرج. لكن ينيفر رأت القلق في عيني تريس، وكانت متأكدة أنه لو لم يكن هناك شهود، لكانت المحادثة مليئة بتوسلات عديمة الجدوى لطلب المساعدة.

لم يكن لديها أدنى شك في أن تريس قد وهبت روحها بالكامل للأخوية بالفعل. ولم يكن لديها شك أيضًا في أن تريس شعرت بأن ولاء ينيفر لا يزال غير مؤكد.

حاولت تريس طمأنتها، مؤكدةً لها أن جيرالت في أمان، وأنه يتعافى في بروكيلون مع حوريات الغابة اللواتي يساعدنه على استعادة صحته. وكالعادة، الحديث عن جيرالت جعل وجنتيها تحمران.

"لا بد أنه قد استضافها،" فكرت ينيفر دون أي حقد. "لم تعرف أحدًا مثله من قبل. لن تنساه قريبًا. وهذا جيد."

تلقت الأخبار بهزة كتف غير مبالية، غير مسرورة بحقيقة أن لا تريس ولا فرانشيسكا صدّقتا ادعاءها باللامبالاة.

أرادت أن تكون وحدها. أرادت أن تجعلهن يفهمن.

يفهمن.

تقدمت إلى أقصى طرف المأدبة، وكرّست نفسها لتناول المحار. أكلت بحذر، لا تزال تشعر بالألم، آثار الضغط ما زالت تؤثر عليها. كانت تخشى شرب النبيذ، إذ لم تكن متأكدة كيف سيكون رد فعل جسدها عليه.

"ينيفر؟"

استدارت ببطء.

فرينجيلا فيغو ابتسمت ابتسامة خفيفة، ناظرةً إلى السكين الصغيرة التي كانت ينيفر تقبض عليها في يدها.

قالت بنبرة هادئة: "أرى وأشعر أنك تفضلين غرس هذه السكين فيّ بدلًا من المحار. هل لا يزال بيننا عداء؟"

أجابت ينيفر ببرود: "الأخوية تتطلب الولاء المتبادل. الصداقة ليست إلزامية."

قالت فرينجيلا فيغو وهي تنظر حول القاعة: "هذا صحيح، ولا ينبغي أن يكون كذلك. الصداقة هي نتيجة عملية طويلة، أو قد تكون عفوية تمامًا."

قالت ينيفر وهي تفتح إحدى المحارات وتبتلع محتوياتها مع ماء البحر: "والعداوة كذلك." ثم تابعت ببرود: "أحيانًا، ترى شخصًا للحظة خاطفة، تمامًا قبل أن يعميك، فتدرك أنك لا تحبه."

ضيّقت فرينجيلا عينيها قليلًا وقالت: "أوه، مسألة العداوة أكثر تعقيدًا من ذلك بكثير. لنقل، مثلًا، أنكِ رأيتِ شخصًا، بالكاد يمكنك التعرف عليه، فوق تل، يحطم صديقك أمام عينيك. لا تعرفينه، بالكاد يمكنك رؤيته، لكنك لا تحبينه."

هزّت ينيفر كتفيها وقالت بلا مبالاة: "يحدث ذلك أحيانًا. القدر يلعب بنا بطرق كثيرة."

قالت فرينجيلا بصوت هادئ: "القدر طفل غير متوقع ومشاكس. الأصدقاء قد يديرون ظهورهم، والأعداء قد يصبحون أصدقاء.

يمكنك، على سبيل المثال، التحدث إليهم على انفراد. لا أحد يحاول إزعاجك أو مقاطعتك، ولا أحد يحاول التنصت عليك. الجميع يرون أن هذين العدوين يمكنهما الحديث مع بعضهما البعض. يتحدثان عن أشياء غير مهمة، يلقون بالتعليقات الساخرة من حين لآخر."

أومأت ينيفر برأسها وقالت بنبرة هادئة: "لا شك أن هذا ما يعتقده الجميع. وهم محقون تمامًا."

لم تتراجع فرينجيلا، بل واصلت حديثها بنبرة ناعمة: "إذن، من الملائم أننا في وضع يسمح لنا بطرح سؤال، سؤال مهم وفريد."

سألتها ينيفر وهي تحاول إخفاء اهتمامها: "وما هو السؤال الذي يدور في ذهنك؟"

قالت فرينجيلا بابتسامة خفيفة: "سؤال حول الهروب الذي تخططين له."

في تلك اللحظة، بينما كانت ينيفر تحاول فتح محارة أخرى، كادت أن تجرح إصبعها.

نظرت حولها بسرعة، ثم حدّقت في الساحرة النيلفجاردية من خلف أهدابها المنخفضة.

فرينجيلا فيغو ابتسمت ابتسامة بالكاد تُلاحظ، وقالت بنبرة سلسة: "كوني كريمة وأعريني سكينك. للمحار فقط. محاراتك لذيذة جدًا. في الجنوب، من الصعب الحصول عليها، خاصةً الآن، مع الحصار الحربي... الحصارات شيء مروع، أليس كذلك؟"

ينيفر سعلت بهدوء.

ابتلعت فرينجيلا محارة أخرى، ثم مدت يدها لتأخذ واحدة إضافية، وقالت بنبرة هادئة: "نعم، فيليبا تراقبنا. وأسيري كذلك.

أسيري ربما تخشى على ولائي للأخوية. تشعر أن ولائي مهدد. إنها تتساءل إن كنتُ قد أضعف أمام التعاطف.

همم... أنتِ مسجونة... ربما مهددة بالموت؟ أم أنكِ ببساطة تُستخدمين كورقة لعب في لعبة مقامرين؟ صدقيني، لو كنتُ مكانك، لما بقيت هنا لحظة واحدة. كنتُ سأهرب فورًا.

تفضلي، خذي السكين. لقد شبعتُ من المحار، عليّ أن أراقب محيط خصري."

همست ينيفر، بينما كانت عيناها تحدقان في عيني الساحرة النيلفجاردية الخضراوين: "الحصار، كما تقولين، شيء فظيع. بل مقزز حتى. لا يسمح لك بفعل ما ترغبين به. لكن يمكن تجاوز الحصار إذا كان لديكِ... الوسائل المناسبة. وأنا لا أملكها."

قالت فرينجيلا، وهي تتأمل المحارة في يدها: "هل تأملين أن أمنحك هذه الوسائل؟ آه، هذا ليس خيارًا. أنا وفية للأخوية، والأخوية، من الواضح، لا تريدكِ أن تهربي مسرعةً لمحاولة إنقاذ من تحبين.

بالإضافة إلى ذلك، أنا عدوّتكِ، كيف يمكنكِ أن تنسي ذلك، ينيفر؟"

قالت ينيفر ببرود: "بكل تأكيد. كيف لي أن أنسى؟"

قالت فرينجيلا بصوت خافت، لكن نبرتها حملت وزنًا خفيًا: "الصديقة كانت ستحذركِ من أن حتى لو حصلتِ على مكونات تعويذة النقل الفوري، فلن تنجحي في تجاوز الحصار دون أن يلحظك أحد.

هذه العملية تستغرق وقتًا، وهي مكشوفة للغاية. من الأفضل تقريبًا استخدام جاذب طبيعي غير ملفت. أكرر، تقريبًا. لأن النقل الفوري باستخدام جاذب مرتجل هو، كما تعلمين جيدًا، محفوف بالمخاطر.

الصديقة كانت ستحاول ثني صديقتها عن فعل ذلك. لكنكِ لستِ صديقة."

مالت فرينجيلا قليلًا، وأمالت الصدفة في يدها، تاركة قطرات من ماء البحر تتساقط على الطاولة.

ثم قالت ببرود: "والآن، دعينا ننهي هذه المحادثة التافهة. الأخوية تتطلب الولاء. أما الصداقة، فبالطبع، ليست إلزامية."

* * *

قالت فرانشيسكا فيندابير ببرود، دون أن تظهر أي انفعال، بمجرد أن هدأ الاضطراب الناجم عن اختفاء ينيفر: "لقد قامت بالنقل الفوري. لا داعي لأن نُجهد أنفسنا في التفكير، سيداتي. لا يمكننا فعل شيء الآن. كان هذا خطأي. كنتُ أشك في أن النجمة المصنوعة من الأوبسيديان قد أخفت تعاويذها..."

صرخت فيليبا غاضبة: "لكن كيف فعلت ذلك، تبًا لها؟ يمكن إخفاء التعويذة، ليس هذا صعبًا. لكن بأي معجزة تمكنت من فتح بوابة؟ مونتيكالفو مُحصّن بعرقلة سحرية!"

هزّت سيلا دي تانسرڤيل كتفيها بلا اكتراث وقالت: "لم أحبها يومًا. لم أوافق أبدًا على أسلوب حياتها. لكني لم أشك أبدًا في قدراتها."

صرخت سابرينا غليفيسيغ بانفعال: "ستفشي كل شيء! ستخبرهم بكل شيء عن الأخوية! ستذهب مباشرةً إلى..."

قاطعتها تريس ميريجولد بحزم، بينما نظرت إلى فرانشيسكا وإيدا إيمين: "هذا هراء. ينيفر لن تخوننا. لا يوجد ما يدل على أنها هربت لتفعل ذلك."

أيدتها مارغريتا لوكس-أنتيل قائلة: "تريس محقة. أنا أعلم لماذا هربت، وأعلم من تريد إنقاذه. رأيتهما معًا—هي وسيري. أنا أفهم كل شيء."

صرخت سابرينا مجددًا، بانفعال متزايد: "وأنا لا أفهم شيئًا!"

مالت أسيري فار أناهيد نحو صديقتها وهمست: "لن أسألكِ لماذا فعلتِ ذلك. ولن أسألكِ كيف فعلتِ ذلك. سأطرح سؤالًا واحدًا فقط: أين؟"

ابتسمت فرينجيلا فيغو قليلاً، بينما كانت أصابعها تمرر ببطء فوق رأس أبو الهول المنحوت على مسند كرسيها، ثم همست بنبرة هادئة: "وكيف لي أن أعرف... من أي ساحل جاءت هذه المحارات؟"

إثلينا، في الواقع إثلين آيجلي، ابنة آيفنيين، كانت المعالجة الإلفية الأسطورية، وعالمة الفلك، والعرافة الشهيرة بتنبؤاتها ونبوءاتها، التي يُعد أشهرها "آين إثلينسبيث"، والمعروفة بـ نبوءة إثلينا.

تمت فهرسة هذه النبوءة ونسخها عدة مرات بأشكال مختلفة، وتمتعت بشعبية كبيرة في عدة فترات تاريخية مختلفة؛ حيث كانت التفسيرات والتعليقات حولها تُكيف بسهولة مع أحداث كل عصر، مما عزز الاعتقاد العام بامتلاك إثلينا لموهبة الرؤية الثانية.

ويُعتقد، على وجه الخصوص، أن إثلينا قد تنبأت بـ حروب النوردلينغ (1239-1268)، والأوبئة العظمى (1268، 1272، و1294)، وحرب اليونيكورن الدموية (1309-1318)، وغزو هاك.(1350)

كما كان يُعتقد أنها توقعت التغيرات المناخية التي بدأت في أواخر القرن الثالث عشر، والتي عُرفت باسم الصقيع الأبيض، وهو الظاهرة التي ربطتها الخرافات الشعبية دائمًا بنهاية العالم، وبقدوم المدمر (كما ورد في النص).

وقد كان هذا المقطع من نبوءة إثلينا هو الشرارة التي أشعلت حملات صيد الساحرات (1272-1276)، والتي أودت بحياة العديد من النساء والفتيات التعيسات، اللواتي ظُنّ خطأً أنهن تجسيد للمدمر.

واليوم، تُعتبر إثلينا شخصية أسطورية وفقًا لعدد من الباحثين، كما يُنظر إلى "نبوءاتها" على أنها نصوص منحولة من العصر الحديث، تم تجميعها بشكل مبتكر من شذرات ونصوص متناثرة، مما يجعلها في نظر البعض خدعة أدبية بارعة.

إيفنبرغ وتالبوت

موسوعة ماكسيما موندي، المجلد التاسع

الفصل السابع

أثار الأطفال الذين كانوا يحيطون بالراوي المتجول المسمى بوجويزد احتجاجهم بإحداث ضجة لا توصف. وفي النهاية، تقدم كونور، ابن الحداد — وهو الأكبر والأقوى والأكثر جرأة بينهم، والذي كان قد أحضر للراوي وعاءً من حساء الملفوف وبعض البطاطا المتبّلة بلحم الخنزير المقدد — وتحدث باسم الجميع ليعبر عن رأيهم المشترك.

صرخ بصوت عالٍ: "كيف يكون هذا؟ كيف يكون هذا، أيها الجد؟ كيف يمكن أن يكون هذا هو النهاية لليوم؟ هل من اللائق إنهاء قصة هكذا؟ في منتصف الطريق؟ نريد أن نعرف ماذا حدث! لا نريد أن ننتظر حتى تعود إلى القرية، فقد يستغرق ذلك ستة أشهر أو سنة كاملة! قل لنا!"

قال الرجل العجوز بصوت هادئ: "لقد غربت الشمس. حان وقت نومكم، أيها العصافير الصغيرة. ماذا سيقول آباؤكم عندما يمسكون بكم متثائبين غدًا أثناء العمل؟ أعلم تمامًا ما سيقولونه: "ها هو الراوي العجوز مجددًا، يملأ رؤوس الأطفال بالقصص والرومانسية، ولا يدعهم ينامون!"

ثم سيضيفون: "عندما يعود مجددًا، لن يحصل على شيء، لا حساء ولا بطاطا ولا لحم مقدد، سنطرده من القرية، لأن قصصه لا تجلب سوى المتاعب..."

صرخ الأطفال بصوت واحد: "لن يقولوا ذلك! أرجوك، واصل الحكاية!"

تمتم الرجل العجوز، وهو يحدق في الشمس التي كانت تختفي خلف قمم الأشجار على ضفاف نهر ياروغا: "حسنًا، ليكن. ولكن لنتفق على شيء: أحدكم سيذهب إلى منزله ويحضر لي بعض لبن الزبدة لأرطّب حلقي. أما البقية، فسيقررون أي قصة ستُروى اليوم، لأنني لا أستطيع أن أسردها جميعًا، وإلا سنبقى هنا حتى الغد. إذن، قرروا: عن من ستستمعون الآن، ومن سيكون للدورة القادمة؟"

أطلق الأولاد صراخًا جديدًا، كل واحد يحاول أن يعلو صوته على الآخر.

لوّح بوجويزد بعصاه وصرخ: "صمتًا! قلتُ قرروا، وليس أن تصيحوا مثل طيور العندليب، ريت-ريت، ريت-ريت، ريت-ريت! إذن؟ ماذا سأروي؟"

صاحت نيموي، أصغر المستمعين، والتي كانت تُلقب بـ إبهامية بسبب قصر قامتها، بينما كانت تمسد قطة نائمة في حجرها:

"عن ينيفر! أخبرنا عن الساحرة! كيف هربت بطريقة سحرية من دير بالد بيك لإنقاذ سيري! أود أن أسمعها بشدة! عندما أكبر، أريد أن أصبح ساحرة!"

صرخ برونيك، ابن الطحان: "بالتأكيد! لكن امسحي أنفكِ أولًا، إبهامية، فالساحرات لا يُعلّمن الأطفال المليئين بالمخاط! وأنت، أيها العجوز، لا تخبرنا عن ينيفر، بل عن سيري وعصابة الفئران، كيف كانوا يخططون للسرقة..."

قال كونور، وقد بدا شاردًا ومتفكرًا: "اصمتوا، أنتم حفنة من الحمقى. إذا كنا سنسمع شيئًا اليوم، فيجب أن يكون بالترتيب. أخبرنا، أيها الجد، عن الويتشر ورفاقه، وكيف غادروا ياروغا."

صاحت نيموي بصوت حاد: "أريد أن أسمع عن ينيفر!"

قالت أورلا، شقيقتها الكبرى: "وأنا أيضًا! عن الحب بينها وبين الويتشر! كيف أحبّا بعضهما البعض. لكن اجعل النهاية سعيدة، أيها الجد، وليس حيث ينتهي الأمر بالموت!"

صرخ أحد الأولاد بسخرية: "اصمتي، أيتها الحمقاء، من يهتم بالقصص الرومانسية؟ نريد الحرب! نريد القتال!"

"عن سيف الويتشر!"

"عن سيري والفئران!"

لوّح كونور بقبضته مهددًا وقال: "توقفوا! وإلا سأحمل عصًا وألقنكم جميعًا درسًا أيها الأوغاد! قلت بالترتيب. الجد بوجويزد سيخبرنا عن الويتشر وكيف تجوّل مع دانديليون وميلفا..."

صاحت نيموي مجددًا، بحماس: "نعم! عن ميلفا! أريد أن أسمع عن ميلفا! لأنه إذا لم تقبلني الساحرات، سأصبح رامية سهام!"

قال كونور بحزم: "إذن، لقد اخترنا. وفي نفس الوقت، يبدو أن الجد قرر أخذ غفوة؛ رأسه الرمادية تهتز بالفعل... هيه، أيها الجد! لا تنم! أخبرنا عن جيرالت الويتشر، من النقطة التي غادر فيها الرفاق ياروغا."

تدخل برونيك قائلًا: "لكن أولًا، أخبرنا عن الآخرين جميعًا، أيها الجد، حتى لا نحترق من الفضول! ماذا حدث لهم؟ أخبرنا بإيجاز عن ينيفر وسيري. لا يمكننا الانتظار حتى تعود إلى قريتنا مرة أخرى، أرجوك."

ضحك الجد بوجويزد وقال: "حسنًا، ينيفر ألقت تعويذة وهربت من القلعة على قمة بالد، وسقطت مباشرةً في البحر. وجدت نفسها في أمواج المحيط العاتية، بين الصخور الحادة، لكنها لم تكن خائفة، فالساحرة يمكنها النجاة بسهولة من الغرق.

وصلت إلى جزر سكيلجا وهناك وجدت حلفاء. لأنكم ترون، غضبها كان شديدًا على الساحر فيلغيفورتز. كانت مقتنعة بأنه اختطف سيري، وكانت مصممة على العثور عليه، والانتقام منه، وإنقاذ سيري.

وهذا كل ما سأخبركم به... في الوقت الحالي."

سأل أحد الأطفال بلهفة: "وماذا عن سيري؟"

أجاب بوجويزد بصوت مفعم بالغموض: "سيري كانت مع الفئران، مختبئة تحت اسم فالكا. انخرطت في حياة اللصوص وقطاع الطرق، لأن الشر والقسوة—كل ما هو سيئ ومظلم في النفس البشرية—قد استيقظ فيها شيئًا فشيئًا، متغلبًا على الخير.

أوه، لقد كان خطأً فادحًا من ويتشرات كاير مورهن، الذين علموها القتل! لكنها لم تكن تدرك أن بقتلها، كانت تجذب قابض الأرواح نفسه إلى أثرها. لأن بونهارت الرهيب كان يطاردها.

كان مقدرًا أن يلتقيا سيري وبونهارت. ولكن، هذه قصة أخرى ليوم آخر. أما الآن، فسوف تسمعون قصة الويتشر."

ساد الصمت بين الأطفال، وجلسوا في دائرة حول الراوي العجوز. كانوا يستمعون، بينما سقط الظلام من حولهم.

تحولت حقول القنب والتوت البري والخطمي القريبة فجأة إلى غابة مظلمة بلا نهاية.

ما الذي كان يصدر ذلك الحفيف بين الأشجار؟ هل هو فأر صغير، أم أنه إلف مرعب ذو أعين نارية؟ أم ربما ستريغا أو ساحرة تتضور جوعًا، تبحث عن أطفال لتلتهمهم؟

هل كان الثور في الإسطبل هو الذي يرفس الأرض، أم أن صوت حوافر جياد الغزاة القساة من مائة عام مضت، وهي تعبر نهر ياروغا؟

هل كانت طائر ليلي يحلق فوق أسطح الأكواخ المسقوفة بالقش، أم مصاص دماء ظمآن للدماء؟

أم أنها ساحرة فاتنة تحلق على تعويذة سحرية نحو بحر بعيد؟

أخذ الراوي نَفَسًا عميقًا، ثم بدأ يحكي بصوت هادئ، يتردد صداه في الظلام:

"الويتشر جيرالت، برفقة رفاقه الجدد، انطلق إلى أنجرين، عبر المستنقعات والغابات.

كانت هناك غابات كثيفة، غابات كانت تغطي الأرض كلها في الماضي، هو، هو، لكن لم يعد هناك مثلها اليوم، باستثناء بروكيلون...

سافر الرفاق شرقًا على طول ياروغا، نحو الأراضي المقدسة للغابة السوداء. في البداية، سارت الأمور معهم على ما يرام، لكن لاحقًا، هو، هو... سأخبركم بما حدث بعد ذلك..."

وهكذا بدأت قصة من أزمان غابرة، من عصور منسية.

الأطفال جلسوا بصمت...

واستمعوا.

* * *

كان الويتشر يجلس على جذع شجرة عند قمة جرف، حيث كان يمتد أمامه مشهد المروج الواسعة وأحواض القصب على ضفاف نهر ياروغا.

كانت الشمس تغيب في الأفق، وفي الأسفل، ارتفعت الرافعات من المستنقعات، صارخةً أثناء تحليقها في تشكيل مثلثي.

كل شيء قد ذهب إلى الجحيم، فكر جيرالت، وهو يحدق في أنقاض كوخ الحطّاب، حيث كانت ميلفا تشعل نارًا، ينبعث منها دخانٌ خافت.

كل شيء قد تدمر. وكان كل شيء يسير على ما يرام، حتى مع هذه الرفقة الغريبة. كنا نملك هدفً قريبًا، حقيقيًا، ملموسًا. شرقًا، عبر أنجرين، نحو كايد دو. كنا نسير بشكل جيد. لكن بعد ذلك، انهار كل شيء.

هل كان سوء حظ أم قدرًا محتومًا؟

انطلقت الرافعات بإيقاعها البوقي.

كان إيمييل ريجيس روهليك تيرزيف-غودفروي يقود الموكب، ممتطيًا جوادًا نيليفجارديًا كستنائي اللون، كان الويتشر قد استولى عليه خلال إحدى المعارك في أرميريا.

ورغم أن الفحل كان متوترًا في البداية من وجود مصاص الدماء عليه، ورائحته العشبية النفاذة، إلا أنه اعتاد عليه بسرعة، ولم يسبب أي مشاكل تُذكر على عكس روتش، الذي كان يرفس وكأنه محاط بسرب من الذباب القارص.

خلف ريجيس وجيرالت، كان دانديليون يمتطي جواده بيغاسوس، برأسه الملفوف بضمادة أشبه ما تكون بـ شارة بطل حرب.

وعلى طول الطريق، كان الشاعر قد ألف أغنية بطولية، تتخللها إيقاعات عسكرية وألحان حماسية، تُعيد إحياء مغامراتهم الأخيرة.

كان واضحًا من صياغة الأغنية، أن كاتبها ومؤديها قد أظهر نفسه خلال تلك الأحداث بأنه الأجرأ بين الأبطال!

وفي نهاية الموكب، كانت ميلفا تسير بجانب كاهير ماور ديفرين أيب كيلاخ.

كان كاهير يمتطي جواده الذي استرده مؤخرًا، بينما كان يقود بلجامه حصانًا رماديًا، محمّلاً بمعدّاتهم المتواضعة.

وأخيرًا، غادروا المستنقعات المحاذية للنهر، ووجدوا أنفسهم على أراضٍ جافة متموجة بالتلال، حيث تمكنوا من رؤية نهر ياروغا العظيم في الجنوب، يلمع كأنه شريط فضي، بينما بدت في الشمال، على البعد، جبال ماهاكام الشاهقة.

كان الطقس رائعًا، والشمس تبعث الدفء في أوصالهم، بينما اختفت البعوضات المزعجة التي كانت تلدغهم وتطنّ حول آذانهم.

جفت الأحذية والسيقان الموحلة، وبدت شجيرات العليق على المنحدرات المشمسة ممتلئة بالثمار السوداء، أما الأحصنة فكانت تمضغ العشب بهدوء، بينما كانت الجداول الصافية التي تتدفق باتجاه ياروغا تزخر بسمك التروتة.

وحين أرخى الليل سدوله، كان بإمكانهم إشعال النار، والنوم في دفء وجفاف.

بكلمة واحدة، كان الوضع مثاليًا، وكان ينبغي أن يتحسن مزاجهم فورًا. لكنه لم يتحسن.

وسرعان ما تجلّت أسباب ذلك في أحد المخيمات الأولى التي أقاموها.

قال دانديليون، وهو ينظر حوله بتوجس: "انتظر لحظة، جيرالت، لا تكن متسرعًا في العودة إلى المخيم. نريد أن نتحدث معك على انفراد، أنا وميلفا.

الأمر يتعلق بـ... ريجيس."

ألقى الويتشر حزمة الحطب التي كان يحملها، وقال بنبرة هادئة: "آه... بدأت تشعرون بالخوف؟ كان هذا مجرد مسألة وقت."

قطّب دانديليون حاجبيه وقال بحدة: "اصمت. لقد قبلناه كرفيق لنا، وعرض مساعدته في البحث عن سيري.

لقد أنقذ رقبتي من المشنقة، ولن أنسى له ذلك.

لكن، لا تتفاجأ بأن لدينا بعض المخاوف، تبًا لك. أهذا أمر يثير الدهشة؟ أمضيت حياتك كلها في مطاردة وقتل أمثاله!"

ردّ جيرالت ببرود: "لم أقتله. وليس لدي أي نية لفعل ذلك.

هل هذا كافٍ بالنسبة لك؟

إن لم يكن كافيًا، فبرغم حزني العميق، لا يمكنني معالجة مخاوفك.

ومن المفارقات أن الوحيد القادر على علاج خوفكم... هو ريجيس نفسه."

زمجر دانديليون بغيظ وقال: "قلتُ لك اصمت! أنت لا تتحدث إلى ينيفر هنا، وفّر علينا بلاغتك الملتوية.

فقط أجب مباشرةً على سؤال بسيط."

قال جيرالت ببرود: "اسألهما. بدون بلاغة ملتوية."

قال دانديليون بتوتر: "ريجيس مصاص دماء. وليس سرًا ما الذي يتغذى عليه مصاصو الدماء.

ماذا سيحدث عندما يصيبه جوعٌ حقيقي؟ نعم، نعم، رأيناه يأكل حساء السمك، ومنذ ذلك الحين، كان يأكل معنا بشكل طبيعي، كما لو كان واحدًا منا.

لكن... هل سيكون قادرًا على السيطرة على رغبته؟

جيرالت، هل عليّ أن أنتزع الجواب منك انتزاعًا؟"

ردّ الويتشر بهدوء: "لقد سيطر على عطشه للدماء عندما كان يعالج جرح رأسك.

عندما كنا مقيدين معًا، لم يحاول حتى لعق أصابعه.

ثم، خلال اكتمال القمر، عندما كنا ثملين من خمر الماندراك ونائمين في كوخه، سنحت له فرصة مثالية.

هل فحصتَ رقبتك لترى ما إن كان عليها آثار أنياب؟"

ميلفا زفرت بضيق وقالت: "لا تسخر منا. أنت تعلم عن مصاصي الدماء أكثر مما نعلم.

يمكنك السخرية يا دانديليون، لكن عليك إجابتي بجدية.

لقد نشأت في الجبال، لم أذهب إلى مدارس، وأنا أجهل الكثير. هذا ليس خطئي، وليس من العدل أن تسخر مني.

أنا محرجة من الاعتراف بذلك، لكنني أشعر بقليل من الخوف تجاه... ريجيس."

أومأ جيرالت برأسه وقال بجدية: "ولكِ الحق في ذلك.

إنه واحد من ما يُعرف بـ مصاصي الدماء العُلويين.

خطير للغاية.

لو كان عدونا، لكنت أنا نفسي خائفًا منه.

ولكن، لأي سبب مجهول بالنسبة لي، هو الآن رفيقنا.

إنه يقودنا إلى كايد دو، إلى الدرويد الذين قد يساعدونني في الحصول على معلومات عن سيري.

أنا يائس، لذا لا يمكنني التخلي عن هذه الفرصة.

ولهذا، أقبل صداقة مصاص دماء."

سأله دانديليون بحذر: "هل هذا هو السبب الوحيد؟"

أجاب جيرالت، مترددًا قليلًا قبل أن يقرر قول الحقيقة: "لا. ليس هذا فقط.

إنه... يتصرف بشرف.

عند مخيم شوتلا، خلال محاكمة الفتاة، لم يتردد في التدخل.

رغم أنه كان يعلم أن ذلك سيكشف أمره."

تذكر دانديليون المشهد وقال: "لقد سحب حدوة حصان ملتهبة من النار.

أمسكها في يده لبضع لحظات، ولم يطرف له جفن.

ولا أحد منا كان قادرًا على تكرار ذلك، حتى مع حبة بطاطا مشوية."

قالت ميلفا بدهشة: "إنه لا يتأثر بالنار."

سأل دانديليون بقلق: "ما الذي يمكنه فعله أيضًا؟"

قال جيرالت بصوت هادئ لكن حازم: "بإمكانه أن يصبح غير مرئي متى شاء.

يمكنه أن ينومك مغناطيسيًا بعينيه، ويجعلك تغط في نوم عميق؛ لقد فعل ذلك مع الحارس في معسكر فيسجيرد.

يمكنه أن يتحول إلى خفاش ويطير. أعتقد أن هذه الأمور لا يمكنه فعلها إلا ليلًا، وأثناء اكتمال القمر.

لكنني قد أكون مخطئًا. لقد فاجأني أكثر من مرة، وربما يملك خدعًا أخرى لم نرها بعد.

أشتبه في أنه غير عادي حتى بين مصاصي الدماء.

لقد قضى سنوات يتنكر بمهارة كبشر.

الكلاب والخيول يمكنها أن تشعر بطبيعته الحقيقية، لكن يمكن خداعها برائحة الأعشاب التي يحملها دائمًا.

لكن ميداليتي لم تتفاعل معه، وكان من المفترض أن تفعل.

أكرر، لا يمكن قياسه بالمقاييس المعتادة.

إذا كنتم تريدون معرفة المزيد، عليكم سؤاله بأنفسكم.

إنه رفيقنا، وينبغي ألا يكون بيننا سوء فهم أو خوف متبادل.

والآن، لنعد إلى المعسكر. ساعدوني في حمل الحطب."

"جيرالت؟"

"أنا أسمعك، دانديليون."

"إذا... حسنًا، كنت أتساءل، من الناحية النظرية... إذا..."

"بصراحة، لا أعلم،" أجاب الويتشر بصدق.

"لا أعلم إن كان بإمكاني قتله. وأفضّل ألا أضطر إلى المحاولة."

أخذ دانديليون نصيحة جيرالت على محمل الجد وقرر توضيح الأمور بنفسه وإزالة أي شكوك.

وفعل ذلك بمجرد أن استأنفوا رحلتهم.

وفعلها بطريقته المعتادة، التي لا تخلو من الجرأة.

صرخ فجأة وهو يمتطي جواده، محدقًا في ريجيس بعينين ضيقتين:

"ميلفا!

يجب أن تنطلقي للأمام مع قوسكِ وتحاولي اصطياد غزال أو أيل.

لقد سئمتُ، تبًا للطاعون، من أكل العليق والفطر، والأسماك والمحار من النهر.

أود أن أتناول لحمًا حقيقيًا ولو لمرة واحدة.

ما رأيك، ريجيس؟"

رفع مصاص الدماء رأسه عن عنق جواده وقال: "ماذا؟"

كرر دانديليون بإلحاح: "اللحم! أنا أشجع ميلفا على الصيد. هل تأكل اللحم الطازج؟"

قال ريجيس بهدوء: "آكله."

تردد دانديليون للحظة، ثم سأل مباشرةً: "وماذا عن الدم، هل تشرب الدم الطازج؟"

توقف ريجيس للحظة قبل أن يبتلع ريقه ويقول: "الدم؟ لا. في حالة الدم، لا. لكن إن كان لديك شغف به، فلا تتردد."

وقف جيرالت، ميلفا، وكاهير يراقبون المحادثة في صمت ثقيل كالقبر.

بعد لحظة، قال ريجيس ببطء، بينما كان يحدق في دانديليون: "أعلم ما الذي تحاول فعله، دانديليون.

لكن دعني أطمئنك.

نعم، أنا مصاص دماء.

لكني لا أشرب الدماء."

ساد الصمت، ثقيلاً كالحديد المصبوب.

لكن، بما أن دانديليون هو دانديليون، فهو لم يلزم الصمت طويلًا.

قال دانديليون بمرح زائف، محاولًا التظاهر بعدم الاكتراث: "ربما أسأت فهمي... لم أقصد..."

قاطعه ريجيس بهدوء: "أنا لا أشرب الدماء. منذ وقت طويل. لقد تخليت عن تلك العادة."

سأل دانديليون بفضول واضح: "وكيف تخليت عن العادة؟"

رد ريجيس ببرود: "بالطريقة المعتادة."

قال دانديليون بحيرة: "لا أفهم... حقًا..."

قال ريجيس بنبرة جافة: "عذرًا، إنه أمر شخصي."

أصر دانديليون بعناد: "لكن..."

لم يستطع جيرالت تحمل المزيد، فاستدار في سرجه وقال بحدة: "دانديليون، ريجيس قال لك أن تخرس.

فقط قالها بلباقة.

كن مؤدبًا، وأغلق فمك أخيرًا."

ومع ذلك، بُذرت بذور الشك والتوجس في نفوسهم.

عندما توقفوا للمبيت، كان التوتر لا يزال يخيّم، ولم تخففه حتى ميلفا التي اصطادت أوزة نهرية سمينة، بلغ وزنها قرابة ثمانية أرطال.

غطّوها بالطين، ثم شووها على النار، وأكلوها حتى آخر عظمة، ولم يتركوا حتى فتاتًا صغيرًا.

امتلأت بطونهم، لكن القلق ظل حاضرًا.

أصبحت المحادثات متوترة ومتعكرة، على الرغم من الجهود الجبارة لدانديليون في إحياء الجو.

تحوّلت أحاديث الشاعر إلى مونولوج ممل، حتى أنه أدرك ذلك أخيرًا، وقرر الصمت.

كان الصوت الوحيد الذي كسر سكون المقبرة المخيم حول النار، هو صوت الخيول تمضغ التبن.

رغم تأخر الوقت، لم يبدو أن أحدًا منهم يرغب في النوم.

ميلفا كانت تُسخّن الماء في وعاء معلق فوق النار، مستخدمة بخاره لتقويم ريش سهامها المجعد.

كاهير كان يصلح إبزيم حذائه المكسور.

جيرالت كان ينحت عصا بسكينه.

أما ريجيس، فقد جال بنظره عليهم جميعًا، واحدًا تلو الآخر.

وأخيرًا، قال بنبرة هادئة: "حسنًا، حسنًا... يبدو أن هذا أمر لا مفر منه.

يبدو أنه كان عليّ توضيح بعض الأمور لكم منذ زمن..."

قال جيرالت وهو يلقي قطعة خشب منحوتة بعناية في النار، ثم يرفع رأسه: "لا أحد يجبرك، ريجيس.

أنا من المدرسة القديمة؛ عندما يمدّ شخص يده إليّ كرفيق، فإنني أقبله، وذلك يعني أكثر بالنسبة لي من عقد موقّع أمام كاتب عدل."

قال كاهير، وهو لا يزال منحنيًا فوق حذائه: "وأنا أيضًا من المدرسة القديمة."

قالت ميلفا بجفاف، وهي تضع سهمًا آخر في بخار الماء المتصاعد من القدر: "لم أكن أعلم أن هناك موضة جديدة."

أضاف الويتشر بهدوء: "لا تقلق بشأن ثرثرة دانديليون.

هو نفسه لا يفعل.

لستَ مضطرًا للإفضاء أو للتفسير.

كما أننا لسنا مضطرين للإفضاء إليك."

ابتسم ريجيس قليلاً وقال: "مع ذلك، أعتقد أنكم ستستمعون إلى ما أحتاج لقوله دون أن يُجبركم أحد.

أشعر بحاجة لأن أكون صادقًا مع الأشخاص الذين مددت لهم يدي وقبلتهم كرفاق."

ساد الصمت، هذه المرة لم يتكلم أحد.

بعد لحظة تردد، قال ريجيس: "سأبدأ بالقول إن المخاوف بشأن طبيعتي كمصاص دماء لا أساس لها على الإطلاق.

لن ألقي بنفسي على أحدكم أثناء الليل، ولن أغرس أنابيبي في أعناقكم وأنتم نيام.

ولا يقتصر الأمر على رفاقي فقط، بل على الجميع.

أنا لا أشرب الدماء. أبدًا.

لقد أقلعت عنها عندما أصبحت مشكلة خطيرة بالنسبة لي.

مشكلة لم يكن حلها سهلاً."

توقف لوهلة، ثم تابع بصوت هادئ:

"المشكلة بدأت، واتخذت كل خصائص قصة سيئة من كتاب مدرسي رديء.

كنت في شبابي... هممم... أحب السهر والاحتفال مع الصحبة الجيدة.

لم أكن مختلفًا في ذلك عن أقراني.

أنتم تعلمون كيف يكون الشباب.

لكن بينكم، هناك قيود وتحذيرات سلطة الوالدين، الأوصياء، القادة، كبار السن، وأخيرًا، العادات والتقاليد.

أما بيننا، فليس هناك شيء من ذلك.

الشباب يتمتعون بحرية مطلقة، وكانوا يستغلونها.

كوّنت عاداتي الخاصة، بالطبع، كانت غبية. غباء الصبا.

ألا تشرب؟ أي نوع من مصاصي الدماء أنت؟

لا يشرب؟ لا تدعوه، سيُفسد السهرة!'

لم أرغب في إفساد السهرة، والخوف من خسارة القبول الاجتماعي أرعبني.

لذا انغمست في الأمر بالكامل.

ليال من الاحتفالات، شربٌ وسُكرٌ، وعربدة لا تنتهي.

كل اكتمال قمر، كنا نحلق نحو إحدى القرى، ونشرب حتى نرتوي.

كانت الجودة مقرفة، أسوأ نوع من... السائل.

لم نكن نهتم بمن نشرب منه، طالما كان هناك... هيموغلوبين.

بدون الدم، لم تكن هناك متعة!

لم يكن لمصاص الدماء شجاعة إذا لم يشرب."

ساد الصمت مرة أخرى.

كان ريجيس غارقًا في أفكاره.

لم يقل أحدٌ أي كلمة.

شعر جيرالت فجأة برغبة شديدة في الشراب، ولم يكن متأكدًا مما إذا كان ذلك أمرًا جيدًا أو سيئًا.

تابع ريجيس حديثه، وصوته هادئ لكنه محمل بثقل الذكريات:

"في كل مرة، كنتُ أصبح أكثر وحشية. ومع مرور الوقت، كنتُ أزداد سوءًا.

أحيانًا، عندما ننطلق في حفلة مجنونة، لم نكن نعود إلى القبو لمدة ثلاث ليالٍ.

وفي إحدى المرات، شربت كمية سخيفة من الدماء... وفقدت السيطرة تمامًا.

لكن ذلك لم يُعكر صفو الحفلة.

أما الأصدقاء، فكما هم دائمًا، بعضهم حاول تحذيري بضرورة الاعتدال، فأسأتُ إليهم.

وآخرون حثّوني على الخروج من القبو، للسهر والشرب، بل قدّموا لي الهدايا...

ثم ضحكوا على حسابي."

ميلفا، التي كانت لا تزال تُصلح سهامها المشوهة، تمتمت بغضب واضح.

أما كاهير، الذي كان قد انتهى من إصلاح حذائه، فقد بدا وكأنه يغرق في النوم.

استمر ريجيس دون أن يتوقف:

"في وقت لاحق، بدأت أُعاني من أعراض مثيرة للقلق.

أصبحت المتعة والصحبة أمرًا ثانويًا.

أدركت أنني يمكنني الاستغناء عن كل شيء، باستثناء الدماء.

أصبحت الدماء وحدها هي الأهم."

تدخل دانديليون بنبرة ساخرة:

"هل كنتَ تشعر بالسوء الشديد لدرجة أنك لم تكن قادرًا على النظر إلى نفسك في المرآة؟"

ردّ ريجيس بهدوء، دون أن يتأثر بالسخرية:

"أنا لا أنعكس في المرايا."

ساد الصمت لبرهة.

ثم واصل ريجيس كلامه بصوت أخفض:

"التقيتُ بمصاصة دماء معينة...

قد يكون الأمر — بل ربما كان كذلك بالفعل — شيئًا جديًا.

توقفت عن فقدان السيطرة.

ولكن لم يدم ذلك طويلًا.

تركتني، وبدأتُ أشرب بشكل أكبر.

كما تعلمون، خيبة الأمل والحزن يُشكلان أعذارًا رائعة.

كنتُ أبحث عن تبرير لسلوكي، ووجدتُ العذر المثالي.

الجميع بدا وكأنه يتفهمني. حتى أنا ظننتُ أنني أفهم نفسي.

ثم جمعت النظرية بالتطبيق.

هل أُسبب لكم الملل؟ لن أطيل عليكم بعد الآن."

صمت ريجيس للحظات، ثم تابع:

"في النهاية، بدأتُ أرتكب أفعالًا لا تُغتفر، غير مقبولة على الإطلاق، أفعالًا لا يقوم بها أي مصاص دماء محترم.

بدأت أطير بينما كنتُ ثملًا.

وفي إحدى الليالي، أرسلني الأصدقاء إلى إحدى القرى لجلب الدماء.

لكنني، أثناء تحليقي، اصطدمت بجدار وسقطت مغشيًا عليّ...

صادف أن فتاة كانت قد خرجت لجلب الماء من البئر، ورأتني...

أوشك الفلاحون على قتلي. لحسن الحظ، لم يكونوا يعرفون كيف.

طعنوني بالأوتاد، وقطعوا رأسي، ورشّوني بالماء المقدس، ثم دفنوني.

هل يمكنك تخيل شعوري عندما استيقظت؟"

قالت ميلفا وهي تحدق في سهمها بصوت هادئ:

"يمكنني التخيل."

نظر الجميع إليها بغرابة.

تنحنحت، وأدارت رأسها بعيدًا.

أما ريجيس، فقد ابتسم ابتسامة طفيفة.

قال بهدوء: "أنا على وشك الانتهاء.

في القبر، كان لدي الكثير من الوقت للتفكير في كل شيء..."

سأل جيرالت وهو ينظر إليه بفضول حذر:

"كثير من الوقت؟

كم بالضبط؟"

رفع ريجيس عينيه إلى جيرالت...

قال ريجيس بابتسامة هادئة: "فضول مهني؟ تقريبًا خمسون عامًا.

عندما تجددت قواي، قررت أن أعيد ترتيب حياتي.

لم يكن الأمر سهلًا، لكنني نجحت في النهاية.

ومنذ ذلك الحين، لم أشرب مجددًا."

سأل دانديليون بفضول واضح: "ولا حتى قطرة واحدة؟ أبدًا؟ ولكن إذا..."

رفع جيرالت حاجبيه قليلًا وقال: "تحكم بنفسك، دانديليون.

وفكر... بصمت."

تمتم الشاعر بضيق: "آسف."

قال ريجيس بنبرة تصالحية: "لا تعتذر، دانديليون.

وأنت يا جيرالت، لا تعاتبه.

أفهم الفضول.

أنا، أو بالأحرى، أسطورتي، تجسد كل مخاوف البشر.

من الصعب أن تطلب من شخص أن يتجاوز مخاوفه بسهولة.

الخوف جزء أساسي من النفس البشرية، لا يقل أهمية عن غيره من الحالات العاطفية.

نفسٌ بلا خوف، هي نفسٌ مشوهة."

استعاد دانديليون رباطة جأشه وقال مازحًا:

"تخيل أنني استيقظت ذات يوم دون أي خوف.

هل سأكون معاقًا؟"

للحظة، ظن جيرالت أن ريجيس سيكشف عن أنيابه ويُعالج دانديليون من هذا "القصور المزعوم".

لكنه كان مخطئًا.

ريجيس لم يكن يميل إلى الإيماءات المسرحية.

قال بهدوء: "لقد تحدثتُ عن المخاوف المتجذرة في الوعي واللاوعي.

لا تدع التشبيه يزعجك، لكن الغراب لا يخاف من المعطف والقبعة المعلقة على عصا عندما يحط عليها بحذر.

لكن، عندما يحركها الريح، يتفاعل الغراب بالفرار."

قال كاهير من الظلام، بصوت هادئ لكنه عميق: "سلوك الغراب يعكس النضال من أجل البقاء."

تمتمت ميلفا بسخرية: "الغراب ذكي.

إنه لا يخاف من رجل القش، لكنه يخاف من الرجال الحقيقيين، لأنهم يرمون الحجارة ويطلقون السهام."

قال جيرالت مؤكدًا: "غريزة البقاء مزروعة في كل الكائنات الحية، سواء كانت غربان أو بشر.

شكرًا على التوضيح، ريجيس، لقد استوعبناه تمامًا.

ولكن، لا تحاول الغوص أكثر في أعماق اللاوعي البشري.

ميلفا محقة.

الأسباب التي تجعل الناس يصابون بالذعر عند رؤية مصاص دماء ليست غير منطقية، بل هي نابعة من غريزة البقاء."

قال ريجيس بانحناءة طفيفة نحو جيرالت، وبنبرة لا تخلو من الاحترام المشوب بالسخرية:

"نسمع كلمات متخصص.

محترف، يحمل فخر المحترفين، والذي لن يقبل المال لمحاربة المخاوف الوهمية.

الويتشر الذي يحترم نفسه، لا يتم توظيفه إلا لمحاربة الشر الحقيقي، ذلك الذي يشكل تهديدًا مباشرًا.

محترف سيشرح لنا لماذا مصاص الدماء شر أعظم من تنين أو ذئب.

ففي النهاية، كلاهما أيضًا يمتلك أنيابًا."

قال جيرالت ببرود:

"ربما لأن الأخيرين يستخدمان أنيابهما بسبب الجوع أو للدفاع عن النفس،

لكن ليس للمتعة، أو لكسر الجليد مع الأصدقاء، أو للتغلب على الخجل من الجنس الآخر؟"

قاطعه ريجيس قبل أن يكمل:

"الناس لا يعرفون ذلك.

أنت تعرفه منذ زمن طويل، وبقية الصحبة اكتشفته للتو.

لكن الغالبية العظمى مقتنعة بشدة أن مصاصي الدماء لا يلعبون بالدم، بل يتغذون عليه.

وليس أي دم، بل دم البشر فقط.

الدم هو سائل الحياة؛ وفقدانه مرتبط بضعف الجسد وانحسار القوة الحيوية.

فكر في الأمر كائنٌ يسفك دماءنا هو عدونا اللدود.

كائنٌ يتغذى على دمائنا ليعيش هو وحشٌ مضاعف الشر.

يزيد من حيويته على حساب حيويتنا، وإذا ازدهرت فصيلته، فسنفنى نحن.

وأخيرًا، مثل هذا الكائن مقزز، لأننا رغم إدراكنا لقيمة الدم، إلا أننا نشعر تجاهه بالاشمئزاز.

هل سيشرب أحدكم الدم؟ أشك في ذلك.

البعض يفقدون وعيهم لمجرد رؤية الدم.

وفي بعض المجتمعات، هناك أيام معينة في الشهر يُعتبر فيها النساء غير طاهرات ويتم عزلُهُن..."

قاطعه كاهير، بنبرة جافة:

"أعتقد أن ذلك يحدث فقط عند البرابرة.

أما الإغماء عند رؤية الدم، فأظن أنه يقتصر على النورثلينغ فقط."

رفع جيرالت رأسه وقال بحزم:

"لقد انحرفنا عن المسار.

نحن نبتعد عن الطريق المباشر، وندخل في غابة الفلسفة المشكوك فيها.

ريجيس، هل تعتقد أن الناس كانوا سيتصرفون بشكل مختلف لو كانوا يعلمون أنك لا تعاملهم كفرائس، بل كحانات للشرب؟

أين ترى في ذلك مخاوف غير عقلانية؟

مصاصو الدماء يمتصون دماء البشر—هذه حقيقة لا يمكن إنكارها.

البشر الذين يُعاملون كمستودعات للدم، يفقدون قوتهم.

الإنسان الذي يُستنزف حتى آخر قطرة، يفقد حياته.

وبشكل عام، يموت.

آسف، لكن الخوف من الموت لا يمكن تصنيفه في نفس الفئة مع فقدان الدم، سواء كان دمًا طمثيًا أم غير ذلك."

تمتمت ميلفا بسخرية، وهي تنظر إليهم جميعًا:

"تتحدثون بذكاء شديد، لدرجة أن رأسي بدأ يدور.

ومع كل هذه الحكمة الفلسفية، لا تزالون تدورون حول ما يوجد تحت تنورة المرأة.

تبًا لكم، أيها الفلاسفة."

قال ريجيس بنبرة هادئة:

"دعونا نترك رمزية الدم جانبًا للحظة.

لأن الأساطير لديها بالفعل بعض الأسس الواقعية.

لكن لنركز الآن على الخرافات التي لا أساس لها، ورغم ذلك منتشرة على نطاق واسع.

فبعد كل شيء، الجميع يعرف أنه إذا قام مصاص دماء بعضّك، ونجوت، فإنك ستتحول إلى مصاص دماء أيضًا.

صحيح؟"

قال دانديليون بسرعة:

"صحيح! كانت هناك أغنية شعبية عن ذلك..."

قاطعه ريجيس بسؤال مفاجئ:

"هل تعرف الحساب الأساسي؟"

رفع دانديليون رأسه بفخر وقال:

"لقد درست الفنون السبعة الحرة.

وحصلتُ على درجة بامتياز مع مرتبة الشرف."

ابتسم ريجيس ابتسامة خفيفة، ثم تابع حديثه:

"في عالمكم، بعد الاقتران الكروي، كان هناك حوالي ألفين ومئتي مصاص دماء علوي.

الممتنعون عن الشرب تمامًا، مثلي الآن، يفوقون عدد الذين يشربون بشراهة، كما كنت أفعل سابقًا.

لذلك، في المتوسط، كل مصاص دماء يشرب مرة واحدة في كل اكتمال قمر، لأن اكتمال القمر بالنسبة لنا هو احتفال، كنا نشرب خلاله...

إذا طبقنا ذلك على التقويم البشري، وقبلنا بأن هناك اثني عشر اكتمال قمر في السنة، فذلك يعني نظريًا أن أربعة عشر ألف شخص يُعضّون كل عام.

ومنذ الاقتران الكروي، ووفقًا لحساباتكم الزمنية، مرت حوالي ألف وخمسمائة سنة.

باستخدام عملية ضرب بسيطة، يُفترض أن يوجد الآن في عالمكم واحد وعشرون مليونًا وستمائة ألف مصاص دماء.

ولكن... ازدياد عدد مصاصي الدماء لا يمكن أن يكون حسابيًا، بل يجب أن يكون هندسيًا..."

تنهد دانديليون وأشار بيده قائلاً:

"كفى، كفى، ليس لدي لوح حساب، لكنني أستطيع تخيل العدد.

أو بالأحرى، لا أستطيع تخيله على الإطلاق.

هذا يعني أن عدوى مصاصي الدماء مجرد هراء وخرافة."

انحنى ريجيس قليلًا وقال بابتسامة هادئة:

"شكرًا لك.

لننتقل إلى الخرافة التالية، والتي تقول:

مصاص الدماء إنسانٌ مات، لكنه لم يمت تمامًا.

في القبر، لا يتعفن، ولا يتحلل إلى غبار.

بل يبقى في قبره، طازجًا ومتوردًا، مستعدًا للنهوض والخروج ليعض الناس.

من أين جاءت هذه الخرافة، إن لم تكن من لا وعيكم الجماعي ومن نفوركم اللاعقلاني من الموتى الأجلاء؟

أنتم تتذكرون موتاكم وتكرّمون ذكراهم، وتحلمون بالخلود، وفي أساطيركم وقصصكم، يظهر بين الحين والآخر شخصٌ يعود من الموت.

ولكن، إذا خرج جدك الراحل فجأة من قبره وطلب منك كأس بيرة، ستعم الفوضى، وسينتشر الذعر.

ولا عجب في ذلك. فالجسد الذي توقفت فيه الحياة يخضع للتحلل والتعفن، وتفوح منه الروائح الكريهة.

أما الروح الخالدة — وهي عنصر لا غنى عنه في أساطيركم — فإنها تهجر الجثة النتنة باشمئزاز وتحلق بعيدًا.

تبقى الروح نقية، يمكنكم تقديسها بأمان.

لكن تخيلوا روحًا مقززة، لا ترحل، لا تترك الجثة!

هذا هو ما تعتبرونه قمة الشناعة والغرابة!

الموتى الأحياء، بالنسبة لكم، هم تشوهات مثيرة للاشمئزاز.

حتى أن بعض الحمقى ابتكروا مصطلح "غير الأموات"، والذي أصبح مصطلحًا دارجًا عن مصاصي الدماء."

ابتسم جيرالت ابتسامة طفيفة وقال بسخرية:

"البشر، كعرق، هم بدائيون وخرافيون.

من الصعب عليهم أن يفهموا أو يصيغوا مصطلحًا دقيقًا لكائنٍ ينهض من قبره، حتى بعد أن تم قطع رأسه ودفنه تحت الأرض لخمسين عامًا."

لم يتأثر ريجيس بالسخرية، بل رد بنفس هدوئه المعتاد:

"أليس كذلك؟

البشر يمكنهم إعادة إنماء الشعر، والجلد، والأظافر، لكنهم غير قادرين على تقبل حقيقة وجود أعراق تفوقهم في هذا المجال.

وهذا الرفض لا ينبع من بدائيتهم، بل على العكس، ينبع من تمحورهم حول ذاتهم واقتناعهم بكمالهم الذاتي. أي شيء أكثر كمالًا منهم، لا بد أن يكون تشوهًا مقززًا. وهذه التشوهات المقززة تُحكى على هيئة أساطير... لأغراض اجتماعية."

قالت ميلفا بهدوء، وهي تدفع خصلة من شعرها بعيدًا عن وجهها بعمود سهم:

"لم أفهم شيئًا مما قلته.

لكن ما فهمته، هو أنك تتحدث عن قصص خرافية وحكايات شعبية، حتى إن بعضها سمعتُ به من قبل، رغم أنني مجرد فتاة غبية من الغابة.

ولكن ما يدهشني أكثر منك يا ريجيس، هو أنك لا تخشى الشمس.

في الحكايات، عندما يضرب ضوء الشمس مصاص دماء، يتحول إلى رماد.

هل هذه أيضًا مجرد خرافة؟"

أكد ريجيس بنبرة هادئة:

"كما يفعل معظمكم، تؤمنون أن مصاص الدماء لا يكون خطيرًا إلا في الليل، وأنه بمجرد أن تلمسه أشعة الشمس الأولى، يتحول إلى رماد.

أصل هذه الخرافة، والتي ربما رواها أسلافكم حول نيران المعسكرات، يكمن في علاقتكم بالشمس، أو بالأحرى، حبكم للدفء والإيقاع اليومي الذي تتطلبه الأنشطة النهارية.

فالليل بالنسبة لكم هو الظلام، البرودة، الشر، والتهديدات الكامنة، بينما شروق الشمس يعني انتصارًا جديدًا في صراع البقاء، يعني يومًا جديدًا، يعني استمرار الحياة.

ضوء الشمس يجلب الوضوح والدفء، ولذلك، لا بد أن تدمر الأشعة الشمسية أعداءكم الوحوش.

مصاصو الدماء يتحولون إلى رماد، التُرولز تتحجر، المستذئب يفقد شكله الوحشي، والعفريت يهرب إلى كهفه ليحمي عينيه.

تعود وحوش الليل إلى جحورها، وتتوقف عن تهديدكم.

حتى غروب الشمس، العالم ملكٌ لكم.

أكرر وأؤكد هذه الأسطورة وُلدت بجانب نيران المعسكرات القديمة.

أما اليوم، فهي بالفعل مجرد أسطورة، لأنكم في بيوتكم تملكون التدفئة والإضاءة لقد أخضعتم الليل.

ونحن، مصاصو الدماء العلويون، قد غادرنا أقبية المقابر. لقد أخضعنا النهار. التشبيه مكتمل.

هل أنتِ راضية عن هذا التفسير، ميلفا؟"

ردّت ميلفا وهي تلتقط سهمًا آخر:

"ليس كثيرًا. لكنني أعتقد أنني أفهم. أنا أتعلّم. علم الاجتماع، الأساطير، المستذئبون...

كانوا يُعلموننا ذلك في المدارس بالعصا.

أما معك، فالأمر أكثر متعة.

رأسي يؤلمني، لكن على الأقل، مؤخرتي لا تؤلمني."

قال دانديليون وهو يحدّق في ريجيس:

"هناك شيء واحد لا مجال للشك فيه، ومن السهل رؤيته.

أشعة الشمس لا تحوّلك إلى رماد، يا ريجيس، كما أن حرارتها لا تؤثر فيك، تمامًا مثل حدوة الحصان التي سحبتها من النار بيدك العارية.

ولكن، بالعودة إلى تشبيهك، فإن النهار سيظل دائمًا وقت النشاط الطبيعي للبشر، والليل سيظل دائمًا وقت النوم الطبيعي. هذا هو تكويننا الفيزيائي. على سبيل المثال، في النهار نرى أفضل مما نرى في الليل. الاستثناء الوحيد هو جيرالت، الذي يرى بوضوح في كليهما، لكنه طافر. أما بالنسبة لمصاصي الدماء، فهل الأمر يتعلق بالطفرات أيضًا؟"

هزّ ريجيس رأسه بتفكير وقال:

"يمكنك قول ذلك.

لكنني أعتقد أن الطفرة، إذا انتشرت على مدى فترة طويلة بما يكفي، تتوقف عن كونها طفرة، وتصبح تطورًا.

لكن ما قلته عن البنية الفيزيائية هو نقطة مهمة.

التكيف مع ضوء الشمس كان بالنسبة لنا ضرورة غير محببة.

لكي نعيش، كان علينا أن نتشابه مع البشر في هذا الصدد. التخفي، يمكنني أن أقول.

لكن هذا كان له عواقب.

ولهذا نقول تعبيرًا مجازيًا أنا ذاهب للنوم وأنا مريض."

قال دانديليون باندهاش:

"ماذا؟"

قال ريجيس بهدوء:

"هناك أسباب تدعو للاعتقاد بأن ضوء الشمس قد يكون قاتلًا على المدى الطويل.

هناك نظريات تقول إنه في غضون خمسة آلاف عام — إذا كنا متواضعين في التقدير — سيكون هذا العالم مسكونًا فقط من قبل الكائنات الليلية."

تنهد كاهير، ثم تثاءب بقوة وقال:

"يسعدني أنني لن أعيش حتى أرى ذلك اليوم."

قال جيرالت وهو يتمدد ببطء:

"الشمس القاتلة ستشرق بعد بضع ساعات.

لكن قبل ذلك، نحن بحاجة إلى النوم... ريجيس، في سياق المدرسة والتعلم، فند لنا خرافة أخرى عن مصاصي الدماء.

لأنني أراهن أن لديك المزيد منها."

هزّ ريجيس رأسه موافقًا:

"نعم، هناك واحدة فقط متبقية. لكنها ليست أقل أهمية.

إنها الخرافة التي فرضتها مخاوفكم الجنسية."

صدر صوت خافت من كاهير وهو يغمغم باستهزاء.

قال ريجيس وهو ينظر إليه بتمعن:

"لقد تركتُ هذه الخرافة حتى النهاية. وبصراحة، لم أكن لأتطرق إليها لولا أن جيرالت تحداني بذلك، ولذلك لن أوفر عليكم شيئًا.

عند البشر، أقوى مسببات القلق هي الجنس.

العذراء التي تفقد وعيها بين أحضان مصاص الدماء، أو الشاب الذي يُعرض لجشع شفتيه المتغطرستين، تتجولان فوق جسده العاري.

كما يمكنكم التخيل .. اغتصاب شفوي. مصاص الدماء يشلّ ضحيته بالخوف، ثم يجبرها على أداء الجنس الفموي. أو بالأحرى، محاكاة مشوهة له. ولأن هذا النوع من الجنس لا يؤدي إلى التكاثر، فهو مُدان."

تمتم الويتشر بصوت خافت:

"تحدث عن نفسك."

واصل ريجيس بنبرة ثابتة:

"فعل لا يؤدي إلى الإنجاب، بل إلى اللذة والموت، لذا، حولتموه إلى خرافة شريرة. العديد من الرجال والنساء يرغبون سرًا في شيء مماثل، ومع ذلك، فهم مترددون في منح شركائهم أي شيء خارج القوالب المقبولة اجتماعيًا.

ولذلك، نحن من يفعل ذلك عنكم في أساطير مصاصي الدماء، وهكذا، تنمو هذه الصورة الرمزية للشر وتترسخ في وعيكم."

صرخت ميلفا في اللحظة التي أنهى فيها ريجيس حديثه:

"ألم أخبركم؟

إنه دائمًا نفس الأمر!

يبدؤون بالحكمة، ثم ينتهون دائمًا بين ساقي الفتاة!"

قاطع جيرالت ببرود:

"لقد قلتها لنا مئات المرات بالفعل."

بصق دانديليون على الأرض وقال ساخطًا:

لماذا يقاتلون هنا؟ أمن أجل العرعر والفراولة؟ لأنه لا يوجد شيء آخر في هذا البلد!"

قالت ميلفا وهي تحدق في الأدغال:

"بين القتلى الذين رأيناهم في الأحراش، كان هناك إلف. كوماندوز السكويا'تايل يستخدمون هذه المنطقة، لطالما فعلوا ذلك. الممرات هنا تربط دول بلاثانا والجبال الزرقاء، وتمتد حتى تيميريا. يبدو أن شخصًا ما يحاول إغلاق هذه المسارات، هذا ما أعتقده."

هزّ ريغيس رأسه موافقًا وقال:

"من غير المستبعد أن يكون جيش تيميريا يطارد السناجب هنا. لكن عدد الجنود كبير للغاية. أشك في أن قوات نيلفجارد قد عبرت الياروغا أخيرًا."

تجهم وجه جيرالت قليلًا وهو ينظر إلى ملامح كاهير المتحجرة:

"هذا ما أظنه أيضًا. الجثث التي رأيناها هذا الصباح تحمل بصمات الأسلوب النيلفجاردي في الحرب."

تمتمت ميلفا مدافعة عن كاهير:

"لكن بعض الجيوش الأخرى ليست أفضل حالًا. ولا تنظر إلى كاهير بهذه الطريقة، لأنكما تتقاسمان نفس المصير. هو، الموت ينتظره إذا سقط تحت أقدام النيلفجارديين، وأنت قد نجوت للتو من حبل المشنقة التيميري.

لذلك من العبث أن ننشغل بمعرفة أي جيش أمامنا وأي جيش خلفنا. لا يهم أي لون يرتدون.

كلهم الآن أعداؤنا."

أومأ جيرالت برأسه موافقًا:

"أنتِ على حق."

قال دانديليون في اليوم التالي، بينما كانوا مختبئين في الأدغال، ينتظرون مرور مجموعة أخرى من الفرسان:

"من الغريب أن الجيش يجتاح الغابات ويرج الأرض تحت سنابك خيوله، لكن في الأسفل، قرب نهر الياروغا، أسمع صوت الفؤوس. الحطّابون يقطعون الأشجار وكأن شيئًا لم يحدث. هل تسمعون؟"

قال كاهير وهو يتأمل الأمر:

"ربما ليسوا حطّابين. ربما هم جنود من وحدة هندسية؟"

هزّ ريجيس رأسه وقال بثقة:

"لا، إنهم حطّابون. لا شيء يمكن أن يوقف استغلال ذهب أنغرين."

قطب جيرالت حاجبيه وسأل:

"أي ذهب؟"

ابتسم ريجيس ابتسامة المعلم الذي يشرح للطلاب الجاهلين، وهو الأسلوب الذي كان يستخدمه كثيرًا، مما كان يزعج جيرالت:

"انظر إلى الأشجار."

كرر ريغيس بصوت هادئ، لكنه ذو مغزى:

"هذه الأشجار... أشجار الأرز، البلوط، وصنوبر أنغرين. إنها مواد ثمينة للغاية. يمكنك رؤية معسكرات الحطّابين على ضفاف النهر؛ ومن هناك، يتم نقل الجذوع في اتجاه مجرى النهر.

في كل مكان، يتم قطع الأشجار، وصوت الفؤوس يتردد ليلاً ونهارًا. عندها فقط تصبح الحرب التي نراها ونسمعها منطقية.

نيلفجارد، كما تعلمون، قد استولت على مصب نهر الياروغا، وكذلك سينترا، فيردن، والجزء العلوي من سودين. وفي هذه اللحظة، من المحتمل أيضًا أنها استحوذت على بروج، وجزء من الجزء السفلي من سودين.

هذا يعني أن الأخشاب يتم نقلها من أنغرين إلى المناشير الإمبراطورية وأحواض بناء السفن التابعة لنيلفجارد.

ممالك الشمال تحاول إيقاف هذا النقل، بينما يهتم النيلفجارديون بضمان استمرار القطع والنقل دون عوائق."

أومأ دانديليون برأسه وقال بحسرة:

"وكما هو الحال دائمًا، حظنا سيء.

لأننا بحاجة للوصول إلى كايد دو، والمسار يمر مباشرة عبر أنغرين، حيث تدور حرب الأخشاب. تبًا، هل هناك طريق آخر؟"

نظر جيرالت إلى الشمس التي كانت تغيب فوق نهر الياروغا،

وتذكر أنه طرح هذا السؤال نفسه على ريجيس عندما اختفى دوي سنابك الخيول في الأفق، وتمكنوا أخيرًا من استئناف رحلتهم.

قال ريجيس بتأمل:

"طريق آخر إلى كايد دو؟

لنتجنب الجيوش، ولكن دون أن نعبر عبر التلال؟

نعم، هناك طريق.

لكنه ليس مريحًا أو آمنًا.

وهو أطول.

لكنني أضمن لكم أننا لن نجد أي جيوش هناك."

قال جيرالت بجدية:

"تكلم."

قال ريجيس وهو ينظر إلى الأفق:

"سنتجه جنوبًا، ونحاول عبور المنخفض في المجرى المتعرج لنهر الياروغا.

نحو يسغيذ.

هل تعرف يسغيذ، يا ويتشر؟"

رد جيرالت دون تردد:

"أعرفها."

سأله ريجيس وهو يراقبه بفضول:

"هل سبق لك أن مررت من هناك؟"

قال جيرالت بنبرة ثابتة:

"نعم."

تنحنح ريجيس قليلاً وقال:

"هناك هدوء في صوتك، يبدو أنه يشير إلى أنك توافق على الفكرة. حسنًا، نحن خمسة، بما في ذلك ويتشر، محارب، ورامية سهام، لدينا خبرة، وسيفان، وقوس. ليس كافيًا لمواجهة دورية نيلفجاردية، لكن ربما يكفينا لعبور يسغيذ."

*** * تمت * ***



ترجمة المؤلف:

أندريه سابكوسكي وُلد عام 1948في بولندا، درس الاقتصاد وإدارة الأعمال، لكن نجاح سلسلته الفانتازية حول الويتشر جيرالت من ريفيا جعله واحدًا من أبرز الكُتّاب في مجال الأدب الخيالي. يُعتبر اليوم أحد أشهر الكُتّاب البولنديين وأكثرهم نجاحًا على الإطلاق، حيث حققت أعماله شهرة عالمية وترجمت للغات عدة، وأثرت بشكل كبير في ثقافة الفانتازيا الحديثة.

أعماله:

The Last Wish-1 (الأمنية الأخيرة) – 1993

Sword of Destiny-2 (سيف المصير) – 1992

Blood of Elves-3 (دماء الإلفيين) – 1994

The Time of Contempt-4 (زمن الازدراء) – 1995

Baptism of Fire-5 (معمودية النار) – 1996

The Tower of Swallows-6 (برج السنونو) – 1997

The Lady of the Lake-7 (سيدة البحيرة) – 1999

Season of Storms-8 (موسم العواصف) – صدرت بالإنجليزية 2018

وعلى الرغم من أن رواية الأمنية الأخيرة "The Last Wish" نُشرت بعد رواية سيف المصير "Sword of Destiny"، إلا أنها تُعتبر أول رواية في السلسلة زمنيًا لأنها تجمع قصصًا سابقة تم نشرها بشكل متفرق.

يذكر أن سلسلة "الويتشر" أصبحت من أشهر سلاسل الفانتازيا الملحمية، وتم تحويلها إلى لعبة فيديو تعد من أنجح الألعاب على الإطلاق، ومسلسل تلفزيوني لازال يصدر على شكل مواسم حتى الآن في شبكة Netflix .